تفسير القرآن الكريم

الموسوم بـ

أقصى الغايات في تفسير الآيات

الدكتور محمد فرج طه

الجزء الثاني

مقدمة

العظيم جَلَّجَلَالُهُ أمر عباده في قرآنه بالمكارم ونهاهم عن الآثام والمحارم ووَعدهمْ فِيهِ جزيل الثَّوَاب وَضرب لَهُم فِيهِ الْأَمْثَال وَفصل لَهُم فِيهِ الْمعَانِي الدَّالَّة على سَبِيل النجَاة وَأَبَان فِيهِ المشكلات وأوضح لَهُم فِيهِ الشواهد فَهُوَ بركَة لقَوْله تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ [ص: ٢٩] ليعلموا بذلك أنه يدلهم على النجَاة وينالون باتباعه الزلفى والكرامة وَهُوَ أحسن الحَدِيث تَصْدِيقًا لقَوْله تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣] فَأخْبرهُم أنه لَا حَدِيث يُشبههُ فِي حسنه وَأخْبر أَنه متشابه غير مُخْتَلف فِيهِ وَسَماهُ بأحسن الْأَسْمَاء فَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت:٤١].

وَقَالَ أَن مَا قبله من الْكتب مُصدق لَهُ وَشَاهد وَأخْبر أَنه مَحْفُوظ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِل من بَين يَدَيْهِ وَلَا من خَلفه، فَهُوَ نور اللَّيْل المظلم وضياء النَّهَار وَيجب الْعَمَل بِهِ على مَا كَانَ من جهد وفاقة، وأما الَّذين يَتلون الْقُرْآن ويتدبرونه فهم أَوْلِيَاء الله الَّذين نعتهم بقوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ﴾ [الزمر: ٢٣]، وتبكي أعينهم وتطمئن قُلُوبهم إِلَى ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ.

وَقد ضمن الله لهَؤُلَاء أَن من اتبع مِنْهُم مَا فِي كِتَابه من الْهدى الْإِجَارَة من الضَّلَالَة فِي الدُّنْيَا والسعادة فِي الْآخِرَة والنجاة من الشَّقَاء، قَالَ الله ﷻ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، (المتوفى: ٢٤٣هـ)
[فهم القرآن ومعانيه (٢٤٧/١)].

(١٠) سورة يونس مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّةٌ، وسميت بهذا الاسم تكريمًا ليونس عَلَيْهِ السَّلَامُ ولقومه الذين آمنوا به واتبعوه قبل أن ينزل بهم العذاب، وهي السورة الحادية والخمسون في ترتيب نزول السور. نزلت بعد سورة بني إسرائيل وقبل سورة هود، وعدد آياتها: تسع ومائة آية عند الجمهور[١]، وكلماتُها ألفٌ وثماني مئة وثلاث وثلاثون، وحروفُها سبعة آلاف وثلاث مئة وسبعة وتسعون.

أغراض السورة:

ابتدأت بمقصد إثبات رسالة محمد ﷺ بدلالة عجز المشركين عن معارضة القرآن، دلالة نبه عليها بأسلوب تعريضي دقيق بني على الكناية بتهجية الحروف المقطعة في أول السورة إشارة إلى أن إعجازه لهم هو الدليل على أنه من عند الله، وأتبع بإثبات رسالة محمد ﷺ وإبطال إحالة المشركين أن يرسل الله رسولًا بشرًا، وانتقل من ذلك إلى إثبات انفراد الله تعالى بالإلهية بدلالة أنه خالق العالم ومدبره، فأفضى ذلك إلى إبطال أن يكون لله شركاء في إلهيته، وإلى إبطال معاذير المشركين بأن أصنامهم شفعاء عند الله، وأتبع ذلك بإثبات الحشر والجزاء. فذلك إبطال أصول الشرك، وتخلل ذلك بذكر دلائل من المخلوقات، وبيان حكمة الجزاء، وصفة الجزاء، وما في دلائل المخلوقات من حكم ومنافع للناس. ووعيد منكري

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٧).

البعث المعرضين عن آيات الله، وبضد أولئك وعد الذين آمنوا، فكان معظم هذه السورة يدور حول محور تقرير هذه الأصول، فمن ذلك التنبيه على أن إمهال الله تعالى الكافرين دون تعجيل العذاب هو حكمة منه، ومن ذلك التذكير بما حل بأهل القرون الماضية لما أشركوا وكذبوا الرسل، والاعتبار بما خلق الله للناس من مواهب القدرة على السير في البر والبحر، وما في أحوال السير في البحر من الألطاف، وضرب المثل للدنيا وبهجتها وزوالها، وأن الآخرة هي دار السلام، واختلاف أحوال المؤمنين والكافرين في الآخرة، وتبرؤ الآلهة الباطلة من عبدتها، وإبطال إلهية غير الله تعالى، بدليل أنها لا تغني عن الناس شيئا في الدنيا ولا في الآخرة، وإثبات أن القرآن منزل من الله، وأن الدلائل على بطلان أن يكون مفترى واضحة، وتحدي المشركين بأن يأتوا بسورة مثله، ولكن الضلالة أعمت أبصار المعاندين، وإنذار المشركين بعواقب ما حل بالأمم التي كذبت بالرسل، وأنهم إن حل بهم العذاب لا ينفعهم إيمانهم، وأن ذلك لم يلحق قوم يونس لمصادفة مبادرتهم بالإيمان قبل حلول العذاب، وتوبيخ المشركين على ما حرموه مما أحل الله من الرزق، وإثبات عموم العلم لله تعالى، وتبشير أولياء الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وتسلية الرسول عما يقوله الكافرون، وأنه لو شاء الله لآمن من في الأرض كلهم، ثم تخلص إلى الاعتبار بالرسل السابقين نوح ورسل من بعده ثم موسى وهارون.

ثم استشهد على صدق رسالة محمد ﷺ بشهادة أهل الكتاب، وختمت السورة بتلقين الرسول عليه الصلاة والسلام مما يعذر به لأهل الشك في دين الإسلام، وأن اهتداء من اهتدى لنفسه وضلال من ضل عليها، وأن الله سيحكم

بينه وبين معانديه(١). وانتظامُ أوَّل هذه السُّورة بآخر تلك السُّورة: أنَّه ختم تلك بثنائه بقوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، وبدأ هذه السُّورة بـ﴿الر﴾، وهو مُنزل الكتاب الحكيم، ولأنَّه ذكر في ختم تلك السُّورة تولِّيَ الكفَّار، وفي افتتاح هذه السُّورة في ذكر المنافقين والمشركين وحسنِ عاقبة المخلصين، وفي هذه السُّورة محاجَّةُ الكافرين وما نزل بالكفَّار الماضين، وخلاص المخلصين(٢).

(١-٢) - ﴿الر﴾: الله أعلم بمراده ﴿تِلْكَ﴾: أي: الآيات الَّتي تقدَّم ذكرُها قبلَ هذه السُّورة، ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾: أي: الآتي بالحكمةِ، وقيل: أي: المحكم عن التَّناقض والتَّغيير والتَّبديل، ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: أتعجَّبَ مشركو مكَّة أنْ جعلْنا لنا رسولًا إليهم، وهو من جنسهم، يفهمون منه، ويسكنون إليه، ويعرفون صدقَه وأمانته، أن أنذِر المشركين وبشِّر المؤمنين، ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: قيل: أي: سوابقَ أعمالٍ صالحةٍ قدَّموها ذُخرًا لآخرتهم. والقَدَمُ: ما قُدِّمَ مِن العملِ، والصِّدقُ: الحَسَن، ويُذكَر على الإضافة بطريق المدح، وقيل: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ قال: محمَّدٌ ﷺ شفيعٌ لهم يومَ القيامةِ. ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾: في أوَّله مضمر؛ أي: لمَّا جاءَهم وأنذرهم قال الكافرون: إنَّ هذا المدَّعي لساحرٌ مبينٌ، وقيل: إنَّ هذا الَّذي أتى به لَسِحرٌ ظاهرٌ(٣).

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٨٠).

(٢) الكشف والبيان (٥/ ١١٦)، الوسيط (١/ ١٧٤)، والتيسير في التفسير (٨/ ٨).

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٧٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٥)، ولطائف الإشارات (٢/ ٧٧).

(٣) - ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: مرَّ تفسيرُه في سورة الأعراف. ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي: يقضي الأمرَ وحدَه، والمعنى: يقدِّرُ الأمورَ كلَّها، ويُمضيها في الدُّنيا والآخرة، مِن خَلْقِ أفعالِ العباد وأقوالهم وأحوالهم، وإظهارِ الحوادث مِن الموت والحياة، والعزِّ والذُّل، والصِّحَّةِ والمرض، والسَّعةِ والضِّيق، والخيرِ والشَّر، وإعطاءِ الذُّكور والإناث مِن الأولاد، وتصريفِ اللَّيل والنَّهار، والرِّيحِ والسَّحاب، والحرِّ والبرد، وكلِّ شيء، ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾: أي: لا يفعلُ شيئًا مِن هذه الأمور بشفاعةِ أحدٍ. ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: أي: هو المستحقُّ للعبادة فإيَّاه فاعبدوا. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أي: أفلا تتَّعظون بما يعظِكُم اللَّهُ به مِن الإيمانِ به وتركِ الشِّرك؟.

(٤) - ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: أي: إلى جزاءِ اللَّهِ رجوعُكم جميعًا يومَ القيامةِ. ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾: نصبٌ على المصدر على إضمار الفعل؛ أي: وَعَدَ اللَّهُ ذلك وَعْدًا صدقًا. ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾: أي: ليتعبَّدهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾؛ أي: يميتهم، ثم يعيدهم أحياءً يوم القيامة ليجزيهم. ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾: أي: بالعدْلِ، أي: يجزي المحسنين جزاء الإحسانِ، والمسيئين جزاء الإساءة، ويفصل بين العدو والولي في الجزاء، وهو العدل. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾: مِن ماءٍ حارٍّ مغليٍّ قد انتهى حرُّه، وهو في جهنَّم، ومن صفتِه أنَّه كالمُهلِ يشوي الوجوهَ، وأنَّه يقطِّع أمعاءَهم. ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: أي: عذابٌ يَخلصُ وجعُه إلى قلوبِهم بكفرِهم.

(٥) - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾: أي: خلقَ الشَّمسَ

فجعلَها ﴿ضِيَاءً﴾ للخلق بالنَّهار، ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾؛ أي: وخلق القمرَ فجعلَه نورًا لهم باللَّيل. والضِّياءُ نورٌ معه حرٌّ، والنُّورُ لا حرَّ معه، والضِّياءُ أعمُّ وأتمُّ مِن النُّور، ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ قيل: أي: وقدَّر القمرَ منازلَ، وإنَّما خصَّ القمرَ به لأنَّه هو الذي يعرِّفُ الشُّهور، وباجتماعِها تكون السِّنون. ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾: فعددُ السِّنين: معرفةُ الشُّهور وتمام السَّنة، والحساب: هو الآجالُ والمواقيْتُ المقدَّرة بالشُّهور والسِّنين. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: ما خلقَ اللَّهُ ذلك إلَّا وقد جعلَ فيه دلالة معرفتِه. ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يبيِّن العلامات التي يُستدلُّ بها على الحقِّ، وخصَّ العالمين بذلك لأنَّهم هم المنتفِعونَ بها.

(٦) - ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾: قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال أهلُ مكَّة: ائتنا بآيةٍ حتَّى نؤمنَ لك، فنزلت هذه الآية. أي: فيما يتعلَّق بما خلقْنا مِن الشَّمس والقمر -مِن اختلافِ اللَّيل والنَّهار لأوقاتٍ معلومةٍ على نسقٍ واحدٍ- لآياتٌ؛ لأنَّ في ذلك بقاءَ الدُّنيا إلى حين، وتدبيرَ معايشِ أهلِها، فمَن تدبَّر ذلك علم أنَّ الدُّنيا مخلوقةٌ لمكثِ الخَلْقِ فيها، وخالقُهم لم يهملْهُم، بل جعلَها لهم دارَ عملٍ، فلا بُدَّ مِن أمرٍ ونهيٍ، ثمَّ جزاءٍ ليُفرَّق بينَ المطيع والعاصي، فمَن تدبَّر هذا اتَّقى العاقبةَ وما فيها للعاصي مِن العقوبة، فكان الانتفاع بالآيات للمتقين فلذلك أضيفَتْ إليهم[١].

(٧-١٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ قيل: أي: لا يخافون عقابَنا.

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٢٠)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢١)، ولطائف الإشارات (٢/ وتفسير مقاتل (٢/ ٢٢٧).

﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾: أي: سكنوا إليها، فلم يفكِّروا في عاقبةٍ ولا حسابٍ ولا جزاءٍ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾؛ أي: لا يتدبَّرون فيها.

﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: أي: مِن الكفر والمعاصي. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: وهم الَّذين يرجون لقاءَ اللَّهِ. ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾: قيل: يرشدُهم بإيمانهم في الدُّنيا إلى الخيرات، ويرزقُهم الدَّوام عليه والثَّبات. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾: أي: وتجري بينَ أيديهم في البساتين، وقيل: بأمرِهم ومشيئتِهم، ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: يتنعَّمون فيها مِن غير مشقَّةٍ ولا مؤونةٍ.

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾: أي: دعاؤهم، ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾؛ أي: كلامُ أهلِ الجنَّة فيها تنزيهُ اللَّهِ عمَّا كان في الدُّنيا يُضاف إليه مِن الأضداد والشركاء.

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: وآخرُ ما يتكلَّمون فيه مِن النَّعيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يحمدونَه على ما أدرَّ عليهم مِن نِعمِه، يبتدئون كلَّ نعمةٍ بالتَّسبيح للَّه، ويختمونها بالحمد للَّه، كما كانوا في الدُّنيا يبتدئونَ النِّعمةَ بالتَّسميةِ ويختمونها بالحمدِ(١).

(١١) - ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: أي: ولو عجَّل اللَّهُ لهم ذلك إذا استعجلوه بدعائِهم كما يستعجلون بالخير لَمَا قاموا لعذابنا، بل ماتوا؛ لأنَّ تركيبَهم لا يحتمِل ذلك في الدُّنيا. ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٣)، والبسيط (١١/ ١٣١)، وزاد المسير (٤/ ١٠)، وجامع البيان (١٢/ ١٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٩)، ووبحر العلوم (٢/ ١٠٥)، تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٧)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢٤).

﴿أَجَلُهُمْ﴾ بأن يهلكهم ولكن يمهلهم، ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: نترك الذين لا يخافون البعثَ في تماديهم يمضون متحيِّرين.

(١٢) - ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾: أي: وإذا أصابَ الواحدَ مِن المشركين البلاءُ والمكروهُ في بدنِه ومالِه. ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾: أي: على أيِّ حالٍ كانَ مِن اضطجاعٍ أو قُعودٍ أو قيامٍ. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾: أي: فإذا أزلنا عنه بلاءه ﴿مَرَّ﴾؛ أي: استمرَّ على شركِه لا يرى ذلك منَّا، وعادَ إلى ما كان عليه ﴿كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾؛ أي: كأنَّه لم يدْعُنا في بلاءٍ أصابَه. ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: كالذي زُيِّنَ لهذا الإنسان زُيِّنَ لسائر المشركين المجاوزين حدودَ الشَّرع بالإشراك بالله وتكذيب الأنبياء ووضع الأموال والأنفس في الموضع الذي لا ينتفعون به في عبادة الأصنام وغيرها ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الدُّعاء عندَ البلاءِ والنِّسيان عند الرَّخاء، وهذا التَّزيين مِن اللهِ تخليقًا، ومِن الشَّيطان وسوسةً، ومن الأصحاب دعوةً وتلبيسًا(١).

(١٣) - ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ أي: الأمم، ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾: كفروا بالله، وهو وضع الشَّيء في غير موضعِه، وهو ظلمُ نفسِه أيضًا. ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: وقد كانت جاءتهم رسلُهم بالحُجَج الواضحة. ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾؛ أي: علمنا أنهم لا يؤمنون بدعاء الرُّسل وإظهار الآيات. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: كذلك نفعل بالمجرمين الذين

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠)، والوسيط (٢/ ٥٤٠)، والتيسير في التفسير (٨/ ٣١).

نعلمُ أنَّهم لا يؤمنون، فنحن قادرون على معاجلة هؤلاء المستعجلين بالشَّر(١).

(١٤) - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: سكانَها ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جعلَكم مكانَ أولئك لم يهلككم، وهو تذكيرٌ للنِّعمة، وقيل: جعلكم خلائف أولئك في المحنة والعبادة؛ أي: ابتلاكم بالأمر والنَّهي كما فعل بأولئك، ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي: لم يزلِ اللَّهُ تعالى عالمًا بما كان ويكون منهم مِن الطَّاعة والمعصية، ليَعْلَمهم عصاةً ومطيعين؛ لأنَّ المعصية إنما تكون بعدما يكون النَّهي، والطَّاعة إنما تكون بعدما يكون الأمر، فيَعْلَمكم عاصين كما علم أنه يكون منكم معصية، ويعلمكم مطيعين كما علم أنه يكون منكم طاعة، مَن لم يعتبر بمَن سبقَه اعتبر به مَن لحقَه، ومَن لم يعتبر بما سمعَه اعتبر به مَن تَبعه(٢).

(١٥) - ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾: وهذا إخبارٌ ببعضِ جهالات المشركين، معناه: وإذا تُقرأ عليهم آياتُنا في القرآن واضحاتِ الإعجاز في النَّظم والمعنى ليسمعوه ويتدبَّروه، قال الَّذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء للنَّبيِّ عليه الصلاة السلام: ائْتِ بقرآنٍ غيرِ هذا، ليس فيه شتمٌ لآلهتِنا، ولا تسفيهٌ لأحلامِنا، ولا وعيدٌ بالعذاب لنا، ولا أمرٌ ولا نهيٌ ممَّا يَشُقُّ علينا، أو بدِّل القرآنَ فاجعل فيه بَدَلَ السَّبِّ مدحًا، وبدل الوعيدِ وعدًا. والإتيانُ بغيرِه قد يكون مع قيامِه، وتبديلُه لا يكون إلَّا برفعِه ووَضْعِ آخرَ مكانَه، أو تغييرِ أشياء منه. ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾: أي: مِن جهةِ

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٦)، ولطائف الإشارات (٢/ ٣٠٢). والكشف والبيان (٥/ ١٢٢).

(٢) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٨)، لطائف الإشارات (٢/ ٨٤)، التيسير في التفسير (٨/ ٣٣).

نفسي؛ لأنَّه ليس قولي ولا كلامي، وإنَّما هو وحيُ اللَّه تعالى إليَّ، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي﴾؛ أي: ما أتبع إلَّا الوحيَ. ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي: أخشى إنْ عصيْتُ اللَّهَ بتركِ تبليغِه إليكم، أو تبديلِه على مرادِكُم، عذابَ يومِ القيامة(١).

(١٦-١٧) - ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾: أي: قل يا محمَّدُ ﷺ لهؤلاء: لو شاء اللَّه ما قرأتهُ عليكم بألَّا ينزِله عليَّ ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾؛ أي: ولا أعلمَكُمُ اللَّهُ به. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ قال الضَّحَّاكُ: لقد لبثْتُ فيكم قبلَ نزول القرآن عمرًا طويلًا أربعين سنة ولا أقرأ لكم شيئًا ولا آتيكم به. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أنَّه ليس مِن قِبَلِي. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لا أحدَ أظلمُ ممَّنْ اختلقَ على اللَّهِ كَذِبًا أنَّ معَه شريكًا وصاحبةً وولدًا، أو عبدَ الأوثانَ، أو كذَّبَ بمحمَّدٍ والقرآن، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: لا يظفرون بمطلوبٍ، ولا يصلون إلى مأمولٍ، ولا يأمنون مِن محذورٍ.

(١٨) - ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ أي: ويعبدون من دون اللَّه الأصنامَ الَّتي لا تضرُّ مَن عصاها ولا تنفعُ مَن أطاعَها في معاشٍ ولا رزقٍ ولا غيره. ﴿وَيَقُولُونَ﴾: يعني أهل مكَّة: ﴿هَؤُلَاءِ﴾: يعنون الأصنام ﴿شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾. أي: في إصلاحِ المعاشِ؛ لأنَّهم كانوا لا يقرُّون بالمعاد، ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي:

---

(١) جامع البيان (١٢/ ١٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٣٤)، وبحر العلوم (٢/ ١٠٧) والنكت والعيون (٣/ ١٧٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٧٥).

أتخبرون اللَّهَ بما لا يعلمُه موجودًا؟؛ أي: بما يعلمُه غيرَ موجودٍ؛ لأنَّه لو كان موجودًا لكان معلومًا له وجودُه؛ لأنَّه عالمٌ بكلِّ شيءٍ، وكيف يصحُّ وجودُ ما لا يعلمُه؟ ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزيهُ اللَّهِ عن كلِّ سوءٍ(١).

(١٩) - ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: وما كان النَّاس إلَّا أمَّة واحدة على ملَّة الإسلام زمنَ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد الغرقِ، فاختلفوا وتفرَّقوا، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بأنْ جعل للدُّنيا مدَّةً وأجلًا، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: لأقيمَ عليهم السَّاعة. ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِن الدِّين(٢).

(٢٠) - ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: أي: مِن الآيات المقترحة، كما قال: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات. ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: أي: مالكُ الأشياء الغائبةِ والعالِمُ بها هو اللَّهُ تعالى، وهو أعلمُ بما ينزِّلُ عليكم مِن الآيات وما لم ينزِّلْ، وإنَّما أنا نذير مبلِّغ، وقد بلَّغتكم ما نزَّله عليَّ مِن القرآن الَّذي جعلَه آيةً لي، فليس بعدَ هذا إلَّا العقوبة المنتظرَة. ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾: أي: فانتظروا إهلاككم فإنَّا منتظرون ذلك. وقيل: ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ مواعيدَ الشَّيطان فيما يغرُّكم ويمنِّيكم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لمواعيد اللَّهِ.

(٢١) - ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾: أي: إذا أعطينا

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٢٤)، والبسيط (١١/ ١٤٩)، والتيسير في التفسير (٨/ ٣٨).

(٢) لطائف الإشارات (٢/ ٨٦)، والكشف والبيان (٥/ ١٢٥)، وبحر العلوم (٢/ ١٠٩).

المشركين خِصْبًا بعد جَدْب، ومَطرًا بعد قَحْط، وسَعةً بعدَ ضِيق، ندعوهم بذلك إلى الشُّكر. ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾: ﴿إِذَا﴾: كلمةُ مفاجأة؛ أي: ظهرَ منهم مكرٌ في آياتِنا؛ أي: حملَهم الطُّغيان على إخفاء قصد السُّوء بآياتِنا، ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: أي: هو استدراجٌ منه لهم مِن حيثُ لا يعلمون، وإملاءٌ لهم، وهو أسرعُ مِن فعلِهم، فلا حاجةَ للَّهِ في إمضائِه إلى تلبُّثٍ. ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾: أي: الحفظة مِن الملائكة. ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾: أي: ما تقولون في الصَّدِّ عن الإيمان والتَّكذيب.

(٢٢) - ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: أي: يهيِّئ لكم أسبابَ السَّيرِ طلبًا للمعاشِ، ويهديْكُم إلى ذلك، ويُيَسِّرُ لكم ذلك بالدَّوابِّ وغيرها. ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾: أي: السُّفُنِ. ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: أي: جرَتِ السُّفنِ براكبيها بريحٍ ليِّنةٍ يُسْتَطابُ هبوبُها، ويستقيمُ مرورُ السُّفنِ بها. ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾؛ أي: سُرُّوا بهذه الرِّيح، وأمنِ السَّفينةِ لمحالِّها. ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: أي: انتقلَتِ الرِّيح فصارَتْ عاصفًا شديدةَ الهبوبِ. ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: أي: تلاطَمَتِ الأمواجُ مِن كلِّ جانبٍ مِن جوانبِ السَّفينةِ. ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: أي: أشرفوا على الهَلَكَةِ، وغلَبَ ظنُّهم أنَّهم لا يتخلَّصون مِن الغرقِ. ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: أي: بالاعتقادِ والعلمِ أنَّه لا يخلِّصُهم منها غيرُه: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ﴾؛ أي: فقالوا: ربَّنا لَئِنْ خلَّصْتَنا مِن هذه الرِّيح ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لكَ، لا نُنْكِرُ نعمتَكَ، ولا نعبدُ غيرَكَ، ولا نشرِكُ بِكَ شيئًا(١).

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٢٦)، والبسيط (١١/ ١٥٥)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٢٦).

(٢٣) - ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ﴾: أي: منها ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾؛ أي: عادوا إلى خلافِ الشُّكر، واستطالوا في الأرضِ على النَّاس، بغير أن يكون ذلك مباحًا لهم فيكون حقًّا، وقهرُوهم وسلبُوهم وقتلُوهم ونسُوا عهودَهم.
﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: أي: بغيكُم يجلبُ إلى أنفسِكُم المكارِهَ، فهو أوقعُ عليكم، ضارٌّ بكم. ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: ومدَّةُ البغي وصاحبِه مدَّةٌ قليلة في الدُّنيا، كالشَّيء يُتَمَتَّعُ به ثمَّ ينقضي. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾: في الآخرة ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فنخبرُكُم بذلك، ونجزيكُم عليها.

(٢٤) - ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: ثمَّ بيَّنَ متاعَ الحياة الدُّنيا المذكورةِ في الآية المتقدِّمة: أنَّ مثال هذه الحياة، أو صفةَ هذه الحياةِ القريبةِ المدَّةِ، كمطرٍ أنزلناه مِن السَّحاب ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾؛ أي: فنبَتَ نباتًا مختلفَ الأنواع، مختلطٌ بعضُها ببعضٍ. ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾: مِن اللُّبَاب ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾؛ أي: البهائمُ والمواشي وغيرها من القشور، وهو فيما يشتملُ على القشر واللُّبِّ، فقد ينبُتُ ما يأكلُ كلَّه النَّاسُ كالحبوب، وما يأكلُ كلَّه الأنعامُ كالحشيش.
﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: أي: زِينَتَها، والزُّخرفُ: الذَّهبُ، وقيل: بهجتَها.
﴿وَازَّيَّنَتْ﴾؛ أي: تزيَّنَتْ واكتسبَتْ رونقًا وجمالًا باختلاف ألوان النَّبات مِن صُفرة وحمرة وخضرة وبياض ونحوِها. ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾أي: قادرون على أخذِ ما فيها مِنَ النَّبات والحبِّ والثَّمر، وعلى التَّنَزُّهِ بزهرتِها، والانتفاعِ بوجوهِ منافعِها.
﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾: وهو ما يرسلُه عليها مِن عذابٍ يستأصل نباتَها، مِن بردٍ أو ريحٍ أو صاعقةٍ أو نحو ذلك. ﴿لَيْلًا﴾: أي: بالليل ﴿أَوْ نَهَارًا﴾؛ أي: بالنَّهار ﴿فَجَعَلْنَاهَا

﴿حَصِيدًا﴾؛ أي: مقطوعًا ساقطًا ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾؛ أي: لم تكنْ على تلكَ الصِّفة فيما قبلُ. ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾؛ أي: فكما بيَّنا هذا المثل نبيِّن سائرَ الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي: هم المنتفعون بها.

(٢٥) - ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾؛ أي: لا يدعوكم إلى الرُّكون إلى الدُّنيا الَّتي هي تعرض الآفات، بل إلى الجنَّة الَّتي فيها السَّلامة عن كلِّ العاهات. ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: أي: مَن حَسُنَتْ إجابته أجابَه اللَّهُ إليها؛ أي: هداهُ إلى الطَّريق الَّذي يفضي به إليها. فالدُّعاءُ عامٌّ، والهدايةُ خاصَّة؛ إذ الكلُّ مدعوُّون، والسُّعداءُ منهم مهديُّون[١].

(٢٦) - ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾: أي: للَّذين أحسنوا الأعمال الحسنى، قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الحُسنى: الحسنة، والزِّيادة: عشرةُ أمثالِها، وقال أبيُّ بنُ كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سألْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عن هذه الآية، فقالَ: "الحُسْنَى الجنَّةُ، والزِّيادَةُ النَّظَرُ إلى وجهِ اللَّهِ تعالى"[٢]، وعن صهيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قالَ "إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ نادى منادٍ: يا أهلَ الجنَّةِ، إنَّ لكم عندَ اللَّهِ موعدًا، يريدُ أنْ يُنْجِزَكُمُوْهُ. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيِّضْ وجوهَنا، ويثقِّلْ موازينَنا، ويدْخِلْنا الجنَّةَ،

(١) لطائف الإشارت (٢/ ٨٩)، والتيسير في التفسير (٨/ ٤٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٨٥)، وجامع البيان (١٢/ ١٥٤)، والنكت والعيون (٢/ ١٦٧)، والبسيط (٧/ ٣١٢).

(٢) جامع البيان (١٢/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٣/ ١٠٤٤)، واللالكائي في "الاعتقاد" (٧٨٠).

ويجِرْنا من النَّار؟ قالَ: فيَكْشِفُ الحِجابَ، فيتجلَّى لهم، فينظرون إليه، والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، ما أعطاهم شيئًا هو أحبُّ إليهم ولا أقرُّ لأعينِهم مِنَ النَّظرِ إليه"(١)، والآيَةُ تنتظمُ هذه الأقاويلَ كلَّها، وأولى التَّفاسيرِ تفسيرُ رسولِ اللَّه ﷺ، وقد قال به جماعة من الصَّحابة رضوان اللَّه عليهم والتَّابعين: أبو بكر الصِّدِّيق، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، وكعب بن عجرة، وصهيب بن سنان، وعبادة بن الصامت، وابن عبَّاس، وعامر بن سعد، وعبد الرَّحمن بن أبي ليلى، وعبد الرَّحمن بن سليط، وعكرمة، والحسن، والضَّحَّاك، والسُّدي، ومقاتل، وعطاء، وعامَّة المفسِّرين: الزِّيادةُ: النَّظر إلى وَجْهِ اللَّهِ تعالى(٢). ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾: أي: لا يغشاهم غبارٌ، وقيل: القترةُ: غَبَرةٌ معَها سوادٌ؛ أي: على وجوهِهم سِيْما الفرح والسُّرور، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: أي: هَوَان. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في فنونِ أفضالهم، وفي جميع أحوالهم، فهم منعمون فيها، لا يخرجون منها أبدًا.

(٢٧) - ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: عملوا الشِّركَ والمعاصي. ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾: أي: لهم جزاءُ سيِّئةٍ ﴿بِمِثْلِهَا﴾؛ أي: قصاص ذلك بمثلِها، وهي النَّارُ، هي مثلُها؛ أي: هي موافِقة لعمَلِهم، اعتقدوا الشِّركَ على الأبدِ، فعُوقِبوا فيها على الأبد. ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: أي: يغشاهم هوانٌ، وآثار خيبةٍ وحرمان، ﴿مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: ما لهم من الله من مانع يمنعهم، إذا عاقبهم، يحول بينه وبينهم. ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾ جمع قطعة أي: قِطْعة من اللَّيل، ﴿مِنَ

(١) رواه مسلم (١٨١)، والترمذي (٢٥٥٢)، والإمام أحمد في "المسند" (١٨٩٣٥) واللفظ له.
(٢) التيسير في التفسير (٨/ ٥٤).

اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾: أي: حالَ إظلامِه، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ معذبون لا يخرجون منها أبدًا.

(٢٨) - ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: أي: نجمع الَّذين كسبوا السَّيئات وما عبدوهم من دونِ اللَّه تعالى في الموقف ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾؛ أي: للمشركين: ﴿مَكَانَكُمْ﴾: نصب أي: الزموا مكانكم واثبتوا مكانكم. ﴿أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾: ﴿أَنْتُمْ﴾ توكيدٌ لأسماء المخاطَبين بالأمر بلزومِهم مكانَهم و﴿وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ عطفٌ عليهم. وأضاف الشُّركاء إليهم لأنَّهم القائلون بذلك. ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: أي: فرَّقنا بينهم أي: فرَّقنا بينَ المشركين وبين أصنامِهم وما كان بينَهم من التَّواصل، وقيل: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: ميَّزْنا بينَ العابدين والمعبودين؛ لأنَّ المعبودين إنْ كانوا ملائكةً فهم مميَّزون عن أهل النَّار إلى المواضع التي هي مقاماتهم. ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ أي: الأصنامُ، يُنْطِقُهُمُ اللَّهُ تعالى. فيقولون: ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾: ما علمْنَا بعبادتكم إيَّانا، ولا أَمَرْنا بها، ولا عبادةَ إلَّا بأمْرِ المعبودِ، وقيل: ﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾: أعوانهم وقرناؤهم في الشِّرك.

(٢٩-٣٠) - ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾؛ أي: ما كنَّا عنها إلَّا غافلين ﴿شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: اللَّهُ يشهدُ ويعلمُ أنَّا لم نعلم بها، ولم نرضَ، ولم نأمرْ. ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾: أي: تَخْتبِرُ ومعناه: في هذا الموقف تَختبِرُ كلُّ نفسٍ ما قدَّمَتْ من عملٍ، حتَّى ترى تَنتفِعُ به أو لا تَنتفِعُ، والمعنى: ظهور الأعمال؛ أي: هنالك تظهرُ للعاملين أعمالُهم الَّتي قدَّموها، وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] أنه يرجع إلى

ظهور أعمالهم. ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾: أي: ورُدَّ العابدون والمعبودون إلى حكم اللَّهِ الذَّي هو مولاهم في الحقيقة، لا مولَى لهم غيرُه، فيحكم بينهم، ويتبيَّن الصَّادق مِن الكاذب. ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: يضلُّ ما كانوا يقولون: نعبدُهم ليشفعوا لنا(١).

(٣١) - ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وهذه محاجَّة لهم بما يُبطِلُ اعتقادَهم وقولَهم بالشِّرك، يقول: قلْ يا محمد للمشركين: مَنْ يُنزِلُ مِن السَّماء ومَن يخرِجُ مِن الأرضِ رزقَكم، ومَنْ يدبِّرُ أمرَ ذلكَ؟ أمَّنْ يملِكُ أسماعَكُم وأبصارَكُم يصرِّفُها كيفَ يشاءُ، ولو أرادَ أنْ يسلبَها حسَّها لفعَل؟ ومَنْ يخرِجُ الولدَ الحيَّ مِن النُّطفةِ الميتةِ -وعلى القلب- ويخرِجُ الشَّجرةَ مِن النَّبات -وعلى القلب- والزَّرعَ مِن الحبَّة -وعلى القلب- والمؤمنَ من الكافر -وعلى القلب- ومَن يقدِّرُ أمورَ الخلائق؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾؛ لأنَّ ذلك اعتقادهم ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ مِن تعجيزكم إيَّاه عن إعادة الموتى أحياءً في الآخرة كما كانوا في الدُّنيا.

(٣٢-٣٣) - ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾: أي: فاعلُ ذلك كلِّه هو اللَّهُ الحقُّ، يحقُّ له الرُّبوبيَّةُ والألوهيَّة. ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾: أي: فليسَ بعدَ عبادتِه إذا عبدْتُم غيرَه إلَّا الضَّلالُ عن الحقِّ. ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾: أي: مِن أين

---

(١) البسيط (١١/ ١٨٤)، وجامع البيان (١٢/ ١٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٤٩)، والكشاف" (٢/ ٣٤٤)، والتيسير في التفسير (٨/ ٦١).

تُصرَفون عن هذا الأمر بعدَ المعرفة؟، وقيل: فكيفَ تَصرِفون عقولَكم إلى عبادةِ مَن لا يَسمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يخلقُ ولا يرزقُ؟. ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: أي: حَقَّ كلامُ ربِّك؛ أي: خبره. ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: وهم قومٌ بأعيانِهم، خرجوا عن طاعة اللَّه تعالى، وعلمَ اللَّهُ منهم اختيارَ البقاءِ على الضَّلالة. ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: وهو كقولِه ﷻ: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ٧](١).

(٣٤ -٣٥) - ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: قل يا محمَّد ﷺ لأهل مكَّة: هل مِن أصنامِكم مَن يبدأُ الخَلْقَ في بطنِ أمِّه نطفةً وعلقةً ومضغةً، ثمَّ يعيدُه ببعثِه بعدَ الموتِ؟ فإنْ أجابوك فقالوا: اللَّه، وإلَّا فقلْ لهم: اللَّهُ يبدأُ الخلقَ ثمَّ يعيدُه بعدَ الموت، فمِن أينَ تُصرَفون عن الحقِّ؟ استفهام بمعنى التَّوبيخ. ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: قُلْ يا محمد ﷺ: هل مِن شركائِكم اللَّاتِ والعُزَّى ومناة والأصنامِ الَّتي تعبدونها أحدٌ يَهدِي إلى دين الإسلام؟؛ أي: فلا بُدَّ لهم مِن أن يقولوا: لا، إنَّها لا تعقلُ ولا تميِّز، ولا تضرُّ ولا تنفعُ، فقلْ لهم أنت -وذلك قوله تعالى-: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾؛ أي: إلى الحقِّ. ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وذلك هو اللَّه تعالى ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾؛ أي: يُعمَلُ بأمرِه ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّي﴾ إلى خير؛ أي: هو جمادٌ لا يعرفُ هدًى مِن ضلالٍ، ولا خيرًا مِن شرٍّ، ولا نفعًا مِن ضرٍّ. ﴿إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾ قيل: هو استثناءٌ منقطع، ومعناه: لكنَّه يُهْدَى؛ أي: يُحمَلُ ويُنْقَلُ مِن مكانٍ إلى مكانٍ، أي: هو لا يستطيعُ أنْ ينتقلَ بنفسِه، فكيفَ يهدِي غيره؟

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٣٨)، ولطائف الإشارت (٢/ ٩٤).

﴿فَمَا لَكُمْ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: كيف تقضون بالجَوْر، وصَرْف العبادة والشُّكر إلى مَن لا يملكُ شيئًا.

(٣٦) - ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾: أخبرَ بالسَّبب الَّذي صاروا به إلى الضَّلال، فقالَ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾؛ أي: بغير دليل، نحو اقتدائِهم بأسلافِهم ظنًّا منهم أنَّهم مصيبون. ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾: لا ينفعُ في معرفةِ الحقِّ نفعًا مّا؛ أي: لا يدلُّ عليه، ولا يوجبه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: مِن الشِّرك، واتِّباع الظَّنِّ، وترك الحقِّ، فهو يجازيهم على ذلك، وهو وعيدٌ لهم(١)؟

(٣٧) - ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: ما كان هذا القرآن بالذي يحتمِل الافتراء من دون اللَّه؛ لخروجه عن طَوْقِ البشر ووُسْعِهم، كذلك الذي يُخِيلُ لكونه مفترًى في نفسِه. ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: يصدِّقُ هذا القرآنُ الكُتبَ المتقدِّمة، ولو كان محمَّد ﷺ هو الَّذي افتراه مِن عند نفسِه لم يخرج موافِقًا لها؛ لأنَّ محمَّدا لم يعرف سائر الكتب، ولـمَّا خرج موافقًا لها دلَّ أنَّه مِن عند اللَّهِ. ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾: أي: ما كُتِبَ لهم وعليهم. وقيل: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾: الوعدَ لِـمَنْ أطاعَه بالنَّعيم المقيم، والوعيدَ لِـمَنْ عصاه بالعذاب الأليم. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: لا شكَّ فيه أنَّه كلامُ ربِّ الخلائق أجمعين.

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٤١). الوسيط (٢/ ٥٤٧)، وزاد المسير (٤/ ٢٩)، والتيسير في التفسير (٨/٦٧).

(٣٨) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: بل يقولون اختلقه محمد ﷺ ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: وهذا أمرُ إعجاز؛ أي: أنتم أصحابُ لسانٍ وبيانٍ، وإنَّما أنا رجل منكم، فتكلَّفوا أنتم أن تأتوا بسورةٍ مثلِ هذا القرآن في نظمِه وصحَّة معانيه وزوال الاختلاف عنه، فاستعينوا بمَن استطعتم مِن خلق اللَّه تعالى إنْ كنتم صادقين أنَّه مفترًى، وأنَّ محمَّدًا يقدر على الإتيان بقرآن غيره وتبديله.

(٣٩) - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾؛ أي: ليسَ تكذيبُهم القرآنَ لكونه مفترًى عندهم بيقينٍ، مِن غير إحاطةِ علمِهم به أنَّه كذلك، ولم تأتهم حقيقةُ ما تؤُول إليه عاقبةُ مَن كذَّب به مِن نزول النِّقمة بهم. ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: مِن الأمم رسلَهم تسرُّعًا لا تثبُّتًا. ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾: أي: الَّذين ظلموا نفوسَهم وعقولَهم كيف نزل بهم العذابُ، فليتَّقِ هؤلاء أن تكون عاقبتُهم كذلك. وهو تسلية للنَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وتخويفٌ للمكذِّبين[١].

(٤٠-٤١) - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي: ومن أهل مكَّة مَن سيؤمنُ بالقرآن ويصدِّق به. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾: أي: لا يصدِّق أنَّه مِن عند اللَّه. ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ في الأرض بالمعاصي، وقيل: مَن يدوم منهم على فسادِ الكفر ممَّن يتوبُ منهم. ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أي: فإنْ كذَّبوك قبلَ أن يكون إيمانُ مَن علمَ اللَّهُ

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٩٦)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٤٤)، والتيسير في التفسير (٨/ ٧٠).

أنَّه يؤمِنُ فقل لهم: لي عملي في التَّبليغ والتَّنبيه، ولكم عملكم الَّذي تُؤْثِرونه لأنفسكم، وأنتم بريئون ممَّا أعمل وأنا بريء ممَّا تعملون، كلٌّ يُحاسَبُ على عملِه دونَ عملِ غيرِه[١].

(٤٢-٤٥) - ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: للرَّدِّ، لا للفهم، ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾: استفهام بمعنى الجحد؛ أي: لسْتَ بقادرٍ على إفهامِ مَن يتصامَم عن سماعِ الحقِّ، فلا يعقلُه ولا يفهمُه. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾: أي: كما ليس لك أنْ تُسمِعَ الصُّمَّ، فتجعلَ لهم أسماعًا يعقلون بها عنك ما تقول، فليسَ لك أن تهدِي العُمْيَ إلى طريقٍ يسلكونَه وهم لا يبصرون، وهو كقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية [القصص: ٥٦].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: أخبرَ أنَّ ما حلَّ بأولئك مِن عذاب الاستئصال فإنَّما حلَّ بهم بظلمِهم أنفسَهم، واللَّهُ تعالى مُنزَّه عن أنْ يظلمَ أحدًا مِن خلقِه، وقيل: إنَّ اللَّهَ تعالى لا ينقصُ مِن ثواب العباد شيئًا، ولكنهم ينقصون ذلك بفعلِهم. ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: أي: اذكر يومَ نحشرُهم إلى الموقف ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾: وهي مقدارٌ مِن الزَّمان يُقسَم به، ذكَّرَهم القيامة وما فيها من الجزاء ليخافوا ويتهيَّؤوا لها. قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا﴾ في قبورِهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾. قصرَتِ الدُّنيا في قلوبِهم مِن هولِ ما استقبلوا، فكأنَّهم لم يلبثوا في الدُّنيا إلَّا ساعة. ﴿يَتَعَارَفُونَ

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٩). والبسيط (١١/ ٢٠٤)، والكشف والبيان (٥/ ١٣٣).

﴿بَيْنَهُمْ﴾: يعرفُ بعضُهم بعضًا ساعةً، ثمَّ تنقطع المعرفة؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[المؤمنون: ١٠١]. ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: قيل: هو حالهم حين خسروا. وقيل: قد هلكَ وغُبِنَ المكذِّبون بالقيامة اغترارًا بالحياة الدُّنيا، وهذه حالها. ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: حيث اعتقدوا التَّكذيب بالقيامة[١].

(٤٦-٤٧) - ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ أصلُه: وإنْ ما؛ (إن): للشَّرط، و(ما): صلة، والنُّون للتَّوكيد، ومعناه: وإنْ أريناك. ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب؛ يعني: القتلَ ببدر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل عذابهم. فكان البعضُ هو القتل ببدرٍ، وسائرُ العذابِ نزلَ بهم بعد الموت. ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بعدَ الموتِ، فنجزيهم بأعمالهم. ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾: ﴿أي: ثم ليُخبركم أنَّ اللَّهَ شهيدٌ﴾ ﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ مِن الكفر والمعاصي، فيجزيهم عليها. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ فيما خلا ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، كما يُقضى بينَكَ وبينَ أمَّتك ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في أعمالهم، فلا يُنقصون من محاسنهم، ولا يزادون على مساوئهم. وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فإذا جاء رسولهم فكذَّبوه قضي بينهم وبين رسولهم يوم القيامة، فيقول اللَّه تعالى: ألم يأتكم رسلٌ بكتبي؟ فيقولون: ما أتانا منك رسولٌ ولا كتابٌ، ثم يُؤتَى بالرَّسول فيقول: قد أبلغتُهم كتابَك ورسالاتِك، فيقول اللَّه تعالى: مَن يشهدُ لك؟ فيقول: الملائكة، فتُدعَى الملائكة، فيقولون: نشهدُ أنَّه قد بلَّغ.

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٣٤)، ولطائف الإشارات" (٢/ ٩٨)، والتيسير في التفسير (٨/ ٧٤).

(٤٨-٤٩) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: قال مقاتلٌ: لَمَّا قالَ: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ يعني: من العذاب، قالوا: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنَّ العذابَ نازلٌ بنا، فنزل هذا. ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: قلْ يا محمَّد ﷺ لكفَّار مكَّة: لا أملكُ لنفسي دفعَ سُوء عنها، ولا سَوق خيرٍ إليها، إلَّا ما شاء اللَّه فيصيبني، فكيف أملكُ إنزالَ العذابِ بكم، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي: ولكلِّ أمَّة وقتٌ معلوم للعذاب، مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، فإذا جاءَ وقتُ عذابِهم لا يتقدَّمون ساعةً حتَّى يُعذَّبوا ولا يتأخَّرون، فكذلك هذه الأمَّة[١].

(٥٠) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أَخْبِرُونِي ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ أَيْ اللَّه ﴿بَيَاتًا﴾ لَيْلًا ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا﴾ أَيّ شَيْء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أَيْ الْعَذَاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ الْمُشْرِكُونَ فِيهِ وَضْعَ الظَّاهِر مَوْضِع الْمُضْمَر وَجُمْلَة الِاسْتِفْهَام جَوَاب الشَّرْط كَقَوْلِك إذَا أَتَيْتُك مَاذَا تُعْطِينِي؟ وَالْمُرَاد بِهِ التَّهْوِيل أَيْ مَا أَعْظَمَ مَا استعجلوه[٢].

(٥١) - ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ؛ أي: بعدَما استعجلْتُم العذابَ إذا وقعَ آمنتم باللَّه، وهو غيرُ نافعٍ لكم؛ لأنَّه إيمانُ يأسٍ. وقيل: ﴿آمَنْتُمْ﴾؛ أي: صدَّقْتُم بالعذابِ، ﴿آلْآنَ﴾ أي: آلآن تؤمنون وترجون الانتفاع به. ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ﴾ في مَهَلٍ لو أردْتُم فيه الإيمان لأمكنكم، ولم تفعلوا، والآنَ حين ارتفعَ الابتلاء ترجون الانتفاع بالإيمان الذي لا اختيار لكم فيه على الغيب، بل أنتم

(١) البسيط (١١/ ٢١٧ و٢١٩)، لطائف الإشارات (٢/ ٩٩)، وتفسير مقاتل (٢/ ٢٤٠).
(٢) تفسير الجلالين(١/ ٢٧٤).

إليه مضطرون. ﴿بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: وكنتم تستعجلون به استهزاءً وتكذيبًا، وحين رأيتم صدَّقتم به.

(٥٢) - ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسَهم بالشِّرك والتَّكذيب: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: ذوقوا هذا العذابَ، فإنَّه خالدٌ لكم لا يزول، تصيرون إلى القبر فتُعذَّبون فيه، ثمَّ تُبعَثون فتُحشرون إلى جهنَّم، فتُعذَّبون فيها خالدين، وهو جزاءٌ وِفاقٌ لكسْبِكُم.

(٥٣) - ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾: أي: ويستخبرونك يا محمَّد ﷺ بعدَ هذا الاقتصاص منك عليهم: أحقٌّ ما تقولُ، وأنت فيه جادٌّ متيقِّنٌ للصِّدق فيه؟؛ أي: إنَّ هذا عجيبٌ. ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾: أي: قلْ: نعم، أقسم باللَّه ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، و(إي) لا يُقال إلَّا مع الأيمان، ولا يُذكَر على الإفراد. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: أي: بفائتين[1].

(٥٤) - ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ أخبرَ أنَّه لو كان لكلِّ نفسٍ أشركَتْ جميعُ ما في الدُّنيا مُلكًا لها لافتدَتْ به عندَ نزولِ العذابِ به لشدَّة العذاب طلبًا، للخَلاص، وإنْ كانَ الَّذي منعَ الكفَّار عن الإيمان هو حبُّهم الدُّنيا وحرصُهم عليها وبخلُهم بها، ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: أي: أخفَوها؛ أي: عن أتْباعِهم. وقيل: أي: أضمروها على ما كان منهم مِن التَّكذيب. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾: أي: بالعدل؛ أي: يُجزى المحسنُ على إحسانه، والمسيءُ على إساءتِه، فلا يُنقَصُ مِن ثوابٍ ولا يُزادُ على عِقابٍ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئًا.

---

(١) البسيط (١١/ ٢٢٣)، والتيسير في التفسير (٨/ ٧٩).

(٥٥-٥٦) - ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: ليسَ للظَّالم مُلْكُ ما في الأرض ليفتديَ به، بل للَّهِ. ووجهٌ آخر: أنَّه قادرٌ على تحقيقِ ما أَوعدَ به؛ لأنَّه مالكُ ما في السَّماوات وما في الأرض. ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: أي: كائنٌ، بالرَّحمة كانَ أو بالعذاب. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا ينتفعون بعلومِهم. ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة فيُجازيكم بأعمالِكُم[١].

(٥٧) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني: قريشًا ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: في القرآن، وهي ما دعا إلى النُّسك والخشوع، وصرفَ عن الإثم والفسوق. ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾: الشِّفاءُ: كالدَّواء لإزالة الدَّاء، وداءُ الجهل أضرُّ مِن داء البدن، وعلاجُه أعسرُ، وأطباؤه أقلُّ، والشِّفاء منه أجلُّ: ﴿وَهُدًى﴾: أي: إرشاد إلى الصَّواب ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه؛ أي: مِن اللَّه تعالى على عبادِه، ببيان شرائع الدِّين والأمورِ الَّتي توصلُهم إلى جنَّته ونعمته. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: هم الَّذين ينتفعون بها. وقيل: ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: تخليصٌ مِن العذاب للَّذين يؤمنون به؛ أي: يصدِّقون بأنَّه مِن عند اللَّه[٢].

(٥٨) - ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾: الفَضلُ: الزِّيادة في النِّعمة، وفَضلُ اللَّهِ: إفضالُه، أي: قلْ يا محمَّد ﷺ لهؤلاء الَّذين هِمَّتُهم جمعُ الأموال وأسباب الرِّفعة في الدُّنيا، لا الإيمان: بفضل اللَّه ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ أي: وبرحمته افرحوا، لا بالمال

(١) تفسير الجلالين(١/ ٢٧٥)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٥٣ - ٥٤)، ولطائف الإشارات ١٠١)، والتيسير في التفسير (٨/ ٨٢).

(٢) الوسيط (٢/ ٥٥٠)، وزاد المسير (٤/ ٤٠).

وأسبابِ الجلال والجمال، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: من الدنيا(١).

(٥٩) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُم مِنْ رِزْقٍ﴾أي: قلْ يا محمَّد ﷺ لأهل مكَّة: أرأيتم ما أنزلَ اللَّهُ لكم في الكتاب مِن رزقٍ حلالٍ، ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ فجعلتُم ممَّا رزقكم اللَّهُ حرامًا على النِّساء وحلالًا على الرِّجال، وهذا في شأن البَحيرة والسَّائبة والوصيلة والحامي، وقيل: ما جَعَلوا للّه ممَّا ذَرَأَ مِن الحَرْثِ والأنعامِ. ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾: استفهام بمعنى الإنكار أي: قُلْ: آللَّه أمركم به؟ ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾؛ أي: بل على اللَّه تختلقونَ الكذبَ ما لم يأمُر به.

(٦٠) - ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ والتَّقريع، أي: وما ظنُّهم باللَّهِ في يوم القيامة، ماذا يفعلُ بهم جزاءً على افترائهم عليه؟﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: أي: على كلِّ النَّاس بما ساقَ إلى الكلِّ مِن الرِّزق، كافرهم ومؤمنهم، وبما أخَّر عنهم العذابَ، وبما بعثَ إليهم الرُّسل والكتب من غير أن كانت منهم سابقةُ صنعٍ يستوجبون به ذلك، ومنه خصوص فضلِ اللَّه على المؤمنين. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فضلَه وإنعامَه عليهم؛ لجهلهم بمواقع النِّعم الَّتي ساقَها إليهم.

(٦١) - ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾: واتِّصالُه بما قبلَه: إنَّ اللَّه لذو فضل على النَّاس في الإمهال، وليس إمهالُه لخفاء أحوالهم عليه؛ لأنَّك يا محمَّد ﷺ ما تكون في شأن؛ أي: أمر ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ﴾؛ أي: وما تقرأ ممَّا أنزلَ عليك ﴿مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ولا تعمل أنت شيئًا وسائر النَّاس ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٦٩ - ٤٧٠). جامع البيان (١٢/ ١٩٨)، والكشاف (٢/ ٣٥٣).

﴿شُهُودًا﴾: عالمِيْنَ به شاهدين عليه. ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾؛ أي: تسرعون فيه وتنبسطون وتنتشرون. ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾: قال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: لا يغيب. ﴿مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: أي: وزنِ نملةٍ صغيرةٍ، وقيل: الذَّرُّ: ما يَتراءى في الهواء عندَ وقوع الشَّمس في الكوَّة ونحوها. ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو اللَّوح المحفوظ، وقيل: أي: هو مثبَتٌ عندَ اللَّهِ، كتبَه ملائكةُ اللَّهِ، وأحصاهُ اللَّهُ[١].

(٦٢-٦٣) - ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾: ولمَّا خوَّفَ بيومِ القيامة أعداءَه ذكرَ ما يعطي فيه أولياءَه، وأولياءُ اللَّهِ هم الَّذين تولَّى اللَّه هداهم بالبرهان الَّذي أتاهم، وتولَّوا القيام له بحقِّه، والدُّعاءَ إليه عامَّةَ خلقِه. وقيل: هم الَّذي يُوْلِيهم اللَّهُ ثوابَه وكرامَته. ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوا النَّار ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أن يُخرجوا مِن الجنَّة. وقيل: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من عذاب اللَّه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ مِن فوات ثواب اللَّه. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: أي: يتَّقون الشِّرك والمعاصي.

(٦٤-٦٥) - ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: مِن الملائكةِ عندَ قبضِ الأرواحِ ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ تتلقَّاهم لإدخال الجنَّة. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: أي: لمواعيدِه في كُتُبِه، وعلى ألسنةِ رسلِه، وقيل: لهذه البشارة. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾؛ أي: ذلك التَّبشير، وقيل: أي: ذلك الموعود هو الفلاح العظيم؛ لأنَّه نَيْلُ جميعِ ما يُرْجى، والأمنُ مِن كلِّ ما يُخْشَى. ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾: أي: لا تحزن بقولهم، وقال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ﴾ تكذيبهم. ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ

---

(١) البسيط (١١/ ٢٤٤).

﴿جَمِيعًا﴾: أي: فإنَّ العزَّة كلَّها لله، له المنعةُ والسُّلطان. ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: أي: لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾؛ أي: بضمائرِهم وأفعالهم، وهو مُنْزِلٌ بهم عذابَه، فلا يمتنعون عنه.

(٦٦) - ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: كلُّهم عبيدُه، يفعلُ بهم ما يشاء، ولا يَمتنِع مِن تعذيبِه مَن شاءَ تعذيبَه. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾: أي: أيَّ شيءٍ يتَّبع الَّذين يدعون الأصنامَ شركاءَ لله؟ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾؛ أي: ما يتَّبعون إلَّا الظَّنَّ، وهو توهُّمهم شفاعةَ الأصنام لهم، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾؛ أي: وما هم إلَّا يَكذِبون، وقيل: يقولون بالظَّنِّ.

(٦٧) - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: وهو إخبارٌ عن قدرته على ما تعجزُ عنه أصنامُهم. أي: هو الَّذي جعلَ لكم اللَّيل تسكنون فيه إذا أويتم إلى منازلكم منصرفين من الحركة والاضطراب في طلب المعاش، وجعل النَّهار ذا إبصار؛ أي: يقع فيه الإبصار على المبصَرات، ويكون فيه بروزُ الأشياء للعيون بعدَ الاستتار بظلمة اللَّيل، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: أي: لَعَلامَاتٍ على قُدرةِ اللَّهِ تعالى ووحدانيتِه لِمَن يسمعُ الوَعْظَ فيتدبَّرُه بقلبٍ حاضرٍ[١].

(٦٨) - ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: وهذا تعجيبٌ مِن اللَّهِ تعالى مِن جرأةِ المشركين على الافتراء على اللَّهِ تعالى بإضافةِ الأولاد إليه. وحاجَّهم في ذلك فقال: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: وهو ما كانوا يقولون: إن

---

(١) جامع البيان (١٢/ ٢١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٥)، وتفسير مقاتل (٢/ ٢٤٣)، وبحر العلوم (١/ ٥١٣).

الملائكة بنات اللَّه. ثمَّ نزَّه نفسَه فقال: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنبيهًا للعباد على تنزيهِه. ثمَّ قال: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: فلا حاجةَ به إلى الولدِ الَّذي إنَّما يُتكثَّر به ويُتعزَّز به في الحياة وبعد الوفاة، فمَن كان مالكًا للسَّماوات والأرض لم يوصَف بالحاجة إلى التَّكثُّر والتَّعزُّز. ثمَّ أخبرَ أنَّه لا سلطان لهم بهذا؛ أي: لا حجَّة. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى الإنكار.

(٦٩-٧٠) - ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾: أي: الَّذين يقولون: للَّهِ ولدٌ، لا ينجونَ في الآخرةِ مِن العقوبةِ، ولا يصلون إلى ما رجَوا مِن الأصنام مِن الشَّفاعة. ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾: أي: هو متاعٌ لهم؛ أي: تمتُّعٌ وانتفاعٌ بالدُّنيا الفانية القليلة مدَّةً قصيرة. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: نذيقهم العذاب الشديد بعد الموت بسبب كفرهم[(١)].

(٧١) - ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾: هذه تسليةٌ للنَّبي ﷺ فيما نالَه مِن إيذاءِ قومِه بالتَّكذيب، وإعلامٌ للمشركين خبرَ المستعجِلين بالعذابِ: أنَّ الأمم الماضية استعجلوا فأُمْهِلوا إلى أنْ حَقَّ القولُ ثم أُخذوا، فليسَ إمهالي هؤلاء للعجزِ، بل لِمَا كانَ للأوَّلين حين وقعَ اليأسُ مِن إيمانِهم. ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾؛ أي: واقرأْ يا محمَّد ﷺ على قومِك المشركين خبرَ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: شَقَّ عليكم وثَقُلَ ﴿مَقَامِي﴾؛ أي: قيامي فيكم بحقوقِ اللَّهِ تعالى ﴿وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: الَّتي أوحاها إليَّ، وجعلَها علاماتٍ لحقيَّة هذا الدِّين. ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾: أي: اعتمدْتُ. ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ أي: اعزموا على

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٦٦)، والتيسير في التفسير (٨/ ١٠٢).

أمركم. ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾: أي: وادْعوا شركاءَكم، وقال بعضهم: (أَجْمِعوا)؛ أي: أَعِدُّوا، فيقع على الاسمين جميعًا: ﴿أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾؛ أي: آلهتكم، وقيل: أي: الَّذين يشاركونكم في التَّكذيب. ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: أي: لا تجعلوا أمركم عليكم غمة، أي: فرِّجوا عن أنفسِكم ولا تغمُّوها. وقيل: أي: ضيقًا وغمًّا. ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾: أي: افرُغوا إليَّ ممَّا تريدون بي، ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾: أي: ولا تُمهِلون، وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾: قولكم وعملكم ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾: واستعينوا بآلهتكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ يعني: أظهروا أمركم ولا تكتموا ﴿ثُمَّ اقْضُوا﴾ امضوا ﴿إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾؛ أي: لا ترقبوا فيَّ أحدًا، وقيل: أي: انهضوا إليَّ ولا تؤخِّرون[(١)].

(٧٢) - ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾؛ أي: فإن أعرضتم ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ فتحتجُّون به عليَّ لإعراضكم، وقيل: أي: فلا ضرر عليَّ لأنِّي لم أَدْعُكم إلى الإيمان لأجرٍ آخذُه منكم يفوتُني إذا لم تؤمنوا، فإنَّما الضَّرر في ذلك عليكم بما يفوتكم مِن ثواب اللَّه. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: أي: المُنقادين. وقيل: أي: مِن المخلصين.

(٧٣) - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي: أسكناهم في الأرض بعد إهلاك الَّذين قبلَهم، وأغرقنا المكذِّبين. ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾: أي: الَّذين أنذرَهم نوحٌ

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ١٤)، وجامع البيان (١/ ٢٦٤)، والكشاف (٢/ ١٠٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٨).

صلوات اللَّه عليه، وقيل: فانظر كيف كان عاقبة مَن أجاب ومَن لم يجب، وقيل معناه: عاقبةُ الَّذين لم يقبلوا الإنذار ولم يجيبوا، وكانت بالهلاك والاستئصال (١).

(٧٤) - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾: أي: أقوامِهم؛ كصالحٍ إلى ثمودَ، وهودٍ إلى عاد، وغيرهما. ﴿فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي: بالمعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: أصرُّوا على التَّكذيب، وكان في علمِ اللَّه تعالى أنَّهم لا يؤمنون، ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: نختم على قلوب الظَّالمين؛ أي: المجاوزين الحدَّ؛ أي: مَن علمنا منه اختيارَ الإصرا ر على الكفر خذلناه، وأوجدنا منه ذلك، وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فلم يكونوا ليصدِّقوا بالرَّسول والكتاب بما كذَّبوا به في أخذ الميثاق عليه (٢).

(٧٥) - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾: أي: ثمَّ أرسلنا مِن بعدِ الرُّسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون -لعنه اللَّه- وأشرافِ قومِه ووزرائِه وأهل مشورته ﴿بِآيَاتِنَا﴾: بالعصا واليد وغيرهما، فتعظَّموا عن الانقياد لموسى وأخيه، وكانوا عُتاةً ومَرَدَة، لا يبالون مِن اكتساب الآثام. وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التِّسع ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾: مشركين.

(٧٦) - ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾: أي: فلمَّا جاءَتْهم العصا -الَّتي التقمَتْ حبال السَّحرة وعصيَّهم- وسائرُ المعجزات،

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٧٠)، والتيسير في التفسير (٨/ ١٠٦).

(٢) الكشف والبيان (٤/ ٢٦٥)، والبسيط (٩/ ٢٥٧)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٧٤).

قالوا: هذا سحرٌ ظاهرٌ وتخييلٌ بيِّنٌ.

(٧٧-٧٨) - ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقريع، أي: أتقولون هذا للحقِّ لمَّا جاءكم، ثمَّ قال: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾، وهو استفهامٌ بمعنى التوبيخ، وتعجيبٌ مِن قولِهم، وليس بحكايةٍ لقولِهم. ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾: أي: لا يفوزون في الدُّنيا ولا في الآخرة. ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾: أي: لِتصْرِفَنا، ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾؛ أي: عمَّا كان يعبدُ آباؤنا، وكانت لفرعون أصنامٌ صغارٌ صنعَها لهم، وأمرَهم بعبادتها، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: السُّلطان والمُلْك والشَّرف في الأرض؛ أي: في أرض مصر. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي: بمصدِّقين في دعوة النُّبوَّة ووعيد العذاب، أرادوا قطعَ أطماعِهما في إيمانِهم[(١)].

(٧٩-٨٠) - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾: ولمَّا جاء موسى بالعصا واليد البيضاء وصارَتِ العصا ثعبانًا قالوا لفرعون: إنَّه سِحْرٌ، فاستشارَهم، فأشاروا عليه بجمع السَّحرةِ، فأمرَ بذلك. وإنَّما قال: ﴿بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ للتَّعاون، ولئلَّا يفوتَه شيء مِن السِّحر بتخلُّف البعض. ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾: أي: فسترون إبطالَ اللَّهِ تعالى ذلك، ولم يكن هذا أمرًا بالسِّحر ولا رضًا به، لكنَّه تهديدٌ، والواثِقُ بالحجَّة يمكِّنُ الخصمَ مِن الابتداء بالشُّبهة، حتَّى إذا بلغَ الغاية جاءَ الحقُّ فدمغ الباطل، وليس لِمَنْ أعانَه اللَّهُ ﷻ غالبٌ.

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ٢٧١)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٧٤)، ولطائف الإشارات (٢/ ١١٠)، والتيسير في التفسير (٨/ ١١١).

(٨١-٨٢) - ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ أي: الَّذي جئتم به، وهو مبتدأ، و﴿السِّحْرُ﴾ خبرُه، ومعناه: هذا هو السِّحر الَّذي أضفتُموه إليَّ.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾: أي: يجعله مغلوبًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: أي: لا يجعلهم بأعمالهم الفاسدة صالحين، أو: لا يجعل أعمالَهم الفاسدة صالحةً.

﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ الحقُّ حَقٌّ وإن لم يَحِقّ، والباطلُ باطلٌ وإنْ لم يَبطل، أي: ليجعل الحقَّ في الابتداء حقًّا، فيصير حقًّا، ويجعل الباطل في الابتداء باطلًا، فيكون باطلًا؛ أي: بإبطاله الباطل يكون باطلًا، وبتحقيقه الحقَّ يكون حقًّا.

﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾؛ أي: برسالات رسلِه؛ إذ بهم يظهر الحقُّ من الباطل، وهم حُجَجُ اللَّه في الأرض، وبالحُجَجِ يظهرُ الحقُّ مِن الباطل، ويحتمل: بآياتِه الَّتي أَنزلَ عليه بها ظهورَ الحقِّ وبُطْلانَ السِّحر. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: فرعونُ وقومه؛ لأنَّه سمَّاهم مجرمين في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ٧٥]. والمجرمُ: مَنِ اعتادَ اكتسابَ المعاصي، يُقال: فلانٌ جريمُ أهلِه؛ أي: دائمٌ على الاكتساب لهم[(١)].

(٨٣-٨٤) - ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾: قال ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: يعني: لم يصدِّق موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ إلَّا قليلٌ مِن قوم فرعون، وهم سبعون أهل بيت مِن القبط مِن آل فرعون، والأمَّهات مِن بني إسرائيل، فجعل الرَّجلُ يتبع أمَّه وأخواله. ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ يعني: أشراف قومه وجنده أن يقتلهم. ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾: لمخالف في أرض مصر

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٧٤ - ٧٥)، وتفسير مقاتل (٢/ ٢٤٥)، والتيسير في التفسير (٨/ ١١٤).

﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ يعني: مع المشركين في النَّار، وهذا تسليةٌ للنَّبيِّ عليه الصلاة والسلام في قلَّة مَن آمنَ بِهِ. ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾: أخبرَ أنَّ موسى لم يضعفْ قلبُه لقلَّة مَن آمن مِن قوم فرعون، بل قال لِمَنْ آمنَ به منهم: على اللَّه توكَّلوا، ولا تخافوا فرعونَ وملأه[١].

(٨٥-٨٦) - ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: أجابوه إلى ما أمرَهم به. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: لا تعذِّبْنا بأيدي قوم فرعون، وهو كقوله تعالى: ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ أي: يعذبهم، وقيل: لا تعذِّبْنا بعذابٍ مِن عندك، فيقولَ قومُ فرعون: لو كانوا على حقٍّ ما عُذِّبوا، وما سُلِّطنا عليهم، فيُفْتَنوا فتنةَ كفرٍ وضلالٍ. ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: أي: أخرجْنا مِن بين أظهرِهم، فنأمنَهم ونعبدَك آمنين، وقيل: أي: خلِّصنا مِن استعبادهم، وأخذهم بالأعمال الشاقة والمهن الخسيسة.

(٨٧) - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ﴾: أي: هارون ﴿أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾؛ أي: اتَّخذوا، وقيل: أي: تَمكَّنا. ﴿لِقَوْمِكُمَا﴾؛ أي: لأجلِهم. ﴿وَاجْعَلُوا﴾: أي: أنتما وهم ﴿بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: أي: نحو الكعبة، وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنَّ فرعون لَمَّا أتاه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالرِّسالة أمرَ بمساجد بني إسرائيل فكُسِّرَتْ كلُّها، وكانت المساجدُ ظاهرةً، فأمرهما اللَّه تعالى أن يَجعلا لقومِهما مساجدَ في جوفِ البيوت، ولا يظهروها، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: حافظوا عليها بشروطها، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: يا موسى، بشِّرْهم بقُرْبِ الخَلَاص.

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٤٣)، والبسيط (١١/ ٢٨٤). وجامع البيان (١٢/ ٢٤٤).

(٨٨-٨٩) - ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: ضاقَ صدرُ موسى مِن معاملةِ فرعون وقومه، فدعا عليهم فقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾ في هيآتهم في المحافل، وإذا ركبوا وبرزوا للنَّاس، ﴿وَأَمْوَالًا﴾ مِن ذهب وفضَّة. ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾: أي: يا ربنا أعطيتهم ذلك ليُضِلُّوا النَّاس عن طاعتك. ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾: أي: أهلِكْها وأذهبْ آثارَها؛ لأنَّهم يستعينون بنعمتِكَ على معاصيك، وإنَّما أمرتَهم بأن يستعينوا بها على طاعتِك وسلوك سبيلِك ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: واجعل على قلوبهم قساوةً وغلظةً تنفِّر الأتباع منهم ومَن يقلِّدهم عن اتِّباعهم وتقليدهم، فيكون ذلك أهون علينا في استنقاذ الأتباع، وأَدْعى للأتباع إلى الإيمان. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: أي: إلى أن يروا العذاب الأليم، وكان كذلك فإنَّهم لم يؤمنوا إلى الغرق، وكان ذلك إيمانَ يأسٍ، فلم يُقبَل. ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾: والدُّعاء كان مِن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وحدَه في الظَّاهر؛ فإنه قال: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا﴾، وإنَّما قال: ﴿دَعْوَتُكُمَا﴾ لوجوه: أحدها: أنَّه يحتمل أنَّ هارون دعا أيضًا، وإنما ذُكر عن موسى لأنَّه كان أصلًا. والثَّاني: يحتمل أنَّ هارون اقتدى به فيما دعا، واتَّبع ألفاظَه فيه، فكان الأصلُ موسى فأُضِيفَ إليه، ثمَّ كانت الإجابة لهما. والثَّالث: أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو وهارون عَلَيْهِ السَّلَامُ يؤمِّنُ، والتَّأمينُ دعاءٌ، فإنَّ معناه: كذلكَ فليكُنْ. ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: على ما أنتما عليه من الإبلاغ والوعظ إلى حلول الوقت، ولا تستعجلا. ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا

﴿يَعْلَمُونَ﴾: فرعون وقومه[١].

(٩٠-٩١) - ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾: أي: أجبنا دعاءَهما، وأمرنا بني إسرائيل بالخروج للوقت المعلوم، ويسَّرنا لهم أسبابَه، فلم يعلمْ فرعونُ وملؤُهُ بهم، ولا بخبرِ استعدادِهم للخروج، لإخفائِنا ذلك عنهم، وصَرْفِنا إيَّاهم عنهم باشتغالهم بدفن أبكارِهم، إذْ متنَ تلك اللَّيلة. ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾: أي: طلبوا لحاقَهم، ﴿بَغْيًا﴾: أي: استطالةً عليهم ﴿وَعَدْوًا﴾؛ أيْ: ظلمًا واعتداءً. ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾: أي: الهلاكُ فيها. ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: المؤمنين، وقيل: أي: المخلصين، وقيل: أي: المنقادين. ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾: أي: قال جبريل: ﴿آلْآنَ﴾ استفهام بمعنى التَّوبيخ، أي: آلآن آمنْتَ؟؛ أي: عندَ الغرق، وهي حالة اليأس، ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ أمرَ اللَّهِ بالإيمان ﴿قَبْلُ﴾ هذه الحالة، ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ في أرض مصرَ بالدُّعاء إلى عبادة غير اللَّه[٢].

(٩٢) - ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾: أي: نلقِيْكَ على نَجْوَةٍ مِن الأرض؛ أي: ارتفاعٍ ﴿بِبَدَنِكَ﴾؛ أي: جسدًا لا روحَ فيه. ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾: أي: لتكونَ لِمَنْ بقيَ مِن بعدِكَ علامةً، فتزولَ وساوسُ الشَّيطان وخُدَعُه عن الضَّعَفة بتوهُّمِهم حياتَه أو خلاصَه عن الهلاك؛ إذ كانَ عندَهم إلهًا معبودًا، وتكون آيةً يستدلُّون بك

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٤٥)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٧٨)، والتيسير في التفسير (٨/ ١٢٣).

(٢) الكشف والبيان (٥/ ١٤٧)، والكشاف (٢/ ٣٦٨)، وجامع البيان (١٢/ ٢٨٠) التيسير في التفسير (٨/ ١٢٧).

على ما يلزمُهم مِن الانقيادِ للأنبياء، والإجابةِ لدعوتِهم، وإلَّا حَلَّ بهم ما حلَّ به.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾: أي: فعلْنا ذلكَ بفرعونَ مع تكبُّرِه وإسرافِه ودعواه الإلٰهيَّةَ، فنحنُ على إهلاك هؤلاء المشركين الذين هم دونَه لقادرون، ولو فكَّروا لعلموا ذلك، لكنَّهم غافلون.

(٩٣) - ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: أي: مكنَّاهم بعدَ إغراق فرعون وقومه مكانًا حَسنًا محمودًا، وأنزلناهم منازلَ فرعونَ وقومِه، وأورثناهم أرضَ الشَّام وهي منازل الصِّدق. وقيل: مصر والشَّام، ويحتمِل قولُه ﷻ: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾؛ أي: صدَّقنا لهم بها ما وعَدْنا ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: أي: الأقواتِ والأطعمة المستطابة. ويحتمل: المَنَّ والسَّلوى. ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: قيل: فما اختلفوا في نبوَّة محمَّد ﷺ إلى أن جاءَهم هو، فحينئذٍ كفرَ بعضُهم به وآمنَ بعضُهم، و﴿الْعِلْمُ﴾: معرفتُهم به قبلَ خروجِه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا﴾[البقرة: ٨٩]. ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾؛ أي: الكتاب والأحكام، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: فيَميزُ المحقَّ من المُبْطِلِ، فيجزي كلًّا منهم على استحقاقِه، ويُنزله منزلةَ استيجابه، على حكم وعده ووعيده.

(٩٤-٩٥) - ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: يقول: إنَّ قصَّة فرعون وموسى على ما اقتَصَصْتُه عليك، فإنْ كنْتَ شاكًّا فيه ﴿فَاسْأَلِ﴾ المؤمنين مِن أهل الكتاب عن ذلك ﴿الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: أي: مِن الشَّاكِّيْنَ. وتكلَّمَ النَّاسُ في هذه الآية

وأكثروا؛ لأنَّ ظاهرَها مشكِلٌ فإنَّ النَّبيَّ عليه الصلاة والسلام لم يكن يشكُّ فيما أُنْزِلَ عليه، وقال أكثرُ المفسِّرين: الخطابُ للنَّبي عليه الصلاة والسلام، والمرادُ غيرُه ممَّنْ شكَّ فيه(١). ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: هي خطابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ظاهرًا، والمراد به غيره،

(٩٦-٩٧) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي: الذين وجبت عليهم كلمة ربك بالعذاب لا يؤمنون، وهي تسليةُ رسول اللَّه ﷺ وإزالةُ ضِيقِ صَدْرِه بتأخُّر إسلام قومِه، وحاصلُه: أنَّ مَن علمَ اللَّهُ منه اختيارَ الكُفْرِ وإصرارَه عليه شاء له الكُفْرَ فلا يؤمِنُ أبدًا. ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ عندَ البأسِ فيؤمنون به، ولا ينفعُهم، أو في القيامة فلا يُقبَل منهم.

(٩٨) - ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ أي: فهلَّا، وهو تحضيضٌ، و﴿قَرْيَةٌ﴾؛ أي: أهلُ قرية؛ أي: فهلَّا آمنَ أهلُ قريةٍ مِن الَّذين عُوجِلوا بالعذاب، فكان ينفعهم إيمانهم ويُقبَل منهم، وهاهنا مُضمَر: ولم يؤمنوا فضرَّهم كفرُهم ﴿لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: والخزيُ: الهوانُ الَّذي يفضحُ صاحبَه. ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾: أي: إلى حضورِ آجالِهم. وأكثر المفسرين على أن إيمان قوم يونس لم يكن حين عاينوا هذا العذاب،

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ١١٥)، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص: ١٦٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٧٩) والكشف والبيان (٥/ ١٤٩)، وتفسير السمعاني (٢/ ٤٠٤)، ومعالم التنزيل (٤/ ١٥٠).

لكنَّ يونسَ صلوات اللَّه عليه أخبرَهم بدنوِّ نزول العذاب بهم، وفارقَهم، وتلك حالةٌ لم يَزُلِ التَّكليفُ فيها عنهم، فراجعوا عقولَهم، فأبصروا رشدهم، فآمنوا، فانصرفَ العذابُ الَّذي كان أشرفَ عليهم عنهم[١].

(٩٩ - ١٠٠) - ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾: أخبرَ عن كمالِ قُدْرَتِهِ ونفوذ مشيئَتِه: أنَّه لو شاءَ لآمنَ مَن في الأرض كلُّهم فلا يبقى فيها إلَّا مؤمنٌ موحِّدٌ، ولكنَّه شاءَ أنْ يؤمِنَ به مَن عَلِمَ منه اختيارَ الإيمانِ به، وشاءَ ممَّنْ عَلِمَ منه أنَّه يختارُ الكُفْرَ ولا يؤمِنُ به ألَّا يؤمِنَ به. ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾: استفهام بمعنى النَّفي؛ أي: لا تملكُ أنت يا محمَّد ﷺ أنْ تكرِهَهم على الإيمان؛ لأنَّ الإيمانَ يكونُ بالاعتقادِ والإقرار، ولا يمكن الإكراه على الاعتقاد. وقال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان رسولُ اللَّه ﷺ حريصًا على إسلام أبي طالب وقومِه، فأبى اللَّهُ ذلك عليه إلَّا مَن علم في سابق علمه أنَّه يؤمِنُ، فأنزل اللَّه تعالى قولَه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بمشيئةِ اللَّه تعالى، وقيل: أي: بقضاءِ اللَّهِ وقَدَرِه. ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي: ونجعل الإثم، وقيل: العذاب. وقيل: أي: جزاءَ الرِّجس؛ أي: الكفرَ.

(١٠١) - ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: قلْ يا محمَّد ﷺ للمشركين: انظروا أيُّ شيءٍ في السَّماوات والأرض مِن العِبَرِ؟ مِن مجيء اللَّيل والنَّهار، ومجرى النُّجوم والأفلاك، ونتاج الحيوان، وخروج الزُّروع والثِّمار،

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٥٢)، ومعالم التنزيل (٤/ ١٥١)، وتفسير مقاتل (٢/ ٢٥٠)، ولطائف الإشارات (٢/ ١١٦).

ووقوف السَّماوات والأرض بغير عمادٍ، وكلُّ ذلك تدبيرٌ يقتضي مدبِّرًا لا يُشبِهُ الأشياء، ولا يُشْبِهُه شيءٌ. ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾أي: الرُّسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: وما ينفعُ ذلك إذا لم يستدلُّوا به فيؤمنوا.

(١٠٢) - ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: فلينتظرْ هؤلاء المتَّبعون للهوى والظَّنِّ، التَّاركون للنَّظر والاستدلال في الشِّرك والتَّكذيب، أنْ ينزلَ عليهم مِن عذابِ اللَّهِ ما نزلَ على الأممِ الخاليةِ المكذِّبة أنبياءَها. ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾: أي: إنجازَ وعدِه لي في إنزال العذاب بكم إنْ أقمْتُم على تكذيبي، وقيل: هل ينتظرون بي يومًا مِن الهلاك إلَّا مثلَ ما انتظر الَّذين خَلَوا مِن قبلِهم برسلِهم مِن الهلاك؟، ويحتمل: هل ينتظرون نزولَ العذاب بهم إلَّا مثل ما انتظرَ أولئك مِن نزول العذاب بهم.

(١٠٣) - ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: ثمَّ نخبركم أنَّ مِن سُنَّتِنا إذا أنزلْنا العذابَ بقومٍ أنْ نُخرِجَ مِن بينِهم رسولنا والذين آمنوا معَه. ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: ننجِي المؤمنين مِن العذابِ في كلِّ زمانٍ. ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾: ظاهرُه: واجبًا علينا، وحقيقتُه: وَعْدًا منَّا مؤكَّدًا لا خُلْفَ فيه؛ لأنَّ العبادَ لا يجبُ لهم على اللَّهِ تعالى شيءٌ.

(١٠٤) - ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾: ما هو؟ أو في دينِ الإسلام الَّذي علمْتُم ما هو، لكن شككْتُم أحقٌّ هو أم لا؟ فها أنا أكشفُ لكم ماهيتَه وحقيقتَه. أمَّا الأوَّل: فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: الأصنامَ والجنَّ والملائكة ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾؛ أي:

يميتُكم، وهو الذي يحييكم، فهو القادر على كلِّ شيءٍ على الكمال، فله استحقاقُ العبادة دونَ غيرِه، وهو إشارةٌ إلى بيانِ حقيقة دينه. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: أمرني الله تعالى به، فقال: كُنْ مِن المؤمنين.

(١٠٥-١٠٦) - ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: أَخْلِصْ عملَك. وقيل: أي: قوِّم إقبالَك وتوجُّهَكَ على ما أُمِرْتَ به. ﴿حَنِيفًا﴾: أي: مستقيمًا. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: قيل لي ذلك، عطفًا على الأوَّل، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: لا تدعُ غيرَ اللَّهِ إلهًا. وقيل: أي: لا تعبدْ. وقيل: أي: لا تَدْعُهُ بحوائجِكَ. ﴿مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾؛ أي: لا يقدر على نفعٍ ولا ضرٍّ، وهو صفةُ الأصنام. ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين[(١)].

(١٠٧) - ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾؛ أي: يُصبكَ اللَّهُ بفاقةٍ في معيشَتِك، أو آفةٍ في جسدِكَ، فلا كاشفَ لذلك الضُّرِّ إلَّا هو. ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾: يُصبْكَ بسعةٍ وغنًى وصحَّةِ جسمٍ ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾: فلا مانعَ لرزقِه ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: يخصُّ به مَن يشاءُ مِن خلقِه. ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: غفورٌ لِمَنْ تاب مِن شركِه، رحيمٌ بإنعامِه على جميعِ خَلْقِهِ.

(١٠٨) - ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾: أي: المذكورون في أوَّل هذه السُّورة، وهم

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٩٢)، ولطائف الإشارات (٢/ ١١٨ - ١١٩)، والتيسير في التفسير (٨/ ١٤٦)، وزاد المسير (٤/ ٣).

مشركو قريشٍ ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يعني جاءكم محمَّد ﷺ بالقرآن. وقيل: أي: ببيان ما يحقُّ عليكم أن تعتقدوه، وتقولوا به، وتعملوا عليه. ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: أي: فمَنْ سلَكَ سبيلَ الرَّشاد المؤدِّي إلى الحقِّ الَّذي جئْتُ به فإنَّما يهتدي لنفسِه بما يفوزُ مِن رضاءِ خالقِه ومِن ثوابِه، بالنَّعيم المقيم الَّذي لا يشوبُه كَدَرٌ ولا يلحقُه غِيَرٌ. ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾: عن هذا السَّبيلِ فوقعَ في غيرِه ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: على نفسِه؛ أي: ضرُّه على نفسِه باعوجاجِه عن طريقِ الحقِّ، لا يَضرُّ خالقَه بضلالِه، كما لا ينفعُه باهتدائِه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: قال الحسنُ: أي: بحفيظٍ يحفظُ أعمالَكم، إنَّما أنا نذيرٌ، واللَّهُ الحافظُ عليكم أعمالَكم.

(١٠٩) - ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾: أي: لسْتَ عليهم بوكيلٍ مسلَّطٍ على قلوبِهم فتتصرَّفَ فيها، ولكنَّكَ مبلِّغٌ فاتَّبعْ وحيَنا، وقيل: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: مِنْ دِيْنِه الَّذي بيَّنه في كتابِه. ثمَّ عزَّاه فقال: ﴿وَاصْبِرْ﴾: على ما تسمعُ منهم مِن الأذى والتَّكذيبِ لك ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ تعالى، فيأتيَكَ أمرُهُ ونهيُه وحكمُه، وما وعدَكَ مِن إظهارِ دينِه ونصرِكَ. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ في عدلِ حُكمِه، وإنجازِ وعدِه، وصدقِ كلماتِه[1].

(انتهى تفسير سورة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ).

---

(١) البسيط (١١/ ٣٣٦)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٩٢ - ٩٣)، والنكت والعيون (٢/ ١٢٨)، وبحر العلوم (٢/ ١٣٦)، والتيسير في التفسير (٨/ ١٤٩).

(١١) سورة هود مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت في جميع المصاحف وكتب التفسير والسنة سورة هود، ولا يعرف لها اسم غير ذلك، وسميت باسم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لتكرر اسمه فيها خمس مرات؛ ولأن ما حكي عنه فيها أطول مما حكي عنه في غيرها؛ ولأن عادًا وصفوا فيها بأنهم قوم هود، نزلت هذه السورة بعد سورة يونس وقبل سورة يوسف، وقد عدت الثانية والخمسين في ترتيب نزول السور، وهي مئة وثلاثٌ وعشرون آية، وقيل: اثنتان وعشرون، وقيل: إحدى وعشرون، وكلماتُها ألفٌ وتسع مئة وسبع عشرة، وحروفها سبعة آلاف وسبع مئة وسبعة وثلاثون.

أغراضها:

ابتدأت بالإيماء إلى التحدي لمعارضة القرآن بما تومئ إليه الحروف المقطعة في أول السورة، وبالنهي عن عبادة غير الله تعالى، وبأن الرسول- عليه الصلاة والسلام- نذير للمشركين بعذاب يوم عظيم وبشير للمؤمنين بمتاع حسن إلى أجل مسمى، وإثبات الحشر، والإعلام بأن الله مطلع على خفايا الناس وأن الله مدبر أمور كل حي على الأرض، وخلق العوالم بعد أن لم تكن، وأن مرجع الناس إليه، وأنه ما خلقهم إلا للجزاء، وتثبيت النبي ﷺ وتسليته عما يقوله المشركون وما يقترحونه من آيات على وفق هواهم، وأن حسبهم آية القرآن الذي تحداهم بمعارضته فعجزوا عن معارضته فتبين خذلانهم فهم أحقاء بالخسارة في الآخرة،

وضرب مثل لفريقي المؤمنين والمشركين، وذكر نظرائهم من الأمم البائدة من قوم نوح- وتفصيل ما حل بهم- وعاد وثمود، وإبراهيم، وقوم لوط، ومدين، ورسالة موسى، تعريضًا بما في جميع ذلك من العبر وما ينبغي منه الحذر فإن أولئك لم تنفعهم آلهتهم التي يدعونها، وأن في تلك الأنباء عظة للمتبعين بسيرهم، وأن ملاك ضلال الضالين عدم خوفهم عذاب الله في الآخرة فلا شك في أن مشركي العرب صائرون إلى ما صار إليه أولئك، وانفردت هذه السورة بتفصيل حادث الطوفان وغيضه، ثم عرض باستئناس النبي ﷺ وتسليته باختلاف قوم موسى في الكتاب الذي أوتيه فما على الرسول وأتباعه إلا أن يستقيم فيما أمره الله وأن لا يركنوا إلى المشركين، وأن عليهم بالصلاة والصبر والمضي في الدعوة إلى الصلاح فإنه لا هلاك مع الصلاح، وقد تخلل ذلك عظات وعبر والأمر بإقامة الصلاة(١).

وانتظامُ هذه السُّورة بسورة يونس: أنَّ هذه السُّورة تشتمل على ما اشتملَتْ عليه تلك السُّورة مِن محاجَّات المشركين وشُبَهِهم وإنكارهم، وأقاصيصِ الأمم الخالية، وغيرِ ذلك من المعاني، وانتظامُ أوَّل هذه السُّورة بآخر تلك السُّورة: أنَّه ذكرَ هناك اتِّباع ما يُوحَى إليه، وذكر هاهنا صفة الكتاب الذي أُوحيَ إليه؛ ولأنَّ اختتامَ تلك ببيان أنَّ له الفصلَ والأحكام، وافتتاح هذه ببيان أنَّ منه التَّفصيلَ والإحكام(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٣١٢).

(٢) لطائف الإشارات (٢/ ١٢٠)، وجامع البيان (١٢/ ٣٠٩)، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٦٦)، والنكت والعيون (٢/ ٤٥٦)، والتيسير في التفسير (٨/ ١٥٤).

(١) - ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده، ﴿كِتَابٌ﴾: أي: هذا كتاب، ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾؛ أي: نُظمَتْ نَظمًا مُحكمًا، لا يلحقُه خَللٌ ولا تناقضٌ في النَّظم والمعنى. ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾؛ أي: جُعلَتْ فُصولًا؛ حلالًا وحرامًا، وأمرًا ونهيًا، وترغيبًا وترهيبًا، ومواعظ وأمثالًا، لكلِّ معنًى منها فصلٌ غير مختلطٍ بغيره، حتَّى يُتَمَكَّنَ مِن تَدبُّرِها كلِّها. ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾: أي: أنزلَه ربٌّ حكيمٌ مُحكِمٌ للأمورِ، واضعٌ كلَّ شيءٍ موضعَه، خبيرٌ عالمٌ بحقيقةِ الأشياء، وأنزلَه اللَّهُ تعالى، لم يفْتَرِه محمَّدٌ ولا تقوَّلَه، ولا قالَتْه الشَّياطينُ، ولا الكهنةُ، ولا الشُّعراء.

(٢-٣) - ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾: أي: وممَّا فُصِّلَ فيه ألَّا تعبدوا. وقيل معناه: تركُ عبادتِكم غيرَ اللَّه ممَّا فُصِّلَ فيه. ﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾: فإنَّني لكم مِن اللَّهِ مخوِّف بالعذاب إنْ عصيتُموه، ومُبَشِّرٌ بالثَّواب إنْ أطعتُموه. ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: سَلُوا ربَّكم أنْ يغفر ما أسلفتُم مِن الذُّنوب بالشِّرك. ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: أي: ارجعوا إليه بالإخلاص له. ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ أي: إنْ تفعلوا ذلك يعمِّرْكُمُ اللَّهُ تعالى في الدُّنيا، فتتمتَّعوا بالأرزاق المباحة والملاذِّ المحلَّلة متاعًا حسنًا، لا تَذُمُّون عاقبتَه كمتاع المشركين. ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: وهو مدَّة العمر لكلِّ إنسان. وأصلُ التَّمتُّع: إطالةُ الشَّيء والمدُّ فيه، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي: مَن كثرَتْ طاعاتُه في الدُّنيا زادَتْ درجاتُه في الآخرة؛ لأنَّ الدَّرجات تكون بالأعمال. وقيل: أي: يُؤْتِ كلَّ ذي إفضال على النَّاس جزاءَ إفضالِه، سُمِّيَ جزاءُ الفضلِ فضلًا كما يُسمَّى جزاءُ السَّيئةِ سيئةً. وقيل: أي: ويؤتِ كلَّ ذي فَضْلٍ فضيلةً في الدِّين بعملٍ صالحٍ جزاءَ فضيلتِه وعملِه. وقال ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أي:

مَن زادَتْ حسناتُه على سيِّئاتِه دخلَ الجنَّة، ومَن زادَتْ سيِّئاتُه على حسناتِه دخلَ النَّارَ، ومَنِ استوَتْ حسناتُه وسيِّئاتُه كان مِن أهلِ الأعراف، ثمَّ يدخلون الجنَّة. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: وإنْ تُعْرضوا عمَّا فُصِّلَ لكم مِن هذه المعاني وتصرُّوا على الشِّرك. ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾؛ أي: عظيمٍ شديد، وهو يوم القيامة، لِمَا فيه مِنَ الأهوال وجزاء الأعمال(١).

(٤-٥) - ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: هذا وعيد يوم القيامة. ﴿قَدِيرٌ﴾؛ أي: على مجازاتِكم على أعمالِكم وغير ذلك. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾: أخبر عن معاداة المشركين للنَّبيِّ ﷺ وجهلِهم باللَّهِ في ظنِّهم أنَّهم يَسْتَخْفون منه، فقال: ﴿أَلَا﴾؛ أي: تنبَّهوا على أحوال المشركين، وقِفوا على جهلِهم، فإنَّهم يُسرُّون العداوة في قلوبِهم، ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾؛ أي: يُخفون ما في صدورِهم مِنَ الشَّحناء والعداوةِ. ووجهُ ذلك: أنَّ مَن ثنَى الشَّيء -أي: عطفَه وطواه- خفيَ في أثنائه ما يقع فيه، وخفيَ باطن الشَّيء المطويِّ، فجعلَه مثلًا لإضمار العداوة في الصَّدر. ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾: أي: يقصدون بذلك إخفاء ذلك على اللَّه تعالى جهلًا منهم. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: أي: اعلموا أنَّهم حين يتغطَّون بثيابِهم ويُدخلون رؤوسَهم فيها ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؛ أي: يعلمُ اللَّهُ ما يضمرون، فكيف وهم بارزون؟! ولكنَّهم أهلُ جهلٍ، ومَن كان هذا حاله لم يُستبْعَدْ

(١) الكشف والبيان (٥/ والبسيط (١١/ ٣٤٥)، وبحر العلوم (٢/ ١٥٥)، وتفسير مقاتل (٢/ ٢٧١)، والتيسير في التفسير (٨/ ١٥٨).

منه أنْ يُشرِكَ باللَّه غيرَه. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: سرائرها وضمائرها[١].

(٦) - ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾: أي: وما مِن شيء مِن الحيوانات التي تدبُّ على الأرض إلَّا واللَّهُ تعالى متكفِّل برزقِها؛ أي: بما يُقيمُها؛ إذ الحيُّ مِن الخلقِ لا بُدَّ له ممَّا يقيمُ حياته، ولا قيام للحيوانات إلَّا بكفايتها، وهي رزقُها. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: أي: ويعلمُ مستقرَّها مِن الأرضِ حيثُ تأوي إليه، وموضعَها الذي تموتُ فيه، أو تُدفَن فيه فتُسْتَودعُ فيه إليه إلى حين تنبعث. وقيل: ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ في الأرحام، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ في الأصلاب. ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: أي: في اللَّوحِ المحفوظِ مكتوبٌ.

(٧) - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾: بيَّن أنَّ خَلْقَ العَرْشِ والماءِ كان قبلَ خَلْقِ السَّماواتِ والأرض. والعرشُ: شِبْهُ سريرِ الملك، لتطوفَ الملائكةُ به، ويحفُّون حولَه، ويمجِّدون اللَّهَ تعالى ويعظِّمون مِن حولِه، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ أي: خلقَ جميعَ ذلك ليعامِلَ عبادَه معاملةَ المختبِرِ لهم، مظاهرةً في الاحتجاج عليهم؛ ليمتثلوا أمرَه، ويؤدُّوا على نعمِهِ شكرَه، ويستدلوا بآياتِه على وحدانيَّته وقدرَتِه على ما يشاء، وفي ذلك إثباتُ البعثِ لِيُجازيَ المحسِنَ على إحسانِه، والمسيءَ على إساءَتِه، ومعنى الابتلاءِ: فعلُ ما يظهرُ به الشَّيء وإنْ كان معلومًا، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أيُّكم أعملُ بالطَّاعة، وقيل: أيُّكم أتقى للَّه. ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ

(١) معالم التنزيل (٤/ ١٦٠)، وزاد المسير (٤/ ٧٦)، وبحر العلوم (٢/ ١٣٨)، وجامع البيان (١٢/ ٣١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٩).

﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي: ولو قلْتَ يا محمَّد ﷺ للمشركين: إنكم مبعوثون للجزاء على ما انكشفَ بالابتلاء، أنكروا وتعجَّبوا، وقالوا: ما هذا القولُ إلَّا سحرٌ ظاهرٌ؛ أي: خديعةٌ منكم لنا، ومنعٌ عن لذَّات الدُّنيا وزينتِها، واجترارٌ إلى الانقيادِ لكم والدُّخولِ في طاعتكم(١).

(٨) - ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾: أي: حينٍ معلوم ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾؛ أي: استعجَلُوه على سبيلِ الاستهزاءِ، يعنونَ أنَّ هذا الوعيدَ بالتَّعذيب على التَّكذيب ليسَ بحقٍّ، ثمَّ أخبرَ أنَّه لا معنى لاستعجالِهم، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾؛ أي: بكثرةِ أعوانٍ، ولا بحيلةِ محتالٍ، ولا بقوَّةٍ مِن قِبَلِهم، ولا مِن قِبَلِ آلهتهم. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: يحيقُ بهم، يعني: ينزلُ بهم.

(٩) - ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: أي: إذا أعطينا المشرك المكذِّب باللَّهِ ﷻ منَّا سَعةً في الدُّنيا، وصحَّةً في الجسم، ووفورًا في الولدِ؛ لِيَشْكُرَ بها لنا، ويستعينَ بها على طاعتِنا. ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾: لكفرانِه، فأذقناه ضِيقًا وسُقْمًا ونَقْصًا في المال والولد. ﴿إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾: لأنه يئس وكفر نعمتنا، وقال: أهانني ربِّي فلا أعبدُ ربًّا يهينُني، كأنَّه يَئِسَ مِن زوالِ ما حلَّ به، فهو لذلكَ معرِضٌ عن ربِّه، لا يتوقَّع خيرًا، ولا يأملُ فَرَجًا. وقيل: ﴿الْإِنْسَانَ﴾ هو عبدُ اللَّهِ بنُ أبي أميَّة المخزومي، أذقْنَاه رحمةً منَّا: رخاءً ونعمةً، ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾؛ أي: سلبْنَاها منه،

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٥٨)، ومعالم التنزيل (٤/ ١٦٢)، والتيسير في التفسير (٨/ ١٦٧)

﴿إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾ في الشِّدة، ﴿كَفُورٌ﴾ في النِّعمة[١].

(١٠) - ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾: أي: ولَئِنْ أزلنا البأساءَ بالنَّعماء لم يَرَ أنَّ ذلكَ استدعاءٌ للشُّكرِ، ولكنَّه يقول: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾؛ أي: الأحوال السَّيِّئة الَّتي كانت تَسُوؤني؛ أي: كان ذلك سُوءًا أصابني وذهبَ، كما يكون هذا بأكثر الأحوال، ويصيبُ أكثرَ النَّاس تتلوَّن عليهم الأمورُ، فلا يعتبرُ بما يُمْتَحَنُ به وبما يُنْعَمُ عليه، فلا يقابلُ البأسَ بالصَّبرِ، ولا النِّعمةَ بالشُّكرِ، إعطاءً للعبوديَّةِ حقَّها، ولكنَّه في حال البؤس يحيل ذلك على أنَّ اللَّهَ تعالى أهانَه، وفي حالة النِّعمة يعدُّها اتِّفاقًا حسنًا، يحمدُ عليه زمانَه. ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾: أي: مِن عادتِهِ الفرحُ والبَطَرُ بالنِّعمة، والفخرُ بها على الكافَّة، حتَّى يخرجَ بذلك إلى تكذيبِ الأنبياء، وجحودِ البعثِ والجزاءِ.

(١١-١٢) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: هو استثناءٌ منقطعٌ، معناه: لكن الذين صبروا على المكاره، وصبروا عن المعاصي، وعملوا الطَّاعات.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: أي: مغفرة الذُّنوب ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾؛ أي: ثوابٌ عظيمٌ.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ إنَّ أهلَ مكَّة قالوا: ائتِنا بكتابٍ ليسَ فيه سبُّ آلهتِنا، ولا مخالفةُ آبائِكَ، فهمَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أنْ يَدَعَ سبَّ آلهتِهم، فأنزلَ اللَّهُ تعالى هذه الآيةَ[٢]، أي: لا تتركْ بعضَ ما يُوحَى إليك،

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٥٩)، والتيسير في التفسير (٨/١٦٩).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٣)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ١٠٥).

وهو كما يقولُ الرَّجل لآخرَ: لعلَّكَ تريدُ أنْ تفعلَ كذا، وهو ينهاه عنه. ويتضمَّنُ له البشارةَ بالأمن ممَّا يخافُ أنْ يلحقَهُ مِن جهتِهم، ولزومَ التَّبليغ، وذلك أنَّ الأخيار إذا ابتُلوا بالأشرار فقد يؤذَنُ لهم بمفارقتِهم، وتركِ الأمرِ فيهم، فبيَّنَ أنَّه ليس له ذلك، وعليه التَّبليغُ مع ذلك. ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ الضَّائقُ يُذْكَرُ للضِّيْقِ العارض، وكان ما يلحقُه مِن كلامِهم أمرًا عارضًا، فلذلك قال: ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا﴾؛ أي: بأنْ يقولوا، والذي قالَ هذا عبدُ اللَّه بن أبي أميَّة: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾، وكان للمال عندَهم خطرٌ ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ أي: ليصدِّقَه بما يقول، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾ يا محمَّد ﷺ ﴿نَذِيرٌ﴾: مخوِّف مبلِّغ، ليس بيدك الإتيانُ بالأموالِ وإنزالُ الملائكة. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾؛ أي: حافظ لكلِّ ما يقولون فيك؛ إذ هو الحفيظ عليهم لا أنت.

(١٣) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: أي: أيكذِّبونَكَ أمْ يقولون: افتراه؟. وقيل: أيكتَفُون بما أوحينا إليك أم يقولون: افتراه؟، والمفسِّرون يقولون: معناه: بل يقولون افتراه. ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾: أي: مثل القرآن ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾؛ أي: على زعمكم أنَّ القرآن مفترًى. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: مِنَ الجنِّ والإنسِ ليُعِينوكم على الإتيان بعشر سورٍ مثلِه، في نظمِه ومعانيه، والأخبارِ الصَّادقة عن الأمور الماضية والآتية، والاطْلاع على ما في ضمائركم، فأتوا بما فيه هذه المعاني، والاطْلاع على ما في ضمير محمَّد ﷺ. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنَّه افتراه مِن عندِه، ولسانُكم مثلُ لسانِه.

(١٤) - ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ

﴿إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: أي: فإنْ لم يستجِبْ لكم أيُّها المشركون أحدٌ مِن العرب ولا مِن غيرهم ممَّنْ استعنْتُم به، عِلْمًا منه بالعجزِ، وأنتم عاجزون أيضًا، فاعلموا حينَئذٍ أنَّ القرآنَ أُنزِلَ مِن عندِ اللَّهِ، فإنَّ اللَّهَ ﷻ أنزلَه بعلمِه؛ أي: وهو عالمٌ بإنزالِه على ما يكون حجَّة على خلقه. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون للَّه، مخلصون له، دائمون على الإيمان والإحسان؟

(١٥) - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: أي: الدَّاعي لهؤلاء المشركين إلى الدَّوام على الشِّركِ الدُّنيا وزينتُها. الآيةُ في الكفَّار، يعملون أعمالًا هي في الظَّاهر صالحةٌ؛ مِن التَّصدق على الفقراء، وعمارات الطُّرق، واتِّخاذِ القناطر والرِّباطات، يقول: نوفِّ إليهم جزاءَ أعمالهم في الدُّنيا، وهم فيها لا يُنقَصون، وهو ما وُسِّعَ عليهم في الدُّنيا. وقيل: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾؛ أي: نردُّ عليهم أعمالَهم التي عملوها في الدُّنيا فلا نقبلُها، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾؛ أي: لا يُنقَصون ما قُدِّرَ لهم مِن الرِّزق إلى انقضاء مدَّتهم بشركهم باللَّه جَلَّجَلَالُهُ.

(١٦-١٧) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾أي: هؤلاء الذين هدفهم الدنيا ليس لهم في الآخرة إلا نار جهنم وعذابها المخلَّد ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ أي: بطل ما صنعوه من الأعمال الصالحة لأنهم قد استوفوا في الدنيا جزاءها ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تأكيدٌ لما سبق أي باطل ما كانوا يعملون في الدنيا من الخيرات[١]. ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي،

---

(١) صفوة التفاسير (٢/ ٧).

والآيةُ في بيان عدم التَّسوية بينَ المؤمنين وهم المذكورون في هذه الآية، وبينَ المشركين وهم المذكورون في الآية الأولى. والمعنى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾؛ أي: حجَّةٍ وبيان، وهم المؤمنون بمحمَّد والقرآن، فهم على حجَّة بمجيء محمَّد عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَيَتْلُوهُ﴾؛ أي: ويتبعُ محمَّدًا ﷺ الذي هو البيِّنة ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾؛ أي: مَن يشهدُ بصدقِه، هو جاءَ به، وهو القرآنُ. ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾؛ أي: ولهذا المؤمن مع هذا الشَّاهد شاهدٌ قبلَه، وهو كتابُ موسى التَّوراةُ الَّذي أنزلَه اللَّه تعالى إمامًا لبني إسرائيل يقتدون به، ورحمة لهم أنقذَهم اللَّهُ تعالى به من النَّار في الآخرة، ومِن استعباد فرعون وقومه في الدُّنيا، وفي التَّوراة الشَّهادةُ بمحمَّدٍ، والبشارة به، والإخبار بصفتِه وصفةِ أمَّتِه. أي: أفمَنْ اجتمَعَتْ له هذه الحجج -وهي النَّبيُّ والقرآنُ والتَّوراةُ- الشَّاهدةُ المبشرة فآمنَ بها، كمَنْ أعرضَ عن النَّذير، ومالَ إلى الحياة الدُّنيا وزينتِها؟، وقيل: الشَّاهد هو النَّبيُّ ﷺ، وقوله: ﴿مِنْهُ﴾: مِنَ اللَّهِ تعالى، وقال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا هو جبريلُ يتلو القرآنَ على محمَّد عليهما السلام. ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: قيل: هم أصحابُ محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام. وقيل: هم أصحاب موسى أهلُ الكتاب الَّذين آمنوا بمحمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام. ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، وقيل: أي: بمحمَّد، ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: أي: الفرق والأصناف، وهم اليهود والنَّصارى والمجوس والمشركون. ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾: أي: إن لم يُسلمْ. ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾: أي: شكٍّ ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يقصدون

التماسَ الحقِّ، فيكونَ همُّهُم التَّصديقَ بما قامَتْ به دلائلُه[١].

(١٨-١٩) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: لا أحد أظلمُ على نفسِه وعقلِه ممَّنْ كَذَبَ على اللَّهِ، فنفَوا عنه كلامَه، وأضافوه إلى غيرِه. ﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: في موقف القيامة ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾؛ أي: الملائكة الَّذين كتبوا أعمالهم، وقيل: الأنبياء، وقيل: أهل الجمع، ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: قالوا: إن له أضدادًا وأندادًا. ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: هذا إخبارٌ مِنَ اللَّهِ تعالى، وتعليمٌ للخَلْقِ أنْ يلعنوهم، وهم المشركون الواضعون العبادةَ في غير موضعِها، والضَّارُّون أنفسَهم. ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يمنعون النَّاس عن دينِ اللَّهِ وطريقِ طاعتِه بالتَّحريف وإدخال الشُّبَهِ. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: أي: يطلبونها -أي: للسَّبيل، وهي مؤنَّثة سماعًا- تعويجًا؛ أي: يطلبونَ أنْ يَعْدِلوا بالنَّاس عنها. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: أي: جاحدون.

(٢٠) - ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: فائتين هربًا؛ أي: لا يتخلَّصون من عذابِه ولو ساروا حيث ساروا في الأرض. ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: يتولَّون نصرَهُم، وردَّ العذابِ عنهم في الدُّنيا والآخرة، بل ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾؛ أي: يواصَلُ ولا يقطع، ويزادون عذابًا على عذابٍ، وقيل: يضاعف على للرُّؤساء العذابُ ضعفَ غيرِهم مِنَ الأتباع. ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾: أي: كانوا يستثقلون أنْ يسمعوا القرآنَ،

---

(١) جامع البيان (١٢/ ٣٥٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤ - ٢٠١٥)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٣).

وأنْ ينظروا إلى عجائب خلقِ اللّهِ تعالى بالاعتبار.

(٢١-٢٣) - ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: أي: أوردوا أنفسَهم الهلاكَ والعذابَ، حذرًا مِن غير أن اعتاضوا مِن أنفسِهم مِن أعراض الدُّنيا بدلًا، بل تعبوا في الدُّنيا بعبادة الأصنام، ووردوا الآخرة وقد فقدوها ولم يحصلوا منها ومن عبادتها على نفعٍ، وكانوا مفترين في أنَّها آلهةٌ وشفعاءُ وشهداء، وقال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: بطلَ افتراؤُهم فلم يجلبْ ثوابًا.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾: (لا جرم) كلمةٌ تقولُها العرب بمعنى: لا بُدَّ، ولا محالةَ، وكثرَتْ في الكلام حتَّى صارَتْ بمعنى: حقًّا، والمعنى: حقًّا؛ أي: إنَّهم في الآخرة هم الأعظمون خسرانًا، والأشدُّون عذابًا وهوانًا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: ذكرَ الأولياءَ بعدَ ذِكْرِ الأعداءِ. ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: أنابوا إلى ربهم، وقيل: أي: اطمأنُّوا إلى ذِكْرِ ربِّهم ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ منعمون جزاء أعمالهم(١).

(٢٤) - ﴿مَثَلُ﴾أي: صفة ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي: الكفار والمؤمنين ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ﴾ هذا مثل الكافر ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي، أي: لا يستويان، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أي: تتَّعظون، استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اتَّعِظوا.

(٢٥) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: وذكرَ قصصَ الأنبياءِ تنبيهًا على ما

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٠٧)، بحر العلوم (٢/ ١٤٤)، والتيسير في التفسير (٨/ ١٨١)، وجامع البيان (١٤/ ٢٦٣).

يلزم رسول الله ﷺ من الصَّبر على أذى قومِه المشركين، وتحذيرًا للمشركين أنْ ينزلَ بهم في تكذيب رسول الله ﷺ ما نزل بالأوَّلين في تكذيب المرسلين، وتبشيرًا للمؤمنين بالنَّصر والنَّجاة والتَّمكين. ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: مخوِّف لكم، ﴿مُبِينٌ﴾؛ أي: مظهِرٌ ذلك.

(٢٦-٢٧) - ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ أي: مؤلم في الدنيا والآخرة وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو الغرق والطُّوفان. ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ أي: قال أشرافُ قومِه الَّذين يتكلَّمون عمَّن دونهم: ما نراك إلَّا إنسانًا مثلنا، والَّذي تدَّعيه مِن النُّبوَّة يوجبُ فضلًا لكَ علينا يُلْزِمُنا أنْ نكون أتباعًا لك، وإنَّما أنت آدميٌّ مثلنا، ولم يتَّبعْكَ مِن قومِكَ خيارُ قومنا وعقلاؤنا فيلزمَنا اتِّباعهم، بل سَفِلتُنا، والرَّذْلُ: الحقيرُ، وجمعُه: الأرذال، وجمعُ الجمعِ: الأراذل. ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ أي: ظاهر الرَّأي؛ أي: بما بدا لهم مِن غير تأمُّل. ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فَتَسْتَحِقُّوا بِهِ الِاتِّبَاع مِنَّا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ دلَّ أنَّهم كانوا يردُّون الدَّلالات الباهرة بالظُّنون الكاذبة(١).

(٢٨) - ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾: أي: قال نوحٌ: يا قومِ أخبروني إنْ كنْتُ على بيانٍ وحجَّةٍ ووضوحٍ مِن ديني، وكان اللَّهُ آتاني رحمةً مِن

(١) بحر العلوم (٢/ ١٤٦)، والتيسير في التفسير (٨/ ١٨٦)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ١٢١)، لطائف الإشارات (٢/ ١٣٢).

عندِه، بأنْ جعلَني رسولًا إليكم، ووعدني النَّصر عليكم، واشتبهَتْ عليكم تلك الرَّحمة، وخفيَتْ حتَّى صرْتُم كالعُمْي عنها، أيتهيَّأ لي أنْ أُلزِمَكُمْ إيَّاها؛. أي: أَقهَركم وأُكرهَكم على فهمِها ورؤيتِها بأبصارِ قلوبِكم، وأنتم لها كارهون؟!

(٢٩) - ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾: أي: لا أطلبُ منكم على تبليغِ الرِّسالة مالًا، فلا تهمةَ عليَّ فيما أدعوكم إليه، ولا صورتي صورةُ مَن يطمعُ في أموالكم، والرِّياسةِ في أمور الدُّنيا عليكم، فتظنُّوا بي الكذبَ، وما أَجري إلَّا مِن اللَّهِ بوعد اللَّه، فللَّه أعملُ، ومنه أرجو، وما أنا بطارد الَّذين آمنوا بي واتَّبعوني -والطَّردُ: الإبعادُ على وجهِ الهوان- إنِّي إذا كنْتُ لا اسألُكم شيئًا مِن أموالكم، فأراذلكم وأفاضلُكم عندي سواء؛ لأنِّي داعٍ للجميع، فمَنْ أجابني قبلْتُه.

﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾: فتظنُّون أنَّ النَّاس يتفاضلون بالأحساب والأنساب، لا بالأعمال والأحوال. وقيل: تجهلون أنَّهم خير منكم[١].

(٣٠ -٣١) - ﴿وَيَاقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: مَن يمنعُني مِن عذابِ اللَّهِ ﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: أَفَلَا تُخْطِرون ببالكم فتعلموا أنَّه لا يجوزُ لي طردُهم والحال هذا. ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾: أي: ولا ادَّعي أنَّ عندي خزائنَ الأموالِ فأبذلَها لكم

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٩)، والنكت والعيون (٢/ ٤٦٦)، والبسيط (١١/ ٣٩٨)، ولطائف الإشارات (٢/ ١٣٢)، والتيسير في التفسير (٨/ ١٩٠).

لتتَّبعوني، وأستميلَكم بها لتُطيعوني، ولا أعلم الغيب فأخبرَكم بما تسألونني عن الأمور الكائنة من بعدُ مِن النِّعم والمحن لتطلبوها وتتحرَّزوا عن المخاوف، ولا أقول: إنِّي ملَك من السَّماء أخبركم بأخبار السَّماء، ولا أقول لهؤلاء الَّذين تحتقرهُم أعينُكم -وقد زَرَيْتُ عليه زِرايةً؛ أي: عِبْتُهُ، وأزرَيْتُ عليه؛ أي: قصَّرْتُ به، وازدريْتُهُ؛ أي: احتقرْتُهُ- ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾؛ أي: إيمانًا ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾أي: قلوبِهم مِن الصِّدق وغيره، ﴿إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إذا قلت ذلك سأكون ظالمًا.

(٣٢-٣٣) - ﴿قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾؛ أي: خاصمْتَنا فبالَغْتَ فيها -وقد جادَلَه يجادِلُه؛ أي: خاصمَه ليُرجِعَهُ عمَّا هو عليه، وأصلُهُ الجَدْلُ، وهو الفَتْلُ- وليس ذلك ممَّا يُثْبِتُ عندَنا صدقَكَ في دعوى رسالتِكَ فيُخافَ إنذارُك. ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾: مِن العذابِ على مخالفتِنا إيَّاك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾؛ أي: صادقًا في ذلك. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: (إنَّما) كلمةُ تحقيقٍ، ومِن تحقيقِه أنْ يكونَ له دونَ غيره؛ أي: ليسَ الإتيانُ بالعذابِ إليَّ، وإنَّما يأتي اللَّهُ به إنْ شاءَ، وإنْ شاءَ صرفَه عنكم، وما أنتم بفائتين عنه إن تأخَّر عنكم حتَّى يلحقَكُم، بل يلحقُكُم متى شاءَ[١].

(٣٤) - ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: النُّصح نقيضُ الغش، وهو إمحاضُ إرادةِ الخيرِ في الدلالة، وقيل: هو إعلامُ موضعِ الغيِّ ليُتَّقى، والرُّشدِ ليُقْتَفَى،

(١) التيسير في التفسير (٨/ ١٩٣).

والمعنى: نصحْتُكُم، ولكن لا ينفعُكُم نصحي إذا لم تقبلوه وأراد اللَّه إغواءَكم، هو اللَّهُ ربُّكم؛ أي: مدبِّركم ومُقِيمكم في الدُّنيا إلى وقت إهلاكِكم، ثمَّ إليه تُرجَعون فيحاسبُكم ويجازيكم.

(٣٥) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ هذا كلامٌ اعترضَ في قصَّة نوح سلام اللَّه عليه، والمعنى: أم يقول أهلُ مكَّة: افترى محمَّدٌ ﷺ القرآنَ؛ أي: اختلقَه مِن تلقاء نفسِه، قل يا محمَّد: إنْ اختلقْتُه فعليَّ جزاءُ جرمي، وأنا بريء ممَّا تجرمون أنتم. ثم رجعَ إلى قصَّة نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ[١].

(٣٦) - ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: أوحينا إليه فقلْنا له: لن يصدِّقَكَ بعدَ هذا منهم إلَّا مَن قد آمن، فلا تحزن ولا تبأس، هو حزنٌ في استكانةٍ، وهو افتعال مِن البؤس؛ أي: فلا تتصوَّر بصورةِ مَن أصابه البؤس بما فعلوا، ولمَّا أُخْبِر بذلك وأيسَ مِن إيمانهم دعا عليهم فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يحتمِل الكفر؛ لأنَّ الأنبياء كانوا يحزنون بكفر المشركين.

(٣٧) - ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: أي: بحِفْظنا إيَّاك حفظَ مَن يراك ويملكُ دفعَ السُّوء عنك. وقيل: بأعين أوليائنا مِن الملائكة الموكَّلين بك. ﴿وَوَحْيِنَا﴾؛ أي: أَمْرِنا وتعريْفِنا صفتَها وقدرَها وهيئاتِها. ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: في الكافرين بسؤال النَّجاة، وقيل: بسؤال الإيمان، وقيل: في سؤال بعض

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨١)، التيسير في التفسير (٨/ ١٩٤).

أهلِك مِن جملتهم. ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: أي: كلُّهم حقَّ القولُ عليهم بأنَّهم لا يؤمنون، وبإغراقنا يُغرقون، وهو تعريفٌ للمشركين في عهد النَّبيِّ ﷺ المستعجِلين العذابَ أنَّ اللَّهَ تعالى لا يعذِّبُهم عذابَ الاستئصال إلَّا إذا كان في معلومِ اللَّه أنَّهم لا يؤمنون، ولا يخرجُ مِن أصلابهم مَن يؤمن.

(٣٨) - ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾: أي: وكان يصنعُ السَّفينة؛ أي: يعملُها، وكلَّما مرَّ عليه أشرافُ قومِه ﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾؛ أي: مِن نوح، وقيل: مِن صنعِه، وقيل: كانوا يقولون: صرْتَ نجَّارًا بعدَ النُّبوَّة، على طريق الاستهزاء. وقيل: السُّخريةُ: إظهارُ خلافِ الإبطان على جهةٍ يُفهَم منها استضعاف عقلِ مَن يُسْخَر منه، ومنه التَّسخيرُ، وهو التَّذليل والاستضعاف. ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا﴾ في الدُّنيا ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ في الآخرة إذا نزل بكم العذاب[١].

(٣٩-٤٠) - ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: أي: فسوف تعلمون أيُّنا يأتيه عذابٌ يخزيه، وقيل: فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه؛ أي: يفضحه، وهو الغرقُ، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾؛ أي: يجب عليه عذابٌ دائم؛ أي: عذاب الآخرة. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾؛ أي: حضر وقتُ مجيء أمرِنا بإهلاكِهم ﴿وَفَارَ﴾؛ أي: ارتفع الماء من الأرض لشدَّةِ الاندفاعِ ﴿التَّنُّورُ﴾ قيل: كان تنورًا لحوَّاء، حتَّى صار إلى نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقيل له: إذا رأيْتَ

(١) والتيسير في التفسير (٨/ ١٩٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٥٠)، ومعالم التنزيل (٤/ ١٧٤).

الماءَ يفورُ مِن التَّنُّور فاركبْ أنت وأصحابُك السَّفينة، وقيل: تنور الخابزة في منزل نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: التَّنُّورُ وجهُ الأرض، وقيل: ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾؛ أي: انبجسَ من وجه الأرض. ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾: أي: من كلِّ صنفٍ من البهائم والسباع ودوابِّ البر والبحر والهوامِّ والطُّيور ﴿اثْنَيْنِ﴾ أي: ذكر وأنثى، وهو مفعولٌ وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملها في السفينة(١)، ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: واحملْ أهلَكَ، وهم أولادُه ونساؤُه. ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾؛ أي: الوعيد. وقيل: أي: الحكمُ بالهلاك، وهذا المستَثنى ابنُه كنعان وامرأتُه. ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾؛ أي: واحملْ مَن آمنَ، أي: والَّذين آمنوا. ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ثمانون نفسًا(٢).

(٤١-٤٢) - ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ﴾؛ أي: وقال نوحٌ: اركبوا في السَّفينة، وهو الأظهر. ﴿مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ ﴿مَجْرَاهَا﴾ بفتح الميم ومعناه: جريانها. ﴿وَمُرْسَاهَا﴾ وهو من الإرساء، وهو الثَّبات، وله ثلاثة معانٍ أيضًا: الإثبات، وموضع الإثبات، ووقت الإثبات. ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي: غفورٌ لنا رحيمٌ بنا، يسترُ علينا الزلَّات، ويرحمنا بالنَّجاة. ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾: أي: ركبوا في السَّفينة فجرَتْ بهم في أمواجٍ عظيمةٍ هائلةٍ تشبه الجبال؛ أي: كانت الأمواج ترفع السَّفينة، وكانت السَّفينة كالموج العظيم الَّذي يشبه الجبال.

---

(١) تفسير الجلالين(١/ ٢٩٠)، والكشف والبيان (٥/ ١٦٦)، والبسيط (١١/ ٤١٤).

(٢) جامع البيان (١٢/ ٤٠٤)، تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٨).

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾: أي: كان معتزلًا عنه: ﴿يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ولم يقل: من الكافرين؛ لأنَّ حالَته كانت ملتبِسةً عليه؛ لأنَّه كان ينافقه، وقيل: علِمَ كفرَه، ولكن معنى ندائه: يا بُنَيَّ أسلِمْ ولا تكن ثابتًا على الكفر مع الكفَّار، واركبْ معنا تسلَمْ.

(٤٣) - ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾: أي: قال ابنه كنعان: سألتجئ إلى جبل يمنعني من الماء ويمسكني. ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: أي: لا مانعَ اليومَ من عذاب اللَّهِ الَّذي نزلَ بأمرِه ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾؛ أي: إلَّا اللَّه الَّذي قد رحمنا بها آمنَّا مِن الغرق. وقيل: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾؛ أي: إلَّا مَن رحم اللَّهُ، وإنَّما يرحمُ اللَّهُ مَن أسلَمَ، فأسلِمْ تسلَمْ، وكان هذا حين فار التَّنُّور قبلَ أنْ يصيرَ الغرقى بحالٍ يعاينون أسبابَ الآخرة، فيكونَ إيمانُهم إيمانَ يأسٍ. ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾: قيل: أي: حالَ بينَ كنعان وبين الالتجاء بالجبل الموجُ، وقيل: حالَ بينَ نوحٍ وبينَ ابنِه الموجُ. ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾:أي: صارَ من المغرقين، أو كان في علمِ اللَّه تعالى أنَّه يغرق(١).

(٤٤) - ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾؛ أي: نشِّفي ماءَك الَّذي يخرج منك ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾؛ أي: احبسي ماءَك، ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾؛ أي: نقصَ ونشَّفته الأرض، وصار ما نزل من السَّماء هذه البحورَ، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: تَمَّ أَمْر هَلَاك قَوْم نُوح ﴿وَاسْتَوَتْ﴾ أي: وَقَفَتْ السَّفِينَة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ جَبَل بِالْجَزِيرَةِ بِقُرْبِ

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٧١)، ولطائف الإشارات (٦/ ١٣٤)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢٠٧).

الْمُوصِل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هَلَاكًا ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الْكَافِرِينَ.

(٤٥) - ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾: أي: دعا اللّهَ تعالى فقال: ربِّ؛ إنَّ ابني مِن أهلي، وقد وعدتني إنجاءَ أهلي، ووعدُك الصِّدق لا خُلْفَ فيه، وأنت الحاكمُ بالعَدْل لا يشوبُ حكمَكَ زللٌ ولا خطأٌ فترجعَ، وقد حكمْتَ بإنجاء أهلي، وهذا ابني مشرِفٌ على الهلاك، فعرِّفني السَّبب فيه لأكونَ على علمٍ، فيسكنَ له قلبي.

(٤٦-٤٨) - ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ النَّاجِينَ أَوْ مِنْ أَهْلِ دِينِكَ ﴿إِنَّهُ﴾ أَيْ سُؤَالُكَ إِيَّايَ بِنَجَاتِهِ ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فَإِنَّهُ كَافِرٌ وَلَا نَجَاةَ لِلْكَافِرِينَ ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ﴾ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ مِنْ إِنْجَاءِ ابْنِكَ ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بِسُؤَالِكَ مَا لَمْ تَعْلَمْ. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾؛ أي: أنْ أعودَ إلى ما لا أعلمُ بالإذن في سؤالِه. ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: أي: وإنْ لم تسترْ عليَّ ما مضى من هذا السُّؤال، ولم ترحمني بقَبول إنابتي، أكنْ مِن الهالكين. وهذا ثناءٌ مِنَ اللّهِ تعالى على نبيِّه نوح، وتعريفٌ لنبيِّه محمَّد صلَّى اللّه عليهما وسلَّم تعظيمَ الأنبياء قبلَه أمرَ اللّهِ، وتوَقِّيهم عن تقصيرٍ يقعُ منهم أو انبساطٍ وإنْ قلَّ.

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ انْزِلْ مِنَ السَّفِينَةِ ﴿بِسَلَامٍ﴾ بِسَلَامَةٍ أَوْ بِتَحِيَّةٍ ﴿مِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ خَيْرَاتٍ ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ فِي السَّفِينَةِ أَيْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿وَأُمَمٌ﴾ بِالرَّفْعِ مِمَّنْ مَعَكَ ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿ثُمَّ

﴿يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الْآخِرَة وَهُمْ الكفار[١].

(٤٩-٥٠) - ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾: أي: هذه الأنباءُ مِن أنباءِ الغيبِ؛ أي: مِن أنباءِ الأممِ السَّالفة التي يَغيبُ العلمُ بها عمَّن لم يعرِّفْه اللَّهُ تعالى. ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾: نقصُّها عليك؛ لِتَقِفَ عليها ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن، والمعنى: بعدَ أنْ كُنْتَ أنتَ وقومُكَ لا تعلمُونها، إذْ كنتم أُمِّيِّين ﴿فَاصْبِرْ﴾؛ أي: على ما أُمِرْتَ به ونُهِيْتَ عنه. ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: قيل: اتَّقَوا الشِّرك، وقيل: أي: الذين اتَّقَوا الشِّرك والمعاصيَ لهم العاقبةُ الحميدةُ المطلقة.

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾: عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ وقوله: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ على اللَّهِ في إضافتكم إليه الشُّركاء.

(٥١) - ﴿يَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾: أي: خلَقَني. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما أقولُ لكم فتتدبَّروه، فيتبيَّنَ لكم صِدْقي، وقيل: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ يحتمِلُ: في تسميتِكُم الأصنامَ آلهةً، ويحتمِل: في قولِكم: اللَّه أمرنا بها، ويحتمِل: في إنكارِكم الرِّسالة، أو البعْثَ بعدَ الموت، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ اللَّهَ واحدٌ، وأنَّه ربُّ كلِّ شيءٍ[٢].

(٥٢) - ﴿وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ قدَّم الاستغفارَ على التَّوبة لأنَّ المغفرةَ هي الغرضُ، والتَّوبةَ سببٌ يُتوصَّلُ به إليها، فقدَّمَ ذِكْرَ الغرضِ

---

(١) تفسير الجلالين(١/ ٢٩٣)، والكشف والبيان (٥/ ١٧٤).

(٢) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٤٢)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢١٧).

على السَّببِ، وقيل: استغفروا بالإيمان، ثمَّ ارجعوا بأعمالِكم وأموالِكم إليه دونَ غيرِه. ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: أي: يُرسِل المطرَ في وقتِه مدرارًا لا ينقطع، والمدرارُ: الكثيرُ الذي لا ينقطع، قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿مِّدْرَارًا﴾ أي: متتابعًا. ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾: أي: يَهَبْ لكم أموالًا وأولادًا زيادةً على ما حصلَ عندَكم اليومَ مِن ذلك، فتقدروا على دفعِ أعدائِكم بكثرةِ عددِكُم، وكانوا في قوَّةٍ فوُعِدوا الزِّيادة على ذلك. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾: أي: لا تُعرِضوا عن الإيمان مُذْنِبين (١).

(٥٣) - ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: أي: بحجَّةٍ واضحةٍ على دعوى رسالَتِكَ لِتُلْزِمَنا تصديقَكَ والانقيادَ لك. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾؛ أي: مِن أجلِ قولِك؛ كما يُقال: كسوْتُكَ عن عُرْيٍ؛ أي: مِنْ أجلِ عُرْيِكَ، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي: بمصدِّقين.

(٥٤ - ٥٥) - ﴿إِن﴾ مَا ﴿نَّقُولُ﴾ فِي شَأْنك ﴿إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾ أَصَابَكَ ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ فَخَبَلك لِسَبِّك إِيَّاهَا فَأَنْت تَهْذِي ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ عَلَيَّ ﴿واشهدوا أني برىء مما تشركون﴾ به ﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي﴾ احْتَالُوا فِي هَلَاكِي ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثم لا تنظرون﴾ أي: تمهلون.

(٥٦) - ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾: أي: فوَّضتُ أمري إلى اللَّهِ تعالى، مدبِّري ومدبِّركم، ومُقِيمي ومُقِيمكم، لا أعتمدُ إلَّا عليه، ولا أخافُ غيرَه؛ إذ كلُّ شيءٍ في قبضةِ قدرَتِهِ وسلطانِه. ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾: أي:

---

(١) جامع البيان (١٢/ ٤٤٤)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢١٨).

ما مِن نفسٍ تَدِبُّ على الأرض إلَّا هو قاهرٌ لها مصرِّفٌ لها على ما يريدُه بها، والأخذُ بالنَّاصية كنايةٌ عن الإذلالِ والقَهْر، وكانت العربُ إذا أسرَتْ رجلًا فأرادَتْ إطلاقَه جزَّت ناصيتَه، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أي: إنَّ ربِّي يدلُّ على صراطٍ مستقيمٍ. وقيل: يحثُّ عليه. وقيل: يحملُكم عليه، وقيل: إنَّ ربِّي على الحقِّ لا يَعدلُ عنه.

(٥٧) - ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أصلُه: فإن تتولَّوا، سقطَتْ إحدى التَّاءين تخفيفًا؛ أي: فإنْ تُعرِضوا بعدَ هذا عن الإيمان باللَّه لم يلزمْني مِنْ تَبِعَةِ إعراضِكُم شيء. ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾: مِن الدُّعاء إلى الإيمان ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾؛ أي: ويهلكُكم اللَّهُ بعدَ هذا، ويجعلُ غيرَكم خَلَفًا عنكم. ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾: ولا يدخلُ مُلْكَه بإهلاكِكم نقصٌ، ولا تقدرون على أن تضرُّوه أو تضرُّوا أولياءَه بكيدِكُم. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: أي: لا يخفَى عليه شيءٌ، ولا يذهبُ عنه شيءٌ، ولا يفوتُه[(١)].

(٥٨) - ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: أي: أمرُنا بإهلاكِ عادٍ ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾؛ أي: شديد، وأصله: الكثيف الثَّقيل، وهو ها هنا استعارةٌ عن الشِّدَّةِ والهولِ، وهو ما نزلَ بهم مِن عذابِ الدُّنيا. وقيل: هو عذابُ الآخرة أيضًا في حقِّ المؤمنين. ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ أي: ببعثِ هودٍ إليهم حتَّى اتَّبعوه فنجَوا لذلك، وقيل: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾؛ أي: بتوفيقنا إيَّاهم للإيمان حتَّى نجَوا به، ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: شديد.

(٥٩) - ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بالنَّبيِّ والحُجج ﴿وَعَصَوْا

---

(١) التيسير في التفسير (٨/ ٢٢٢).

﴿رُسُلَهُ﴾ لأنَّهم إذا عصَوا هودًا فقد عصَوا كلَّ الرُّسل؛ لأنَّ كلَّ الرُّسل يدعون إلى اللَّه تعالى، فعصيانُ واحدٍ منهم عصيانُ الكلِّ. ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: أي: كلِّ متكبِّر مخالف؛ وهم رؤساؤهم، وقيل: الجبَّار: الَّذي يقهَرُ النَّاسَ ويُجْبِرُهم على ما أراد، وفي الآيةِ تسليةُ النَّبيِّ ﷺ فيما كان يقاسي مِن البلاء، وتقويةٌ للمؤمنين فيما نُدبوا إليه مِن حُسْنِ الرَّجاء، والوعدُ بتبديل ما كانوا يلقونَه مِن الشِّدَّة والرَّخاءِ.

(٦٠) - ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: أُلحقوا، واللَّعنة: الطَّرد، ومعناه: لُعِنوا في الدُّنيا والآخرة، طُرِدوا وبُعِّدوا عن رحمةِ اللَّه. ثمَّ بيَّن السَّبب فقال: ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾: أي: هلاكًا[(١)].

(٦١) - ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: أي: ابتدأ خلقَكم من الأرض، فخلقَ أباكم آدم مِن التُّراب، وجعلَكم عمَّارَها؛ أي: سكَّانها، وعامر الأرض: ساكنها، وقيل: أي: القائمين بعمارتها بالزِّراعة والغرس والبناء والحفر. ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾: أي: اسألوا مغفرتَه بالإيمان ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾؛ أي: ارجعوا إليه بالنَّدم وسؤال الثَّبات. ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾:

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٤٦)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢٢٣)، والكشف والبيان (٩/ ٢٨٧)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٣٧٧)، والبسيط (١٤/ ٢١٠)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٠٥)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٩٠).

أي: إلى مَن رجاه ﴿مُجِيبٌ﴾ لمن دعاه[١].

(٦٢) - ﴿قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾: أي: كنَّا نرجوك للانتفاع بك، ونتوقَّع القوَّة فيما بيننا مِن جهتك، فأُخْلِفَ رجاؤُنا. ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: الَّذين كانوا أكملَ عُقولًا منَّا، وأبصرَ بالأمور كلِّها، وهو استفهامٌ بمعنى الإنكار. ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: أي: في شكٍّ مُريبٍ مُوقِعٍ للرِّيبة فيك؛ أي: التُّهمة؛ أي: ونحن فيما تدعونا إليه مِن ترك عبادة آلهتنا وإفرادِ ربِّك بالعبادة في شكٍّ يوجِبُ اتِّهامك فيما تضيفه إلى اللَّهِ تعالى؛ إذْ ليسَ يجوزُ أنْ يكونَ آباؤنا يجهلونَ الحقَّ ويتركون الدِّين الَّذي يرضَى اللَّهُ تعالى به.

(٦٣-٦٤) - ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بَيَان ﴿مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نُبُوَّة ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي﴾ أي: يَمْنَعني ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أَيْ عَذَابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بِأَمْرِكُمْ لِي بِذَلِكَ ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ أي: غير تَضْلِيل. ﴿وَيَاقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ أي: إنْ شككْتم في أمري فهذه آيةُ اللَّهِ معجزةٌ تبيِّن لكم صدقَ نبوَّتي. والآيةُ فيها أنَّ اللَّهَ تعالى أخرجَها لهم من الصَّخرة وهم يشاهدونها، وخرجَتْ وهي حاملٌ كما طلبوا، وكانت تشربُ يومًا تنفردُ به ولهم يومٌ وتأتي هي المرعى يومًا والوحشي يومًا، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾: قيل: بمنعٍ عن الشُّربِ، وقيل: بعَقْرٍ. ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: أي: عاجلٌ إنْ مَسَسْتموها بسوء.

(٦٥) - ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أي: فعقرَها أخو ثمود قُدار بن سالف، ومعه مِصْدَع

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٧٦)، والنكت والعيون (٢/ ٤٧٩)، والبسيط (١١/ ٤٥٥).

بن مَهْرَج. ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾: أي: بلدكم. وقيل: أي: في دار الدُّنيا، ولو أراد بها المنازل لقال: في دياركم. أي: أمهلَكُم اللَّهُ تعالى ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ بلا زيادةٍ، ثمَّ تُعذَّبون، وهو العذابُ القريبُ الَّذي ذكرْتُ لكم. ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾: أي: مكذوبٍ فيه.

(٦٦) - ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: أي: بالعذاب ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾؛ أي: أخرجناهم مِن بينهم. ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ نجيناهم. ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ الخزيُ: الفضيحةُ بالعذابِ المُهين المستأصِل. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾: أي: القادر على إهلاك مَن يريد، المنيعُ سلطانُه مِن أنْ يغالبَه العبيد. وقيل: ﴿الْقَوِيُّ﴾ في نصرة أوليائِه، ﴿الْعَزِيزُ﴾: المنتقِم مِن أعدائه لأوليائِه.

(٦٧) - ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾: يُقال: صاحَ بهم جبريل، ويُقال: الصيحةُ: النِّداء بوقوع العذابِ ونزولِ الصَّاعقة. وقيل: هو الصَّوت الهائل الذي يجيء فلا تتمالكُ له القلوب، بل تنفطرُ وتنخلع، فيموت السَّامعون لها. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: أي: صاروا. ﴿جَاثِمِينَ﴾؛ أي: ساقطِيْن على الوجوه. وقيل: ساقطين على الرُّكب، وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ميِّتين[١].

(٦٨-٦٩) - ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾؛ أي: كأنْ لم يقيموا فيها، غَنِيَ بالمكانِ: إذا أقامَ به. ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾: فبذلك استحقُّوا هذا العذاب ﴿أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾؛ أي: هلاكًا.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾: ﴿رُسُلُنَا﴾؛ أي: الملائكة، قال

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٥٢)، التيسير في التفسير (٨/ ٢٣٢)

ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: جبريل وملكان.، والبشارة كانت بهلاك قوم لوط عَلَيْهِٱلسَّلَامُ. وقيل: البشارة بأنَّ اللَّهَ تعالى يهَبُ له إسحاق ولدًا، ويجعله رسولًا إلى عبادِه، وبعدَه يعقوب نافلة. ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: أي: أظهَروا سلامًا، أو: قدَّموا سلامًا، وما يجري مَجراه. وقيل: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: أي: عليكم سلامٌ. ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: قال عليكم سلام، أو أظهرت لكم سلامًا ﴿فَمَا لَبِثَ﴾؛ أي: فما مكَث ﴿أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: أي: وَلَد بقرةٍ، سُمِّي به لتعجيلِ أمرِهِ بِقُرْبِ مِيلادِه(١). وقيل: أي: وقيل: هو السَّمين الَّذي يسيل منه الوَدكُ - الدهن(٢).

(٧٠) - ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾: أي: لمَّا رآهم لم يمدُّوا أيديَهم إلى الطَّعام للأكل ﴿نَكِرَهُمْ﴾؛ أي: أنكرهم، ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: أي: أضمرَ، وقيل: أي: أحسَّ. ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾: لمَّا علمَتِ الملائكةُ أنَّه استشعرَ خوفًا منهم أمَّنوه بأنْ كشفوا له الأمر فقالوا: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾؛ أي: لإهلاكهم.

(٧١) - ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ هي سارة بنت هاران بن ناحور، بنت عمِّ إبراهيم بن آزر بن ناحور. أي: كانت قائمةً مِن وراء السِّتر تنظرُ إلى الملائكةِ وإبراهيم. وقيل: كانت قائمةً على رؤوسِهم تخدمُهم على الطَّعام، وكانت عجوزًا فلم يكنْ

---

(١) بسيط (٩/ ٢١٦)، وجامع البيان (١٢/ ٤٦٤)، وتفسير مقاتل (٢/٢٨٩) والكشف والبيان (٤/ ٢٥٢)..

(٢) جامع البيان (١٢/ ٤٧٠)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ١٥٤)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢٣٦).

بذلك بأسٌ، حكاه الإمامُ أبو منصور رحمه اللَّه، وقال: لسنا ندري أين كانت قائمة.

﴿فَضَحِكَتْ﴾ قيل: ضحكَتْ تعجُّبًا لِمَا أشرفَ من العذاب على قوم لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهم غافلون، وقيل: ضحكَتْ سرورًا بما زالَ مِن الرَّوع عنها وعن إبراهيم بظهورهم ملائكةً. وقيل: أي: حاضَتْ، تقولُ العربُ: ضحكَتِ الأرنبُ: إذا حاضَتْ. ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾: أي: على ألسنةِ الرُّسلِ -وهم الملائكة- بولدٍ اسمُه إسحاق، ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أي: ومن بعد إسحاق ولده يعقوب تَعِيش إِلَى أَنْ تراه[(١)].

(٧٢) - ﴿قَالَتْ يَاوَيْلَتَى﴾: لَمَّا بُشِّرَتْ بإسحاق تعجَّبَتْ، فقالَتْ: يا ويلتَا، فافتتحَتْ بالدُّعاء بالويل على ما جرَتْ به العادة، وكأنَّها قالَتْ: يا عجبًا. ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾: أي: مُسنَّة، ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾: أي: زوجي، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: ولم يكن هذا إنكارًا لقدرةِ اللَّهِ تعالى، بل هذا ممَّا يَرِدُ مثلُه على النَّفس إذا سُمعَ بغتة، على ما عليه طبعُ البشريَّة، وقد يكون التَّعجُّب من جهة تمنِّيها لسرعة كون ذلك، فتقول: أنَّى يكون هذا؟ فمتى يكون قريبًا أو بعيدًا؟ وأُحوَّل شابَّة وزوجي شابًّا، أو نكون على حالِنا؟ فإنَّه عجبٌ عادة.

(٧٣) - ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: أي: لا عجبَ أنْ يَرزقَ اللَّهُ مثلَكُما ولدًا. ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: يحتمِلُ أن يكون إخبارًا؛ أي: أنتم أهلُ بيتٍ نزَّل اللَّه عليكم الرَّحمة والبركات بما آتى مِن النُّبوَّة وتمَّمَ مِن النِّعمة.

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٥٥)، تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٥)، ومجاز القرآن (١/ ٢٩٣)، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٦٣).

﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ أي: محمودٌ كريمٌ، وقيل: أي: محمودٌ على نعمِه عند خلقِه، وكريمٌ منعِم على عبادِه، فأنتم أولى بهذه النِّعمة إذ كنتم أهل خلَّته وموالاته.

(٧٤) - ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾: أي: الخوف، ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ أي: بالولد أخذ، ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾: أي: جعل يجادلهم، أي: يجادلُ رسُلَنا مِن الملائكةِ، وقيل: جادلَهم ليعلَمَ بأيِّ شيءٍ استحقُّوا عذاب الاستئصال، وهل ذلك واقعٌ بهم لا محالة، أم على سبيل الإخافة لِيُقبِلوا إلى الطَّاعة؟، وقيل: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾؛ أي: يسألُنا إمهالَهم رجاءَ أنْ يسلِموا، أو سمَّاه جدالًا لأنَّه كان يحرص في السُّؤال حِرْصَ المجادل عنه[(١)].

(٧٥-٧٦) - ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ أي: كثير الأناة ﴿أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ أي: رجَّاع: إلى اللَّهِ جَلَّجَلَالُهُ بالإخلاص، وهذا مدحٌ له وبيانٌ أنَّ سؤالَه كان عن رحمةٍ ورِقَّةٍ، ولم يكن معارَضةً ولا اعتراضًا على قضيَّةٍ. ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: أي: قيل له: تولَّ عن هذا الجِدال والسُّؤال؛ لأنَّ العذابَ نازلٌ بهم لا محالةَ. ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: أي: عذاب ربِّك، وقيل: أمرُ اللَّه تعالى بالعذابِ. ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: أي: سيأتيهم عذابٌ لا يُرَدُّ ولا يُدفَع بالشَّفاعة، فسَكَتَ وتركَ السُّؤال[(٢)].

(٧٧) - ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾: أي: ساءَه مجيئُهم؛ أي:

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٥٨)، ومعالم التنزيل (٤/ ١٩٠)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢٤١).

(٢) لطائف الإشارات (٢/ ١٤٧)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢٤٣).

حزَنه، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾؛ أي: ضاقَ نفسُه عن هذا الحادث، أي: لمَّا صار هؤلاء الملائكةُ مِن عند إبراهيم إلى لوط في صورة البشر، ورآهم حِسانَ الوجوه، خافَ عليهم مِن قومِه أنْ يقصدوهم في منزلِه ولا يمكنُه دفعُهم، ولم يمكنْه التَّصريح به للأضياف، وساءَه وضعفَ عنه احتمالُه. ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: أي: شديد.

(٧٨) - ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: أي: يُسرعون في المشي، وقيل: يسعون، وإنَّما أسرعوا إلى الأضياف لمَّا أعلمتهم امرأة لوط -وكانت كافرةً- فقالَتْ: ما رأيْتُ أحسنَ وجوهًا، ولا أطيبَ ريحًا، ولا أنظفَ ثيابًا منهم. ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: كنايةٌ عن إتيانهم الذُّكْران. ﴿قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: قال مجاهدٌ: بناتُ قومي؛ لأنَّ النَّبيَّ كالأبِ لقومِه، وأزواجُه أمَّهاتُهم، وأولادُهم كأولادِه، وقيل: أرادَ بنات صُلْبِه. ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾؛ أي: أحلُّ لكم بالنِّكاح. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾: أي: لا تُخجلوني في أضيافي، ولا تفضحوني فيهم. ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾: أي: مهتدٍ إلى طريق الحقِّ، فينهاكم عن هذا، ويدفعَكم عن أضيافي[(١)].

(٧٩-٨٠) - ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أي: لسنَ لنا بزوجات، وقيل: أي: ما لنا فيهنَّ مِن حاجةٍ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾: مِن إتيان الذُّكور. ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: أي: عُدَّة، وجوابُه محذوفٌ، وهو أبلغ؛ لأنَّ النَّفس تذهبُ فيه كلَّ مذهب. وقيل: هو كلمة تمنٍّ؛ أي: ليتَ لي بكم قوَّة. ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: مجازٌ عن عشيرةٍ يلتحقُ بهم ويستعينُهم.

(١) جامع البيان (١٢/ ٥٠٠ - ٥٠١)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٧)، وتفسير مقاتل (٢/ ٢٩٢).

(٨١) - ﴿قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ أي: إنَّ ركنَكَ لشديدٌ، وإنَّا رُسُلُ ربِّك أُرسِلْنا لإهلاك قومِكَ، فلا تخفْ، فلن يصلوا إليك بمساءَةٍ فينا. ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: بطائفةٍ مِن اللَّيل، وقيل: ببقيَّة من اللَّيل، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أي: لِئَلَّا يرى عَظِيم مَا يَنْزِل بِهِمْ: وقرئت ﴿إِلَّا امْرَأَتُكَ﴾ اسْتِثْنَاء مِنْ الْأَهْل أَيْ فَلَا تَسْرِ بِهَا ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾: مِن العذاب؛ لأنَّها كافرةٌ مثلهم. فقال لوط لجبريل: متى وقتُ هلاكهم؟ قال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ فقال لوط: أريدُ أسرَعَ مِن ذلك، فقال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾: استفهامٌ بمعنى الإثبات[(١)].

(٨٢-٨٣) - ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: أي: العذاب الَّذي أَمَرْنا به ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾؛ أي: جعلَ جبريلُ أعلى قريتِهم سافلَها بأمرِنا، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾: أي: وأمطرنا عليهم بعد التَّقليب أحجارًا من سِجِّيل أي: طين طبخ بالنار. ﴿مَنْضُودٍ﴾؛ أي: يتبعُ بعضُها بعضًا. وقيل: كانت منضودة في السَّماء معدَّة. ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: معلَّمةً في خزائن اللَّه تعالى الَّتي لا يُتصرَّف فيها إلَّا بإذنِهِ بعلاماتٍ تعرفُها الملائكةُ إذا أُمِرُوا أنْ يمطروها، وقيل: أي: مختومةً. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: لم تكنْ لتُخطئَهم. ﴿بِبَعِيدٍ﴾؛ أي: بمكان بعيد[(٢)].

---

(١) جامع البيان (١٢/ ٥٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٥)، والكشف والبيان (٥/ ١٨٣)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢٤٩).

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤)، والبسيط (١١/ ٥١٦)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ١٦٥)، ومعالم التنزيل (٤/ ١٩٤).

(٨٤) - ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾: كانوا مشركين، فدعاهم إلى التَّوحيد وإخلاص العبادة للَّه تعالى، ثمَّ نهاهم عن ظلم النَّاس في الكيل والوزن، وحذَّرهم سوء عاقبتِه. ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾: أي: أراكم في الخِصْب وسَعَةِ الرِّزق، وكثرة النِّعم، ورُخْص الأسعار، على وجهٍ لا ضرورةَ بكم معه إلى نقصِ الكيل والوزن، فاستَبْقُوا نعمةَ اللَّه عليكم. ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾؛ أي: محيطٍ بكم عذابُه، والمعنى: إنِّي أخاف عليكم إنْ تلقَّيتم هذه النِّعم بالكُفْران وظلمِ النَّاس أنْ يأتيَكُم عذابُ يومٍ محيطٍ بكم، فلا تتخلَّصوا عنه.

(٨٥) - ﴿وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: أي: أتمُّوها بالعَدْلِ. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: أي: ولا تنقصوا النَّاس ما استحقُّوه عليكم بالعقود. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: العِثِيُّ: المبالغةُ في الإفسادِ، وجعلَ هذه المعاملةَ إفسادًا في الأرض لأنَّه تبديلُ حكمِ الدِّين، واللَّهُ تعالى أصلحَ الأرضَ بالأمرِ بالمعاملات الَّتي إذا عملوا بها اعتدلَتْ أحوالُهُم، وزالَ التَّظالم عنهم، فمَن غيَّر هذا فقد أفسد.

(٨٦) - ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: أي: ما يبقيْهِ اللَّهُ تعالى لكم بعدَ إيفائِكُم حقوقَ النَّاس بالقِسْط في الكيل والوزن أحمدُ عاقبةً، وأكثرُ بركةً ممَّا تبقونه لأنفسِكُم مِن فضلِ الخيانة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي: رَقِيب أُجازِيكُم بِأَعْمَالِكُمْ إنَّمَا بُعِثْت نَذِيرًا، وقيل: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾؛ أي: بمسلَّطٍ عليكم أجبركم على هذا، وإنَّما أنا مبلِّغٌ منذِرٌ.

(٨٧) - ﴿قَالُوا يَاشُعَيْبُ﴾: كان شعيبٌ صلوات الله عليه يصلِّي الصَّلوات، وكانوا يقولون له: ما تستفيدُ بهذا؟ فكان يقول: إنَّها تأمر بالمحاسِنِ وتنهى عن المساوئ، ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾؛ أي: تأمرُنا بترْكِ عبادةِ ما كان يعبدُ آباؤنا، وأنْ نتركَ التَّبسُّط في أموالنا بما نشاءُ مِن إيفاءٍ ونَقْصٍ؟ ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾؛ أي: السَّفيه الضَّالُّ، وقيل: معناه: إنَّك عندَنا حليمٌ رشيدٌ، ولسْتَ تفعلُ بنا ما يقتضيه حالُك، فتسفِّهُنا وتمنعُنا عمَّا كان عليه آباؤنا العقلاء، وهذا ليس بفعل الحليم الرَّشيد.

(٨٨) - ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾: أي: على حجَّة وبيان في التَّوحيد والصَّلوات. ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: أي: أعطاني ذلك مِن عنده عطاءً حسنًا. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾: أي: أخالفَكُم في تركِ ما أمرتُكم به ميلًا إلى فعلِ ما أنهاكُمْ عنه، بل لا آمرُكم بشيءٍ إلَّا عملْتُ به، ولا أنهاكم عن شيءٍ إلَّا انتهيْتُ عنه. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾: أي: ما أُريدُ إلَّا الإصلاحَ في الأرض ما قدرْتُ عليه. ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾: أثبتَ الإرادةَ والفعلَ مِن نفسِه، والتَّوفيق مِن ربِّه، وهو الجمعُ بينَ الطَّاعة والاستطاعة. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أي: عليه اعتمدْتُ لَمَّا كان لا يَتِمُّ شيءٌ إلَّا بتوفيقِه، وأُنيبُ إليه في المستقبلِ؛ أي: أرجعُ إليه في تمام ما أَنويه.

(٨٩-٩١) - ﴿وَيَاقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾: أي: لا يحملنَّكُم. وقيل: أي: لا يكسبنَّكم شقاقي؛ أي: معاداتي ومخالفتي. ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾: أي: لا يحملنَّكم ذلك أنْ تُصِرُّوا على الكفرِ،

فيصيبَكُم مثلُ ما أصابهم. ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾: أي: لم يبعدِ العهدُ بما جَرَى عليهم[١] ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بمن استغفرَه وتابَ إليه ﴿وَدُودٌ﴾ محب لهم. ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: أي: لا نفهمُ لأنَّك تُحِيْلُنا على أمورٍ غائبةٍ. ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي: مَهينًا، وقيل: أي: ضعيفَ البصر، وقيل: أي: ضعيف البدن، وقيل: أي: لا مالَ لك ولا أعوان، فلا تقدِر أنْ تحملَنا على مرادِكَ، ولا تُمنع عنَّا إن قصدْناكَ. ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: أي: عشيرتُكَ، وهم على ديننا. ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: قيل: لرمَيْناكَ بالحجارةِ، وقيل: لسبَبْناكَ، وقيل: لقتلْناكَ. وقيل: لطردْناكَ، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: أي: في نفسِك، وإنَّما نُعِزُّ رَهْطَكَ، ونكرَهُ إبخاسَهُمْ فيك.

(٩٢) - ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: أكرمُ عندَكم وأعزُّ مِنَ اللَّهِ الَّذي بعثني إليكم، وألزَمكُم إعزازي والانقيادَ لي؟ استفهامٌ بمعنى الإنكار. ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: أي: جعلتُم أمرَ اللَّهِ ظهرًا؛ أي: تستخفُّون به فلا تسمعون مواعظَه، وتكذِّبون بآياتِه، ولا تأتمرون بأمرِه، وتعبدونَ غيرَه. ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ يعني: عالم بالكليَّة، يجازيكم عليها.

(٩٣) - ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾: أي: اثبتُوا على ما أنتم عليه، فإنِّي عاملٌ على مكانتي؛ أي: منكم العصيان، ومنِّي الإبلاغ، وهو صيغةُ أمرٍ معناه التَّهديد. وقيل: أي: اعملوا فقد مُكِّنْتُم في الدُّنيا من العمل. وقيل: أي: على

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ١٥٢ - ١٥٣)، والنكت والعيون (٢/ ٤٩٨)، وجامع البيان (١٢/ ٥٥١)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٧٤).

تمكُّنٍ منكم مِن عملِكم وتثبُّت فيه، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾: أي: سوف تعلمون الَّذي يأتيه عذابٌ يفضحُه، والَّذي هو كاذب. ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: أي: وانتظروا ما يكون مِن حكمِ اللَّهِ تعالى بيني وبينكم، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: منتظِرٌ مراقبٌ لكم.

(٩٤ - ٩٥) - ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بِإِهْلَاكِهِمْ ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ صَاحَ بِهِمْ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ بَارِكِينَ عَلَى الرُّكَب مَيِّتِينَ، ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ أي: كأنهم لم يقيموا فيها، أي: هلَكَ كلُّ واحدٍ مِن الفريقَيْنِ بالصَّيحةِ.

(٩٦ - ٩٧) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: الآياتُ والسُّلطانُ واحدٌ عندَ بعضِهم، وهو المعجزات، لكن كُرِّرَ لاختلافِ الصِّفتَيْنِ؛ لأنَّها سمِّيَتْ آياتٍ مِن جهة العبرة العظيمة، وسمِّيت سلطانًا من جهةِ القوَّة العظيمة، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: أي: الأشراف مِن قومِه، والإرسال إليه يكون إرسالًا إلى العامَّة. ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: في كلِّ ما أمرَ به ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾؛ أي: بمؤدٍّ إلى الحقِّ والصَّواب(١).

(٩٨) - ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؛ أي: يتقدَّمهم، فيكون قُدَّامهم وهم خلفَه؛ لأنَّهم رضُوا بأن يكون قائدَهم في الدُّنيا إلى خلافِ ما دعا إليه موسى.

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٧٨)، ولطائف الإشارات (٢/ ١٥٥)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢٦٤).

﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾: أي: يوردُهم إيَّاها، والإيرادُ: الإدخالُ. ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾: أي: المُدْخَل المَدْخُول.

(٩٩) - ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: وأتبعَهم اللَّهُ ما أنزلَ بهم مِن العذاب لعنًا لهم في الدُّنيا، ويوم القيامة يُلعَنون أيضًا في النَّار وقبل دخولها، وهو لعنُ الخلائقِ إيَّاهم في الدُّنيا وفي الآخرة، وقيل: هو الطَّرد في الآخرة عن الرَّحمة، فلم يُرحَموا لا في عذاب الدُّنيا ولا في عذاب الآخرة. ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ هو في اللُّغة لمعنيَيْن؛ الرِّفد: العَوْن، والرِّفد: العطاء، وجعلَه بمقابلةِ ما لأهل الجنَّة مِن المعونة والعطيَّة، كما ذكر البشارة بالنَّار في حقِّ الكفَّار بمقابلة بشارة المؤمنين بالمسارِّ والمبارِّ.

(١٠٠) - ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾: أي: ذلك النَّبأ، وهو الخبر العظيم ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾؛ أي: نخبرُك بأمورِها نُتبعُ بعضَها بعضًا، وهي القُرى الَّتي سكنَها الأمم الخالية، منها ما هو الآن عامرٌ قد بادَ أهلُه وخلَفَهُم غيرُهم ككفار فرعون، ومنها ما هو حصيدٌ؛ أي: مستأصَلٌ خراب؛ كقُرَى قومِ لوطٍ ونحوها. قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿قَائِمٌ﴾: يُرى له أثرٌ، و﴿وَحَصِيدٌ﴾: لا يُرى له أثرٌ(١).

(١٠١) - ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: أي: ما عذَّبناهم بغيرِ ذنبٍ، ولكن ظلموا أنفسَهم بالشِّرك وتكذيب الرُّسل. ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾: أي: فما نفعَتْهم، ولا دفعَتْ عنهم ﴿آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أي:

(١) لطائف الإشارات (٢/ ١٥٦)، وجامع البيان (١٢/ ٥٦٧).

أصنامهم الَّتي اعتقدوها آلهةً معبودة. ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: أي: العذابُ الَّذي أَمَر به. ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ أي: غيرَ تخسيرٍ، وقيل: أي: غيرَ هلاك؛ أي: ما زادتْهم الأصنام إلَّا الخسار والهلاك؛ لأنَّ عبادتهم إيَّاها أفضتْ بهم إلى ذلك.

(١٠٢) - ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مِثْل ذَلِكَ الْأَخْذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أُرِيد أَهْلهَا ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ بِالذُّنُوبِ أَيْ فَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنْ أَخْذه شَيْء ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ قَالَ: "قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: إِنَّ اللَّه لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُول اللَّه ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ الْآيَة[١].

(١٠٣) - ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: أي: فيما فعلْنا بهم وأخبرْنا عنهم عبرةٌ لِمَن اتَّقى وخشِيَ عقوبةَ العُقبى. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: أي: يُجمَع فيه النَّاس، وَحَّدَ النَّعتَ للتَّقدُّم كما يُوحَّد الفعل، والمراد: جمعَ النَّاس وغيرهم فيه من الملائكة والجنِّ والشَّياطين والحيوانات، لكن خصَّ النَّاس بالذِّكر لأنَّهم المقصودون بالجمع. ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: أي: يشهدُه أهلُ السَّماوات وأهل الأرضين.

(١٠٤ -١٠٦) - ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: أي: وما نؤخِّر هذا اليومَ إلَّا لأجلٍ معلومِ العدد عندنا؛ لأنَّه لا يتقدَّم ولا يتأخَّر. ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: أي: لا تتكلَّم، حُذِفَتْ إحدى التَّاءين تخفيفًا؛ أي: لا يشفعُ أحدٌ لأحدٍ إلَّا بإذنِ اللَّهِ تعالى، ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾: أي: فممَّن يُشهَدُ ويُجمَعُ له شقيٌّ

---

(١) البخاري(٤٦٨٦) ومسلم(٢٥٨٣) ينظر: تفسير الجلالين(١/٢٩٩).

ومنهم سعيدٌ. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾: كلمةُ (أمَّا) لتمييزِ نوعٍ مِن نوعٍ، أو شخصٍ مِن شخصٍ. ﴿فَفِي النَّارِ﴾؛ أي: مأواهُم النَّار ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الشَّهيق: أوَّلُ صوتِ الحمار، والزَّفيرُ آخرُه[(١)].

(١٠٧) - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: قيل: الاستثناءُ يرجعُ إلى الموحِّدين منهم؛ لأنَّ الأشقياءَ صنفان؛ كفَّار مخلَّدون فيها، وموحِّدون مذنبون مُخرَجون منها بعدَ مدَّة. قال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾؛ أي: مَن كان منهم مِن أهل القِبلَةِ، فإذا أرادَ اللَّهُ تعالى أخرجَهم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾: أي: حكمه ماضٍ في الفريقَيْن على ما يريدُه، لا اعتراضَ لأحدٍ عليه في حكمِه.

(١٠٨-١٠٩) - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: أي: غير مقطوعٍ أي: أعطاهم الجنَّة عطاءً غيرَ مقطوعٍ، ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: لا تكُ في شكٍّ فيما يعبدُ هؤلاء المشركون مِن دون اللَّه أنَّه باطل، فإنَّهم ما يعبدون إلَّا كما يعبدُ آباؤُهم مِن قبلُ؛ تشبُّهًا بهم، وإبقاءً لعادتهم، لا بحجَّة. ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: أي: أنصباءهم، أي: من العذاب ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ مِن قَدْرِ استحقاقِهم، وقال ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: نصيبَهم مِن خيرٍ أو شرٍّ، والخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمرادُ به الأُمَّة.

---

(١) بحر العلوم (٢/ ١٧١) والكشف والبيان (٥/ ١٨٩)، وتفسير مقاتل (٢/ ٢٩٨)، وجامع البيان (١٢/ ٥٧٧).

(١١٠) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾: أي: في الكتاب؛ وهو التَّوراة، واختلاف قومه فيه كان من ثلاثة أوجه: أحدها: أنَّه آمن به بعضُهم، وكفرَ بعضٌ. والثَّاني: أنهم زادوا فيه ونقصوا منه، وهو ما ذكر من التَّحريف. والثَّالث: في تأويله على ما أحبُّوه، وتقريرُه على مقتضاه. وهذا تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ، يقول: يا محمَّد ﷺ؛ اختُلِفَ فيما أُنْزِلَ عليك، فلا يشقَّنَّ عليك، فقد اختُلِفَ فيما أُنْزِلَ على مَن قبلَكَ. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: قولٌ سبقَ منه؛ لأنَّه لا يعاجلُهم بالعذاب، بل يمهلُهم إلى أنْ يبلغَ الكتابُ أجلَه. ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: بالعذاب المستأصِل. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾: أي: مِن العذاب.

(١١١-١١٢) - ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: ما كلُّهم إلَّا ليوفينَّهم، ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي: عالمٌ، وهو وعدٌ ووعيدٌ للفريقَيْن. ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾: أي: استقمْ على طاعةِ اللَّهِ ﷻ كما أُمِرْتَ به مِن التَّبليغ والإنذار والوعظ والصَّبر على ما قلِّدْته، ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾: أي: وليَستقمْ مَن تابَ معَكَ مِن الشِّركِ ورجعَ إلى اللَّهِ تعالى بأعمالِه مخلصًا بها على إيمانهم وإخلاصِهم. ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾: أي: لا يحملنَّكم إمهالُ اللَّهِ تعالى على مجاوزةِ أمرِه. ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: يرى أعمالَكم، ويعلمُ أسرارَكُم، ويوفي جزاءَكُم[١].

(١١٣-١١٤) - ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾ تَمِيلُوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بِمَوَدَّةٍ أَوْ مُدَاهَنَة أَوْ رِضًا بِأَعْمَالِهِمْ ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ أي: تُصِيبكُمْ ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩ - ٣٠)، ومعاني القرآن" للزجاج (٣/ ٨٢)، وجامع البيان (١٢/ ٥٩٨)، والكشف والبيان (٥/ ١٩٢)، والبسيط (١١/ ٥٧٢).

أَيْ غَيْره ﴿مِنْ﴾ زَائِدَة ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يَحْفَظُونكُمْ مِنْهُ ﴿ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ أي: تمْنَعُونَ مِنْ عَذَابه. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾: الطَّرفان: الغَداة والعَشيُّ، فصلاةُ طَرَفي الغَداة: صلاة الفجر، وطَرَفي العشيِّ: الظُّهر والعصر. ﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾: جمع زُلْفَةٍ؛ وهي المنزلة، وأراد بالزُّلفَةِ: ساعات اللَّيل، وأرادَ بذلك صلاة المغرب والعشاء. ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: الصَّلوات الخمس، أي: إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة، كما جاء في الحديث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وإذا حدثني عنه أحد استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وحدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "ما من مسلم يذنب ذنبًا، فيتوضأ ويصلي ركعتين، إلا غفر له"[(١)]. ﴿ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾؛ أي: عظةٌ للمتَّعظين[(٢)].

(١١٥-١١٦) - ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: واصبرْ على أمرِ اللَّهِ والصَّلاة له؛ كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، فإنَّه إحسانٌ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: المصلِّين، وقيل: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: العالِمين أنَّ الأجرَ على الصَّبر

---

(١) رواه لإمام أحمد في "المسند" (٥١٣)، والبزار في "مسنده" (٤٠٥)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٢٨١٧)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة"(٣٢٣)، وصحح إسناده السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٤٨٥).

(٢) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٩٤)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢٨٤)، وتفسير مقاتل (٢/ ٣٠٢)، وتفسير الجلالين(١/ ٣٠١).

والطَّاعةِ بفضلِ اللَّهِ، لا بفعلِ العبدِ. ﴿فَلَوْلَا﴾ فهَلَّا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الْأُمَم الْمَاضِيَة ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ أَصْحَاب دِين وَفَضْل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ الْمُرَاد بِهِ النَّفْي أَيْ مَا كَانَ فِيهِمْ ذَلِكَ ﴿إِلَّا﴾ لَكِنَّ ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نَهَوْا فَنَجَوْا وَمِنْ لِلْبَيَانِ ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بِالْفَسَادِ وَتَرْك النهي ﴿مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أي: نُعِّموا ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ مشركين مستكثِرين من المعاصي [١].

(١١٧-١١٩) - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى﴾: أي: ليس مِن صفةِ ربِّك أنْ يُهلِكَ القرى ظالمًا؛ أي: بغير ذنبٍ منهم؛ ﴿بِظُلْمٍ﴾؛ أي: بظلمٍ منهم؛ يعني: بشرك اللَّه. ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾: فيما بينهم، لا يتظالمون. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: أي: متَّفقةً على الإيمان والطَّاعات؛ ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أي: ولكن شاءَ أن يكونوا مختلفِينَ لَمَّا علِمَ منهم اختيارَ ذلك، فلا يزالونَ مختلفينَ هكذا كما شاءَ، إلَّا مَن رحمَ اللَّهُ فعصمَه عن الاختلاف لَمَّا علمَ منه اختيارَ الحقِّ، ووفَّقه للنَّظر والاستدلال فأدرك الحقَّ. ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: أي: لِمَا هم عليه مِنَ الاختلاف. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: أي: مضى قولُ ربِّك فيهم بما علمَ منهم، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من الصنفين، فدارهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها، نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك.

(١٢٠) - ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: أي: وكلَّ القَصص. وقيل: أي: وكلَّ الَّذي تحتاج إليه نخبرُكَ به مِن أخبار الرُّسل، ومعنى الآية: ونقصُّ عليك الأقاصيص كلَّها مِن أخبار الرُّسل تثبيتًا لفؤادِكَ؛ أي:

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ١٦٣)، التيسير في التفسير (٨/ ٢٨٨)، وتفسير الجلالين(١/ ٣٠١).

تسكينًا له وتقويةً على الاستقامةِ، وتبليغِ الرِّسالة، وتقريرِ الحُجَجِ، والصَّبرِ على أذى الكفَّار، والاستقامةِ على الصَّبر بإقامة الصَّلوات. وقال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ يعني: نسدِّد. وقيل: نقوِّي. ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾: أي: في هذه السُّورة ما يحقُّ تدبُّره والعملُ به. وقيل: أي: في هذه الدُّنيا الحججُ والبراهين، ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: المؤمنون هم الذين ينتفعون به(١).

(١٢١ - ١٢٢) - ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾: أي: قل يا محمَّد ﷺ للمشركين: اعملوا على تمكُّنكم ما أحببتُم، إنَّا عاملون بما أُمِرنا، وهذا أشدُّ وعيدٍ وتهديد. ﴿وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أي: انتظروا ما يَعدُكُم الشَّيطان من الغرور، فإنَّا منتظِرون ما يعدُنا به الرَّحمنُ منَ النَّصر والعلوِّ.

(١٢٣) - ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: هو العالمُ بعواقب الأمور وبغيب السَّماوات والأرض، وهو ما غاب عن حسِّ العباد، فليس يخفى عليه شيءٌ من أفعال المشركين وأقوالهم، فيحاسبهم بها ويجازيهم عليها. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾: أي: الأمور كلُّها، فهو جنسٌ؛ أي: لا يَنفُذُ فيها إلَّا حكمُه، وهو المستحقُّ لذلك الإفرادِ بالعبادة. ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ يا محمَّد ﷺ بإخلاص ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ غيرَ خائفٍ سواه، ولا راجٍ غيرَه. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: فيثيبُ المؤمنين المطيعين، ويعاقب الكافرين والعاصين، وأحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، وأمضى في كلِّ أمرٍ حكمًا.

(انتهى تفسير سورة هود عَلَيْهِٱلسَّلَامُ).

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٨٤)، الكشف والبيان (٥/ ١٩٥)، والبسيط (١١/ ٥٩١)، وجامع البيان (١٢/ ٦٤٧)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢٩١).

(١٢) سورة يوسف مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة يوسف مكِّيَّةٌ، الاسم الوحيد لهذه السورة اسم سورة يوسف، وجه تسميتها بهذا الاسم ظاهر؛ لأنها مشتملة على قصته عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع إخوته، ومع امرأة العزيز، ومع ملك مصر في ذلك الوقت نزلت بعد سورة هود، وقبل سورة الحجر، وهي السورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السور على قول الجمهور[١]، وهي مئةٌ وإحدى عشرة آية، وألفٌ وسبع مئةٍ وسبعٌ وسبعون كلمةً، وسبعة آلاف ومئة واثنان وستُّون حرفًا.

مقاصد السورة:

بيان قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة، وأن تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحي عباده، وتحاسد القرابة بينهم، ولطف الله بمن يصطفيه من عباده، والعبرة بحسب العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة، وسكنى إسرائيل وبنيه بأرض مصر، وتسلية النبي ﷺ بما لقيه يعقوب ويوسف- عليهما السلام- من آلهم من الأذى.

وقد لقي النبي ﷺ من آله أشد ما لقيه من بعداء كفار قومه، مثل عمه أبي لهب، والنضر بن الحارث وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وإن كان هذا قد

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٢٩٩).

أسلم بعد وحسن إسلامه، فإن وقع أذى الأقارب في النفوس أشد من وقع أذى البعداء، وفيها العبرة بصبر الأنبياء مثل يعقوب ويوسف -عليهما السلام- على البلوى. وكيف تكون لهم العاقبة، وفيها العبرة بهجرة قوم النبي ﷺ إلى البلد الذي حل به كما فعل يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وآله، وذلك إيماء إلى أن قريشًا ينتقلون إلى المدينة مهاجرين تبعا لهجرة النبي ﷺ، وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها. واسترقاق الصبي اللقيط. واسترقاق السارق، وأحوال المساجين. ومراقبة المكاييل، وإن في هذه السورة أسلوبًا خاصًا من أساليب إعجاز القرآن وهو الإعجاز في أسلوب القصص الذي كان خاصة أهل مكة يعجبون مما يتلقونه منه من بين أقاصيص العجم والروم، فقد كان النضر بن الحارث وغيره يفتنون قريشًا بأن ما يقوله القرآن في شأن الأمم هو أساطير الأولين اكتتبها محمد ﷺ وما تخلل ذلك من الحكمة في أقوال وانتظام أوَّل هذه السُّورة بآخر السُّورة الَّتي قبلَها: أنَّه قال في أواخر تلك: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ [هود: ١٢٠]، وقال في أوائل هذه السُّورة: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وهذه إحدى القَصص، وقد قُصَّتْ أحسن القصص، وانتظامُ كلِّ هذه السُّورة بتلك السُّورة: أنَّ السُّورتَيْن في تسليةِ النَّبيِّ ﷺ على ما أصابَه مِن الأذى والنَّوائب، وفي تلك السُّورة ذكرُ ما لقيَ الأنبياءُ مِن الأجانب، وفي هذه السُّورة ما لقي يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِن الأقارب(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ١٩٨).

(٢) الكشف والبيان (١٤/ ٤٨٠)، والوسيط (٢/ ٥٩٩)، والتيسير في التفسير (٨/ ٢٩٨).

(١-٣) - ﴿الر﴾ الله أعلم ﴿تِلْكَ﴾: أي: تلك الآياتُ أو السُّور المنزَلة قبلَ هذه السُّورة، وهي آيات الكتاب. ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾؛ أي: فيه بيانُ ما بالنَّاس من حاجةٍ إليه في دينهم. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي: الكتابَ ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾؛ أي: كلامًا مجموعًا بلسانِ العرب ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لتعقلوا عن الله خطابَه، فتتدبَّروه وتعملوا بما فيه. ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: أي: نخبرُك أحسنَ الإخبار. ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾: أي: بوحينا، ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾: أي: وقد كنْتَ من قبل هذا الوحي من الغافلين عن هذه القصَّة ونحوها؛ أي: وما كنْتَ من قبلِه إلَّا من الغافلين، وهذا يدلُّ على أنَّ الإيمان بجملة الأنبياء والرُّسل إيمانٌ وإن لم تُعرَف أنفسهم وأسماؤهم وقصصهم[(١)].

(٤) - ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ أي: واذكر يا محمَّد ﷺ إذ قال يوسف، ﴿لِأَبِيهِ﴾: أي: يعقوبَ بنِ إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام. ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ﴾: أي: في النَّوم، ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾: أي: أنَّه رآهم في النُّوم، ورآهم يسجدون له، فالأوَّل لرؤية أعيانهم، والثَّاني لرؤية فعلهم، والسُّجود كان تكرمةً لا عبادةً.

(٥) - ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾: يعني: فقالَ يعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا بنيَّ لا تخبرْ إخوتَكَ برؤياكَ، ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: أي: إنَّ تأويل رؤياك ظاهرٌ لا يخفى عليهم، فلا يؤمَنُ أن يحملَهم ذلك على أن يبغوا لك الغوائل

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٦)، تأويلات أهل السنة (٦/ ٢٠٤)، ولطائف الإشارات (٢/ ١٦٦)، والتيسير في التفسير (٨/ ٣٠٢)، والكشف والبيان (٥/ ١٩٧).

ويُخفوا لك الحيل، ويدعوهم إلى ذلك الشَّيطانُ، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: أي: ظاهرُ العداوةِ ومُظهرُها، وهذا يدلُّ على أنَّ يعقوب كان قد علم من الإخوة حسدًا ليوسفَ، فقال له هذا[١].

(٦-٧) - ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾: أي: كما دلَّ رؤياك على إكرامِ اللَّه تعالى إيَّاك بتفضيلِك على إخوتِك، كذلك يختارُكَ فيستخلِصُكَ بالنُّبوَّة. ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾؛ أي: ويلهمُكَ عمَّا تَؤولُ إليه عاقبة ما يراه النَّاس في مناماتِهم. ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾: أي: ويكملُ ما ابتدأكَ به من الإنعام، والابتداءُ هو إخراجُه مِن أصلاب الأنبياء، والإتمامُ بالنُّبوَّة والإنجاء. ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾: أي: أولادِ يعقوب، ودلَّ على نبوَّة أولادِه. ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾: بالرِّسالةِ والوحي. ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾: ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يجري على يوسف من المفتَتح إلى المختَتم، ﴿حَكِيمٌ﴾: يضعُ كلَّ شيءٍ موضعَه. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ﴾: أي: دلالاتٌ، ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾: أي: للَّذين سألوا رسولَ اللَّهِ ﷺ عن هذه القصَّة، وهم اليهود[٢].

(٨) - ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: اللَّام بمعنى القسم؛ أي: قالوا: إنَّ يوسفَ حقًّا وأخاه لأمِّه وهو بنيامين ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾؛ أي: جماعةٌ يتعصَّب بعضنا لبعضٍ، وكانوا عشرة، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي:

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٨٨)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٩٠).

(٢) بحر العلوم (٢/ ١٧٨)، والبسيط (١٢/ ٩)، والكشاف (٢/ ٤٤٠)، وتفسير مقاتل (٢/ ٣١٩).

خطأ بيِّنٍ بإيثارِ اثنين على عشرةٍ مع استوائهم في كونهم أولادًا له، ومع اقتدار العشرة على الاحتيال على واحدٍ.

(٩) - ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾؛ لتنحسمَ مادَّةُ هذا الأمر ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ﴾؛ أي: ألقُوه في أرضِ غُرْبَةٍ بعيدةٍ عن أرضِ يعقوبَ، بحيث يخفَى عليه موضعُ يوسفَ، وتُقصى دونَه أخباره. ﴿أَرْضًا﴾؛ أي: إلى الأرض، ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي: يَصْفُ لكم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أي: يصلح أمرُكم فيما بينكم وبين أبيكم، يعني به: صلاح أمر الدُّنيا مِن جهة التَّمكُّن من الأب.

(١٠) - ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾: أي: قال ذلك يهوذا: إنَّ قتلَ يوسفَ أمرٌ عظيمٌ فلا تفعلوه. ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ أي: في قعرِ البئرِ. والغيابةُ في أصلِ اللُّغة: القَعرُ؛ أي: الموضعُ الَّذي يغيبُ فيه صاحبُه، وكلُّ ما غيَّبَ شيئًا عن الحسِّ يكون فيه فهو غَيابةٌ، ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾: والالتقاطُ: تناولُ الشَّيءِ مِن الطَّريق، ومنه: اللُّقَطةُ واللَّقيط. والسَّيَّارةُ: العيرُ، وقيل: مارَّةُ الطَّريقِ. والمعنى: ألقُوهُ في أسفلِ بئرٍ عميقٍ قليلةِ الماءِ على ممرِّ السَّيَّارةِ والقوافلِ يلتقطْهُ بعضُهم، فيخلوا لكم مكانُه مِن غير ارتكابِ الأمرِ العظيمِ -وهو القتل- ويحصلْ لكم المقصودُ الآخرُ؛ وهو رميُكُمْ إيَّاهُ البلد الثَّاني مِن غيرِ أنْ تحتاجوا إلى تكلُّفِ سفرٍ فيه بأنفسِكم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾؛ أي: إنْ كنتُمْ تريدونَ تمامَ تدبيرِكُمْ فافعلوا هذا، فليسَ لكم أوفقُ منه[١].

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٩٩)، وتفسير مقاتل (٢/ ٣٢٠)، وجامع البيان (١٣/ ١٩)، والبسيط (١٢/ ٣٠)، وزاد المسير (٤/ ١٨٤).

(١١-١٢) - ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾:

ولمَّا اتَّفقوا على التَّغييب صاروا إلى أبيهم يعقوب عليهم السلام فقالوا: ﴿يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾. أي: لِمَ تخافُ علينا أنْ ننالَه بسوء ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾؛ أي: وهو أخونا وشقيقُنا، فنحنُ له ناصحون، مريدون به الخير ظاهرًا وباطنًا، لا موضعَ لاتِّهامِك إيَّانا فيه، ونصحُهم له في السَّفر: أنْ يَحُوطوه ولا يدَعوه يأخذ وجهًا مَخوفًا، ولا يُفْردوه عن أنفسِهم، ولا يكلِّفوه ما يُخاف عليه منه، ونحو هذا. ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾: أي: ابعثْهُ معنا إلى الصَّحراء غدًا، ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ أي: يسرح ويتقلَّب في الصَّحراءِ ويلعب لعبَ الصِّبيان وحدَه. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: في حين لعبِه مِن أنْ ينالَه سوءٌ، أو يتعثَّر، أو يطوفَ بحيث ينالُه ما يُخافُ عليه مِن الوحوشِ أو الهوامِّ.

(١٣-١٤) - ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾: الحزنُ: ألمُ القلبِ بفواتِ المحبوبِ، والخوفُ: انزعاجُ النَّفسِ لنزولِ المكروه، وقالوا: لعلَّ تلك المواضع كانت مَسْبَعَةً، فخافَ أن يشتغلوا عنه بما يشتغلُ مثلُهم، فيغفلوا عنه، فيعدو عليه ذئبٌ فيأكله. ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾: أي: لئن قدر على أكله الذِّئب ونحن فرقةٌ نحيطُ به ونحوطُه، فلا يعجز مثلُنا عن ذبِّ السِّباع عنه ﴿إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾؛ أي: مضيِّعون، نخسرُ أخانا فيذهب هَدَرًا، وكأنَّا سلَّمْناه إلى الذِّئب وعرَّضناه للضَّياع.

(١٥-١٦) - ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾: وهاهنا محذوفٌ؛ أي: فأرسلَ يعقوبُ يوسفَ -عليهما السلام-، فلمَّا ذهبوا به. ﴿وَأَجْمَعُوا﴾: قيل: أي: عزموا، وقيل:

اتَّفقوا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ أي: في قعر البئر ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: قيل: بشَّرناه على لسانِ مَلَكٍ. وقيل: ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾: أرسلنا إليه بالنُّبوَّة. ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾: هذه بشارةٌ مؤكَّدةٌ تأكيدَ اليمين؛ أي: لتخبرنَّهم بما فعلوا بك، وهذا نبأ توبيخٍ، وهو بشارةٌ له بمصير أمرِه إلى ذلك. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: حالةَ إلقائِه في الجبِّ أنَّ اللَّهَ تعالى أوحى إليه وبشَّره به[١]. ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ العشاء: في آخر النَّهارِ إلى نصف اللَّيلِ. ﴿يَبْكُونَ﴾ أي: يُظهِرون الحزنَ على يوسفَ، ويحتمِل أنَّهم ندموا على ما فعلُوا.

(١٧) - ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ أي: نترامَى أيُّنا أصوبُ سهمًا، وقيل: أي: نتعادى بالأقدام أيُّنا أسرع عدوًا. ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾: أي: رَحلِنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾، أي: بمصدِّقٍ لنا فيما نقولُه ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾؛ أي: عند النَّاس لا نُتَّهمُ بتضييع أخينا، وذلك لسوء ظنِّك بنا، واتِّهامِك لنا فيه.

(١٨) - ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: أي: مكذوبٍ فيه؛ أي: أخرجوا له قميصَ يوسفَ ملطوخًا بدمٍ كذبوا فيه. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: أي: لم يصدِّقْهم فيما جاؤوا به من الدَّم، وما أخبروه به مِن أكل الذِّئبِ، وقال لهم: ليس الأمرُ على ما تذكرون، بل زيَّنَتْ لكم أنفسُكُم أمرًا ففعلتُموه. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أي: فلي صبرٌ جميلٌ، أو: فمني صبرٌ لا شكوى فيه. ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

(١) البسيط (١٢/ ٤٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٥)، ومفاتيح الغيب (١٨/ ٤٣٦)، والبحر المحيط (١٢/ ٤٢٦)، ولطائف الإشارات (٢/ ١٧٣). التيسير في التفسير (٨/ ٣٤٠).

﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾: أي: أستعين اللَّه على كشف ما الْتَبس عليَّ من أمرِكم[١].

(١٩) - ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾: الواردُ: الصَّائر إلى الماء للاسْتِقاءِ منه. وأدلى دلوَه: أرسلَها ليملأَها، ودلَّاها يَدْلوها: أخرجها ملأى ماءً. والإسرارُ: الإخفاء. والبضاعةُ: قطعةٌ من المال تُحمَلُ لطلبِ ربحها. والمعنى: وجاءَتْ عِيرٌ يسيرونَ إلى موضعٍ -قيل: كانوا يسيرون إلى مصرَ جائين من الشَّام- فانتهوا إلى ناحية بيتِ المقدسِ، والجبُّ هناك، فأرسلوا مَنْ يَرِدُ البئرَ فيَستقي لهم الماءَ على رَسْمِ القوافلِ، فأرسلَ دلوَه في البئرِ، فتعلَّقَ بها يوسفُ، فرآه الوارِدُ فنادى أصحابَه -وهم بالقُرْبِ منه- بالبشارة، فقال: يا بُشْرَى لكم، هذا غلامٌ عبدٌ قد وجدْتُهُ. ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾: كتموه عن القوم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بما كانَ الإخوة يعملونَه، أو الملتقطون، مِن إسرارِه بضاعةً، ولو شاءَ اللَّهُ لغيرهم، ولعجَّل ليوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خلاصَه، لكنَّه أمضى فيه سابقَ حكمِه على وَفق علمِه وإرادتِه، حيث جعل لكلِّ أجلٍ كتابًا، فأمهلَهم حتَّى يبلغَ الكتابُ أجلَه، فيخلِّصَه حينئذٍ.

(٢٠) - ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: أي: باعوه، يعني: إخوته، ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي: قليل، والبَخسُ في اللُّغةِ: النَّقصُ. ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: بدلٌ من (ثمن بخس). وهذا يدلُّ على أنَّه كان من ثلاثةٍ إلى عشرةٍ؛ لأنَّ ما فوقَه مِن العددِ لا يُسمَّى دراهم. وقيل: إنَّها لقلَّتها عُدَّتْ ولم توزَنْ. ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: أي: كان الإخوة

(١) جامع البيان (١٣/ ٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١١).

غير راغبين في ثمنِه، وقيل: في بيعِه[١].

(٢١) - ﴿وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾: قال وهبٌ: فانطلقَتِ السَّيَّارة حتَّى وردوا به مصرَ، فرفعوه إلى سوقِها، فعرضوه للبيع، فترافعَ النَّاسُ في ثمنِه وتزايدوا وتنافسوا فيه، حتَّى بلغَ ثمنُه وزنَه مسكًا، ووزنَه وَرِقًا، ووزنَه حريرًا، فوُزِنَ فبلغَ أربعَ مئةِ رِطلٍ، وهو يومئذٍ غلامٌ ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: ابن ثماني عشرة سنة، وقيل: ابن تسع عشرة سنة. اشتراه بذلك رجلٌ من القِبطِ يُقال له: قطفير، وهو عزيزُ مصر، وهو أمينُ أهل مصر في أنفسِهم، وأمينُ فرعونَ وخازنه على كلِّ شيء يملكه ويَحوزه وكاتبه، ولـمَّا اشتراه العزيزُ وحملَه إلى بيتِه قال لامرأتِه زليخا: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَاهُ﴾؛ أي: أحسِني مقامَه، وأنزليه منزلة مَن يُكرَم. ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾: بالإعانة لنا على أمورنا الَّتي نليها، يكفينا بعض أشغالنا، فنرتفِق ارتفاق العبيد ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾؛ أي: نتبنَّاه، وهذا يدلُّ على أنَّهما لم يكن لهما ولدٌ، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ﴾: أي: وكما خلَّصناه مِن كيدِ إخوتِه ومِن الجُبِّ ملَّكناه أرضَ مصر. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: هو عبارة الرُّؤيا وغيرُ ذلك، فيصير الملِكَ بها، والنَّبيَّ المبعوثَ إليها. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾: أي: أَمْرِ نفسِه، لا يغلبُه على ما يريدُ إمضاءَه أحدٌ. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لإعراضِهم عن التَّفكير في آياتِه، والاستدلالِ بها على كمالِ قدرته ونفاذِ مشيئته.

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٥٥)، والكشف والبيان (٥/ ٢٠٥)، والبسيط (١٢/ ٥٦)، وبحر العلوم (٢/ ١٨٥).

(٢٢) - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: قالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: عشرين سنةً، أي: ولـمَّا بلغَ يوسفُ شبابَه وكمالَ قوَّتِه ووفورَ عقلِه واهتدائِه للأمور ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: أي: حكمًا بينَ العبادِ بالنُّبوَّة، وعلمًا بالدِّين وبتأويل الأحاديث. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: وهكذا نجزي مَنْ أحسنَ عملَه فلم يخلطْهُ بشركٍ ولا معصيةٍ.

(٢٣) - ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ المراودة: فعلٌ بينَ اثنينِ، يراودُ أحدُهما الآخرَ على شيءٍ، فيجري في ذلك مدافعةٌ وممانعةٌ، مأخوذةٌ من الإرادة وهي المشيئة، ومنَ الرَّوْدِ وهو الطَّلب. والمعنى: طالبَتْ زليخا يوسفَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بمساعدتِها على ارتكابِ الفحشاء منها. ومعنى: ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾؛ أي: مِن أجلِ نفسِه، ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾: التَّشديد لتكثيرِ المحالِّ؛ وهي الأبوابُ، وإنَّما غلَّقتها لئلَّا يفجأها أحدٌ، ولئلَّا يتخلَّصَ يوسفُ عنها، ولرجاءِ أن يجيبَها، وتكونَ أسبابُ الخلوةِ حاصلةً. ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾؛ أي: تعالَ وهلمَّ إلى ما هو لكَ، ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: أي: أعوذُ باللَّهِ إنْ أجبْتُ إلى هذا ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾: أي: زوجَها سيدي بحكم الشِّراء ظاهرًا. ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: أي: أكرمَ مقامي، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: أي: فلا أخونُ العزيزَ وقد أحسنَ إليَّ فأكونَ ظالـمًا له ولنفسي(١).

(٢٤) - ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾: أي: ولقد عزمَتْ زليخا على ذلك وعقدَتْ قلبَها عليه، فأمَّا يوسف فلولا أن رأى برهان ربِّه

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٧٠)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١٠٠)، ولطائف الإشارات (٢/ ١٧٧)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٢٢٣)، التيسير في التفسير (٨/ ٣٦٣).

لهمَّ بها. فقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ معلَّقٌ بالشَّرط المذكور بعدَه، ولـمَّا أراه البرهانَ لم يكن له منه همٌّ بها، وصرفَ اللَّهُ تعالى السُّوءَ والفحشاءَ عنه، كما ذكرَه في آخر الآية. والآية تحتمِلُ وجوه: أحدها: ﴿هَمَّتْ بِهِ﴾ همَّ عزمٍ، و﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ همَّ خَطْرةٍ، ولا منعَ فيما خطرَ في القلب، والثَّاني: ﴿هَمَّتْ بِهِ﴾: همَّ الإرادةِ والتَّمكين، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: همَّ دفعٍ. ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ أي: الفِعلة القبيحة، وهي الزِّنا، وكرَّر لاختلاف اللَّفظين، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾: بكسر اللام: هم الذين أخلصوا أنفسَهم وقلوبَهم وأعمالهم للَّه، أو الَّذين صفَّوا أعمالهم وأقوالهم وأحوالهم عن الشَّوائب، وبفتح اللام: الذين صفَّاهم اللَّه تعالى عن الكُدورات واصطفاهم بالكرامات.

(٢٥) - ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: أي: تعادَيَا إلى الباب ليطلبَ كلُّ واحدٍ منهما السَّبق على صاحبِه، هي تريدُ أن تسبقَ فتظفرَ به، وهو يريد أن يسبقَ فيتخلَّصَ منها. ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾: أي: تعلَّقَتْ بذيل قميصِه تجذبُه، فشقَّتْهُ طولًا، ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾: أي: وجدا زوجَ زليخا عند بابِ الدَّار. والسَّيِّدُ: الزَّوجُ بلفظ القِبْط، ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾: قالت زليخا دفعًا للتُّهمة عن نفسها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾؟ يُفهَم مِن هذا أنَّه أرادَ بها فجورًا، ولم يكنْ كذلك، ولم تتعمَّد صريحَ الكذب، لكن تكلَّمَتْ بالتَّعريض، وهو في الحقيقة استفهامٌ عن جزاءِ مَن يريد بأهله ذلك، لا تحقيقُ أنَّه فعل بها ذلك. ﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾؛ أي: يحبس، ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ موجع.

(٢٦-٢٧) - ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾: أي: فلمَّا هرب منها اتَّبعَتْهُ

فتدارَكْتُهُ عند الباب. أي: قال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي راودتني عن نفسي وغلبتني وغرَّتني، وهذا قميصي مشقوقٌ من خَلفي حين ولَّيْتُ منها هاربًا. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾: وهو أخوها وكاتبُ زوجِها وأمينُه، وكان عدلًا أمينًا، وقيل: كان صبيًّا في المهد، ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: لأنَّه يدلُّ على أنَّه كان مقبلًا عليها وهو يردُّها. ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾؛ لأنَّه يدلُّ على أنَّه كان هاربًا منها، وهذا دليلٌ على أنَّ بناءَ الحكم على ظاهر الحالِ جائزٌ عندَ عدم الوصول إلى دليل الحقيقة.

(٢٨) - ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾: أي: احتيالكنَّ معاشرَ النِّساء على الرِّجال إذا عملوا بخلاف مرادكنَّ. قيل: هو قول الزَّوج لها. وقيل: هو قول الشَّاهد، ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: أي: عظيم الضَّرر. وقيل: أي: نافذٌ غالبًا؛ للتَّمويه. وسمَّى كيد الشَّيطان ضعيفًا وكيدَ النِّساء عظيمًا؛ لأنَّ ذلك سرٌّ وهذا جهرٌ، وذاك وحدَه وهذا مع كيد الشَّيطان، وذاك يفرُّ بالاستعاذة وهذه لا تَفِرُّ، وذاك مع اللهِ وهذا معَك(١).

(٢٩) - ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: أي: قالَ زوجُ زليخا. وقيل: قال ذلك الرَّجلُ الشَّاهد: يا يوسفُ، أعرِضْ عن هذا الحديثِ فلا تذكرْهُ لأحدٍ، وهو سترٌ لحالها، وهو المستحبُّ المندوبُ إليه ألَّا يفشى سرُّ أهل بيتٍ، خصوصًا حرمه ومماليكه. وقيل: لا تبالِ له، وطِب نفسًا، فقد ظهرَ لي براءتك. ﴿وَاسْتَغْفِرِي

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٠)، وجامع البيان (١٣/ ١٠٧ - ١١٠)، التيسير في التفسير (٨/ ٣٧٧).

﴿لِذَنبِكِ﴾: أي: قال لزليخا: استغفري اللَّهَ، وهي وإنْ كانَتْ مشركةً فهم يقرُّون بأنَّ اللَّهَ خالقهم، وأنَّهم يعبدون الأصنام لتقرِّبهم إلى اللَّه زُلفى، فيعتقدون استغفارَ اللَّهِ من الذُّنوب. ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾: أي: الخائنين في حقِّ الزَّوج.

(٣٠) - ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: أي: انتشرَ خبرُ امرأةِ العزيزِ وميلُها إلى يوسفَ، وقال جماعةٌ من النِّساء في مصرَ: ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾؛ أي: زوجة خازن الملك، وكان يُسمَّى عزيزًا لتلقيبِ الملك إيَّاه به، أو على معنى أنَّه عزيزٌ عند ملكِه مكرَّمٌ لديه، أو على معنى مَنَعَته بكثرة خدمه وأعوانه. ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾؛ أي: عبدَ زوجِها، والعبدُ يسمَّى فتًى، والأَمَةُ تُسمَّى فتاةٌ، ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: أي: أصابَ شَغافَها، وشَغافُ القلبِ: غلافُه، وهو جلدةٌ عليه؛ أي: دخلَها الحبُّ وأصابَ القلبَ. وقيل: هو باطنُ القلبِ، وقيل: وسطُ القلبِ. ﴿حُبًّا﴾؛ أي: بالحبِّ، ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: أي: نراها في مراودةِ عبدِها في ضلالٍ من الرَّأي، وعدولٍ عن العقل، إذ صارَتْ في جلالتِها وعلوِّ حالتِها تراودُ عبدَ زوجِها بارتكابِ الفاحشة(١).

(٣١) - ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: أي: بحيلتهنَّ، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: أي: تدعوهُنَّ إلى دارِها للطَّعام؛ كامرأةٍ تُضيف صواحبَها؛ لتريَهنَّ يوسف. ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾: أي: هيَّأَتْ لهنَّ مجلسًا للطَّعام يتَّكئْنَ فيه على الوسائد ونحوها،

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣٠٨)، والتيسير في التفسير (٨/ ٣٨٠)، وجامع البيان (١٣/ ١١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣١)، وبحر العلوم (٢/ ١٩٠)، والبسيط (١٢/ ٨٦) والنكت والعيون (٣/ ٣٠).

﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: أي: وأعطَتْ سكِّينًا تعالجُ به ما تحتاجُ إلى قطعِه ممَّا قدَّم إليهنَّ مِن الطَّعامِ والفواكه، وهكذا فِعلُ الأعاجمِ، يوضَعُ عندَهم لكلِّ مَن على المائدة سكِّينٌ يقطعُ به اللَّحم وغيرَه. ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾: وذلك في حالِ ما كُنَّ يعالِجْنَ بالسِّكين، فلمَّا خرج عليهنَّ بُهِتْنَ واعتراهُنَّ مِن رَوعةِ جمالِه وهيبةِ جلالِه ما قطَّعْنَ بالسِّكيْنِ أيديهُنَّ. ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾: أي: فخرجَ، فلمَّا رأينه أعظمْنَهُ، ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: أي: أبنَّ أناملَهُنَّ، وقيل: ألقَيْنَ مفاصلَهُنَّ. ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾: أي: معاذَ اللَّهِ أنْ نقولَ: هذا بشرٌ. ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾: أي: ليس هذا آدميًّا. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: أي: ما هذا إلَّا ملَكٌ مكرَّمٌ على اللَّهِ تعالى، والنَّاسُ إذا رأوا امرأً له رَوعةٌ وجمال قالوا: كأنَّه مَلَكٌ[1].

(٣٢) - ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾: لمَّا رأَت امرأةُ العزيزِ أنَّهنَّ افتُتِنَّ بيوسفَ وجدَتْ موضعًا للعذر فقالَتْ: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾. أي: فهذا الَّذي لمتنني فيه، وقلْتُنَّ ما قلْتُنَّ، ثمَّ اعترفَتْ بأنَّها راودَتْه عن نفسِه، فقالَتْ: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾: أي: امتنعَ وتحفَّظَ عن إجابتي، ثمَّ اعتراها مِن افتتانِ النِّسوة به زيادةُ شغَفٍ به، فهتكَتْ جلبابَ الحياءِ، وعادَتْ بحضرتهن إلى مراودته، أو إلى ما يشبهُ المراودَة، فقالَتْ: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ﴾: أي: ليحبسَنَّ في السِّجنِ، وهو قولُه تعالى: ﴿وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾: أي: الأذلَّاء.

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ١١٢)، والكشاف (٢/ ٤٦٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٤٠)، والبحر المحيط (١٢/ ٤٦٨).

(٣٣) - ﴿قَالَ رَبِّ﴾: أي: يا ربِّ ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ أضافَ الفعلَ إلى جميع هؤلاء النِّسوة؛ لِمَا مرَّ أنَّهنَّ شُغفْنَ به، ودعتْهُ كلُّ امرأةٍ منهنَّ إلى نفسِها. وقيل: إنَّهنَّ حرَّضْنَه على إجابةِ زليخا، ودعوْنَه إلى ذلك. ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أي: أمِلْ إليهنَّ، ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ باتِّباع الهوى، وهذا سؤالٌ منه العِصمةَ مِن ذلك بألطفِ وجهٍ. والاختبارُ مقرونٌ بالاختيار، ولو تمنَّى العافية وسألَها وجدَ العافيةَ، ولكنْ آثرَ السِّجنَ على ذلك فسُجِنَ(١).

(٣٤-٣٥) - ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: ودعاؤُه قولُه: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: أي: السَّميعُ للدَّعوة، العليمُ بالنِّيَّةِ. ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ﴾: أي: ظهرَ لهم رأيٌ بخلافِ الرَّأيِ الأوَّلِ، أي: لزليخا والعزيز وأهلِ المشورة فيه. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾؛ أي: العلاماتِ الدَّالَّات على براءةِ يوسفَ وصدقِ مقالتِه؛ مِن قدِّ القميص مِن دُبُرٍ، ومِن كلامِ الطِّفل وشهادتِه ببراءته، وممَّا بيَّنَ مِن الاستدلال، ونحوِ ذلك. ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ﴾: أي: حلفوا ليسجُنُنَّهُ ﴿حَتَّى حِينٍ﴾؛ أي: زمانٍ يتقادمُ العهدُ فيُنسَى هذا الحديث فينقطعُ.

(٣٦) - ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾: أي: عَبْدانِ للمَلِكِ، وكانوا يسمُّون المملوكَ في ذلك الزَّمان -شيخًا كان أو شابًّا-: فتًى. أي: أمضوا رأيَهم في سَجنِه فسجنوه ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ﴾؛ أي: بعدَه بزمانٍ، ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾؛ أي: السَّاقي: ﴿إِنِّي

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ١٨٣)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٢٥٤)، والتيسير في التفسير (٨/ ٣٩١).

﴿أَرَانِي﴾ في النَّوم ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾؛ أي: عنبًا، ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾: أي: الطَّبَّاخ: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾؛ أي: رأيْتُ كأنِّي أخرجُ من مطبخٍ وعلى رأسي ثلاث سلالٍ من خبزٍ، وأرى سباع الطَّير تأكل مِن السَّلَّةِ العُليا. ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾: أي: بما يَؤُولُ إليه عاقبة المراد بهذه الرُّؤيا. ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: تُحسِنُ إلى أهلِ السِّجنِ؛ لقيامِك بأمورِهم، وعنايتِك بأسبابِهم، فأحسِنْ إلينا بعبارة الرُّؤيا، ليزول عنَّا شغلُ القلب بتأويلِها، وتُجزَى بذلك على إحسانِك إلى أهل السِّجن (١).

(٣٧) - ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾: أي: لا يأتيكما من عند الملك أو من عند أهلكما أو أصدقائكما ما تحتاجان إليه من الطَّعام في السِّجن إلَّا أخبرتكما به قبل مجيئِه، ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ أي: هذا الذي أذكر أني أعلمه من تعبير الرؤيا، مما علمني ربي فعلمته، ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ وليس هو تَرْكًا بعد الكونِ فيها، بل هو الامتناع عنها أصلًا، وإخبارٌ أنَّه لم يكن فيها قطُّ، ولا يخصُّ اللَّه تعالى بهذا العلم -الَّذي هو كرامةٌ- مَنْ كفرَ به وجحدَه، بل يكرمُ به مَن آمنَ به وصدَّقه ووحَّده وعبدَه.

(٣٨-٣٩) - ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ﴾، فكأنَّهما قالا له: إذا لم تكن أنت

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٣)، جامع البيان (١٣/ ١٥٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١٠٩)، والكشف والبيان (٥/ ٢٢٢)، والبسيط (١٢/ ١١٤)، ومعالم التنزيل (٤/ ٢٤٠).

في هذه المِلَّة؛ فعلى أيِّ ملَّةٍ أنت؟ فقال: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو الجدُّ، جدُّ الأب يسمَّى أبًا؛ لأنَّه أبو أبِ الأب، ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ هو أبُ الأب، ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ هو أبوه حقيقة. فكأنَّهما قالا: وكيف كانت ملَّتهم؟ فقال: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾. فكأنَّهما قالا: وكيف اهتديتم إليها؟ فقال: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لا يشكرون الخالق على نعمِه بالطَّاعة له في أمرِه ونهيِه. وقيل: لا يعلمون النِّعمَ مِن اللَّه فيشكروا له عليها[1]. ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾: أي: يا ساكنَيه وملازمَيه، ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي. ثمَّ لا خيريَّة في الأرباب المتفرِّقين، لكن قالَه بناءً على زعم الكفرة؛ أي: أنتم تعتقدونه خيرًا، ثمَّ ألزمهم على هذا الوجه: أهذا خيرٌ أم التَّوحيد؟، على وجهٍ ظهرَ بطلان ما يعتقدون، ثمَّ إنَّه دلَّهم بهذا على أنَّ الخالق واحدٌ، وأنَّ الإلهَ واحدٌ.

(٤٠) - ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾: لمَّا كانت الأسماء الَّتي سمَّوها لا تصحُّ معانيها؛ صارَتْ كأنَّها أسماءٌ فارغةٌ يرجعون في عبادتهم إليها، فكأنَّهم يعبدون الأسماء، إذ لا معاني لها من إلهٍ وربٍّ. ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: أي: لم يجعلِ اللَّهُ ﷻ دليلًا على جواز عبادتها، ولا أقامَ حجَّةً على تعظيمها. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: أي: ما الحكمُ في الإلهيَّة والرُّبوبيَّة إلَّا للَّه الواحد القهَّار. ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: المستقيم. وقيل: أي: الَّذي قامَتِ الدلالةُ على صحَّتِه. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: لا يتفكَّرون

(١) التيسير في التفسير (٨/ ٣٩٦).

فيه ولا ينظرون فلا يعلمون، ولو تفكَّروا فيه ونظروا لعلِموا، وهذا يدلُّ على أنَّ العقوبة تلزمُ وإنْ جهلَ إذا أَمكن له إنعام نظر فيه، ولا يُعذَر به، أو معناه: لا ينتفعون بعلمِهم مع أنَّهم يعلمون به.

(٤١-٤٢) - ﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾: أي: سيِّدَه، وهو الملكُ، يعني به: السَّاقي. ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾: أي: الطَّبَّاخ ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ﴾؛ أي: الطُّيور ﴿مِنْ رَأْسِهِ﴾. ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: أي: فُرِغ منه وأُتِمَّ الأمر ﴿الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾؛ أي: تسألان تأويلَه[١]. ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾: أي: للَّذي ظنَّ يوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه ناجٍ، ويكون في معنى العلم واليقين؛ لأنَّه علم ذلك بتعليم اللَّهِ إيَّاه، فكانَ لا يشكُّ فيه. ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: أي: مَلِكك. ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾: قيل: فأنسى الشَّيطانُ يوسفَ أنْ يذكرَ اللَّهَ ربَّه جَلَّ جَلَالُهُ في سؤال هذا الخلاص، ورجاه مِن عند الملكِ. وهو بعيدٌ مِن حال الأنبياء. ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾: البِضْعُ: قطعةٌ مِن العَقْدِ، مِن البَضْعِ؛ وهو القَطْعُ، وهو: مِن الثَّلاث إلى التِّسع[٢].

(٤٣) - ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾: أي: قال ملكُ مصرَ ﴿إِنِّي أَرَى﴾ في المنام ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ السِّمَنُ: زيادةُ البدنِ من الشَّحم واللَّحم. ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾؛ أي: سبعُ بقراتٍ مهازيلُ، ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ﴾؛ أي: وأرى سبع سنبلاتٍ ﴿خُضْرٍ وَأُخَرَ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٢٤٢)، والتيسير في التفسير (٨/ ٣٩٩).

(٢) لطائف الإشارات (٢/ ١٨٧)، تأويلات أهل السنة (٦/ ٢٤٩)، والتيسير في التفسير (٨/ ٤١٢).

﴿يَابِسَاتٍ﴾؛ أي: سبع سُنبلات أُخَر يابسات. ﴿يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ﴾: أي: الأشراف الَّذين يُرْجَع إليهم في الأمور ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾: أخبروني بحكمِ رُؤيايَ هذه ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾؛ أي: إنْ كنْتُم أو كان فيكم مَن يحسِنُ تعبيرَ الرُّؤيا.

(٤٤-٤٦) - ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾: الضِّغْثُ: الحزمةُ مِن الحشيش المختلِف، وجمعُه: الأضغاث، أرادَ بها: أخلاطَ رُؤيا كاذبة لا حقيقةَ لها. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾: لأنَّ الحُلُم ما خرجَ عن الرؤيا، وهو ما لا يصدق ممَّا يرى، ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾: أي: السَّاقي الَّذي كان في السِّجن ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾؛ أي: مدَّةٍ. وقيل: أي: بعد حين، ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾؛ أي: أخبركم بتعبيره بأخذي إيَّاه مِن عندِ مَنْ يعلمُه. ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾؛ أي: فأْذَنوا لي بالخروج وخلُّوني لآتيَ مَن يعلمُ تأويلَه، وأضمر هاهنا: فأرسلوه، فجاءَ إلى يوسفَ وهو في السِّجن فسأله معظِّمًا، وذلك قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ﴾: أي: يا يوسف ﴿أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ وهو الكثير الصِّدق والدَّائم عليه، سمَّاه به لأنَّه لم يجرِّب عليه كذبًا. ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾: أي: أجبْنَا فأخبِرْنَا بحكم رُؤيا رآها الملكُ؛ وهي أنَّه رأى سبعَ بقراتٍ سمانٍ يأكلهنَّ سبعٌ عجافٌ، ورأى سبعَ سنبلاتٍ خضرٍ وسبعَ سنبلاتٍ أُخر يابسات. ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: يعني: أفتنا فيهنَّ لأرجع إلى النَّاس بفتواك فيهنَّ، فيعلموا تأويل رؤيا الملِك، فإنَّهم غير عالمين به(١).

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١١٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٣٠)، وبحر العلوم (٢/ ١٩٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١١٢).

(٤٧) - ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾: عَبَرَ الرُّؤيا للسَّاقي، فقال: تحرثون سبعَ سنينَ زراعةً متواليةً في هذه السِّنين بجدٍّ واجتهادٍ على عادتِكم في الزِّراعة. والدَّأْبُ: العادةُ، والدَّأَبُ: الجِدُّ والتَّعبُ. ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ﴾: أي: قطعتُم مِنَ الزَّرع ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾؛ أي: فاتركوه كذلك، ولا تَدْرُسوه ولا تُذَرُّوه لأنَّه أبقى له وأبعد من فساده. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾: في العام، فلا بدَّ من دياسَتِهِ وتذريَتِهِ وتنقيَتِهِ.

(٤٨) - ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: أي: بعد مضيِّ سبع سنين في الخصْبِ، وهو قوله تعالى: ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾: أي: سبعُ سنين مجدبةٌ، فيها الضِّيق والشِّدَّة. ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾؛ أي: يأكلْنَ هذه السِّنون السَّبعُ المجدِبَةُ ما كان حصل في أيديكُم مِن فضلِ ما زرعْتُموه في السَّبع المواضي. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: أي: تحرزونَ في الحصنِ؛ أي: الحرز، وأضافَ الأكل إلى السِّنين؛ لأنَّ أكلَ النَّاس يكون فيها.

(٤٩) - ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾: أي: يُعطَوْنَ الغيثَ، وقيل: يُعطَوْنَ الغوْثَ، وقد غِيْثَ النَّاسُ وغاثَهم اللَّهُ ﷻ؛ أي: أعطاهم الغيثَ، وهو المطر، وأُغِيْثَ النَّاسُ وأغاثَهم اللَّهُ؛ أي: نجَّاهُم وخلَّصهم. ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي: يَعْصِرون الأعنابَ والثِّمارَ والسِّمْسِمَ والزَّيتون، وهو بيانُ كثرة النِّعم، وانتفاع النَّاس بها، ومنه: العصير والعُصارة والمُعْصِر. وقيل: أي: يَنْجُونَ، والعُصرةُ: الملجأ، والاعتصار: الالتجاء[١].

---

(١) جامع البيان (١٣/ ١٩٧)، والكشف والبيان (٥/ ٢٢٨)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣١٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١١٤).

(٥٠) - ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾: أي: أحضِروه. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾: أي: السَّاقي ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾؛ أي: عُدْ إلى ملكك ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ فكذَّبْنني. ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: أي: خالقي، وقيل: أراد به: سيِّدي، وهو العزيز؛ أي: هو طاهرٌ عند العزيز، فأحبَّ وضوحَ عذرِه عند الملكِ الأعظم أيضًا. وكيدهنَّ: مراودتُهُنَّ إيَّاه عن نفسِه.

(٥١-٥٢) - ﴿قَالَ﴾: فجمعَهُنَّ الملكُ، وقال لهنَّ ما ذكرَ اللَّه تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾. الخَطْبُ: الأمرُ العظيم؛ أي: ما شأنكُنَّ إذ راودْتُنَّ يوسفَ عن نفسِه؟ والمعنى: قال لهنَّ: ما حمَلَكُنَّ على ما فعلْتُنَّ بيوسفَ إذ مَالَأْتُنَّ عليه سيِّدَتَهُ، وأَمَرْتُنَّها أن تسجنَهُ وتُهينَهُ وتعذِّبَهُ، ودعوتُنَّهُ إلى أنفسِكُنَّ، فلمَّا أبى واستعصم قلْتُنَّ فيه الكذبَ والزُّور؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾: معاذَ اللَّه ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ ولقد قلْنَا فيه الكذب والزُّور، وإنَّه لهو البريءُ التَّقيُّ النَّقيُّ المكذوبُ عليه المظلومُ. ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾؛ أي: ظهرَ الحقُّ وخلصَ، وأزيلَتِ الشُّكوكُ عنه وانقطعَتْ، ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾: في قوله: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦]. ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾؛ أي: ليعلمَ العزيزُ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ بغيبتِه، فإذا ظهرَتْ براءتي عندَ العزيزِ ظهرَتْ عندَ غيرِه وعندَ الملكِ. وقيل: أي: ليعلمَ الملكُ أنِّي لم أخنِ الملكَ؛ لأنَّ خيانتي لخازِنه وخادِمه خيانةٌ له. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: أي: لا يُفضي بكيدِهم إلى هدًى وإصابةٍ، مثلما لم يهدِ كيدَ امرأةِ العزيز والنِّسوة.

(٥٣) - ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾: أي: لا أزكِّي نفسي مع براءتي مِن هذه الجناية. ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾: هي للجنس؛ أي: النُّفوسَ البشريَّةَ ﴿لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾؛ أي: كثيرةُ الدَّعوةِ إلى المعاصي بشهوتها ونهمَتِها ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾: لكنْ مَن رحمَ ربي يَسلمُ عن طاعتِها ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ﴾: ستَّارٌ للعيوب ﴿رَحِيمٌ﴾ بمواصلة البراهين والبيِّنات.

(٥٤) - ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أي: قال مالك مصر جيئوني به أجعلْهُ خالصًا لنفسي، أفوِّض إليه أمورَ مملكتي؛ لِمَا ظهرَ مِن علمِه وصلاحِه. وهاهنا مضمرٌ: فأُتي به ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: قريبُ المكانة ظاهرُ الأمانة.

(٥٥-٥٧) - ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾: أي: ولِّني على خزائنِ الأطعمةِ والأقوات والعلوفة الَّتي في أرض مملكتِك، وهي مصر، وفوِّض إليَّ إحرازها وتفريقها وتقدير ذلك منها، فإنِّي حفيظٌ؛ أي: حافظٌ لِمَا سبيلُه أن يحفظَ؛ أي: يجري فيه خيانة أو نسيان، عليمٌ بما سبيلُه أن يُعلَمَ وجهُ التَّدبير فيه حتَّى لا يضيعَ شيءٌ، ولا يوضعَ في غير أهلِه[1]. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: كالَّذي التمسَ يوسفُ من الملكِ مكَّنَّا له في الأرض؛ أي: أرض مصر، والتَّمكينُ: الإقرارُ وإعطاءُ المكنَةِ والمكانة. ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: إذ كانَتْ خزانتها في كلِّ بلادِها بيدِه وتحتَ حكمِهِ بعد ما كان ضُيِّقَ عليه بالرِّقِّ والحبس. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾: أي: بنعمتِنا كما أصبناها يوسف. ﴿وَلَا

(١) جامع البيان (١٣/ ٢١٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١١٦)، والتيسير في التفسير (٤٢٥/٨).

﴿نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: يعني: الصَّابرين. ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: أي: الجنَّة وثوابها خيرٌ للَّذين آمنوا واتَّقوا معاصي اللَّه تعالى[(١)].

(٥٨) - ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾: اشتدَّ على يعقوبَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وولدِه وأهلِ الشَّام القَحطُ، فقال يعقوبُ لأولاده: إنَّ بمصرَ طعامًا يباعُ، وإنَّ هذا الرَّجلَ الصَّالح الَّذي هو ملكُهم بلغَني عنه خيرٌ وصلاحٌ وحسنُ سيرةٍ، فامتاروا؛ فإنَّ له سيرةً تشبه سيرةَ آل يعقوب، وسيحسِنُ إليكم إن شاء اللَّهُ عَجَّلَ، فانطلِقوا فامتاروا منه، فانطلَقوا، فلمَّا دخلوا على يوسفَ مع النَّاس، وكان يوسفُ صلوات اللَّه عليه يحسِنُ إلى مَن أتاه، ويعطيه قَدْرَ ما يكفي عيالَه على عددِهم، فلمَّا دخلوا عليه عرفَهم وهم له منكرون، وكان اللَّه تعالى عمَّى عليهم خبرَ يوسف وما صار إليه مِن الملك، ولتغيُّرِ لونِه وكلامِه وهيئتِه، ولتقادمِ العهد وتطاول المدَّة.

(٥٩-٦١) - ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾: أي: هيَّأ أسبابَهم فأعطى كلَّ واحدٍ وِقْرَ بعيرٍ، وكذلكَ يبيعُ ولا يزيدُ لكلِّ قادمٍ على وِقْرٍ؛ لئلَّا يضرَّ بالآخرين. ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾: عنى: بنيامين الَّذي ذكروه له. ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾: أتمُّه، ولا أنقصُ منه شيئًا ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾؛ أي: المضيفين. ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ﴾: أي: بالأخ الَّذي قلْتم ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾؛ أي: فلا طعامَ لكم عندي يُكال ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾؛ أي: لا تقربوا بلادي. ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ

(١) الكشف والبيان (٥/ ٢٣٣)، البسيط (١٢/ ١٥٩)، ولطائف الإشارات (٢/ ١٩١).

﴿عَنْهُ أَبَاهُ﴾: أي: سنتلطَّفُ لأبيه في طلبِه منه وإخراجِه معنا كما أمرْتَ ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ بما أَمَرْتَ به غيرُ مخالفين لك، ولم يريدوا أنَّهم يفعلون ذلك بغيرِ إذنِ أبيهم، ولكنْ أرادوا ما قلْنَا.

(٦٢-٦٤) - ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾ الفتى: اسمٌ للملوك شابًّا كان أو شيخًا. ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾: وهي دراهمُهم الَّتي هي أثمان ما امتاروه مِن عندِه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يعودون إلينا ويردُّونَ البضاعةَ علينا، وقيل: إنَّهم إذا عرفوا أنَّها بضاعتهم؛ تحرَّجوا عن إمساكِها، وتوهَّموا أنَّ فتيانَ يوسف وضعوها في رحالِهم غلطًا، فعادوا لردِّها. ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: ﴿يكتل﴾ بالياء؛ أي: يكتلْ بنيامين لنفسِه، وبالنُّون؛ أي: نكتلْ نحنُ له[1] ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من أن يناله مكروه في سفره. ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: لا أتَّكلُ على ضمانكم حفظَه، وإنْ قلْتُم: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فقد كنتم قلْتُم في أخيه يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ولكنِّي أتَّكل على اللهِ جَلَّجَلَالُهُ. ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: يرحمُني فيردُّ عليَّ ولدي؛ لعلمِه بوَجْدي به بعدَ فقدي يوسف.

(٦٥) - ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾: أي: وُضعَتْ في رحالهم. ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي﴾: أي: أيَّ شيءٍ نطلب؟ على

(١) السبعة في القراءات (١/ ٣٥٠)، والتيسير (١/ ١٢٩).

الاستفهام. ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: فحصل الطَّعام لنا مجَّانًا ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نجلبُ لهم الطَّعام في هذه الكرَّة بهذه البضاعة ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: مِن أن ينالَه سوءٌ في سفرِه. ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: لأجل بنيامين، وعَدَه لنا الملك. وقيل: كان وعَد ذلك بغير ثمنٍ. ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾: أي: سهلٌ؛ لأنَّه مجَّانٌ، أو لأنَّ ثمنه ممكنٌ مِن هذه البضاعة(١).

(٦٦) - ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: قال يعقوبُ صلوات اللَّه عليه: لن أبعثَه معكم حتَّى تؤتوني عهدًا تجعلونَه للَّه على أنفسِكم لتَرجعُنَّ به إليَّ، إلَّا أن يَرِدَ عليكم أمرٌ يُحال بينكم وبينه، وتُشرفون على الهلكة إن حاولْتُم ردَّه. فلمَّا أعطوه هذا العهد قال: اللَّه مطالِبٌ لكم بالخروج عن هذا الضَّمان، شاهدٌ على هذه المواثَقة.

(٦٧) - ﴿وَقَالَ يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾: وكان بمصر أربعة أبوابٍ. قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: خافَ عليهم لِمَا كان لهم مِن حُسْنِ الصُّورة وجمال الهيئة وتمام القوَّة، ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: لا أمنع ولا أدفع إنْ كان اللَّهُ أرادَ بكم شيئًا من ذلك. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾؛ أي: ما الحكم إلَّا له ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾، ومن الجائز أن يكونَ أمرَ بذلك لئلَّا تظهرَ حاجتُهم في أهل تلك

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٢٣٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١١٨)، والبسيط (١٢/ ١٦٨).

البلدة، وتنتشرَ حالةُ اضطرارهم، وهو أمرٌ بالصيانة وكتمان الفاقة[١].

(٦٨) - ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾؛ أي: من أبوابٍ شتَّى ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أي: ما كان دخولهم متفرِّقين مغنيًا عنهم مِن اللَّه شيئًا؛ أي: دافعًا لقضائه. ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾: أي: لكنْ كان ذلك اضطرابًا في قلبه، أزالَ ذلك عن نفسِه بوصيَّته؛ لئلَّا يقول: قصَّرْتُ فلمْ أنصحْ. ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: أي: وإنَّ يعقوب لعالمٌ باللَّهِ وأقضيتِه؛ لتعليم اللَّه تعالى إيَّاه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: ما يعلم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٦٩) -﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: أي: ضمَّ إلى نفسه أخاه بنيامين، وأنزله معه، وقيل: أجلسَه معه على سريره. ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ أي: تعرَّفَ إليه وأخبره أنَّه يوسف أخوه. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: أي: فلا تحزن، وقيل: فلا تبالِ. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من الجفاء، وذكري بغير الجميل عندَك مغايظةً لك[٢].

(٧٠-٧١) - ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: السِّقايةُ: هي الإناءُ الَّذي يُسقى فيه، وهي هاهنا صاع الملك، فكان يشربُ منه. ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ يحتمِل أنَّ يوسف وضعَها بنفسِه وأخفاها عن الكلِّ، فلمَّا افتقَدوا طَلبوا، وبها ظنُّوا اتَّهموا، ويحتمِل أنَّه أمرَ بعضَ خواصِّه بذلك. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: أي: نادى منادٍ مُعلِمٌ مُسمِعٌ: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ هم ركابُ الإبل ﴿إِنَّكُمْ

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٢٣٧ - ٢٣٨)، التيسير في التفسير (٨/ ٤٤٢).

(٢) جامع البيان (١٣/ ٢٤٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٠)، والبسيط (١٢/ ١٧٦).

﴿لَسَارِقُونَ﴾: أي: فيكم سارقٌ، أو جماعةٌ اشتركوا في السَّرقة. ﴿قَالُوا﴾: أي: إخوة يوسف ﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: توجَّهوا إلى مَن أرسلَهم يوسف: ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾؛ أي: أيَّ شيءٍ فقدْتُم فجئْتُم تطلبونَهُ(١)؟.

(٧٢-٧٣) - ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾: هو اسمُ تلك السِّقاية، وكان صاعًا يُكالُ به الطَّعام ﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾؛ أي: ولمَن ردَّه علينا حِمْلُ بعيرٍ طعامًا ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾؛ أي: كفيل بتسليمِه إليه، والزَّعامةُ: الكفالةُ، مِن حدِّ دخل. ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾: أرادوا به ما انتشرَ به الخبرُ عنهم في طريقِهم مِن جهة مَن صحبَهم بصلاحِهم وظهورِ أعمالِ الخير منهم ومعاملتهم النَّاس بالإنصاف والإحسان. والمعنى: ما هكذا كان جزاؤنا منكم، ألم نكرِمْ ضيافتكم، ونوفِّ كيلَكم، ونحسن نُزُلَكم، ونفعلْ بكم ما لم نفعلْه بغيركم؟ ألم ندخلْكُم في منازلنا وبيوتِنا؟ فقالوا: ما نُعرَفُ بهذا، ولا نُوصَفُ به، ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾.

(٧٤ - ٧٥) - ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾: أي: قال طالبو الصُّواع: فما مكافأة السَّارق؟ وقيل: فما عوضُ الصُّواع إنْ ظهرَ كذبُكُم بوجودِ الصُّواع معكم؟ ﴿قَالُوا﴾: أي: قال إخوةُ يوسف: ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي: فيُؤخَذ فيُملَكُ ويُستَعْبَدُ، وقوله: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ تأكيدٌ للتَّكرير، ومعناه: إنَّه الجزاءُ لا غير، وقيل: كان هذا حكمَ يعقوبَ في السُّرَّاق، فأَخبَروا بما هو

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ٢٣٩)، وزاد المسير" (٤/ ٢٥٧)، ولطائف الإشارات (٢/ ١٩٥)، والتيسير في التفسير (٨/ ٤٤٨).

حكم بلادِهم، ولذلك قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: السُّرَّاق؛ أي: هو حكمُ شريعتِنا.

(٧٦) - ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾: أي: بدأ المؤذِّن برحال الإخوة قبل رحلِ أخي يوسف وهو بنيامين، والوعاءُ: الظَّرفُ الَّذي يُوعَى فيه الشَّيء؛ أي: يُحفَظُ. ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾؛ أي: أخرجَ السِّقاية، أي: الصُّواع، ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ الكيدُ: التَّعريضُ للضَّرر في خفاء؛ أي: أوقعنا هذا النَّوع من الحال على إخوة يوسف لأَجْل يوسف؛ ليتهيَّا له حبسُ أخيه بهذا النَّوع من السَّبب، وقيل: أي: صنعْنَا، وقيل: قوله: ﴿كِدْنَا﴾؛ أي: كما فعلوا في الابتداءِ بيوسفَ فعلْنَا بهم، قال تعالى خبرًا عن يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنَّه قال: ﴿فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾، وكان هذا جزاءَ كيدِهم ذلك. ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: أي: لم يكن يوسف ليأخُذَ أخاه في حكم ملكِ مصر، وقوله: ﴿فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أي: في سلطان الملك، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾: أي: بتعليم العلمِ في كلِّ باب، والإيصالِ به إلى المحابّ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ حتَّى ينتهي العلمُ إلى الله تعالى، فلا يكون فوقَه عليمٌ[١].

(٧٧) - ﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾: أي: قال الإخوة: إنْ سَرَقَ هذا الأخُ فقد سرق أخٌ له مِن قبلُ، وهو يوسف، وهذا اقتداءٌ بأخيه. ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ﴾: أي: فأخفى هذه المقالةَ يوسفُ في قلبِه ﴿وَلَمْ يُبْدِهَا

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٢٢)، والتيسير في التفسير (٨/ ٤٥٦)، والكشف والبيان (٥/ ٢٤٢)، والبسيط (١٢/ ١٨٨).

﴿لَهُمْ﴾؛ أي: لم يُظهرْها لهم؛ أي: لم يقلْ: أنا يوسفُ وما سرقْتُ قطُّ، فلِمَ كذبْتُم عليَّ؟ ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾: أي: قال في نفسه: أنتم أسوءُ حالًا منه إنْ ثبَتَ منه ما تقولون عليه، فأنتم جفوْتُم أباكم، وبعْتُم أخاكم، وقصدْتُم قتلَه أيضًا. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: أي: بما تصفونَه به مِن السَّرقةِ.

(٧٨-٧٩)- ﴿قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾: العزيزُ: المنيعُ، ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ أي: في السِّنِّ، والكبير، وإنَّما استشفعوا بكون أبيهم شيخًا كبيرًا، ولم يقولوا: رسولًا نبيًّا؛ لأنَّ الشُّيوخ لهم حرمةٌ، والكبر في السِّنِّ داعٍ إلى المرحمة، فقالوا ذلك استعطافًا؛ كما قال في قصَّة شعيب: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، وفي قصَّة زكريَّا: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]. ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾: أي: خذ واحدًا منَّا عبدًا بدلَه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: أحسنْتَ إلينا في الإنزال والكيل وفي ردِّ البضاعة، وتحسنُ في معاملات النَّاس، فأحسِن إلى أبينا بردِّ هذا الولد إليه، وأحسِن إلينا بصرفِه معنا، فتزول وحدة أبينا عنَّا. ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾: أي: نعوذُ باللَّهِ أن نأخذَ غيرَ الجاني في حقِّنا، ولم يكن العوذُ مِن ترك أخذ بنيامين، بل مِن أخذ غيره. ﴿إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾: لو فعلنا ذلك[١].

(٨٠)- ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾: أي: يئسوا مِن ردِّ أخيهم ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾؛ أي: خرجوا مِن بين النَّاس، فخلصوا منهم نجيًّا؛ أي: متناجين، ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ مِن فصيحات القرآن، ﴿خَلَصُوا﴾ انفردوا، وأصله: الصَّفاء عن الشَّوب؛ أي: لم

(١) التيسير في التفسير (٨/ ٤٥٦)، والبسيط (١٢/ ١٨٨)، والدر المصون (٦/ ٥٤٣).

يبقَ معهم غيرهم. ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: قيل: أكبرهم سنًّا، وقيل: أكبرهم في العقل، ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾. هو قوله: ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: أي: ومِن قبلِ هذا تفريطُكُم. ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾: أي: فلن أزايلَ المقامَ، وقيل: لا أزايل المسير. ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾: أي: في الرُّجوع إليه، وقيل: في القتال. ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾: بالرُّجوعِ بأنْ يَظهرَ عذري عند أبي، فحينئذ أرجع، أو يصلَ إلينا أخونا، أو يحكمَ اللهُ لي بالسَّيف أن أحاربَهم وآخذَ الأخ منهم. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: لا خطأَ في حكمِه، ولا زللَ، ولا رشوة(١).

(٨١) - ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ﴾: قال هذا الكبير لإخوته: ارجعوا إلى أبيكم، فأنا مقيمٌ بمصرَ، وأوضحوا له عذركم ﴿فَقُولُوا يَاأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾؛ أي: حُكِمَ عليه بالسَّرقة ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾؛ أي: عليه بالسَّرقة عندك ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ مِن الأمرِ الظَّاهر بوجود المسروق في رحلِه. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾: أي: ولم نكن نحفظُ الغيب، فندفعَ عنه، فنقول: إنَّه لم يسرق؛ أو لم نعلمْ أنَّ الأمر في الباطنِ بخلافِ الظَّاهر، فسلَّمنا لمَّا حُكِمَ عليه بالسَّرقة على الظَّاهر. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾؛ أي: لم نعلم ما كان يصنعُ في ليلِه ونهارِه، ومجيئِه وذهابِه. وقيل: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾: فلعلَّها دُسَّتْ باللَّيل في رحله، ولا علم لنا به.

(٨٢) - ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾: أي: وسَلْ أهلَ القريةِ، أضمرَ الأهلَ

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ١٩٨)، والكشف والبيان (٥/ ٢٤٥)، والبسيط (١٢/ ٢٠٣)، والتيسير في التفسير (٨/ ٤٦٣).

لدلالة الحال ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ ومعناه: وسَلْ أهلَها؛ فإنَّ العيرَ اسمٌ للإبلِ والحمير الَّتي تحمل الأحمال في المسير. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: فيما نخبرُكَ به أنَّه سرق[(١)].

(٨٣) - ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، قال قتادة: أي: زيَّنَتْ. وقيل: سهَّلَتْ؛ أي: ما هو عندي كما تقولون، وإنَّما زيَّن لكم هوى أنفسِكم أمرًا همَمْتُم به في هذا الأمر، كما فعلتُموه بيوسف. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أي: فلا أرجع إلَّا إلى الصَّبر الجميل الذي أكظم عليه ولا أبثُّه إلى مخلوق. ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾: يوسف وأخويه بنيامين ويهوذا. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بحالي وبوجدي وبصبري، وبصدقكم وكذبكم، وهو ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما يدبِّرُه في أمور عبادِه، فليس يدبِّرُ أمري إلَّا بما هو صلاحٌ لي، ونفعٌ في دنياي وديني، فأنا مسلِّمٌ لتدبيرِه.

(٨٤) - ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: أي: أعرضَ عن بنيه وأقبلَ على بثِّ نفسِهِ ﴿وَقَالَ يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: أي: يا حُزْناه، والأسفُ: أشدُّ الحزنِ على الغائبِ، وهو أشدُّ الغضبِ أيضًا، ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾: أي: ذهبُ بصرِه؛ ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾: أي: الهمّ الغليظ على النَّفس ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: أي: مملوءٌ كربًا، وقيل: ﴿كَظِيمٌ﴾؛ أي: ممسكٌ على غيظٍ على أولاده بما فعلوا به، أو على نفسِه بما فعلَ مِن إرسال بنيامين معهم، وقيل ﴿كَظِيمٌ﴾: مهموم[(٢)].

(٨٥-٨٦) - ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾: أي: لا تفتأ، ومعناه: لا تزال.

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ٢٤٦)، وجامع البيان(١٣/ ٢٨٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٧٠)، والبحر المحيط (١٢/ ٥٣٩).

(٢) لطائف الإشارات (٢/ ٢٠٠)، وجامع البيان (١٤/ ٢٥٦)، وتفسير مقاتل (٢/ ٣٤٨).

﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾: أي: باليًا من المرض ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾: أي: الميِّتين. ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾: أي: همِّي. وهو الَّذي يُبَثُّ وإنْ كُتِمَ؛ أي: ينتشرُ بإثارة. والحزنُ: ما يغلظُ على النَّفس احتمالُه. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي: مِن سَعةِ رحمتِه ولطفِ تدبيره بعباده ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنتم، يشيرُ إلى حسنِ ظنِّه وقوَّةِ رجائه بربِّه جَلَّجَلَالُهُ أنْ يُعيدَ إليه يوسفَ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ.

(٨٧-٨٨) - ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ﴾: أي: اطلبوا خبرَه، مِن الحسِّ، وهو العلم بالحاسَّة، ﴿وَأَخِيهِ﴾، وهم يعلمون أين هو، فمعناه: إيقاعُ حاسَّة البصر على الَّذي رأوه وهو لوقوع الرَّجاء له أنَّ يوسفَ بمصرَ، لكن لم يخبرْ بنيه بذلك أنَّه هناك؛ لِمَا علمَ أنَّهم يتكاسلون ويتثاقلون عن الذَّهاب إليه، فقال ذلك تعريضًا لا تصريحًا ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾: أي: رحمةِ اللَّه، وقيل: أي: مِن ترويح اللَّه؛ أي: تفريح اللَّه من الحزن. ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾: أي: من تفريج اللَّه عن المكروبين ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾: الَّذين لا يعرفون قدرةَ اللَّه على ما يشاء. ثمَّ إنَّهم توجَّهوا إلى مصر، فلمَّا انتهوا إليها دخلوا عليه، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾: أي: أصابَنا ونساءَنا وأولادَنا الضِّيقُ والقَحطُ. ﴿وَجِئْنَا﴾: أي: وقد جئناك ﴿بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ أي: رديئةٍ لا تؤخَذُ إلَّا بوكس. ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾: أي: لا تنظرْ إلى نقصان بضاعتنا وأتمِمْ بإحسانِك كَيْلَنا. ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾: أي: أسقطْ ما بين الجياد والرديَّة مِن التَّفاوت، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ وهم المؤمنون(١).

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٣٢٧ - ٣٢٢)، وتفسير مقاتل (٢/ ٣٤٩). وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ =

(٨٩) - ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ هذا مِن يوسف تذكيرٌ لهم بما سبقَ مِن فعلِهم بمكانِه، ليجدِّدوا الانتباه والاهتمام، وذكرَ أخاه وما فعلوا بمكانِه، كأنَّ أخاه شكا إليه من سوء معاملتهم معه كمعاداة الإخوة، وقلَّة شفقتهم بمكان أخيهم. ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾؛ أي: مذنبون، وقيل: أي: أنتم جاهلون قَدْرَ يوسفَ ومنزلته.

(٩٠-٩١) - ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ بنيامين، لا عبدي، تظنُّونني قد اتخذْتُه عبدًا، وليس كذلك، بل هو أخي وعزيزي. ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: جمعَ ما فرَّقْتُم، ووصلَ ما قطعْتُم، وقيل: أي: مَنَّ اللَّهُ عليَّ بإنجائي من البئرِ، والعصمةِ مِن الهمِّ، والتَّخليصِ مِن السِّجن، وتمليكِ مصرَ، ذلك فضل اللَّه. ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾: فالتَّقوى: العملُ بالطَّاعات وتركُ السَّيئات، والصَّبرُ: تحمُّلُ المكروهات. وكان ذلك كلُّه ليوسف. وتقديرُه: فهو محسِنٌ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الطائعين. ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: أي: اختارَكَ وقدَّمَكَ علينا ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾؛ أي: ما كنَّا إلَّا خاطئين؛ أي: مذنبين بما صنعْنَا في حقِّك(١).

(٩٢-٩٣) - ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾: أي: لا تعييرَ عليكم، وقيل:

= والتيسير في التفسير (٨/ ٤٧٨)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٠٢)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٢٨٢).

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٤)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٠٣)، والتيسير في التفسير (٨/ ٤٨٤).

لا ملامةَ عليكم. ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾: هذا منه دعاء لهم بالمغفرة، عفا بنفسه، وطلب لهم عفوَ ربِّه، وهو كمال المروءةِ والدِّيانة، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: إذْ كلُّ راحمٍ يَرحمُ برحمته. ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾: أمرَ إخوتَه أنْ يرجعوا إلى أبيهم ليحملوه إليه مع أهاليهم، وأصحبَهم قميصَه، ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي﴾: عَلِمَ يوسفُ أنَّ يعقوبَ لِمَا يلحقه مِن فرط السُّرور لا تطاوعُه يدُهُ في أخذ القميص، فقال: ألقوه على وجه أبي. ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾: قيل: يَعُدْ بصيرًا، وقيل: يأتني بصيرًا. ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: مِن النِّساء والأولاد[(١)].

(٩٤) - ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾: أي: خرجَتْ مِن مصرَ، ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾: أي: يعقوب: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ قيل: وجدَها من مسيرةِ شهرٍ. ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾: التَّفنيدُ: تضعيف الرَّأي، والفَنَدُ: ضعفُ الرَّأي؛ أي: تضعِّفون، وقيل: تهرِّمون. وقيل تنسبوني إلى الخرف، وقد أفندَه الشَّيبُ؛ أي جعلَه كثيرَ الكلام من الخرَفِ.

(٩٥-٩٦) - ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾: أي: قالَ مَن حضرَه: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾؛ أي: في خطئِكَ القديم، قاله ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وهو يرجعُ إلى قولِ بنيه في الابتداء: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[يوسف: ٨]. وقيل: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾؛ أي: حبِّكَ القديم[(٢)]. ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٢٨٤)، والبسيط (١٢/ ٢٣٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١٢٨)، ومجاز القرآن (١/ ٣١٨).

(٢) النكت والعيون (٣/ ٧٨)، وجامع البيان (١٣/ ٣٤٣) الدر المنثور (٤/ ٥٨٣) والبسيط (١٢/ ٢٤٥)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾: أي: جاءَ يهوذا بالقميصِ فألقاه على وجهِ أبيه يعقوب فرُدَّ بصيرًا؛ أي: صار بصيرًا كما كان. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾: أي: قال للَّذين حضروه ممَّنْ كانوا يفنِّدونه، ويقولون: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾:﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهو علمُه بما يبتلي اللَّهُ به عبادَه الأنبياءَ مِنَ المحنِ الَّتي تنكشفُ عن حميدِ العاقبةِ.

(٩٧-٩٨) - ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا﴾: قال إخوةُ يوسف لأبيهم: اشفعْ لنا إلى يوسفَ ليعفوَ عنَّا، وقيل: استغفرِ اللَّهَ لنا ذنوبَنا. ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾: مذنبين مسيئين إليك وإلى يوسف، وعاصين للَّهِ بذلك. ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: قيل: أخَّرَ يعقوبُ ذلك إلى أن ينظرَ ما يقضي اللَّهُ في أمرِهم، وماذا يقولُ يوسفُ، والحقُّ لم يكن ليعقوبَ خاصَّة، فأخَّر إلى أن يترضَّاه، ثمَّ يستغفر لهم. وقيل: أخَّرَ ذلك إلى أن يقومَ للصَّلاة، فيستغفرَ فيها أو بعدها.

(٩٩) - ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾: أي: يومَ عاشوراء ﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾؛ أي: ضمَّ إلى نفسِه أباه وخالتَه راحيلَ؛ لأنَّ أمَّه كانَتْ ماتَتْ، وتزوَّجها يعقوب، والخالةُ أمٌّ. والأبوان: اسمٌ للأبِ والأمِّ، تغليبًا للذَّكر على الأنثى، وقد آواهما جميعًا؛ أي: ضمَّهما إلى نفسِه وأنزلَهما عندَه ومعه في موضعٍ أعدَّه لنزولِ ساعة خارجَ المصر. ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾: والاستثناءُ داخلٌ في الأمن لا في الدُّخول؛ لأنَّه أَمرَ بالدُّخول، ووَعدَ بالأمنِ، والاستثناءُ يدخلُ في الوعدِ لا في الأمرِ. وكذا كانت مواعيدُ الأنبياءِ عليهم السلام، وإنَّما وعدَ الأمنَ لأنَّه كان بلدًا فيه كفَّار، وملكُهم الَّذي أقامَ يوسفَ مقامَ نفسِه كان كافرًا أيضًا، فوعدَ لهم

الأمنَ معلَّقًا بالمشيئة رجاءً لذلك مِن فضلِ اللَّهِ.

(١٠٠) - ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾: أي: لمَّا دخلوا مصرَ ودخلوا دارَه رفعَ والدَه وخالَته راحيل إلى سرير الملك. ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾: وضعُ الجبهةِ على الأرضِ، وهو المتعارفُ المتفاهمُ عندَ إطلاقِه، وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سجدوا للَّهِ شكرًا له على ما أنعمَ عليهم بالاجتماع. والأظهرُ والأشهرُ أنَّه كان ليوسفَ؛ لأنَّ الرُّؤيا كانت على ذلك؛ قال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وكان ذلك تحيَّةَ الملوكِ، إلى أنْ نُسِخَ في زمنِ نبيِّنا عليه الصلاة والسلام. ﴿وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾: قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: عبارةُ رؤياي. وقيل: تفسير رؤياي. أي: الَّتي قصصْتُها عليك. ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾: بأنْ أَسْجَدَكُم لي في اليقظةِ كما رأيتُه في المنام. ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾: أي: أحسنَ إلى أهل الزَّمان بي، حيثُ ملَّكني، ونفعَ النَّاسَ بحسْنِ تدبيري. ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: أي: أشكرُ الخلاصَ مِنَ السِّجنِ. ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾: أي: من الباديةِ الَّتي يبدو فيها مَن كان دخلَها. وإنَّما قال: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾؛ لأنَّهم كانوا بادينَ بأرضِ كنعان، وهي باديةُ بلادِ فلسطين. ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾: قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ألقى الحسدَ في قلوبِ أخوتِه[(١)]. ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾: أي: لطفَ اللَّهُ لي بهذه النِّعم، إنَّه لطيفٌ لِمَا يشاء؛ أي: يُوصِلُ إلى الشَّيءِ في سهولةٍ وحسنِ مَوقعٍ. وقيل: أي: عالم بدقائقِ الأمورِ وحقائِقها وسرِّها وعلنِها. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بنا وبأحوالنا ﴿الْحَكِيمُ﴾: فيما أجرى بيننَا.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٣)، والكشف والبيان (٥/ ٢٦٣)، التيسير في التفسير (٨/ ٥١٥).

(١٠١) - ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾: الأظهرُ أنَّه مُلْك مِصرَ. ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾؛ أي: تعبير الرُّؤيا، ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: يا خالقَ السَّماوات والأرض مِن غير شيء، مُبتدئًا خَلْقَها. ﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: أي: متولِّي أموري، وكافي مَعاشي ومَعادي. ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾: أي: أَمِتْني على الإسلام. ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: أي: والحِقْني بآبائي الأنبياءِ في الجنَّة؛ إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وقيل: أرادَ به: ألحِقْني في الدُّنيا بدرجاتِ الصَّالحين، المستكملِين للصَّلاح، المنزَّهين عن الفساد.

(١٠٢-١٠٣) - ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: أي: هذا من الأخبار الَّتي يغيبُ علمُها عن العباد، فلا يقفُ عليها إلَّا مَن علَّمَه اللَّهُ تعالى، فنحنُ نعلِّمُكَ ونوحِي إليكَ. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾: أي: لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾؛ أي: أحكموا الرَّأي والتَّدبير على طرحه في البئر ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ بيوسف؛ أي: يحتالون على أن يفرِّقوا بينَه وبين أبيه يعقوب، ليخلوَ لهم وجهُ أبيهم، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي: لا يؤمنون وإن اشتدَّ حرصُكَ على إيمانهم؛ لأنَّ هذا مِن أفعالي لا يقدر عليه آخرُ غيري، والحرصُ: طلبُ أمرٍ باجتهادٍ في إصابَتِه. وقيل: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ مِن أهل مكَّةَ.

(١٠٤-١٠٦) - ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: أي: لسْتَ تطمعُ في أموالهم، ولا تسألهم على تبليغ القرآن شيئًا ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: القرآنُ تذكيرٌ وموعظةٌ لجميع العالمين إلى قيام السَّاعة، وقيل شرفٌ لِمَن اتَّبعه مِن العالمين. ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا

مُعْرِضُونَ﴾: أي: وكم مِن دلالةٍ على وحدانيَّة اللَّهِ تعالى في السَّماواتِ والأرضِ.

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾؛ أي: غافلونَ لا يعتبرون بها، ولا يتفكَّرون فيها، ولا يتَّعظون بما قال الأوَّلون. ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾. هذا تعديدٌ لقبائح أولئك المشركين، وتبعيدُ إيمانهم بالقرآن. أي: وما يؤمن أكثرهم باللَّه بألسنتهم إلَّا وهم مشركون بقلوبهم[(١)].

(١٠٧) - ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: هذا وعيدٌ لهم أُخرِجَ مخرَجَ التَّعجُّبِ؛ أي: عجبًا مِن غفلتهم، أَمَا يخافون أن تفجأَهُم عقوبةٌ مِن اللَّهِ تغشاهم، وتفسيره: تجلِّلُهم، ومعناه: تعمُّهم، كما جاءَتْ مَن قبلَهم مِن الأمم العاصية، أو تأتيهم القيامةُ فجأةً لا علم لهم بإتيانها.

(١٠٨) - ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾: أي: طريقتي الَّتي أسلكُها، أبتغي بها الجنَّة في الآخرة. ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾: هو بيانُ السَّبيلِ؛ أي: أدعو إلى اللَّه وحده، دونَ الشُّركاء والأنداد الَّتي يجعلها المشركون. ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: أي: على بيانٍ وحجَّةٍ، أنا وكلُّ مَن آمنَ بي، لا على تقليدٍ وإلْفِ عادةٍ. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: أي: أدعو إلى اللَّهِ وحدَه، وسبحانَه؛ أي: تنزيهًا له عن أن يكونَ معه إلهٌ غيرُه[(٢)].

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٢٨٤)، والبسيط (١٢/ ٢٣٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١٢٨)، ومجاز القرآن (١/ ٣١٨).

(٢) تأويلات أهل السنة (٦/ ٢٨٤)، والبسيط (١٢/ ٢٣٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١٢٨)، ومجاز القرآن (١/ ٣١٨).

(١٠٩) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: أي: وما بعثْنَا بالنُّبوَّة مِن قبلِكَ إلَّا رجالًا لا ملائكةً، وكانوا مِن أهل القرى لا مِن سكَّان السَّماء، فكذا أنت، فلا يهولنَّك قولُهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾: أي: ولدارُ الحياةِ الآخرةِ، أو لدارُ النَّشأةِ الآخرةِ خيرٌ ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشِّركَ والمعاصي. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أي: أفما لهؤلاء المشركين عقولٌ يتدَّبرون بها هذه الحُجَج والمواعظ، فينجوا من الهلاك[1]؟.

(١١٠) - ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾: أي: وما أرسلنا قبلَك إلَّا رجالًا مثلَك يبلِّغون الرِّسالة ويوضِّحون الدلالة، حتَّى إذا استيأس هؤلاء الرُّسلُ مِن إيمان قومِهم. ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾: أي: وظنَّ الرُّسلُ -أي: أيقنوا- أنَّ الأممَ كذَّبوهم تكذيبًا لا يؤمنون بعدَه، ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ أي: لم نكنْ نعاجِلُ أممَ الرُّسلِ بالانتقام منهم على تكذيبِهم، بل كنَّا نمهلُهم حتَّى إذا وقعَ اليأسُ وضاقَتِ الأحوالُ أتاهم نصرُنا. ﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾: أي: فننجي الأنبياءَ وأتباعهم. ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: أي: عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين.

(١١١) - ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أي: في قصص يوسف وإخوته وأبيه. وقيل: في قصص الأنبياء كلِّهم عبرةٌ؛ أي: دلالة يُعْبَر بها إلى البُغية لأولي العقول الخالصة، إذا كان ذلك حقًّا مِن اللَّه، فيحقُّ على العقلاء الاعتبارُ

---

(١) أحكام القرآن (٣/ ٢٣٢)، والنكت والعيون (٣/ ٨٨)، والبسيط (١٢/ ٢٦٤)، ومعالم التنزيل (٤/ ٢٨٥).

به. ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾: أي: لم يكن خبرًا يُختلق حتَّى ينبغي للعقلاء أن يرفضوه ويعرضوا عنه ﴿وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: بل كان تصديقًا للتَّوراة والإنجيل والكُتب المنزَّلة قبلَه. ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: أي: وتبيينًا لكلِّ شيءٍ ممَّا بالنَّاس حاجةٌ إليه في دينِهم. ﴿وَهُدًى﴾ إلى الحقِّ والصِّراط المستقيم ﴿وَرَحْمَةً﴾ مِن اللَّهِ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: رحمَ بها المؤمنين.

(انتهى تفسير سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ)

(١٣) سورة الرعد مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة الرَّعد مكيَّة، هكذا سميت من عهد السلف. وذلك يدل على أنها مسماة بذلك من عهد النبي ﷺ إذ لم يختلفوا في اسمها، وإنما سميت بإضافتها إلى الرعد لورود ذكر الرعد فيها، نزلت بعد سورة القتال وقبل سورة الرحمن، وعدوها سابعة وتسعين في عداد النزول، وهي ثلاث وأربعون آية، وكلماتُها ثماني مئةٍ وثلاثٌ وخمسون، وحروفُها ثلاثةُ آلافٍ وأربعُ مئةٍ وثلاثةٌ وخمسون.

مقاصدها:

أقيمت هذه السورة على أساس إثبات صدق الرسول ﷺ فيما أوحي إليه من إفراد الله بالإلهية والبعث وإبطال أقوال المكذبين فلذلك تكررت حكاية أقوالهم خمس مرات موزعة على السورة بدءًا ونهاية، ومهد لذلك بالتنويه بالقرآن وأنه منزل من الله، والاستدلال على تفرده تعالى بالإلهية بدلائل خلق العالمين ونظامها الدال على انفراده بتمام العلم والقدرة وإدماج الامتنان لما في ذلك من النعم على الناس، ثم انتقل إلى تفنيد أقوال أهل الشرك ومزاعمهم في إنكار البعث، وتهديدهم أن يحل بهم ما حل بأمثالهم، والتذكير بنعم الله على الناس، وإثبات أن الله هو المستحق للعبادة دون آلهتهم، وأن الله العالم بالخفايا وأن الأصنام لا تعلم شيئًا ولا تنعم بنعمة، والتهديد بالحوادث الجوية أن يكون منها عذاب للمكذبين كما حل بالأمم قبلهم، والتخويف من يوم الجزاء، والتذكير بأن الدنيا ليست دار قرار، وبيان

مكابرة المشركين في اقتراحهم مجيء الآيات على نحو مقترحاتهم، ومقابلة ذلك بيقين المؤمنين، وما أعد الله لهم من الخير، وأن الرسول ﷺ ما لقي من قومه إلا كما لقي الرسل - عليهم السلام - من قبله، والثناء على فريق من أهل الكتب يؤمنون بأن القرآن منزل من عند الله. والإشارة إلى حقيقة القدر ومظاهر المحو والإثبات، وما تخلل ذلك من المواعظ والعبر والأمثال[(١)]، وانتظام أوَّل هذه السُّورة بآخر السُّورة الَّتي قبلَها: أنَّ كلَّ واحدةٍ منهما في ذِكْرِ القرآنِ وصفتِهِ، وانتظام السُّورتَيْن: أنَّ (سورة يوسف) في تسلية النَّبيِّ ﷺ بما قصَّ عليه ما نال يوسفَ من الأذى من الأقارب؛ ليصبرَ هو على ما ينالُه من أذى الأجانب، وختم السُّورة بتكذيبِ الكفَّارِ رسولَ اللَّهِ ﷺ، وجحودِهم كتابَ اللَّهِ، وإعراضِهم عن التَّفكُّر في آيات اللَّه، وحذَّرهم العقوبةَ في الدُّنيا والآخرة، وذَكَرَ في هذه السُّورة أيضًا تكذيبَهم في آياتٍ، وصفةَ القرآن في آياتٍ، ونبَّههم على آياتِ وحدانيته في آياتِهِ، وحذَّرهم عقابَه، وأطمعَهم في ثوابِه في آياتٍ.

(١) - ﴿المر﴾ الله أعلم بمراده. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: أي: هذه آيات القرآن، ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾: معناه: وكلُّ ما أنزلَ اللَّه على لسانِ جبريلَ إليك فهو الحقُّ والصِّدقُ، لا كذبَ فيه ولا خُلْفَ، وقيل: ﴿الْكِتَابِ﴾ ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ﴾ شيءٌ واحدٌ، وهو القرآن، وإنَّما عطف بالواو لأنَّ الموصوف واحد، ولكن له صفتان: كتابة، وإنزال. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: لا يصدِّقون بأنَّه منزَل مِنَ اللَّهِ؛ لإعراضِهم عن التَّدبُّر فيه، وهم: مشركو مكَّة، قالوا:

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٤٣٤)، والتحرير والتنوير (١٣/ ٧٦).

إنَّ محمَّدًا تقوَّلَ القرآنَ مِن تِلقاءِ نفسِهِ(١).

(٢) - ﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾: أي: خلقَها مرفوعةً، لا أنْ تكونَ موضوعةً فرفعَها، ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: أي: ترونَ السَّماءَ لا عَمَدَ لها، فهو أمرٌ مُعايَنٌ مُشاهَدٌ. وقيل: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفةُ العَمَدِ؛ أي: بغير عَمَدٍ مرئيَّة، ولها عِمادٌ غيرُ مرئيٍّ، وهو القدرة، واللَّه تعالى يمسكُها كذلك بقدرتِه، وكأنَّها عماد لها. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: مرَّ تفسيرُه، وهو هنا إخبارٌ عن جريِ الأمورِ كلِّها على ما قَدَّرَ وقضى. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: أي: ذلَّلهما وجعلَهما طائعَيْن له، غيرَ ممتنعَيْن عليه، ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾؛ أي: كلٌّ منهما يجري إلى وقتٍ مقدَّرٍ، فالقمرُ يقطعُ الفَلَكَ في شهرٍ، والشَّمس في سنةٍ، لا يختلفُ جريُهما، وقيل: كلٌّ يجري على ما سخَّرَهُ اللَّهُ إلى يوم القيامة، ثم ينتقِض، فتكوَّرُ الشَّمس، ويُخسَفُ القمر، وتنكدرُ النُّجوم. ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: أي: يجري الأمورَ كلَّها على علمِ عواقبِها. ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: أي: يأتي بالآياتِ الدَّالة على وحدانيته وصدقِ رُسلِهِ فصلًا فصلًا؛ ليتمكَّن العبادُ مِن تدبُّر كلِّ آيةٍ على حِدة. ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: أي: لتوقنوا بالبعثِ بعدَ الموتِ، والمصيرِ إلى ثوابِه وعقابِه(٢).

(٣) - ﴿وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ﴾: ذَكَرَ السَّماءَ وعجائبَها، ثمَّ الأرض كذلِكَ؛ دلالةً على ربوبيَّته ووحدانيَّته، و﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾؛ أي: بسطَها طولًا وعرضًا،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٨).

(٢) جامع البيان (١٣/ ٤١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢١٦)، وتفسير مجاهد (ص: ٤٠٣).

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: أي: جبالًا ثوابت، ﴿وَأَنْهَارًا﴾: أي: جعل فيها أنهارًا جارية، فيها المياه العذبة وغير العذبة. ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: أي: وجعلَ فيها من كلِّ الثَّمرات. ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: أي: لونَيْن؛ أسودَ وأبيض، وحلوًا وحامضًا، وصغيرًا وكبيرًا، ورطبًا ويابسًا، ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾؛ أي: يغطي، فيغشي النَّهارَ اللَّيلَ فيُذْهِبُ ظلمَتَهُ، ويغشي اللَّيلَ النَّهارَ فيُذْهِبُ ضوءَهُ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيه، فيعلمون بتعاقُبِه وتصرُّفِه على نظامٍ واحدٍ أنَّ له صانعًا عليمًا حكيمًا قادرًا، ليس كمثلِه شيءٌ، وأنَّ ذلكَ كلَّه إذا كان مخلوقًا لِقوام العباد اقتضى شكرَهم له على هذه النِّعم بإخلاصِ العبادةِ له[١].

(٤) - ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾: أي: متلاصقاتٌ متقرِّبات، تربتُها واحدةٌ وماؤها واحد. ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ﴾: أي: وفي الأرض بساتين مِن أعناب، وهي الكرومُ. ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: والصِّنوانُ: هي النَّخلات الَّتي أصلُها واحد، وكلُّ شجرةٍ صِنْوٌ لصاحبتِها إذا كان أصلُها واحدًا. وقال النَّبيُّ ﷺ: عم الرجل صنو أبيه[٢]؛ أي: أصلُه وأصلُ أبيه واحدٌ. ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾: أي: يُسْقى ما ذُكِرَ، أو كلُّ واحدٍ ممَّا ذُكِرَ، ﴿وَنُفَضِّلُ﴾ بالنُّون؛ أي: إنَّ اللَّه تعالى يقول: ونحنُ نفضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأكل؛ أي: بالثَّمر. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: أي: مَن استعملَ عقلَهُ وتدبَّرَ -مع سلامةِ العقلِ مِن الآفات المانعاتِ عن كمالِ النَّظر - علم

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٣٥٥)، وجامع البيان (١٣/ ٤٢٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٠).

(٢) ورواه مسلم (٩٨٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أنَّ لذلكَ صانعًا هو فرَّقَ بينَهما وبينَ الجنس الواحد منهما مع اجتماعِها في المغرسِ والماءِ، فدلَّ على أنَّ ظهورها ليس بالتُّربة والماء؛ إذ لو كانَ كذلك لم تختلف الطُّعوم والمناظر، وذلك ظهورها بإنشاءِ اللَّهِ تعالى القادرِ على ما يشاء.

(٥) - ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾: أي: وإنْ عجبْتَ يا محمَّدُ ﷺ مِن إنكارِ هؤلاءِ للإعادةِ مع إقرارِهم أنِّي أنا الخالقُ ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾؛ أي: فقد وضعتَ بالتَّعجُّب في موضعِه؛ لأنَّهم أقرُّوا بقدرتي على ابتداء هذه الأشياء، ثمَّ أنكروا إعادتها، والَّذي أنكروا قدرتي عليه أولى أن يكون مقدورًا عليه مما أَقَرُّوا بقدرتي عليه، ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ نُبعث، ﴿أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: بعدَ أنْ صرنا ترابًا نُحيَى ونُعاد خلقًا جديدًا كما كنَّا أوَّل مرَّة. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: كفروا بإنكار البعث بربِّهم الذي هم يُقرُّون أنَّه خالقُهم. ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: أي: يومَ القيامة، فإنَّه مِن عقوبةِ أهل النَّار،، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: ذكرَ (أولئك) ثلاثَ مرَّاتٍ، والمراد به: هؤلاء، وجازَ ذلك لأنَّه مَضى الخبر عنهم، فجازَتْ الإشارةُ بـ(أولئك)[١].

(٦) - ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: أي: ومِن عِظَمِ جهالتِهم أنَّهم -مع إصرارِهم على الشِّرك ومعاندتهم النَّبيَّ ﷺ يَدْعون اللَّهَ تعالى بإنزالِ العذابِ عليهم، نزلَتْ في النَّضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن قصي قال: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾؛ أي: بالعذاب. ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾؛ أي:

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٣١٠)، وجامع البيان (١٣/ ٤٣٥).

الإيمانِ والطَّاعة الذي يُدْفَع به العذاب، ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾: قال ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: العقوبات، وقال قتادة: وقائع اللَّه في الأمم الخالية. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾: يعني: المؤمنين ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ يعني: على الكافرين[1].

(٧) - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: هي الآية المقترحة. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾: أي: مبعوثٌ لتحذِّرهم العذابَ، لا مريدٌ لهلاكِهم، ولا مستعجِلٌ بعذابِهم، ولا مالكٌ لعقابِهم. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: أي: أنت نذيرٌ لهم، داعي الخلقِ إلى الحقِّ، وكذلك كان الأنبياء قبلك أوَّلًا، وقال ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؛ أي: داعٍ إلى الحقِّ.

(٨) - ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ خطاب للمتعجِّلين، وتعريفٌ لهم أنَّ اللَّهَ لا يدعُ حكمتَه باستعجالِهم، ولا يخفى عليه وجهُ الصَّلاح، فإنَّه الَّذي يعلمُ ما تحملُ كلُّ أنثى: أذكرٌ هو أم أنثى؟ أبيضُ أم أسودُ؟ واحدٌ أو أكثرُ؟ ناقصٌ أم تامٌّ؟ ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾: أي: ما تنقصُ عن تسعة أشهر، فتضع الولدَ لستَّة أو لسبعة أو لثمانية ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ على تسعة، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾: أي: جعلَ لكلِّ شيءٍ مقدارًا معلومًا مِن الخَلْقِ والرِّزقِ والأجلِ والعمل، فلا معنى لاستعجالهم بالعذاب[2].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٢٣)، والتفسير الكبير (١٩/ ١٢)، وتفسير مقاتل (٢/ ٣٦٧)، والبيان (٧/ ٢٨٦).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٤٥)، وجامع البيان (١٣/ ٤٣٨)، والبسيط (١٢/ ٢٩٩).

(٩) - ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ أي: هو عالمٌ بما غابَ عن الخلق وما شاهدوه، لا يخفى عليه شيءٌ منه. ﴿الْكَبِيرُ﴾ في شأنِه وقدرته وسلطانِه وكلِّ صفاتِه ﴿الْمُتَعَالِ﴾: عمَّا لا يليقُ به، أحاطَ الحقُّ سبحانَه بالمعلوماتِ عِلمًا، وأمضى في الكائنات حكمًا، فلا معلومَ يَعْزُبُ عن علمِه، ولا مخلوقَ يخرجُ مِن حكمِه، تعالى عن سماتِ النَّقص، وتقدَّس عن صفات العيب.

(١٠) - ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ﴾: أي: أخفاه ﴿وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾؛ أي: رفعَ به صوته ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾؛ أي: متوارٍ. ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾: قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ذاهب، وقيل: أي: راكب رأسَه، وقيل: سالكٌ في سَرَبِهِ يتسرَّب في مذاهبه؛ أي: يضطرب في طرقه[١].

(١١) - ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾: أي: لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنَّهار ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: أي: مِن بينِ يدَي هذا الذي هو مستَخْفٍ بالليل وساربٌ بالنَّهار. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: أي: مِن وراء ظهرِه؛ أي: عليه حفظةٌ مِن الملائكةِ حولَه. ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: أي: بأمر الله كما يُقال: أجابك مِن دعائِكَ؛ أي: بدعائك. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: أي: من نعمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾؛ أي: بالكفران. قال ابنُ عبَّاس: إذا أنعمَ اللَّهُ على قومٍ بنعمةٍ فشكروها ولم يَكْفُرُوها زادَ لهم تلك النِّعمة وأدامَها عليهم، وإذا لم يشكروها وتلقَّوها بالكُفْران سلبَها عنهم وابتلاهم بضدِّها[٢]، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾: أي: وإذا حقَّتْ كلمةُ العذابِ على هؤلاءِ

---

(١) جامع البيان(١٣/ ٤٧٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٤٢)، التيسير في التفسير (٩/ ٢٩).

(٢) تأويلات أهل السنة (٥/ ٢٤١)، والنكت والعيون (٤/ ٣٠٧)، وزاد المسير (٤/ ٣١٣).

الَّذين غيَّروا ما بأنفسِهم، وحانَ وقتُ حلولِ النِّقمة بهم، وكانوا أهلًا لذلك ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾؛ أي: فلا يقدرُ أحدٌ على ردِّهِ عنهم، فزالَ عنهم المعقِّبات، ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾: أي: ما لهؤلاء القومِ أحد دونَ اللَّهِ يليهم ويلي أمرهم؛ أي: لا يعافيهم إلَّا اللَّه، ولا أحد يملكُ أمرهم إلَّا اللَّه، فلا مانعَ ولا دافعَ ولا رافعَ ولا شافعَ.

(١٢) - ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: تَنتظِمُ بما قبلَها في بيان قدرةِ اللَّهِ تعالى على ما يشاء. ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾؛ أي: اللَّهُ هو الذي يريكم -معاشرَ عبادِه- البرقَ في السَّماء ﴿خَوْفًا﴾ للمسافر، يخافُ أذاهُ لِمَا ينالُه مِن مطرٍ إنْ كانَ عقيبه ﴿وَطَمَعًا﴾ للحاضر، المعنى: أنْ يكونَ عقيبه مطرٌ فينتفعُ به. وقيل: ﴿خَوْفًا﴾ من العذاب، ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث. وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿خَوْفًا﴾ للمسافر، ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم. وقيل: ﴿خَوْفًا﴾ مِن هولِه وصواعقِه ﴿وَطَمَعًا﴾ في مطرِه. ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾: أي: ينشئ ويبدئ، والسَّحابُ هنا جمعُ سحابةٍ، ولذلك قال: ﴿الثِّقَالَ﴾ على الجمع؛ أي: الثِّقال بالمطر[١].

(١٣) - ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾: الرَّعدُ: مَلَكٌ، والبرقُ: سوطٌ مِن نورٍ، يزجرُ به السَّحاب، وقيل: الرِّيح، والبرقُ: النَّار، وقال بعضُ أهل اللُّغة: الرَّعدُ: الصَّوت، والبرقُ: نارٌ، يكونان مع السَّحاب، وقيل: الرَّعدُ: اصطكاكُ أجرامِ السَّحاب، وتسبيحُهُ: دلالتُه على وحدانيَّة اللَّهِ تعالى وتنزيهِه عن كلِّ سوءٍ، وهو كقولِه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ٢٧٦)، والدر المنثور (٤/ ٦١٨)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣٦).

﴿خِيفَتِهِ﴾: أي: أنَّه خوفُ عقوبتِه؛ لأنَّه قد جاء فيهم الوعيد؛ قال: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، وقيل: خوفُ هيبتِه؛ لأنَّه وصفَهم بالطَّاعة والاستسلام، والعملِ على الدَّوام، وخوفُ الهيبة لا يزولُ في الآخرة، وخوفُ العقوبة يزولُ. ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾: جمعَ صاعقةٍ، وهي نارٌ تسقطُ مِن السَّماءِ هائلةٌ، لها صوتٌ يقتلُ، فتقتلُ مَن تُصيبُه أو تُدْهِشُه. ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾: أي: وهؤلاء المشركون -مع علمِهم بأنَّ اللَّهَ خالقُ هذا الرَّعدِ وما فيه مِن الخوفِ والطَّمع- لا يُخلصون العبادةَ للَّهِ، بل ﴿يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾؛ أي: يخاصمونَ النَّبيَّ ﷺ والمؤمنين فيه، فمرَّةً يقولون: آلهتنا خيرٌ أم هو؟ ومرَّة يقولون: صِفْ لنا ربَّك، ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾: أي: اللَّهُ شديدُ العقوبةِ، وقيل: قويُّ الكيدِ(١).

(١٤) - ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾: هي شهادة أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّه على إخلاص التَّوحيد. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾: يعني: الأصنام؛ لأنَّ المشركين وضعوها موضعَ الذين يضرُّون وينفعون، ويستجيبون للَّذين يدعون، ويحتمل: أنَّه أراد به الملائكة وعُزيرًا والمسيح والجنَّ؛ لأنَّهم لا يستجيبون لعابدِيهم بشيءٍ، ولا ينفعونهم إلَّا بأمرِ اللَّهِ، فأمَّا أنْ ينفعوهم مِن عندهم فلا. ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾: أي: لا يستجيبون لهم أصلًا، لكنَّهم كمادِّ يدَيْهِ إلى الماء ليبلُغَ الماءُ فمَه ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾؛ أي: أولا يبلغُ الماءُ فمَهُ. وقال ابنُ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٣١٨ - ٣٢٠)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٢٠)، والتيسير في التفسير (٩/ ٤٠).

عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: هذا مَثَلُ المشركِ الَّذي عبَدَ غيرَ اللَّهِ، فمثلُهُ كمَثَلِ العطشانِ الَّذي ينظرُ إلى خَيالِهِ في الماءِ ليتناوَلَهُ، فلا يقدرُ عليه. ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: أي: في غيرِ استقامةٍ وهدًى، فإنَّه غيرُ حاصلٍ لهم ما رَجَوه، ولا إجابةَ لهم ممَّن دَعَوه، وقيل: أي: وما دعاءُ الكفَّارِ الأصنامَ إلَّا ضلالٌ عن الهدى[(١)].

(١٥) - ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: أي: إنَّ الكفَّارَ وإنْ دعوا مِن دونِ اللَّهِ دعوةَ الباطلِ، وامتنعوا مِن دعوةِ الحقِّ، فكلُّ مَن في السَّماواتِ والأرضِ مِن الملائكةِ وبني آدمَ والجنِّ والشَّياطين يسجدون للَّهِ؛ إمَّا طائعِيْن، وإمَّا كارهِين، وظلالهم تسجدُ له بالغَدواتِ والعشايا، والآصال: جمعُ أُصُلٍ، والأُصُل: جمع أصيل، وهو العشيُّ، وهو ما بينَ العصرِ إلى غروبِ الشَّمس، وأمَّا الظِّلال فساجدةٌ للَّهِ تعالى بالغدوِّ والآصالِ؛ لأنَّها تميلُ مِن ناحيةٍ إلى ناحية، وليس ذلك باختيارِها، بل هو بفعلِ اللَّهِ ذلك بها، وتصريفه إيَّاها على ما يشاء مِن ذلك، ودلَّ ذلك على أنَّها مخلوقةٌ مصرَّفةٌ على ما يصرِّفُها عليه صانعُها ومدبِّرُها، وذلك شهادةٌ منها للَّهِ تعالى بالقدرةِ والسُّلطان والوحدانيَّة، وخضوعٌ منها له، وهو السُّجود. ومِنَ السُّجود كَرهًا معنى سجود الكافرِ للَّهِ إذا نزلَ به ضرٌّ ألجأتْهُ الحاجة إلى أنْ يتواضعَ للَّهِ ويسجدَ له، يدعوه بها لحاجتِهِ بها[(٢)].

(١٦) - ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: قلْ للمشركِيْنَ السَّاجدِيْنَ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٣٢١)، التيسير في التفسير (٩/ ٤٤)، وجامع البيان (١٣/

(٢) التيسير في التفسير (٩/ ٤٨)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٦١).

للَّهِ كَرْهًا دلالةَ الخلقةِ: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: مالكهما ومدبِّرُهما، وكانوا مقرِّين بأنَّ ربَّ السَّماوات والأرض هو اللَّه؛ أي: سَلْهُم عن هذا، فيقولون: اللَّه، فحذفَ جوابَهم لدلالَةِ الكلامِ عليه؛ لأنَّهم كانوا مقرِّينَ بذلك، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]. ﴿قُلِ اللَّهُ﴾: أي: وإذا قالوا: اللَّه، فقل أنت أيضًا: اللَّه، تقريرًا لهم، وتأكيدًا للاحتجاجِ عليهم. ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ والتَّقريع؛ أي: قلْ لهم بعدَ هذا التَّقرير: فلِمَ اتَّخذْتُم مِن دونه أولياء تتولَّونهم وتعبدونهم وتوجِّهون الرَّغبة إليهم، وهم لا يملكون لأنفسِهم نفعًا يجلبونَه إليها، ولا ضرًّا يدفعونَه عنها؟، وإذا كان كذلك فهم مِن ملكَةٍ لكم أبعدُ. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: وهو تقريعٌ آخر؛ أي: هل يستوي الجماد الذي لا يُبصِرُ ولا يسمَعُ، واللَّهُ الحيُّ الذي يبصرُ ويسمعُ. وقيل: هو مَثَلُ الكافر والمؤمِن. ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾؛ أي: الكفر والإيمان، فالكفرُ ظلمةٌ لا يُهتَدى فيها، والإيمانُ نورٌ يُهتَدى فيه، ولا يستويان. ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ وبخهم أجعلوا لله شركاء خلقوا مثل ما خلق الله، فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم؟ وهذا الاستفهام إنكار لذلك، أي ليس الأمر على هذا حتى يشبه الأمر، بل إذا فكروا بعقولهم وجدوا الله هو المنفرد بالخلق، وسائر الشركاء لا يخلقون خلقًا يتشابه بخلق الله، وإذا كانوا بهذه الصفة ألزمتهم الحجة، ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: وقد أقررْتُم أنَّه لا خالقَ غيرُه، فلا يستحقُّ العبادةَ غيرُه. ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾؛ أي: الواحدُ الَّذي لا ثانيَ له، ولا

شريكَ له، وهو القهَّارُ الَّذي يقهرُ بقدرته كلَّ شيءٍ، ولم يقهرْهُ شيءٌ، وهو المستحِقُّ لتوجيه الرَّغبات إليه، والاستغناءِ به عن غيرِه(١).

(١٧) - ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ الآية: قال قتادةُ: هذه ثلاثةُ أمثالٍ في مثلٍ واحدٍ، فشبَّه نزولَ القرآنِ بالماءِ ينزلُ مِن السَّماء، وشبَّه القلوبَ بالأوديةِ والأنهار، فذو العلم على قَدْر علمِه، وذو الجهل على قَدْر جهلِه، فهذا مَثَلٌ، ثمَّ شبَّه وساوسَ الشَّيطان ومخايل النَّفس والخَطَرات الفاسدةَ بالزَّبَد يعلو الماء، وهو قوله تعالى: ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾، والرَّابي: العالي، فما يقعُ في النَّفس مِن الوهم والفضول فمِن ذاتِها لا من الحقِّ، يقولُ: فكما يذهبُ الزَّبدُ باطلًا ويبقى صفوُ الماءِ، كذلك تذهبُ مخايلُ النَّفس ووساوسُ الشَّيطان ويبقى الحقُّ كما هو، فهذا مثلٌ ثانٍ. ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾: أي: له خبثٌ مِثْلُ زَبَدِ الماءِ، فكما يذهبُ خَبَثُ الجواهرِ ويبقى خلاصُها وصفوها كَذَلِكَ يذهبُ الجهلُ والوهمُ، ويبقى العلمُ والفهمُ، فهذا المثل الثَّالث.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾؛ أي: الواحدُ القهَّار أنزلَ مِن السَّماء مطرًا. ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾: جمعُ وادٍ وهو كل مفرج بين جبال وآكام وتلال. يجتمع إليه ماء المطر فيسيل فيه ﴿بِقَدَرِهَا﴾: على أقدارها مِن السَّعةِ والضِّيق، والكِبَر والصِّغر(٢).

---

(١) التفسير البسيط (١٢/ ٣٣٠)، جامع البيان(١٣/ ١٣٣)، معانى القرآن للزجاج(٣/ ١٤٤)، زاد المسير(٤/ ٣٢٠).

(٢) التفسير البسيط (١٢/ ٣٣٢)، وجامع البيان(١٣/ ١٣٧) والجامع لأحكام القرآن(٩/ ٣٠٥)، والدر المنثور(٤/ ١٠٣)، ومعاني القرآن للزجاج(٣/ ١٤٥).

﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾؛ أي: الوادي إذا سالَ حملَ السَّيل زبدًا مرتفعًا على ظهرِه؛ وهو زَبَدُ الماءِ والغثاء؛ أي: الحق الَّذي أنزلَه اللَّهُ تلقَّتْهُ القلوبُ على قَدْرِ عقولِها وإذعانِها، والباطلُ يظهرُ أحيانًا ويكادُ يعلو الحقَّ، ثمَّ يتلاشى ويضمحِلُّ، ولا تكون العاقبةُ إلَّا للحقِّ. ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾؛ أي: من الجواهر الَّتي يستخرجونها مِن المعادن فيوقدون عليها ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾؛ أي: طلبَ الحلية ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾؛ أي: آنية من الأواني فله ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾؛ أي: خبثٌ كزبدِ الماء، ثمَّ إنَّه ينمحقُ عندَ أوَّل ما لمستْهُ النَّار، ولا ينتفِعُ به أهلُه، فكذلك الباطل يضمحِلُّ عندَ أوَّلِ حجَّةٍ تقومُ بِهِ مِن حججِ الحقِّ، والجواهرُ تبقى في الأرض، وهي مِثْلُ الحُجَجِ تثبُتُ وتقوى. ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾: أي: يبيِّن ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾؛ أي: يذهبُ بعدَ علوِّهِ السَّيل برفعِ الرِّياح إيَّاه، وقذفِ الماءِ به، وتعلُّقِه بالأشجار، وجنبات الأودية. ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: المطرُ وجواهرُ المعادن تستقرُّ في الأرض، فينتفعُ بها النَّاسُ عندَ الحاجةِ إليها، والزَّبَدُ يعلو صورةً ثمَّ يتلاشى، وكذلك الباطلُ وأهلُه، والماءُ والجواهرُ يسفُلُ صورةً ويثبُتُ ويبقى، فكذلك الحقُّ وأهلُه، والجواهر تستفيدُ بالنَّار صفاءً، وكذلك المحقُّ يزدادُ بأذى المبطلِيْنَ خُلوصًا وبقاءً. ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾: أي: يبيِّنُ الأشياءَ لإيضاحِ الحقِّ وإدحاضِ الباطلِ (١).

(١٨) - ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ﴾؛ أي: أجابوا دعوةَ الحقِّ ﴿الْحُسْنَى﴾؛ أي: المثوبةُ الَّتي لا أحسنَ منها، وهي الظَّفَرُ والتَّمكين في الدُّنيا، والنَّعيم المقيم في

(١) التفسير البسيط (١٢/ ٣٣٣)، والجامع لأحكام القرآن(٩/ ٣٠٥)، ومعاني القرآن(٢/ ٦١).

الجنَّة؛ ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾: لم يجيبوا لربِّهم في دعوةِ الحقِّ، فلا مخلَصَ لهم بوجهٍ مِن الوجوه. ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: مِن صنوفِ الأموالِ ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾؛ أي: وضعفَ ذلك. ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾: لأعطَوه بدلًا عن أنفسِهم ليخلِّصوها من العذاب، ولا يُقبَل منهم، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾: أي: يحاسبُهم اللَّهُ بكلِّ معاصيهم، فيجازيهم عليها ولا يتجاوزُ عنها. ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: مرجعُهم بعدَ المحاسبة النَّارُ ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾؛ أي: بئسَ الفِراشُ جهنَّمُ[(١)].

(١٩-٢٠) - ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: ليسَ الَّذي استجابَ للَّهِ في دعوة الحقِّ وعلم أنَّ ما أوحى اللَّهُ إليك أنَّه حقٌّ صِدقٌ كالذي لم يستجبْ له فيها وعميَ عنها. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أي: إنَّما يتَّعظُ بآياتِ اللَّهِ أولو العقول، فيعلمون أنَّ وحيَه الحقُّ. ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾: أي: الَّذين يقيمون على الشَّهادة ولا ينقضون ذلك؛ أي: لا يشركون باللَّه تعالى. وقيل: هو ميثاق ذريَّة آدم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[الأعراف: ١٧٢]، ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ إذا بلغوا الحنثَ. وقيل: هو ميثاقُ أهلِ الإيمان وقَبول الأوامرِ والنَّواهي[(٢)].

(٢١) - ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: هو صلةُ أرحامهم،

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٢٢٥)، التيسير في التفسير (٩/ ٥٤)، وجامع البيان(١٣/ ١٣٥)

(٢) زاد المسير (٢/ ٤٩٢)، وتفسير مقاتل (٢/ ٣٧٥)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٢٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧١).

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: أي: في نقضِ الميثاقِ وقطيعةِ الرَّحم وكلِّ شيء. ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾: أي: مناقشتَه، والمجازاةَ على كلِّ المعاصي بغيرِ عفوٍ، وقيل: ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾؛ أي: يبدو لهم مِن اللَّهِ ما لم يكونوا يحتسبون.

(٢٢-٢٣) - ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: أي: حبسوا أنفسَهم عمَّا لا يجوز، وقيل: أي: تجرَّعوا مرارةَ منعِ النَّفس فيما تهواه. وقيل: صبروا على أداءِ الطَّاعات. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: الصَّلوات بأركانها وشروطها وآدابها. ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: أي: في الزَّكوات، ونوافل الصَّدقات، والمندوبِ من النَّفقات، سرًّا وعلانية، لا علانية لا غير، فيكونَ رياءً. ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: أي: يدفعون إساءةَ مَن أساءَ إليهم مِن النَّاس بالإحسان إليهم، عملًا بقولِه: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]. وقيل: أي: يدفعون بالإيمانِ الشِّرك. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: أي: هؤلاء الَّذين وصفناهم هم الَّذين أعقبَهم اللَّهُ الجِنانَ مِن دار الدُّنيا؛ أي: جزاءً بما فعلوا فيها. ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾: أي: بساتينُ إقامةٍ يدخلونها. ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: أي: مَن آمنَ باللَّه مِن والدِيهم وزوجاتِهم وأولادِهم فيجتمعون، وفيه أعظمُ اللذَّات وأجلُّ النِّعمة والكرامات. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾: قال مقاتلٌ: يدخلون عليهم في مقدارِ يومٍ وليلةٍ مِن أيَّام الدُّنيا ثلاثَ كرَّات، معهم الهدايا والتُّحف(١).

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٢٢٦)، البسيط (١٢/ ٣٣٩)، والكشف والبيان (٥/ ٢٨٦)، وتفسير مقاتل (٢/ ٣٧٦).

(٢٤-٢٥) - ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: أي: يقولون: سلامٌ عليكم، وهو تحيَّة وكرامة. ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: في الدُّنيا عن المعاصي وعلى الطَّاعة وعلى المحنة. ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾: أي: فهي نِعْمَ عُقبى الدَّار، ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: أي: إيثاقه ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ هو بمقابلة ما ذكر في الآيات المتقدِّمة مِن الوفاء بالعهد وصلة الرَّحم. ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: قيل: بالعمل بالمعاصي. وقيل: بالتَّنفير عن النَّبيِّ ﷺ والنَّميمة على المؤمنين. ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾: أي: الطَّرد والإبعاد عن رحمة اللَّه ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾؛ أي: يرَوْن فيها ما يسوؤهم.

(٢٦) - ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: أي: يوسِّع الرِّزق لمن يشاءُ ويضيِّق على مَن يشاء، وليس التَّوسيع على الكفَّار لكرامتهم، ولا التَّضييق على المسلمين لإهانتِهم، بل للمسلمين في الآخرة الجنَّة ونعيمها، ونِعْمَ عُقبى الدَّار، وللكافرين في الآخرة اللَّعنة ولهم سوء الدَّار. ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: سُرُّوا بها وبطروا؛ أي: المشركون، ولم يعلموا ما عندَ اللَّهِ للَّذين يؤمنون. ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾: أي: نفعٌ قليلٌ ذاهبٌ.

(٢٧-٢٨) - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: أي: يقول عبدُ اللَّهِ بنُ أبيٍّ وأميَّةُ وأصحابُهما: لولا أُنزِلَ عليه آيةٌ مِن ربِّه، وهي آيةٌ كانوا يقترحونَها. ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ مع ظهور الآيات ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ مَن يشاءُ مع غموضِ الآيات، فهو الهادي والمضلُّ، فيهدي ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ إليه؛ أي: رجعَ إليه، وانقطعَ بعملِه إليه؛ أي: يهدي مَن علمَ منه اختيارَ الهدى والرُّجوع إليه تعالى.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: تسكنُ ولا تضطرب، وتزول عنها الشُّبه. ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾؛ يعني: تسكنُ القلوبُ بالقرآنِ[(١)].

(٢٩-٣٠)-﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾.

أي: لهم طِيْبُ العيش، ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ﴾؛ أي: حسنُ مرجعٍ ومنقلَبٍ إلى كرامةِ اللَّهِ تعالى. ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾: أي: قد خلَتْ مِن قبلِكَ أممٌ أرسلنا إليهم كما أرسلنا إلى هذه الأمَّة. ﴿لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: أي: لتقرأَ عليهم القرآنَ فيتدبَّروه، ويقفوا على إعجازِه، فيكونَ آيةً على صدقِكَ، إذْ هم في غايةِ الفصاحةِ والعلمِ بأصنافِ الكلامِ، فيستدلُّوا بعجزِهم عن الإتيان بسورةٍ مثلِه أنَّه مِن عندِ اللَّهِ، فيقفوا أيضًا على أقاصيصِ الماضِيْن ليتيقَّنوا أنَّه مِن عندِ اللَّهِ تعالى. ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾؛ يعني: ممَّا تتلو عليهم مِن القرآنِ المعجزةِ. ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا أكفرُ بِهِ كما تكفرون ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾؛ أي: اعتمدْتُ ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾؛ أي: مرجعي في الأمورِ كلِّها[(٢)].

(٣١)-﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾: أي جعلت تسير، ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ أي شققت، فجعلت أنهارًا وعيونًا، وقيل: معناه: هو أنهم قالوا له: اجعلنا يخرج أحدنا إلى الشام أو إلى اليمن أو الحيرة ويرجع في ليلة، كما خبرت أنك

(١) جامع البيان (١٣/ ٥١٦)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٢٨)، والتيسير في التفسير – (٩/ ٦٢)، والكشف والبيان (٥/ ٢٨٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٧٧)، وجامع البيان(١٣/ ٥١٨)،لطائف الإشارات (٢/ ٢٢٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ١٤٨)، والوسيط (٣/ ١٦)، التيسير في التفسير (٩/ ٦٦).

فعلته، فعلى هذا معنى (قطعت) من قطع المسافة ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ أي: أُحْيُوا حتى كلموا، وجواب (لو) محذوف: لِسُيِّر مَوْضِعُه، وتلخيصه: ولو أن قرآنا فعل به ما التمسوا لكان هذا القرآن، ولتعُّنتِهم لا يؤمنون مع رؤيةِ كلِّ آيةٍ، ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ معنى بل: نفي الأول وإثبات الثاني، كأنه يقول: دع ذلك الذي قالوا من تسيير الجبال وغيره، فالأمر لله جميعًا، لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، وإذ لم يشأ لا ينفع تسيير الجبال، وما اقترحوا من الآيات، وسياق الآية يدل على هذا المعنى، ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾: استفهامٌ بمعنى الأمرِ، يعني: أفلمْ يعلمْ؟، ومعناه: فلْيعلَمْ. وقيل: أفلمْ ينقطعْ طمعُهم مِن خلافِ هذا علمًا لصحَّتِه؟، والعلمُ بالشَّيءِ يوجبُ اليأسَ مِن خلافِه. ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ أي: عقوبة وقيل: بليَّة، وقيل: وقعة هَلَكة؛ أي: مِن سراياه، وقيل: داهيةٌ ولا يزالُ هؤلاء المشركون يصيبهم بكفرِهم واقتراحِهم داهيةٌ مهلكةٌ مِن صاعقةٍ، كما المشركين بمكَّة ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: إظهار دينِه على الأديانِ كلِّها، وهذا وعدٌ لا يتخلف، وقيل: حتَّى يأتي يومُ القيامةِ[1].

(٣٢) - ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وهذه تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ. أي: ولقد فُعِلَ بالرُّسلِ مِنْ قبلِكَ ما يَفعلُ هؤلاء المستهزئون بك، مِن الاستهزاءِ، واقتراحِ الآيات، فأمهلْتُ المستهزئينَ مدَّةً ليؤمِنَ مَن كان في

(١) التفسير البسيط (١٢/ ٣٥٦)، بحر العلوم (٢/ ٢٢٨)، ومجاز القرآن (٣/ ١٤٩)، التيسير في التفسير (٩/ ٧١)، وزاد المسير (٤/ ٣٣٢)، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٢١).

علمي أنَّه يؤمِنُ، أو يزدادَ إثمًا ويكفرَ مَن علمْتُ أنَّه لا يؤمنُ. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: بالعقابِ، فانظر كيف كان ذلك. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ كلمةٌ تُستعمَلُ عندَ الإعلام بالقدرة، وهو توعُّدٌ لهؤلاءِ بمثلِه.

(٣٣) - ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: هو تعجُّبٌ مِن المشركين في إشراكِهم باللَّهِ غيرَه، وهو استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: ليس مَن هو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبَتْ؛ أي: قائمٌ بالتَّدبير في جزائها، وقيل: بحفظِها وإدرارِ رزقِها. ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾؛ أي: شركاءَ ليسوا بقائمِينَ على الأنفس، وقيل المعنى: أي: أشركوا أيضًا مع إنكارِهُمُ البعثَ، فازدادوا كفرًا إلى كفرٍ. ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: قيل: سمُّوا هؤلاء الَّذين جعلتُموهم شركاء بأسماء حقيقةٍ لها معانٍ تستحقُّ بها أنْ تكونَ معبودةً، ولم تقدروا على ذلك، فبطلَ قولُكم. ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى الْأَرْضِ﴾: أي: أتخبِّرون اللَّهَ بالشُّركاءِ في الأرض وهو لا يعلمُ ذلك؟؛ أي: لو كان لَعَلمَ، فهو في الحقيقةِ نفيُ الكونِ، لا نفيُ العِلْم، ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ أي: بظاهرٍ مِن قَوْل سلفِكُم على الجهالةِ أنَّها شركاء مِن غير حقيقةٍ ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾: أي: ما أُتُوا مِن هذا، ولكن زَيَّنَ الشَّيطانُ لهم اختداعَهم للضَّعفة. ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾: أي: وصرفَهُم الشَّيطان عن سبيلِ اللَّهِ، ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: يهديه إلى الطريق الحق [١].

(٣٤-٣٥) - ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾: يحِلُّ بهم كما حلَّ بالمستهزئين

---

(١) زاد المسير(٤/ ٣٣٢)، وجامع البيان (١٣/ ٥٤٩)، التيسير في التفسير (٩/ ٧٧)، والجامع لأحكام القرآن(٩/ ٣٢١).

وبرؤوس المشركين يومَ بدرٍ ونحو ذلك. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾: أي: أغلظُ وأبلغُ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾؛ أي: إذا عذَّبهم لم يمنعْهُ مانعٌ عنه. ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾: قيل: جوابُه محذوفٌ في آخرِه، وهو: أَجَلُّ مَثَلٍ، وقيل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾؛ أي: صفةُ الجنَّة، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: في غاية النُّزهة، ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾: أي: ثمرُها غيرُ منقطعٍ ﴿وَظِلُّهَا﴾ كذلِكَ لا تنسخُهُ الشَّمسُ. ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: أي: هذه عاقبة المتَّقين ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾: يعذبون فيها.

(٣٦) - ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾؛ أي: وأهل الكتاب الَّذين أسلموا ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: بالقرآنِ؛ لموافقةِ كتابِهم في ذِكْرِ الرَّحمنِ. ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾: قال مقاتلٌ: يعني: بني المغيرة وبني أميَّة وآلَ أبي طلحة بن عبد العُزَّى، قالوا: ما نعرفُ الرَّحمن إلَّا مسيلمة، وقال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: إنَّ مؤمِني اليهود أتَوا النَّبيَّ ﷺ، فقالوا: يا رسول اللَّه، ذِكرُ الرَّحمنِ في التَّوراةِ كثيرٌ، ولسْنَا نرى ذلك في القرآنِ، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، الآية، فقال مشركو مكَّة: كان محمَّدٌ يدعونا إلى إلهٍ واحدٍ، والآن يدعونا إلى إلَهيْنِ اثنَيْنِ، فأنكروا اسم الرَّحمن، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾. والأحزابُ: هم الأخلاط من اليهود والنّصارى والمشركين، تحزَّبوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ يوم الخندق؛ أي: تعاونوا. ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾: أي: مرجعِي في أموري

كلِّها، وهو حَسْمٌ لإطماعِهم في مطابقتِهم على شيءٍ مِن دينِهم(١).

(٣٧) - ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: أي: وكما آتيناهم الكتاب قد أنزلنا عليكم حكمًا عربيًا؛ أي: كتابًا بلسانِ العربِ، والحُكْمُ: اسمُ القرآنِ، سُمِّيَ به لأنَّه للحُكْمِ نزَل. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: في اتِّباعِ مِلَّةِ آبائِهم المشركين. ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: بعد ما وصل إليك من العلم، بإعلامي إياك أنهم مقيمون على باطل، وعلى عناد منهم للحق، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾: يتولَّى دفعَه عنك ﴿وَلَا وَاقٍ﴾: يقيْكَ عذابَه.

(٣٨) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾؛ أي: زوجاتٍ وأولادًا؛ أي: كان سبيلُهم كسبيلِ غيرِهم مِن البشرِ، ينكحونَ ويُوْلَدُ لهم، ويقضونَ ما أحلَّ اللَّهُ لهم مِن الشَّهوات، لم يفارقوا غيرهم إلَّا في الرِّسالة. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: لم يكنْ في وُسْعِهم الإتيان بآيةٍ إلَّا بإيتاءِ اللَّهِ تعالى. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾: أي: لكلِّ شيءٍ وقتٌ وقد قدَّرَه اللَّهُ فيه، فالآياتُ الَّتي التمسوها إنَّما تكون في الوقتِ الذي أجَّله اللَّه لها، لا على

(٣٩) - ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ مِن ديوان الحفظَةِ، ما ليسَ فيه ثوابٌ ولا عقابٌ، ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما فيه ثوابٌ وعقابٌ، وذلك لأنَّ الحفظَةَ تكتبُ على الإنسانِ

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٦٥)، والمحرر الوجيز" (٣/ ٣١٥).تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٢)، والبسيط" (١٢/ ٣٧٤)، وبحر العلوم (٢/ ١٨٠).

(٢) البسيط (١٢/ ٣٧٥)، وجامع البيان (٧/ ١٥٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٨)، والتيسير في التفسير (٩/ ٨١).

جميعَ ما يقول ويعمل، وقيل: ﴿يَمْحُو اللَّهُ﴾ ما ليس للعبد ولا عليه، ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما له وعليه. ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قيل: اللَّوحُ المحفوظُ الَّذي أثبِتَ فيه ما سبقَ علمُه وحُكمه بما لا تبديلَ له ولا تغيير. وقيل: هو إشارة إلى علمِه الشَّامل لكلِّ معلومٍ(١).

(٤٠) - ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾: أي: مِن هؤلاءِ المستهزئين بك المكذِّبين لك في حياتِك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾؛ أي: أو أُمِتْكَ قبلَ ذلكَ وفعلْتُ بهم ذلكَ بعدَ موتِكَ، أو أخَّرتُ عقوبَتهم إلى يومِ القيامةِ فليس عليكَ في ذلكَ نقصٌ في نبوَّتِكَ. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾؛ أيْ بتبليغ الرِّسالة، والوعيدِ بالعقوبةِ، لا تعجيلها لهم ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾؛ أي: وإلينا مراعاةُ أجلِها المعلوم، والإيقاعُ بهم عندَ الوقتِ المحتوم.

(٤١) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: أي: تأخيرُ العذاب عنهم ليس للعجزِ، لأنَّا قد أريناهم النُّقصان في أطراف بلادِهم، بخرابِ ما حولَهم مِن القُرى، وخلوِّها عن أهلِها بالقتل والسَّبي، وزوالِ سلطانِهم عنها، وضربِ الجزيةِ عليهم. ﴿نَأْتِي الْأَرْضَ﴾؛ أي: يأتيها أمرُنا بالعذابِ، وقيل: هو بموت أهلها، وقيل: بموت العلماءِ وخيارِ أهلِها، والأطرافُ: الأشرافُ –وقيل: النَّواحي. ومعنى الآية: أَوَلَا يتأمَّلون أنَّا نفتحُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ما حولَ مكَّةَ مِن بلاد المشركين فأَنْقصُ بذلك مِن قراهم وأزيدُ في بلادِ الإسلامِ، فيعلموا أنَّه لا يكون

(١) البسيط (١٢/ ٣٧٩)، (١٣/ ٥٦٦) والكشف والبيان (٥/ ٢٩٧)، وزاد المسير (٤/ ٣٣٨). ومعالم التنزيل (٤/ ٣٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٨٩).

لهم حُسن العاقبة بعدَ أنْ نَقَصْتُ مِن أطرافِ أرضِهم؟. ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾؛ أي: لا ناقضَ له، ولا رادَّ، والتَّعقيبُ: إعقاب الشَّيء بما يبطلُه. ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: أي: إنَّ أجلَ العذابِ إذا جاءَ لا يتأخَّر عن مستحقِّه، بل هو سريعٌ عاجلٌ.

(٤٢) - ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: بأنبيائِهم؛ بالاستهزاءِ، والتماسِ آياتِ الاقتراحِ، كما مكرَ بك هؤلاء وصوَّروا عندَ الضَّعفَة أنَّ دعوتَكَ لو كانت حقًّا لجئتَهم بما يلتمسونَه مِن الآياتِ المقترحة. ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾: أي: إنَّ اللَّهَ تعالى يردُّ ضررَ المكرِ على الكفَّارِ، فلا يحصلون مِن مكرِهم على شيءٍ، ويوضِّحُ اللَّهُ حُججَهُ لعبادِه، فيعودُ أثرُ مكرِهم عليهم ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: أي: مِن خيرٍ أو شرٍّ، فهو مجازِيها به. ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾: أي: عن قريبٍ يعلمون، ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: أي: يعلمون لِمَنْ تكونُ عاقبةُ الدَّار، وهذا وعيدٌ.

(٤٣) - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾: قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو كعبُ بنُ الأشرفِ، ومالكُ بنُ الصَّيفِ، وكنانةُ بن أبي الحقيق، وربيعة بن عَمرو. ويجوز أنْ يكون جميعَ كفَّارِ عصرِه، وقال مقاتلٌ: يعني: مشركي العرب، ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾: ما أنتَ برسولٍ مِن اللَّهِ إلينا؛ لأنَّكَ عاجزٌ عن إنزالِ ما التمسناهُ منك مِن الآيات. ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: أي: كفى باللَّه شهيدًا لي عليكم بما أقامه مِن الدَّلائل على صحَّةِ دعوى النُّبوَّة والرِّسالة، بالمعجزات الَّتي أظهرَها على يدي، وبما أيَّدني به مِن الإخبار عن الغيوب، وغير ذلك، وكفى بذلك شهادةً؛ لأنَّه ممَّا لا يتهيأُ لأحدٍ مِن البشرِ أنْ يعارضَها بمثلِها، أو ينقضَها بضدِّها. ﴿وَمَنْ

عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: عطفٌ على قوله: ﴿بِاللَّهِ﴾. وقيل: أُرِيدَ به عبد اللَّه بن سلام، وقيل: ﴿مَنْ﴾ للجنسِ، والمراد بِهِ جمعٌ، وهم: عبد اللَّه بن سلام، وتميمٌ الدَّاري، وسلمانُ الفارسي، والنَّجاشي، وعلماء أهل الكتاب الذين أسلموا[1].

(انتهى تفسير سورة الرعد).

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٣٥٥)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٣٦)، والتيسير في التفسير (٩/ ٨٨)، بحر العلوم (٢/ ٢٣٢)، والبسيط (١٨/ ٤٥٠)، وتفسير مقاتل (٢/ ٣٨٤).

(١٤) سورة إبراهيم مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورةُ مكيَّةٌ، إلَّا آيتينِ نزلَتا بالمدينة في قتلى بدرٍ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩] الآيتَيْن، أضيفت هذه السورة إلى اسم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان ذلك اسمًا لها لا يعرف لها غيره، ووجه تسميتها بهذا وإن كان ذكر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ جرى في كثير من السور أنها من السور ذوات (الر). وقد ميز بعضها عن بعض بالإضافة إلى أسماء الأنبياء - عليهم السلام - التي جاءت قصصهم فيها، ونزلت هذه السور بعد سورة الشورى وقبل سورة الأنبياء، وقد عدت السبعين في ترتيب السور في النزول، وعدت آياتها أربعًا وخمسين عند المدنيين، وخمسًا وخمسين عند أهل الشام، وإحدى وخمسين عند أهل البصرة، واثنتين وخمسين عند أهل الكوفة، وكلماتها ثمانِ مئةٍ وواحدٍ وثلاثين كلمة، وحروفها ثلاثةُ آلاف وأربع مئة وثلاثة وستُّون.

أغراض السورة الكريمة:

اشتملت من الأغراض على أنها ابتدئت بالتنبيه إلى إعجاز القرآن، وبالتنويه بشأنه، وأنه أنزل لإخراج الناس من الضلالة. والامتنان بأن جعله بلسان العرب. وتمجيد الله تعالى الذي أنزله ووعيد الذين كفروا به وبمن أنزل عليه، وإيقاظ المعاندين بأن محمدًا ﷺ ما كان بدعًا من الرسل. وأن كونه بشرًا أمر غير مناف لرسالته من عند الله كغيره من الرسل، وضرب له مثلًا برسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى

فرعون لإصلاح حال بني إسرائيل وتذكيره قومه بنعم الله ووجوب شكرها وموعظته إياهم بما حل بقوم نوح وعاد ومن بعدهم وما لاقته رسلهم من التكذيب.

وكيف كانت عاقبة المكذبين، وإقامة الحجة على تفرد الله تعالى بالإلهية بدلائل مصنوعاته وذكر البعث وتحذير الكفار من تغرير قادتهم وكبرائهم بهم من كيد الشيطان وكيف يتبرأوا منهم يوم الحشر ووصف حالهم وحال المؤمنين يومئذ وفضل كلمة الإسلام وخبث كلمة الكفر ثم التعجيب من حال قوم كفروا نعمة الله وأوقعوا من تبعهم في دار البوار بالإشراك والإيماء إلى مقابلته بحال المؤمنين، وعد بعض نعمه على الناس تفضيلًا ثم جمعها إجمالًا، ثم ذكر الفريقين بحال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ليعلم الفريقان من هو سالك سبيل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن هو ناكب عنه من ساكني البلد الحرام وتحذيرهم من كفران النعمة، وإنذارهم أن يحل بهم ما حل بالذين ظلموا من قبل، وتثبيت النبي ﷺ بوعد النصر وما تخلل ذلك من الأمثال[(١)]،وانتظامُ هذه السُّورة بتلك السُّورة: أنَّ تلك السُّورة في بيانِ وحدانيَّةِ اللَّهِ تعالى وصفاتِه، وبيانِ القرآنِ، وبيانِ عقلاءِ المؤمنين، وبيانِ المعانِدِيْن مِن المشرِكِيْن، وبيانِ اقتراحِهم وتكذيبِهم، وقوله في آخرِها: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣]، وهذه السُّورة تسليةٌ له على ذلك: في أولها بيانُ إنزالِ الكتاب عليه، وبيانُ مدحِه، وبيانُ إرسالِ الرُّسل مِن قَبْلِه وصبرِهم على إيذاءِ قومِهم، وبيانُ عاقبةِ الفريقَيْنِ، ووَعْدُ الموافِقِيْنَ بالجنَّة، ووعيدُ المخالفِيْنَ بالنَّار، وبيانُ مَثلِ الإيمان ومَثلِ

(١) التحرير والتنوير (١٣/ ١٧٩).

الكُفْرِ كما كان في (سورة الرعد)، والأمرُ بالصَّلاة والزَّكاة كما وعدَ في (سورة الرعد) على الصَّلاة والزَّكاة، وعِظمُ قَدْرِ الصَّلاة بذِكرِها في قصَّةِ إبراهيم، وذِكْرُ القيامةِ فيها كما ذُكِرَ في تلكَ السُّورة، وختمُها بقوله: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، كما قال في تلك السُّورة: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الرعد: ٤٠][(١)].

(١) - ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده، ﴿كِتَابٌ﴾: أي: هذا كتابٌ أو سورةٌ ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ نحن، ما ألقاهُ إليكَ شيطانٌ، ولا افتريْتَهُ أنت. ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: أي: ظلمات الكُفرِ ﴿إِلَى النُّورِ﴾؛ أي: نور الإيمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: تفعلُ هذا بهم بأمرِ ربِّهم إيَّاك به. ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: إلى طريقٍ دعا إليه اللَّهُ العزيزُ في ملكِه، الحميدُ عندَ جميعِ خلقِه بجلالِه وإفضالِه وحميدِ فِعالِه[(٢)].

(٢-٣) - ﴿اللَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: أي: وإذا كانَ للَّهِ ما في السَّماواتِ والأرض، وهو خالقُهما ومدبِّرُهما، وهو المستحِقُّ للعبادةِ، فمَنْ أشركَ به غيرَه فلَهُ الوعيدُ الغليظُ بالعذابِ الشَّديدِ في الآخرة. ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾: أي: يُؤْثرون الحياةَ القريبةَ المدَّةِ وشهواتِها، على الحياة الآخرة الباقية التي لا ينقطعُ نعيمُها، وهو صفة الكافرين الذين لهم العذاب الشَّديد. ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يمنعون النَّاسَ عن سلوكِ طاعةِ اللَّهِ، الذي يهدي إلى رضوانِه وجنانِه. ﴿وَيَبْغُونَهَا

---

(١) البيان في عد آي القرآن" للداني (ص: ١٧١)، التيسير في التفسير (٩/ ٩٥).

(٢) لطائف الإشارات (٢/ ٢٣٨).

عِوَجًا﴾: أي: يطلبون لها تعويجًا وتحريفًا عن وجهِها، ويقبِّحونها عندَ الرَّاغب فيها بإدخالِ الشُّبَهِ، ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: عن الحقِّ،

(٤) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾: أعلَمَ رسولَه في الآيةِ الأولى أنَّه أرسلَه وأنزلَ عليه كتابًا بيانًا للنَّاس، ثمَّ قالَ: وكذلكَ كانتِ الرُّسلُ قبلَك أرسلوا بلسانِ قومِهم. ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: أي: يبيِّنوا لهم، ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾فيما يريدُ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما يفعلُ[(١)].

(٥) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾: أي: كما أرسلناكَ ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾؛ أي: بأنْ أخرجْ. ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾: أي: بنِعَمِ اللَّهِ، وقيل: أي: بِنِقَمِ اللَّه بعادٍ وثمودَ وغيرِهم مِن الأممِ الضَّالة. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: أي: لكلِّ مَن استكملَ خِصالَ الإسلامِ، فقد رُوِيَ: "الإيمانُ نصفانِ: صبرٌ، وشكرٌ"، فتَرْكُ كلِّ المعاصي صَبْرٌ، وفِعْلُ كلِّ الطَّاعاتِ شُكْرٌ[(٢)].

(٦ - ٧) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: مر تفسيره في سورة البقرة ﴿وَإِذْ

---

(١) الكشاف (٢/ ٥٠٨)، وجامع البيان (١٣/ ٥٩٧).

(٢) رواه الخرائطي في "فضيلة الشكر" (١٨)، والقضاعي في "مسند الشهاب" (١٥٩)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٩٢٦٤) من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ويزيد ضعيف. انظر: "تخريج أحاديث الإحياء" للعراقي (ص: ١٣٩٩).

تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: أي: أعلمَ، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: وهو وعدٌ بإبقاءِ النِّعمةِ، فالزِّيادة عليها تكونُ بعدَ بقاءِ أصلِها. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾: إنْ جُعِلَ هذا مِن الكُفْرانِ فمعناه: إنَّ عذابي بإزالةِ النِّعمةِ عنكم لشديدٌ عليكم، وإنْ جُعِلَ مِنَ الكُفْرِ فمعناهُ: إنْ جَحدْتُم النِّعم مِن عندي فعذابي للكفَّار شديدٌ؛ لأنَّه بالنَّار، وهو دائم[1].

(٨ - ٩) - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾: أي: قالَ موسى لقومِه: لَئِنْ اجتمعْتُم أنتم ومَن عاصركم ومَن غابَ عنكم ومن حضرَكُم، والَّذين يقتفون أثَرَكُم على أنْ تكفروا باللَّهِ جميعًا، وأخذْتُم كلَّ يومٍ في الشِّرْكِ أمرًا قطيعًا لَمَا أوجبْتُم لعزِّنا شينًا، كما لو شكرْتُم وآمنْتُم ما حصَّلْتُم لِمُلْكِنا زَينًا، فالحقُّ بنعوتِه ووصفِ جبروته عَلِيٌّ، وعَنِ العالَمِ بأسرِهِ غنيٌّ. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: قيل: هو كلامُ موسى لقومِه، وقيل: هو ابتداءُ خطاب مِن اللَّهِ تعالى لأهلِ عصرِ محمَّدٍ ﷺ، يقول: ألم يأتِكُم يا معشرَ الكفَّار خبرُ الأممِ الَّذين سمعْتُم بتكذيبِهم لرسلِهم، وما أحلَّ اللَّهُ بهم مِن نقمَتِه، وهم في الكثرةِ على ما لا يَعلمُ عددَهم وأسماءَهم إلَّا اللَّهُ تعالى. ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: رسُلنا، وأضاف إليهم لأنَّهم أُرسلوا إليهم بالبيِّناتِ، أي: الحُجَج والمعجزات. وقيل: أي: الشَّرائع الواضحات، لا يخفى حسنُها على المتدبِّر. ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾:

---

(١) البسيط (١٢/ ٤٠٧)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٦٩)، والنكت والعيون (٢/ ٢٧٣)، تأويلات أهل السنة (٦/ ٣٦٥ - ٣٦٦).

أي: جعلوا أصابعَ أنفسِهم في أفواهِ أنفسِهم يعضُّونها غيظًا، إذ كان فيه تسفيهُ أحلامِهم وشتمُ أصنامِهم، وقيل: أي: وضعوا الأيدي على الأفواه؛ إشارةً إلى الرُّسل أنِ اسكتوا، ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: أي: مِن التَّوحيد وترك الشِّرك، ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾: أي: مِن صحَّة ﴿مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾؛ أي: مُوقِعٍ للرِّيبةِ والتُّهمةِ لكم بالكذب فيه(١).

(١٠) - ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾: أي: في أنَّ العبادةَ لا تجوزُ إلَّا له. ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: لا يقدرُ على إنشائِهما غيرُه، فلا شريكَ له فيهما، فكيفَ يجوزُ الإشراكُ به؟ ﴿يَدْعُوكُمْ﴾: أي: على ألسنتِنا إلى عبادَتِه. ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: بدلَ ذنوبِكُم الَّتي كانت في الشِّركِ. ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي: إلى منتهَى أعمارِكُم، فلا يعاجلكم بالعقوبة والهلاك، ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾: أي: ما أنتم. ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: أي: حجَّةٍ ظاهرة.

(١١) - ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: إنَّ اجتماعَ الكلِّ في صفةِ البشريَّةِ لا يُبطل التَّفاضل؛ لأنَّه يوجِبُ ألَّا يكون في الدُّنيا مَن يفضُلُ غيرَه في رياسةٍ ومُلْكٍ ونفاذِ قولٍ، وحُسْنِ خلقٍ، وحُسْنِ وَجْهٍ، وفَضْلِ مَالٍ،

(١) معاني القرآن (٣/ ١٥٦)، ومجاز القرآن (١/ ٣٣٦)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٤٢)، وجامع البيان (١٣/ ٦٠٤)، والتيسير في التفسير (٩/ ١٠٤)، والكشف والبيان (٥/ ٣٠٨)، والبسيط (١٢/ ٤١١)، والنكت والعيون (٣/ ١٢٥) وتفسير مقاتل (٢/ ٣٩٩).

وسلامةِ بدنٍ، وصِحَّةِ عَقْلٍ، وجودةِ تمييزٍ، وهذا ممَّا لا تَخفى استحالتُه، بل للَّهِ أنْ يخلقَ البشرَ، ويفضِّلَ بعضَهم على بعضٍ في الأحوالِ والأموالِ وغيرِها، فَيَمُنَّ عليه بذلك. فأمَّا السُّلطانُ المبينُ مِن جهةِ الإعجازِ، فذاكَ إنَّما يُحتاجُ إليه في إثباتِ صِدْقِ النَّبيِّ ﷺ في دعوى الرِّسالة، لا في إثباتِ حقِّ ما يدعو إليه النَّبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بلْ إذا ثبَتَتْ نبوَّتُه بالإعجازِ كانَ جميعُ ما يدعو إليه حقًّا، وما يحكمُ به صوابًا، ولا قدرةَ للرَّسولِ على إيرادِ معجزةٍ إلَّا بإذنِ اللَّهِ؛ أي: بإعطاءِ اللَّهِ إيَّاه ذلكَ. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي: قال الأنبياءُ: وعلى اللَّهِ فليعتَمِدِ الَّذين آمنوا به في كفِّ شرِّ مَن خالفَهم، وفي إيضاحِ دعوتِهم، وإقامةِ حقِّهم(١).

(١٢) - ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾: أي: وأيُّ عذرٍ لنا في تركِ التَّوكُّلِ على اللَّه في كفِّ أذاكُم وكيدِكُم عنَّا. ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾: أي: وقد وفَّقنا لسلوكِ سبيلِ الحقِّ، فينصرُنا عليكم أيضًا. ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾: أي: على إيذائِكم، وكان هذا قبلَ الأمرِ بالانتصارِ منهم، وحالَ قلَّةِ المؤمنين وكثرةِ الكافرين ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: أي: فعليهِ فليعتَمِدِ المعتمدون دونَ غيرِه.

(١٣ - ١٤) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾: أي: ولتصيرُنَّ إليها، ولم يريدوا حقيقةَ الرُّجوع، فإنَّهم ما كانوا قَطُّ فيها، ولعلَّهم اشتغلَتْ قلوبُهم بهذا القولِ كما تقتضيه طباعُ البشرِ، فسكَّنَها اللَّهُ تعالى، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: الَّذين

---

(١) التيسير في التفسير (٩/ ١٠٩)، ووالبسيط (١٢/ ٤١١)، والنكت والعيون (٣/ ١٢٥) وتفسير مقاتل (٢/ ٣٩٩).

يظلمونَ أنفسَهم وإيَّاكم ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: ولنجعلنَّكُم سكَّانَ أرضِهم بعدَ هلاكِهم. ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾: أي: هذا مِن مِنَني على الأنبياءِ وأتباعِهم؛ بخوفِهم مقامِي، وخوفِهم وعيدي.

(١٥) - ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: أي: استفتحَ الكفَّارُ بالبلاء، وقيل: أي: استفتحَ الرُّسلُ بالنَّصرِ؛ أي: أذِنَ للرُّسلِ بالاستنصارِ، فسألوا اللَّهَ تعالى ذلك. ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: أي: أُجيبَتْ دعوةُ الرُّسلِ، فيئسَ الجبَّارون المعاندون فلم يفوزوا بخيرٍ، ولا نالوا أملًا ببقاءِ الرِّياسةِ ودوامِ الحُرْمَةِ. والجبَّارُ: هو طالبُ علوٍّ ليسَ فوقَه منزلةٌ. وقيل: هو المتكبِّرُ بغيرِ حقٍّ. والعنيدُ: الجائرُ عنِ الحقِّ إلى الباطلِ(١).

(١٦-١٧) - ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: وراءَ هذا الجبَّارِ العنيدِ جهنَّمُ؛ أي: أمامَه، ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾: هو ماءٌ يخرجُ مِن بينِ جلدِ الكافرِ ولحمِهِ. ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾؛ أي: يَزْدَرِدُهُ باستكراهٍ واستثقالٍ لعطشِهِ وحاجتِهِ إلى الماءِ. ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾: أي: لا يُمْرِئُهُ، ولا يقاربُ إدخالَه حلقَه، يُقال: ساغَ لي الشَّراب، وأسغتُهُ؛ أي: أدخلتُه جوفي بسهولةٍ، قال النَّبيُّ ﷺ في تفسيرِها: "يُقَرَّبُ إليه فيتكرَّهُه، فإذا أُدْنِيَ منه شَوَى وجهَهُ ووقعَتْ فروةُ رأسِهِ، فإذا شربَهُ قطَّعَ أمعاءَهُ حتَّى يخرجَ مِن دُبُرِهِ، قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ

---

(١) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٠٦)، والكشف والبيان (٥/ ٣٠٩)، وجامع البيان (١٣/ ٦١٥ - ٦١٦)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٠)، وتفسير مقاتل (٢/ ٤٠١).

﴿الشَّرَابُ﴾[الكهف: ٢٩]"[١]. ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني في النَّارِ مِن كلِّ ناحيةٍ؛ أي: ليسَ في جسدِهِ موضعُ شعرةٍ إلَّا والموتُ يأتيه منها مِن شدَّةِ العذابِ حتَّى يجدَ طعمَ الموتِ وكُرَبَهُ[٢]. ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: لا يموتُ حقيقةً فيستريحَ، قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾[طه: ٧٤]. ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: أي: أمامَه؛ أي: متجدِّدٌ له كلَّ ساعةٍ بعدما كانَ يصيبُه عذابٌ أغلظُ مِنَ الأوَّلِ.

(١٨) - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: صفةُ الكافرين بربِّهم أن تحبطُ أعمالُهم وتتلاشَى، فلا ينتفعُ بها أحدٌ منهم، بل تطيرُ أَعمالُهم أي: تذهبُ. ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾؛ أي: كرمادٍ هاجَتْ به ريحٌ شديدةٌ في يومٍ كثيرِ الرِّياحِ قويِّها، فلا شكَّ أنَّه لا يبقى مِن ذلك الرَّمادِ شيءٌ يمكِنُ أنْ يؤخذَ ويُتعلَّق به، فكذلك هؤلاء بما كسبوه في حالِ شركِهم مِن قِرى ضيفٍ، وصلةِ رحمٍ، وصدقةٍ على محتاجٍ، أو شيءٍ يُعَدُّ مثلُهُ تقرُّبًا، أو سَعوا في جمعِ مالٍ، أو إعدادِ عتادٍ يُنتفعُ به في دينٍ أو دنيا، فإنَّ ذلكَ يبطلُ عنهم، ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي: في الدنيا، ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾: في الآخرة، قال ابن عباس: يريد لا يجدون ثواب ما عملوا

---

(١) رواه ابن المبارك في "الزهد" (٣١٤ - زوائد نعيم بن حماد)، ومن طريقه الترمذي (٢٥٨٣)، والنسائي في "الكبرى" (١١١٩٩)، والحاكم في "المستدرك" (٣٣٩٣) و(٣٧٠٤) وصححه من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: حديث غريب.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" (٥/ ١٦)، وذكره السمرقندي في بحر العلوم(٢/ ٢٣٨)، والماوردي في "النكت والعيون" (٣/ ١٢٨).

﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾؛ أي: سوءُ تدبيرٍ، وضعفُ رأيٍ، وذهابٌ عن الصَّواب إلى ما يتباعد عنه، حتَّى لا يكون فيه موضعٌ في استصوابٍ، ولا قُرْبٌ مِن الهدى.

(١٩) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: أي: ألمْ تعلمْ يا محمَّد، ومعناه الإثبات؛ أي: قد علمْتَ، أو الأمر؛ أي: اعلمْ، وهو لتعليمِ غيره أنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بالحقِّ. أي: لم يخلقْهما باطلًا عبثًا، بل لحقٍّ؛ أي: أمرٍ كائنٍ، وهو البعث والجزاء. ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: لَهُ ذلِكَ بحقِّ ملكِهِ، وخلقَهُما بقوله الحق، فجعلَ كلَّ جزءٍ منها على وحدانيَّته دليلًا، ولِمَن أرادَ الوصولَ إلى ربِّه سبيلًا. ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: أي: يُهلِكْكُم ويفنيْكُم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أطوعَ له منكم[(١)].

(٢٠-٢١) - ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: أي: غير ممتنع ذلك عليه، وهو إذهابُكُم والإتيانُ بغيرِكُم. ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: ماضٍ بمعنى المستقبلِ؛ لأنَّه مِن أمورِ الآخرةِ، وهي كائنةٌ لا محالةَ، فأخبرَ عنها كما يخبَرُ عن الكائنِ الموجودِ المتحقِّق. والبروزُ: الخروجُ والظُّهور؛ قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، يقول: ويُحْشَرُ هؤلاء يومَ القيامةِ فيظهرون بحيثُ لا يسترهم ساترٌ، ولم يبقَ أحدٌ منهم لم يُحْشَرْ ولم يَظْهَرْ. ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: فيقولُ الأتباعُ للرُّؤساءِ -وهم كلّ جبَّارٍ عنيدٍ-: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾؛ أي: أتباعًا، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: يطلبون رفعَ بعضِ العذابِ عنهم، وتحمُّلَه منهم،

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٢٤٦)، تأويلات أهل السنة (٦/ ٣٨٠ - ٣٨١)،، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٤٣)، والتيسير في التفسير (٩/ ١١٩).

وكان ذلك متعارفًا في الدُّنيا، ويدل عليه قوله تعالى خبرًا: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]. ﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾: أي: لو وفَّقَنا اللَّهُ للإيمانِ واهتدينا في دارِ الدُّنيا لهديناكم؛ أي: بيَّنَّا لكم طريقَ الهُدى. وقيل: أي: لو هدانا اللَّه إلى طريقِ التَّخليص مِن العذاب لهديناكم إليه. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾: الجَزَعُ: انزعاجُ النَّفسِ لورودِ ما يغمُّ، وهو نقيضُ الصَّبر، أي: يقولون: لا حيلةَ لنا فيما قد وقعْنا فيه، وسواءٌ علينا أجزِعْنا أم صَبَرْنا لا يخفُّ عنَّا العذابُ بالصَّبر ولا يرقُّ لنا بالجَزَع (١).

(٢٢) - ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾؛ أي: ولمَّا قال الضُّعفاء للَّذين استكبروا ما ذكرْنا، وأجابهم أولئك بما حكيْنا، اجتمعوا كلُّهم على ملامَةِ إبليس، فهو الَّذي زيَّن لهم الكفر، فيقول لهم إبليس هذا. ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾؛ أي: فُرِغَ مِن سَوْقِ أهلِ النَّار إلى النَّار، وسوقِ أهلِ الجنَّةِ إلى الجنَّة، واستقرَّ كلُّ فريقٍ في منزلِه، والشَّيطانُ مشرفٌ عليهم في النَّار - بحيث يرونَه ويسمعون كلامَه. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾؛ يعني: كونَ هذا اليومِ كما ترَوْنَ، فصدَقَكُمْ وعدَهُ، ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ أنَّه غير كائنٍ ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ وَعْدِي. ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾: أي: مُلْكٍ أقهرُكُم به على ما دعوتُكم إليه. وقيل: أي: حُجَّة، بلِ الحُجَجُ كانَت للأنبياءِ. ﴿إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ أي: لكنِّي دعوتُكم بما أوردْتُ على قلوبِكُم مِن الوساوس، ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ فقبلْتُم ذلكَ مِنِّي واعتقدْتُموه. ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾: على استجابتِكُم لي. ﴿وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ ليسَ لأنَّه لا يستحقُّ الملامة، لكنْ يقول:

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٣٨٣)، وتفسير مقاتل (٢/ ٤٠٣)، والكشف والبيان (٥/

لومُوا أنفسَكُم أولى بكم؛ إذْ أنتم الَّذين أهلكْتُم أنفسَكُم بإجابتِكُم لي طوعًا. ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾: أي: بمغيْثِكُم؛ يعني: بهالكِ إغاثتكم. ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ أي: ولا أنتم بمُغيثيَّ من عذاب الله فمُنْجِيَّ منه ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾: أي: بإشراكِكُم إيَّايَ في العبادة معَ اللَّهِ في الدُّنيا، وهو التَّبرُّؤُ مِن ذلكَ، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: شديد في الآخرة.

(٢٣) - ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: ذَكَرَ حالَ المؤمنِيْن في نيلِهم الجنَّة بعدَ ذِكْرِ الكافِرِيْن ووقوعِهم في النَّار. ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾: قيل: أي: يحيِّي بعضُكُم بعضًا بدوامِ السَّلامةِ مِن كلِّ خوفٍ وحزنٍ. وقيل: هو سلامُ الملائكةِ عليهم.

(٢٤) - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: أي: ألم تعلمْ كيفَ بيَّنَ اللَّهُ مثلًا ﴿كَلِمَةً﴾ بدل عنه، وترجمة له ﴿طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: هذا مَثَلُ كلمةِ التَّوحيد ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾؛ أي: زاكية مستطابة الثَّمر. ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: أي: لها أصلٌ ثابتٌ في الأرض؛ أي: يشربُ مِنَ الأرضِ بعروقِه. ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾: أي: تسقيها السَّماء مِن فوقِها بمطرِها، فهي تنمو بذلك، وتطول فروعُها حتَّى تكون في نهايةِ طولِ الأشجار(١).

(٢٥) - ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: أي: تثمرُ في كلِّ سنة بإذنِ اللَّهِ؛ أي: بإيجادِ اللَّهِ ذلك. ﴿أُكُلَهَا﴾: ما يُؤكَلُ منها. فهذا مَثَلُ كلمةِ الإيمانِ، وهي طيِّبة في لفظِ صاحبِها المتكلِّم بها؛ لأنَّها حمدٌ وتنزيهٌ للخالقِ الباريءِ المصوِّر

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٦٣٤)، والتيسير في التفسير (٩/ ١٢٧).

الواحِدِ، الموصوفِ بالصِّفاتِ الحسنى، وشهادةٌ له بالحقِّ. ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: وإنَّما يضربُ اللَّهُ الأمثالَ للنَّاسِ ليتذكَّرَ بها النَّاسُ أشباهَ الأشياء الغائبةِ بالأشياءِ الحاضرة، فإذا كانَتِ الأشياءُ الحاضرةُ المضروبُ بها الأمثال حسنةً محمودةً مالوا إليها، وإذا كانَتِ الأشياءُ الحاضرةُ المضروبُ بها الأمثال قبيحةً مذمومةً انحرفوا عنها، ثمَّ الشَّجرةُ الطَّيِّبةُ قيل: هي النَّخلة. ورُوِيَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لأصحابه يومًا: "أخبروني عَن شجرةٍ مَثَلُها مَثَلُ المؤمنِ؟"، قالَ ابنُ عمرَ: فوقعَ النَّاسُ في شجرِ البوادي، فوقع عندي أنَّها النَّخلةُ، فأردْتُ أنْ أقولَ: هي النَّخلة، فنظرْتُ فإذا في القومِ أبو بكرٍ وعمرُ، فسكتُّ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: "هي النَّخلةُ"، فذكرْتُ ما وقعَ في قلبي لِعُمَرَ، فقالَ: لو كنْتَ قُلْتَهُ كانَ أحبَّ إليَّ مِنَ الدُّنيا وما فيها، أو كلامًا هذا معناه[(١)].

(٢٦) - ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: هي كلمةُ الكُفرِ ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: غيرِ زاكيةٍ، كما قال: ﴿وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[الأعراف: ٥٨]، وخبيثةٌ أيضًا مِن جهةِ أنَّ ثمرتَها غيرُ مستطابةٍ. ﴿اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ﴾: اقتُلعَتْ، ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ في الأرض، ولا فروعَ لها في السَّماء؛ لأنَّها مستأصَلةٌ مِن فوقِ الأرضِ، فكذلك كلمةُ الشِّركِ هي خبيثةٌ في لفظِ المتكلِّم بها؛ إذ هي ثناءٌ على جمادٍ لا يَعقِل، وهي تثمرُ في الدُّنيا الذِّكْرَ القبيحَ، وتسفيهَ العقلِ، وتضليلَ الرَّأي، والتَّسمية بالأسماءِ المكروهةِ مِن الصُّمِّ والبُكمِ والعُمْيِ، والتَّشبيهَ بالحُمُرِ والبهائمِ والأموات. وقال أنسٌ: الشَّجرةُ الخبيثةُ: الشَّريان وهو الحنظلُ، وقال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي

(١) رواه البخاري (١٣١)، ومسلم (٢٨١١) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

شجرةٌ لم تُخْلَقْ، وهي مَثَلٌ[(١)].

(٢٧) - ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ﴾ أي: يوفِّقُ للثَّبات، ويحفظُ عن الزَّوال والزَّلل. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ أي: الذين آمنوا واتَّقوا، فالوعدُ للمؤمنِ المستقيمِ المستكمِلِ خصالَ الإيمانِ، وذلك بالتَّقوى، فأمَّا العصاةُ فهم في خطرٍ. وهذا الوعدُ للَّذين آمنوا بالقول الثَّابتِ؛ أي: بالتَّوحيد الخالص، فوحَّدوا اللَّهَ، ونزَّهوه عمَّا لا يليقُ به. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: ما داموا أحياءً، وعندَ الموتِ، حتَّى يُختَم لهم به. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾؛ أي: في القبرِ عندَ مسائلةِ مُنكر ونكير. ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: أي: يخذِلُ الَّذين ارتكبوا الكبائرَ، فوضعوا الأمرَ غيرَ موضعِه، وظلموا بذلك أنفسَهم. ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: يتوبُ على الظَّالمِ إنْ شاءَ، فيغفرُ له ويهديه، ويغفرُ له إنْ شاءَ مِن غيرِ توبةٍ، ويعاقبُه إنْ شاءَ ويتركُه في ظلمةٍ[(٢)].

(٢٨ - ٢٩) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾: يعني: أبا جهلٍ وأصحابَه، الَّذين بدَّلوا نعمةَ اللَّهِ عليهم بمحمَّد وبالإيمانِ، فكفروا به وكذَّبوه. ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾: أي: دار الهلاك ﴿جَهَنَّمَ﴾: هو بدلٌ عنها، وترجمةٌ لها، فأخرجوهم إلى قتالِ محمَّدٍ ببدرٍ، فقتلَهُم اللَّهُ فدخلوا النَّارَ. فالنِّعمةُ هي محمَّدٌ ﷺ في هذه الآيةِ، وكذلك في قوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]. وقيل: ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾: هي بدرٌ هلكوا بها، وقيل: النِّعمة: هي جميعُ ما أنعمَ اللَّهُ تعالى عليهم بها، فكفروا بها، فاستحقُّوا بها العقاب. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: أي:

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٦٥٤)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٤٩)، التيسير في التفسير (٩/

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٥)، والتيسير في التفسير (٩/ ١٣٧).

يدخلون جهنَّم ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾؛ أي: بئسَ الاستقرار؛ أي: بئسَ المستَقَرُّ جهنَّم.

(٣٠) - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾؛ أي: أشكالًا وأشباهًا مِن الأصنامِ سمَّوها اللَّات والعزَّى، كما أنَّ مِن أسماء الرَّبِّ جَلَّجَلَالُهُ: اللَّه والعزيز. ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾: أي: ليضلُّوا بذلك عن سبيلِ طاعةِ اللَّهِ غيرَهم، كما ضلُّوا بأنفسِهم. ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾: أي: قل لهم يا محمَّد ﷺ: تمتَّعوا في الدُّنيا ما شِئْتُم ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾؛ أي: مرجعَكم في عاقبةِ أمرِكُم إلى جهنَّم.

(٣١) - ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: ليقيموا الصَّلاة، وهذا أمرٌ للمؤمنين بأن يخالفوا الذين بدَّلوا نعمةَ اللَّه كفرًا؛ أي: قل يا محمَّدُ للذين حقَّقوا عبوديَّتهم لي بالإيمان بي ومخالفةِ الَّذين أشركوا بي غيري: أقيموا لي الصَّلاةَ بأبدانِكُم، وأنفقوا في إقامةِ ديني ومواساة عبيدي أموالَكم. ﴿وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: فِعْلَ المخلِصِيْنَ دونَ المرائِيْنَ الذين ينفقون في العلانيةِ بمرآةٍ للنَّاس لا غيرَ. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾: وهو يومُ القيامةِ، لا يجزي فيه تبايعٌ بينَ النَّاسِ فيشتريَ نفسَه مِن العذابِ بمالٍ يعطيه، ولا مصافاةٌ فيشفعَ خليلٌ لخليلِه فينجِيه.

(٣٢-٣٣) - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: وفي هذهِ الآيةِ تعدادُ النِّعمِ، وتتَّصل بقولِه: ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾، وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: هو المطر ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: هي فواكهُ الأشجارِ، وزروعُ الأرضِ ﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾؛ أي: قوتًا لكم. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾: أي: وذلَّل لكم السُّفنَ، والفُلْك ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾: أي: بتسخيرِه وتكوينِه، ﴿وَسَخَّرَ

﴿لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾: جمع نَهَر. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾: أي: مُتَّصِلَي السَّير، كأنَّهما يدأَبان -أي: يجتهدان- في ذلك لئلَّا يَخرجا عن أمرِ اللَّهِ. قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: دأبُهما في طاعةِ اللَّهِ تعالى: أنَّهما سُخِّرا على صورةِ مَن أُمِرَ بشيءٍ فأدأبَ نفسَه في طاعةِ آمرِه. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: يتعاقبان لمصالحِكُم.

(٣٤) - ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: أي: أعطاكم مِن كلِّ شيءٍ سألْتُموه، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: أي: لن تطيقوا شكرَها، وقيل: أي: لا تستوفوا عدَّها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: ﴿لَظَلُومٌ﴾ لنفسِهِ في معصيتِه، ﴿كَفَّارٌ﴾ لربِّه في نعمتِه. وقيل: ظلومٌ: في الشِّدَّة يضجَر ويجزَع، كفَّارٌ: في النِّعمة يجمَعُ ويمنَعُ.

(٣٥) - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾: أي: اذكرْ يا محمَّدُ إبراهيمَ إذْ لم يستعجلِ العذابَ لِمَنْ كذَّبَه وآذاه، فكذلكَ فافعلْ بأهلِ عصرِكَ، واتَّبعْ في ذلك أباك، ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾: أي: اشرعْ للنَّاس أنْ يكونَ ﴿هَذَا الْبَلَدَ﴾ وهو مكَّة ﴿آمِنًا﴾؛ أي: مأمنًا، وقيل: مأمونًا فيه، وقيل: ذا أمنٍ، ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾؛ أي: بَعِّدْني وأولادي، ﴿أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ أي: عبادةَ الأصنام، وهذا لتعليمِ الأُمَّةِ، ولأنَّ العِصمةَ لا تزيلُ المحنةَ، فيجوز فيه الدَّعوة[1].

(٣٦) - ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾: أي: ضَلَّ بهنَّ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ، أضافَ الإضلالَ إليهنَّ بطريق التَّسبُّبِ؛ أي: إلى الأصنام، ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾: أي: فمَنْ كانَ على ديني في توحيدِكَ فإنَّه ممَّنْ أُماليهم وأَعُدُّه مِن جُملةِ

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٢٥٥)، والتيسير في التفسير (٩/ ١٤٥).

أصحابي، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ﴾ أي: تسترُ عليه ذنبَه، ﴿رَحِيمٌ﴾: ترحمُه فتتوبُ عليه. وقيل: أي: تُمْهلُه ولا تعاجِلُه بالعذاب.

(٣٧) - ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: أي: بعضَ أولادي، وهو إسماعيلُ مع أمِّه هاجر، وأسكنتُه؛ أي: جعلته ساكنًا. ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾: هو وادي مكَّةَ، والوادي: سفحُ الجبلِ. ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾؛ أي: لا ماءَ فيه فتزرعَ الأرضَ عليه. ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾: وهو الكعبة، والإضافةُ إلى اللَّهِ تعالى للتَّشريف. ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: أسكنْتُهم به ليعبُدُوكَ به، ويقيموا الصَّلاةَ لكَ، مخلِصِيْن غيرَ مشركِيْن. ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: تَنْزِعُ إليهم، وقيل: تشتاقُ إليهم، ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: أي: التي تكون في بلاد النَّاس، فتُجنَى إليهم الثَّمرات مِن النَّواحي، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾: أي: ليشكروا لك[١].

(٣٨) - ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾: أي: لا يخفَى عليكَ قولي وإرادتي في إرادةِ الخيرِ بعبادِكَ عمومًا، وبذريَّتي خصوصًا؛ لعلمِي بسَعَةِ رحمتِكَ، وإرادَتِكَ الخيرَ بمَن آمنَ بك. ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: يجوُز أنْ يكون هذا مِن كلامِ إبراهيمَ، ويجوزُ أنْ يكونَ هذا كلامًا معترِضًا في كلام إبراهيم، وهو كلام اللَّه تعالى؛ أي: صَدَق إبراهيم فيما قال: لا يخفى على اللَّه مِن شيءٍ في الأرضِ ولا في السَّماء؛ أي: علمَ اللَّهُ قصدَه بهذا الدُّعاء، فاستجابَ له

(١) جامع البيان (١٣/ ٧٠٠)، وبحر العلوم (٢/ ٢٤٦)، والكشف والبيان (٥/ ٣٢٣)، ومعالم التنزيل (٤/ ٣٥٧).

في البيت وذريَّتِه.

(٣٩) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾: أي: الشُّكرُ للَّهِ على أنْ وهبَ لي هذَيْن الولدَيْن على كِبَرِ سنِّي وكِبَرِ سِنِّ امرأتي، ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾: أي: قد سمعَ دعائي: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، وقيل: إنَّه أراد به: اسمعْ دعائِي في حقِّ البيت وفي حقِّ ذرِّيَّتي.

(٤٠-٤١) - ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: أي: وفِّقْني وأولادي لإدامةِ الصَّلاةِ وإقامَتِها على شرائِطِها في أوقاتِها. ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾: أي: عبادتي، قال اللَّه تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]؛ أي: فاعبدوه. ويحتمِل: أنَّه عَدَّ دعاءَه لذرِّيَّته وللمؤمنين عملًا صالحًا يُثابُ عليه، فسألَ قَبولَه. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: دعاءٌ بالمغفرةِ لجميعِ المؤمنين أيضًا، ويدخلُ فيه هذه الأمَّة، فهو قد دعا لنا، ونحنُ ندعو له بالصَّلاة بأمرِ اللَّهِ بِهِ إجابةً لدعائِهِ: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: أي: حين يجيءُ وقتُ الحسابِ، كما يُقالُ: قامَت الصَّلاة، وقامَت الحربُ.

(٤٢) - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾: يخاطبُ نبيَّه به تسليةً له وإخبارًا أنَّ إبراهيمَ لم يستعجلْ؛ ليصبر هو كما صبرَ إبراهيمُ، وبيانًا للمشركين أنَّ إبراهيمَ لم يكن راضيًا بفعلِهم بهذا القول، وإنَّ تأخُّرَ العذابِ عن الكفَّار في الدُّنيا لتشديدِهِ عليهم في العُقْبى. ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾: أي: تأخيرُ عذابِهم ليسَ لخفاءِ حالِهم على اللَّهِ تعالى، بل يؤخِّرُهم ليومِ القيامةِ الذي ترتفعُ فيه أبصارُهم ارتفاعًا لنزولِ ما توعِّدوا به، ولانفتاحِ أبوابِ

السَّماءِ ونزولِ الملائكةِ.

(٤٣) - ﴿مُهْطِعِينَ﴾: أي: مسرِعِيْنَ على خوفٍ لِمَا أنَّهم مساقون إلى النَّار. ﴿مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ﴾: أي: رافعِيْها حتَّى لا يبصروا مواضعَ أقدامِهم. ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: أي: لا تَغتمِضُ عيونُهم. ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي: خاليةٌ لا تعي شيئًا ولا تعقلُ مِن الخَوف.

(٤٤) - ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾: المُعَدُّ للظَّالمين، فيسألونَ الرَّجعة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾؛ أي: ردَّنا إلى الدُّنيا، وأمهلْنا مدَّةَ عمرِنا الَّذي كانَ لنا في الدُّنيا. ﴿نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾؛ أي: رُسُلَكَ. ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾: أضمرَ ها هنا: فيُقالُ لهم -وجاز ذلكَ لدلالةِ الحالِ عليه-: أليس قد كنتم في الدُّنيا تحلفون أنَّه ما لكم مِن انتقالٍ عنها إلى دارٍ أخرى، إنَّما هو أنْ تموتوا فتصيروا ترابًا، لا بعثَ لكم، ولا حِسابَ عليكم.

(٤٥) - ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: قيل: هو متَّصلٌ بهذا الخطابِ في القيامةِ؛ أي: وسكنتُم بلادَ مَن كانَ قبلَكُم مِن الأممِ المكذِّبةِ لأنبيائِها. ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾: أي: صحَّ عندَكُم بظهورِ الآثارِ وتواتُرِ الأخبارِ كيفَ أهلكناهُم، فلم تعتبِروا بهم. ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾: أي: وصفْنَا لكم العِبَرَ فلم تعتبِروا بهم[(١)].

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤١٠)، ورواه عبد الرزاق في "تفسيره (٢/ ٢٤٧)، وجامع البيان (١٣/ ٧١٢ - ٧١٣)، وبحر العلوم (٢/ ٢٤٧).

(٤٦) - ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾: أي: احتالوا حِيْلَتَهُم. وقيل: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾؛ أي: وقد مكرَ بِكَ يا محمَّد أهلُ مكَّة ﴿مَكْرَهُمْ﴾؛ أي: مكرَ أولَئِكَ الأمم قبلَهم بأنبيائِهم. ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾: أي: علمُ ذلكَ عندَ اللَّهِ، وهو محفوظٌ عليهم. وقيل: وعندَ اللَّهِ جزاءُ مكرِهم. ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ أي: وما كانَ مكرُهُم إلَّا تزولُ منه الجبالُ.

(٤٧) - ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ هو وعيد للكافرين، ووعدٌ للرُّسل. أي: فلا تظنَنَّ يا محمَّد أنَّ اللَّهَ مُخْلِف رسلِهِ ما وعدَهُم مِنَ النَّصرِ والعُلُوِّ في الدُّنيا، والانتقامِ لهم مِن أعدائِهم في العُقَبى. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: أي: منيعٌ لا يُغالَبُ ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ مِن أعدائِه لأوليائِه.

(٤٨) - ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ﴾: أي: ينتقمُ يومَ تُبدَّلُ الأرضُ. وقيل: لا يخلِفُ وعدَه رسلَه يومَ تُبدَّلُ الأرضُ. وقيل: احذروا يومَ تُبدَّلُ الأرضُ. ﴿غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ هي هذه الأرضُ وهذه السَّماواتُ. وتبديلُ الأرضِ: تسويةُ جبالِها وأنهارِها وآكامِها وأشجارِها، وتُمَدُّ مَدَّ الأديم. وتبديلُ السَّماءِ: تكويرُ شمسِها، وتناثر نجومِها[١]. ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾: أي: خرجُوا مِن قبورِهم ليحاسبهم اللَّهِ الواحدِ الذي لا إلهَ غيرُه، القهَّارِ الذي لا يُعترَضُ عليه فيما يريدُه.

(٤٩) - ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾: أي: هؤلاء الظالمين المشركين ﴿يَوْمَئِذٍ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٤١٤)، والنكت والعيون (٣/ ١٤٣)، والكشف والبيان (٥/ ٢٣٨)، وجامع البيان (١٣/ ٧٣٣ - ٧٣٤).

﴿مُقَرَّنِينَ﴾: قُرِنَتْ أيدِيْهم بالغُلِّ إلى أعناقِهم. وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: قُرِنوا بالشَّياطين في الأغلال والسَّلاسل ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: أي: في القيود، وقيل: هو السِّلسلة.

(٥٠-٥٢) - ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾: أي: قُمُصُهم، جمع سِرْبال ﴿مِنْ قَطِرَانٍ﴾ هو ما تُهْنأُ به الإبلُ الجَرْبى؛ أي: يُطْلَوْنَ به، فيصيرُ كاللِّباسِ لهم. ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾؛ أي: تُغَطِّيها، لا قطرانَ عليها، فتلتهبُ النَّارُ في كلِّ أبدانِهم، والقَطرانُ أقبلُ الأشياءِ للنَّارِ. ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾: أي: يفعلُ اللَّهُ ذلك بهم لجزائِهم على فعلِهم، لا ظُلْمًا عليهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: لا يشغلُه فيه تأمُّلٌ وتتبُّع. ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾: أي: هذا القرآنُ كفاية لِلنَّاسِ في كلِّ ما يحتاجونَ إليه، في أمرِ دينِهم ودنياهم ﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾: جعلناه بلاغًا ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا شريكَ له. ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أي: وليتَّعظ به أولو العقولِ الخالصة[١].

(انتهى تفسير سورة إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ).

(١) الوسيط (٤/ ٤٢٩)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٤١٥)، وجامع البيان (١٣/ ٧٤١)، والتيسير في التفسير (٩/ ١٦٠)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٦١).

(١٥) سورة الحجر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورة مكيَّة، سميت بسورة الحجر، ولا يعرف لها اسم غيره، ووجه التسمية أن اسم الحجر لم يذكر في غيرها، والحجر اسم البلاد المعروفة به وهو حجر ثمود. وثمود هم أصحاب الحجر، وهي تسعٌ وتسعون آيةً، وستُّ مئةٍ وأربعٌ وخمسون كلمةً، وألفان وثماني مئة وستَّة عشر حرفًا، نزلت بعد سورة يوسف وقبل سورة الأنعام، وقد عدت الرابعة والخمسين في عدد نزول السور.

مقاصد السورة:

افتتحت بالحروف المقطعة التي فيها تعريض بالتحدي بإعجاز القرآن. وعلى التنويه بفضل القرآن وهديه، وإنذار المشركين بندم يندمونه على عدم إسلامهم، وتوبيخهم بأنهم شغلهم عن الهدى انغماسهم في شهواتهم، وإنذارهم بالهلاك عند حلول إبان الوعيد الذي عينه الله في علمه، وتسلية الرسول ﷺ على عدم إيمان من لم يؤمنوا، وما يقولونه في شأنه وما يتوركون بطلبه منه، وأن تلك عادة المكذبين مع رسلهم، وأنهم لا تجدي فيهم الآيات والنذر لو أسعفوا بمجيء آيات حسب اقتراحهم به وأن الله حافظ كتابه من كيدهم، ثم إقامة الحجة عليهم بعظيم صنع الله وما فيه من نعم عليهم، وذكر البعث ودلائل إمكانه، وانتقل إلى خلق نوع الإنسان وما شرف الله به هذا النوع، وقصة كفر الشيطان، ثم ذكر قصة إبراهيم ولوط- عليهما السلام- وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر، وختمت بتثبيت

الرسول ﷺ وانتظار ساعة النصر، وأن يصفح عن الذين يؤذونه، ويكل أمرهم إلى الله، ويشتغل بالمؤمنين، وأن الله كافيه أعداءه، مع ما تخلل ذلك من الاعتراض والإدماج من ذكر خلق الجن، واستراقهم السمع، ووصف أحوال المتقين، والترغيب في المغفرة، والترهيب من العذاب[(١)] وانتظامُ أوَّلِ هذه السُّورةِ بآخر (سورة إبراهيم): أنَّها جميعًا في صفةِ القرآنِ، وانتظامُ السُّورتَيْنِ جملةً: أنَّ (سورة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ) في بيانِ وحدانيَّة اللَّهِ تعالى، ودعوةِ الأنبياء إليها، وتكذيبِ الكفَّار إيَّاهم، وتوكُّلِ الأنبياء على اللَّه تعالى، ونجاتِهم، وهلاكِ مكذِّبيهم، وبيانِ مَثَلِ أعمالِهم، وبيانِ مَثَلِ توحيدِ المؤمنين، ومَثَلِ كُفْرِ الكافرين، ثمَّ تقسيمِ مَن كفرَ فقيل لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، ومَن آمنَ قيلَ لهم: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [إبراهيم: ٣١]، وختمَ السُّورةَ بأنَّ القرآنَ بلاغٌ وتبصيرٌ، وإنذارٌ وتذكيرٌ. وافتتاحُ هذه السُّورة بأنَّ مَن لم يتذكَّرْ ففي الآخرة يتحسَّر، ويودُّ أنْ لو كانَ آمنَ وما كفر، ثمَّ بيانِ تكذيبِ الأوَّلِيْن واستهزائِهم، ثمَّ بيانِ خَلْقِ آدمَ، وانقسامِ أولادِهِ إلى مَن يَتَّبِعُ الشَّياطين ومَن يتَّبع الرَّحمن، وبيانِ جزاءِ هؤلاءِ وجزاءِ هؤلاءِ، وتحقيقِ هذَيْنِ المعنيَيْنِ إلى ختمِ السُّورة[(٢)].

(١) - ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾: أي: تلك الآياتُ المنزَلة قَبْلَ هذه السُّورة إنْ جُعِلَ ﴿تِلْكَ﴾ إشارةً إلى الغائبِ، وهذه الآياتُ الَّتي في هذه السُّورة، إنْ كانَ ﴿تِلْكَ﴾ إشارةً إلى الحاضرِ، فاللَّفظُ يصلحُ لهما

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ٧).

(٢) لطائف الإشارات (٢/ ٢٦٢)، التيسير في التفسير (٩/ ١٦٨).

آيات القرآن، ﴿الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ﴾ هما واحدٌ، وسُمِّيَ باسمَيْنِ لاختلافِ المعنيَيْنِ، فهو كتابٌ لأنَّه يُكْتَبُ ليكونَ مُدوَّنًا مخلَّدًا، وقرآنٌ لأنَّه جُمِعَ فيه ما بنا إليه حاجةٌ اليوم وغدًا. ﴿الْمُبِينُ﴾ يبيِّنُ للمؤمنينَ ما يسكِّنُ قلوبَهم، وللمريدِيْن ما يقوِّي رجاءَهم.

(٢-٣) - ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾: أي: كثيرًا ما يتمنَّى هؤلاء الكفَّار أنْ لو كانوا مسلمين منقادين لِحُكْمِ هذا الكتاب، ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ﴾: يتمتَّعوا: يتلذَّذوا، ويلهِهِمُ: يَشغَلْهم، وهذا تهديدٌ للكفَّارِ، وتسليةٌ للنَّبيِّ عليه الصلاة والسلام؛ يقول: دعْهُم يا محمَّد يتقلَّبوا في الدُّنيا ويتمتَّعوا بها، ويشغلهم طولُ الأملِ عن التَّفكُّرِ في القرآن. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إذا نزل بهم عذابُ الآخرة أنَّ ما كانوا فيه مِنَ الاشتغال في الدُّنيا بالاستمتاعِ بها لم يكنْ شيئًا، وأنَّه لا ينفعُ عندَ اللهِ إلَّا الإيمانُ والعملُ الصَّالح[(١)].

(٤) - ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾: يتَّصِلُ بما قبلَه: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: العذابُ نازلٌ بهم، لكنْ في وقتِه الَّذي جعلناه أجَلًا له، وما أهلكْنَا أهلَ قريةٍ ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾؛ أي: أجلٌ مكتوبٌ معلومٌ، أخَّرناها إلى أجلِها إذا كان في عِلْمِنا إيمانُ مَن يؤمنُ منهم، أو حدوثُ أولادٍ يخرجون مِن أصلابِهم يؤمنون، فإذا بلغَ الكتابُ أجلَه وجبَتْ كلمةُ العذابِ على الكافرين، ولم يتأخَّرِ العذابُ عنهم.

(٥) - ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: أي: لا تتقدَّمُ أمَّةٌ، ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: أي: لا يتأخَّرون عن وقتِها، فالآجالُ معلومة، والأحوالُ مقسومة، والمشيئةُ في

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٨٢)، وجامع البيان (١٤/ ٧).

الكائنات ماضية، ولا يَخفى على اللَّه خافية.

(٦-٧) - ﴿وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾: أي: قال هؤلاء المشركون: يأيُّها الَّذي نُزِّلَ عليه القرآنُ على زعمِهِ، قالوه على وجهِ الاستهزاء به. ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾: يُخَيِّلُ إليكَ الشَّيطانُ فتظنُّه مَلِكًا. ﴿لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾: أي: هَلَّا تأتينا بالملائكة رُسُلًا مِنَ اللَّهِ يخبرونَنا بصدقِ رسالتِكَ، ونزولِ الذِّكْرِ عليك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الدَّعوى[١].

(٨) - ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: أي: العذابِ الذي حَقَّ على الجُناةِ. ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾: أي: إذا جاءَهم العذابُ لم يُمْهَلُوا، وقيل: أي: لا تنزِلُ الملائكةُ إلى الأرضِ بشهواتِ العبادِ وسؤالِ الاقتراحِ، إنَّما تنزلُ بالحقِّ؛ أي: وحي إلى الأنبياء، أو لقبض الأرواح، أو لأمرٍ من أمرِنا، وقيل: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بالحُججِ على الرُّسل، وهؤلاء ليسوا برسلٍ، ولا أهلٍ لذلك.

(٩) - ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾: أي: القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ نتولَّى حفظَه، فلم يُغَيَّرْ ولم يبدَّلْ، ولا يأتيه الباطلُ مِن بينِ يدَيْه ولا مِن خلفِه، واستُحْفِظَ أهلُ الكتابِ التَّوراةَ والإنجيل فحرَّفوا وبدَّلوا. وقيل: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ بإعجازِ نظمِه ومعانيه مِن أنْ يعارِضَه معارِضٌ بمثلِه.

(١٠-١١) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: ولقد أرسلنا مِن قبلك رسلًا مِن قرنِ الأوَّلين، والشِّيعةُ: الفرقة المتشايعة، وهي الَّتي يعينُ بعضُها بعضًا. ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: كما يستهزئُ بكَ هؤلاء.

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٢٦٣)، والكشف والبيان (٥/ ٣٣١)، والبسيط (١٢/ ٥٤٥)

(١٢ - ١٣) - ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ﴾: أي: نُدْخِلُ الاستهزاءَ والتَّكذيبَ ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: أي: بالرَّسول، أو: الكتاب، والمعنى: مثلَ الذي سلكْنا في قلوبِ المؤمنين مِن قَبولِ الآياتِ والحُجَج والتَّصديق بها لِمَا علمْنَا أنَّهم يختارون ذلك، كذلك نسلُكُ في قلوبِ المجرمينَ مِن تكذيبِ الآياتِ والحُجَج وردِّها لِمَا علمْنَا منهم ذلك[١]. ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: مضَتْ طريقةُ الأوَّلين بالتَّكذيبِ والمعاندةِ والاستهزاءِ.

(١٤-١٥) - ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي: لو أجبْتُ المشركين إلى مسألَتِهم لأصرُّوا على كفرِهم ولم يؤمنوا ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾: أي: فظلَّ الملائكةُ ينزلون ويعرجون؛ أي: ويصعَدون، ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾؛ أي: سُحِّرَتْ ومُنِعَتْ عن النَّظر وسُدَّتْ. ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾: أي: سحرَنا محمَّدٌ، وخَيَّلَ إلينا أنَّ هؤلاء ملائكة، وسَحَرَنا بفتحِ بابِ السَّماء، يَصِفُ عنادَهم[٢].

(١٦-١٨) - ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾: ثمَّ ذكَرَ بعدَ عنادِ المشركين دلائلَ قدرَتِه وعَجْزِ أصنامِهم، فقال: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾؛ أي: كواكبَ عظامًا ظاهرةً، ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾: أي: جعلنا السَّماء مزيَّنةً بالكواكبِ للنَّاظرين إليها، ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾: أي: حرسْنا السَّماءَ مِن كلِّ شيطانٍ مرجومٍ بالنُّجوم؛ أي: مرميٍّ بها. ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٤٢٥)، والتيسير في التفسير (٩/ ١٧٥).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٥)، والكشف والبيان (٥/ ٣٣٢)، وجامع البيان(١٤/ ٢٦ - ٢٧).

﴿مُبِينٌ﴾ لكنْ مَن استرقَ السَّمع؛ أي: صعد من الشَّياطين إلى السَّماء ليسمعَ كلامَ الملائكةِ فيما يتحاورون بينهم ممَّا يريدُ اللَّهُ إحداثَه في الأرض، فإنَّه يعرِّفُهم بما يشاءُ مِن ذلك، ثمَّ يوحي منه إلى أنبيائِه ما يشاءُ، فتصعدُ الشَّياطينُ لتستمعَ ذلك فتُرْجَم بالنُّجومِ، فيلحقُها مِن ذلكَ شِهابٌ مبينٌ؛ أي: واضحٌ، وأتبعَه؛ أي: لحقَه[(١)].

(١٩) - ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: أي: بسطناها على وجه الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض ﴿رَوَاسِيَ﴾؛ أي: جبالًا ثوابتَ -وقد رَسَا يَرْسُو رُسُوًّا؛ أي: ثبتَ- لئلَّا تنكفِئ الأرضُ بأهلِها، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾: أي: في الأرضِ ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾؛ أي: مقدَّرٍ بقدَرٍ معلومٍ.

(٢٠-٢١) - ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾: أي: في الأرضِ ﴿مَعَايِشَ﴾: جمع معيشةٍ، وهي وجهٌ يُقامُ به العيشُ مِنْ حرفةٍ أو تجارةٍ أو زراعةٍ. ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾: عطفٌ على ﴿مَعَايِشَ﴾؛ أي: وجعلْنا لكم عبيدًا وإماءً ودوابَّ، لكم رِفْقُها، ومنَّا رِزْقُها. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: ليس مِن شيءٍ يخزِّنُهُ الخلْقُ ممَّا يحتاجون إليه. ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾: أي: إلَّا نحنُ مالكونَ له، قادرون عليه. ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾: وما يخرجُ مِن ذلك للخلْقِ إلَّا بقدَرٍ معلومٍ للكفايةِ[(٢)].

(٢٢-٢٣) - ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾؛ أي: لاقحاتٍ بالماء؛ أي: حاملاتٍ، ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾: أي: جعلْنا لكم ذلكَ المطرَ سَقيًا لأراضِيكُم ومواشِيْكُم. ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾: أي: ليس في وُسْعِكم أنْ تَخْزُنُوا

---

(١) بحر العلوم (٢/ ٢٥٢)، والوسيط (٣/ ٣٤٤).

(٢) الكشف والبيان (٥/ ٣٣٣)، ومعالم التنزيل (٤/ ٣٧٢)، والتفسير الكبير (١٩/ ١٣٠).

الماءَ بقَدْرِ حاجتكم إليه.

(٢٣) - ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي﴾: أي: نحيي النُّطفَ ﴿وَنُمِيتُ﴾؛ أي: الأحياء عندَ انقطاعِ آجالِهم ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾؛ أي: الباقون بعدَ فناءِ الخَلْقِ، والمالكون ما في العالَم.

(٢٤-٢٥) - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾: أي: ولقد علمْنا مَن تقدَّمَ في الموتِ فماتَ قبلَ هذا اليوم، وعلمْنا مَنْ تأخَّرَ موتُهُ فيموتُ بعدَ هذا، فلا يفوتُنا إحضارُهم، فنحنُ نُحْيِيهم جميعًا ونميتُهم جميعًا، ونحشرُهم جميعًا. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في تدبيرِه؛ مِن الإحياءِ والإماتةِ والحشْرِ وغيرِ ذلك، ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقِهِ وأعمالِهم وجزائِهم[١].

(٢٦) - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾: ثمَّ ذكرَ ابتداءَ خلقِ الإنسِ والجنِّ لإثباتِ آيةِ الوحدانيَّة، ومطالبةً بشكرِ النِّعمة، وتنبيهًا على أصلِ الخِلْقة. وقال ابنُ عبَّاسٍ: سُمِّي إنسانًا لأنَّه عُهِدَ إليه فنَسِيَ، والصَّلْصالُ: الطِّينُ اليابس الَّذي يُصَلْصِلُ؛ أي: يُصَوِّتُ إذا نُقِرَ لشدَّةِ يُبْسِه، أي: خلقْنا آدمَ مِن طينٍ يابسٍ. ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ الحمأ: الطِّينُ الأسودُ المتغيِّر، والمَسْنون: قيل: هو المصبوب، وهو إشارةٌ إلى رطوبتِه قبلَ أنْ يجفَّ فيصيرَ صلصالًا.

(٢٧-٣١) - ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ﴾: قيل: هو إبليس، وقيل: هو أبُو الجنِّ، وإبليس أبُ الشَّياطين. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي: مِن قبلِ الإنسانِ، وهو آدم. ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾: أي: نارٍ لها التهابٌ، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ

---

(١) التيسير في التفسير (٩/ ١٨٥)، وتفسير مقاتل (٢/ ٤٢٧)، والنكت والعيون (٣/ ١٥٢).

صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾: ﴿بَشَرًا﴾؛ أي: إنسانًا ظاهرَ البَشَرة، لا شعرَ عليه، ولا وَبَرَ، ولا صوف، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: أي: صوَّرتُه بشرًا سويًّا ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾؛ أي: روحًا مِن الأرواح مفضَّلة على سائرها، وإضافته إلى نفسِه للتَّفضيل والتَّشريف، والنَّفخُ: الإدخال. ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾: أي: خِرُّوا له ساجِدِيْن سُجودَ تحيَّةٍ. ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾: أضمرَ هنا: فخلقْتُ آدمَ فسجد له الملائكة، ﴿كُلُّهُمْ﴾ للاستيعاب، فدلَّ أنَّه كلُّ الملائكة، لا ملأٌ دونَ ملأٍ، و﴿أَجْمَعُونَ﴾ ليس بتكرارٍ، بل يدلُّ على الاجتماعِ في السُّجود؛ أي: سجدوا في حالةٍ واحدةٍ مجتمعين لا متعاقبين مترادفين(١).

(٣٢ - ٣٥) - ﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾: أي: أيُّ سببٍ لكَ في هذا؟ وهذا استفهامٌ بمعنى الإنكار. ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾: أي: هو دوني، فأنا مِن نارٍ. ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾: أي: مِنَ السَّماء، وقيل: مِنَ الملائكة؛ أي: تميَّزْ عنهم. وقيل: مِنَ الجَنَّةِ. وقيل: مِن هذه الصُّورة الحسنة. ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ قيل: مشتومٌ، وقيل: ملعونٌ، وقيل: مرميٌّ، وقيل: مُهلكٌ، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾: إلى يوم القيامة، وإذا دامَتْ إليه لم تنقطِعْ، وهي لعنة اللَّه، فقد قال في آية أخرى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ [ص: ٧٨].

(٣٦ - ٣٩) - ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: وهو يوم القيامة.

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٥٧)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ٤٣٨)، والبسيط (١٢/ ٥٩٢)، ومعالم التنزيل (٤/ ٣٧٩).

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝٣٧ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾: قيل: هو وقت فناء الدُّنيا وموتِ أهلها، وهو تأخير العذاب عنه إلى تلك الحالة، وقيل: سأل الأمانَ من الموتِ، فلم يُعْطَ ذلك، والإنظارُ إلى تلك الحالة لم يكن كرامةً له، بل إمْلاءٌ له ليزدادَ إثمًا. ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: لَأُحَسِّنَنَّ إليهم معاصيك، ولَأُحَبِّبَنَّها إليهم ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: ولَأُضِلَّنَّهُمْ.

(٤٠ - ٤١) - ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾: إلَّا عبادَك الَّذين أخلَصْتَهم بتوفيقِك وعصمْتَهم مِن فتنتي، وقيل: إلَّا عبادَك الذين أخلَصُوا أعمالَهم لك، ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: طريقٌ يَمُرُّ مَن سلَكَه عليَّ ومصيرُه إليَّ، فأُجَازِي كُلًّا منهم على عملِه. ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: نعتٌ للصِّراطِ، وليس المرادُ منه استقامتَه في نفسِه، بل المرادُ به أنَّه لا يمكن العُدول عنه، بل يستقيم لسالِكِهِ إليَّ وعليَّ.

(٤٢ - ٤٣) - ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾؛ أي: إنَّ عبادي الَّذين قاموا إليَّ بحقِّ العبوديَّة ليسَ لَكَ عليهم سُلْطانٌ. ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ﴾: وقَبِل تَزْيينَكَ وإغواءَكَ ﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾: مِنَ الضَّالِّين. ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي: موعد متبِعيك[١].

(٤٤) - ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾: قيل: سبعة أَطْباقٍ بعضُها في بعضٍ. ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾: أي: نصيبٌ مِن المُتَّبِعِيْن، فقد جعل لهم على حسب مراتبهم في كفرِهم.

(٤٥ - ٤٦) - ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾: ولَمَّا ذَكَرَ مَصيرَ الغاوينَ

---

(١) التيسير في التفسير (٩/ ١٩٥).

أتبعَهُ ذِكْرَ ما أعدَّه للمخلصِيْنَ، وهم الَّذين اتَّقوا الشِّرك والمعاصيَ، فأخبرَ أنَّهم في بساتينَ فيها عيون، وقد سُمِّيَتْ في القرآن. ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾: أي: يُقال لهم: ادخلوا الجنَّات آمنِيْنَ؛ أي: سالمين غانمين.

(٤٧) - ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾: أي: أخرجْنا ما في قلوبِ أهلِ الجنَّةِ مِن غِشٍّ وخيانةٍ وحِقْدٍ وضَغينةٍ مِن بعضِهم على بعضٍ، لا يعادي بعضُهم بعضًا، ولا يُحزِنُ أحدٌ منهم أحدًا، ولا يحسدُه بنعمةٍ صارَتْ إليه. ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾: يقابِلُ بعضُهم بعضًا، لا يستدبِرُه فينظرَ في قَفاه، حيثُ ما التفَتَ رأى وجهًا يحبُّه(١).

(٤٨ - ٥٠) - ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: أي: تعبٌ ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا﴾؛ أي: مِنَ الجنَانِ ونعيمِها ﴿بِمُخْرَجِينَ﴾بل هم فيها مخلَّدون. ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾: أخبرهم يا محمَّد ﷺ ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لمن تابَ، ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ لِمَنْ لم يَتُبْ(٢).

(٥١ - ٥٤) ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾: أي: أضيافه، والضَّيفُ: هو النَّازلُ على غيرِه، طَعِمَ عندَه أو لم يطعَم، نزلَ للطُّعم أو لغيره. ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾: أي: سلَّموا عليه سلامًا. ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾؛ أي: قال

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ٣٤٢)، والنكت والعيون (٣/ ٢١٣)، ومعالم التنزيل (٤/ ٣٨٢).

(٢) جامع البيان (١٤/ ٨٠)، والكشف والبيان (٥/ ٣٤٣)، والبسيط (١٢/ ٦١٤)، وبحر العلوم (٢/ ٢٥٨).

إبراهيم: إنَّا منكم خائفون. ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾: أي: لا تخفْ ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾؛ أي: إذا كبر. ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾: أي: بعدَما أصابني كبرُ السِّنِّ، ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾: يعني: أيُّ بشارة تكونُ على رأسِ الكِبَرِ؟ أي: فليس حينَ بشارة، وهذا تعجيبٌ واستبعادٌ منه لذلك.

(٥٥ -٥٦) - ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: أي: بما لا كذبَ فيه ولا خُلْفَ، بل هو جِدٌّ وحَقٌّ ويقين. ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾: أي: لا تيأسَنَّ مِن رحمتِه بإعطاء الولد على الكِبَر. ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾: أي: المخطئون سبيلَ الصَّواب، وهو استفهامٌ بمعنى النَّفي، وتقديره: ولا يقنط مِن رحمة ربِّه ﴿إِلَّا الضَّالُّونَ﴾، أخبرَ أنَّه غيرُ قانطٍ مِنْ رحمتِه، ولا مُنْكِرٍ لقدرَتِه.

(٥٨ -٦٠) - ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: أي: أمرُكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ لمَّا بشَّروه بخلاف العادةِ علمَ أنَّهم ملائكةٌ، فخاطبَهم بهذا. ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾: وهم قوم لوط، أجرموا؛ أي: كسبوا لأنفسِهم بشركِهم وفواحشِهم العقوبةَ. ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي: أُرْسِلنا لإهلاكِ قومٍ مجرمين، إلَّا أتباعَ لوطٍ فإنَّا ما بُعِثْنا لإهلاكِهم، بل لإنجائِهم. ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾: استثنوها مِن غيرِ المُهْلَكين، وهم آلُ لوطٍ؛ أي: أتباعُه، فصارت من المهلَكين. ﴿قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾: أي: قالت الملائكةُ: أُعْلِمْنا بتقديرِ اللَّهِ تعالى كونَها مِن الغابِرِيْنَ؛ أي: الباقِيْنَ في العقوبةِ.

(٦١ - ٦٤) - ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ۝ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾: أي: لا أعرفُكم، وهذا سؤالُ أنْ يُعرِّفُوه أنفسَهم ليطمئنَّ إليهم. ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: أي: بل نحنُ رُسُلُ اللَّهِ جِئْناكَ بما كان يشكُّ

قومُكَ في نزولِه بهم مِن العذابِ الذي حذَّرتَهم إيَّاه. ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: أي: بالعذابِ المتيقَّنِ، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: أي: في إخبارِنا بهلاكِ قومِكَ[١].

(٦٥) - ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾: سَرَى وأَسْرَى: سارَ بالليل، ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾: أي: ببقيَّةٍ، ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾: أي: كُنْ وراءَ أهلِكَ؛ أي: قَدِّمْهُم، وسِرْ خلفَهُم. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾: أي: لا تلتفِتَنَّ أنتَ وراءَكَ، ولا أحدٌ ممَّن معَكَ. ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: أي: سيروا إلى حيثُ يأمرُكُم اللَّهُ.

(٦٦-٦٨) - ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾: أي: أوحينا إلى لوطٍ وأعلمْناهُ، ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ﴾ ودابرُ القومِ: مَن يجيءُ بعدَهم، وإذا قُطِعَ ذلك فقد هَلَكَ الكلُّ. ﴿مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾: أي: يُقْطَعُ مصبِحِيْنَ؛ أي: في حال إصباحِهم. ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾: أي: قومُ لوط وهم أهل مدينة سَدُوم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ أي: يُظهِرونَ آثارَ السُّرور في بَشَراتِ وجوهِهم؛ إذْ سمعوا أنَّ غلمانًا صباحًا ضافوا لوطًا؛ طمعًا منهم في ركوبِ الفاحشة. ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾: أي: أضيافي ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾؛ أي: لا تهتكوا حُرْمَتي فيهم. ويحتمل: فلا تفضحوني في ضيفي، فإنَّهم إنَّما نزلوا بنا على أمنٍ منَّا، ويحتمل: فلا تفضحوني في الخُلُقِ، فإنَّهم يقولون: في بيت لوط يُفعَلُ بالأضياف كذا.

(٦٩ - ٧١) - ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: أي: لا تُخجلوني، ولا تلحقوا بي العارَ فيهم. ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: أي: قالَ له قومُه: أولم ننْهَكَ أنْ تُضيفَ أحدًا مِنَ النَّاسِ كلِّهم؟ ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾: أي: بناتُ قومي؛ لأنَّ كلَّ نبيٍّ هو أبو أمَّتِه،

---

(١) التيسير في التفسير (٩/ ٢٠٧).

أُزَوِّجُكُموهنَّ. ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: أي: قابلين ما آمرُكُم به. وقيل: أي: طالبين الاستمتاع. وقيل: أرادَ به بنات نفسِه، وكان يزوِّجُهنَّ منهم إذا أسلموا[١].

(٧٢-٧٤) - ﴿لَعَمْرُكَ﴾: هو قسمٌ بحياةِ رسولِه، والعُمْرُ والعَمْرُ: البقاءُ والحياةُ. ﴿إِنَّهُمْ﴾: قومَك مِن قريشٍ ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾؛ أي: حيرَتِهم وضلالِهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾؛ أي: يتردَّدونَ في الباطلِ، غافلِيْن عمّا أَعَدَّ اللّه تعالى لأهل معصيتِهِ نظيرًا لِمَا أنزلَه بقومِ لوطٍ. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: أي: الهَلَكَةُ؛ صاحَ الزَّمانُ به؛ أي: هلَكَ. ﴿مُشْرِقِينَ﴾: داخلِيْنَ في وقتِ شُروقِ الشَّمس؛ أي: طلوعِها؛ أي: في هذه الحالةِ، ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾: أي: قلبَها جبريلُ بأمرِنا عُلْوًا لسفلٍ. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: وأرسلْنا عليهم ﴿حِجَارَةً﴾ مِن فوقُ، كالمطر يأتي مِن السَّماء. ﴿مِنْ سِجِّيلٍ﴾ أي: من طين متحجِّر.

(٧٥-٧٨) - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: قال مجاهدٌ: أي: للمُتفرِّسين، وقيل: أي: للمُعتبِرِيْن، إنَّ في هذه القصَّة لدلائلَ للمعتبِرين المستدلِّين على أنَّ عواقب مَن عصى اللّهَ مثلُ ذلك، ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾. أي: إنَّ هذه المدينة الَّتي جعلْنا عالِيَها سافِلَها بطريقٍ واحدٍ ثابتٍ، يراها المارُّ بها منكم -معاشرَ العربِ- في الأسفارِ، لا تزولُ عن مكانها، ولا يخفَى أمرُها، فاعتبروا بها. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: هم المنتفِعون بها. ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾: الأيكةُ: الشَّجرُ الملتفُّ. وقيل: الغَيْضَةُ، ذكرَ هلاكَ قومٍ آخرينَ، وهم قومُ شعيبٍ، ومعنى الآية: وما كان أصحابُ الأيكةِ إلَّا ظالمين أنفسَهم، واضعِيْن

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٤٣٨)، والتيسير في التفسير (٩/ ٢١٠).

الشَّيء في غيرِ موضعِه[١].

(٧٩-٨٠) - ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: أي: عاقبناهم ﴿وَإِنَّهُمَا﴾؛ أي: المدينتان؛ مدينةُ قوم لوط، ومدينةُ قوم شعيب ﴿لَبِإِمَامٍ﴾؛ أي: لِبطَريقٍ يُؤْتمُّ ويُتَّبعُ ويُهْتَدَى به. ﴿مُبِينٍ﴾: أي: بيِّن واضح، يمرُّ بها المشركون في أسفارِهم، ويطَّلِعون على آثارِهم. ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾: هو مدينةُ ثمودَ قومِ صالحٍ، وهي فيما بينَ الحجاز والشَّام. ذكرَ قصَّةً أُخرى، وكانَتْ منازلُهم وما نزلَ بهم معروفًا عند العربِ، فذكرَهم اللَّهُ تعالى ليعتبِروا بهم، قال ابنُ عمرَ -رضي اللَّه عنهما-: مررْنا مع النَّبيِّ ﷺ على الحِجْرِ، فقال: "لا تدخلُوا منازلَ الذين ظَلَمُوا أنفسَهم إلَّا أنْ تكونوا باكِيْنَ، حذرًا أنْ يصيبَكُم ما أصابَهم[٢]". ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: رسولَهم صالحًا، وفي تكذيبِه تكذيبُ كلِّ الرُّسل.

(٨١-٨٢) - ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾: أي: جئناهم بأدلَّتِنا وحُجَّتِنا، ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾؛ أي: لم يتفكَّروا فيها، ولم يعتبِروا بها. ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾: أي: لأنفسِهم لشدَّة قوَّتِهم ﴿آمِنِينَ﴾ مِن الموتِ عندَ أنفسِهم.

(٨٣ - ٨٤) - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: أي: الهَلَكَة ﴿مُصْبِحِينَ﴾؛ أي: داخلين في صباح اليوم الرَّابع الذي أُوْعِدوا فيه العذابَ، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: أي: ما نفعَهم وما دفعَ عنهم ما كانوا يكسبون مِن الأموال، وغيرِها من البيوتِ في الجبال، وهو تنبيهٌ لأهل مكَّةَ، يقول: كانوا أشدَّ منكم قوَّة

---

(١) جامع البيان (١٤/ ١٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧١).

(٢) رواه البخاري (٤٧٠٢)، ومسلم (٢٩٨٠).

وأكثرَ أموالًا، فلم يُغْنِ ذلك عنهم شيئًا، فكيف حالكم؟

(٨٥) - ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: أي: إنَّ الأممَ الَّذين عرفتُموهم يا معاشر العرب -ومساكنُهم على ممرِّكُم- لَمَّا خالفوا الحقَّ أُهْلِكوا؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى ما خلقَ السَّماواتِ والأرضَ وما بينهما إلَّا بالحقِّ، والسَّاعةُ آتيةٌ للجزاءِ، وجميعُ ما خلقَ يرجِعُ إلى عالِمٍ به وبتدبيرِهِ ونظمِ أجزائِه. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بالحقِّ الذي جعلَ لنفسِهِ على أهلِها، وللحقِّ الَّذي لبعضِهم على بعضٍ. وقيل: أي: إلَّا شهودًا للَّهِ بالحقِّ على أهلِها. وقيل: ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: لحقٍّ كائنٍ، وهو البعْثُ بعدَ الموتِ للجزاء. ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾: أي: إنَّ القيامةَ لَكائنةٌ، فيُجْزَى كلُّ عاملٍ على وَفقِ عملِه. ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾: أي: فأعرضْ يا محمَّدُ ﷺ عن هؤلاء المشركين إعراضًا جميلًا(١).

(٨٦-٨٧) - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾: أي: بخلقِهِ، لا تخفَى عليه أفعالُهم وأقوالُهم وضمائرُهم، ونجزيهم يومَ القيامةِ على استحقاقِهم. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾: ذكَّرَهُ منَّتَهُ فيما أعطاه؛ ليَسْهلَ عليه تحمُّلُ إيذاءِ المشركين إيَّاه، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾؛ أي: أعطيناك سبعًا من المثاني. روى أُبيُّ بنُ كعبٍ وأبو هريرة وأبو سعيدٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: "هي فاتحةُ الكتاب"(٢).

---

(١) جامع البيان (١٤/ ١٠٧)، والنكت والعيون (٣/ ١٧٠).

(٢) حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه الترمذي (٣١٢٥)، والنسائي (٩٨٨)، وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه البخاري (٤٧٠٤)، وحديث أبي سعيد بن المعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري (٤٧٠٣).

﴿سَبْعًا﴾؛ أي: سبعَ آياتٍ ﴿مِنَ الْمَثَانِي﴾ أي: الفاتحة؛ لأنَّها تُثنَّى في كُلِّ صلاة. وقيل: ﴿الْمَثَانِي﴾: اسمُ القرآن، ومعنى ﴿سَبْعًا﴾؛ أي: سبعَ آياتِ الفاتحة، وهي مِن المثاني؛ أي: مِن القرآن الَّذي هو مثانٍ، قال تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، وسُمِّيَ به لأنَّه ثنَّى فيه الأقاصيص والأمثال والتَّرهيب والتَّرغيب، تأكيدًا للحُجَّة، وإبلاغًا في الإفهام. ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾: قيل: هو جميعُ القرآنِ، والسَّبع المثاني منه، لكنه أفردَها بالذِّكر تخصيصًا وتشريفًا له(١).

(٨٨) - ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾: أي: لا تتمنَّيَنَّ يا محمَّدُ ما جعلناه من زينةِ الحياة الدُّنيا متاعًا للأغنياء مِن هؤلاء المشركين ممَّا قد جعلْنا مثلَه لأشباهِهم، وهو معنى قوله: ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾؛ أي: أشباهًا. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: قيل: كان تمنِّيه ذلك لفقر أصحابِه، فقيل له: لا تحزنْ لأجلِهم. ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: تواضعْ لهم، فتواضعُكَ لهم خيرٌ مِن مَرافق الدُّنيا، وتَطيبُ بذلك قلوبُهم، وتزول كروبُهم.

(٨٩ - ٩٠) - ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾: أي: وقلْ يا محمَّدُ ﷺ للمشركين بعدَ خفضِ الجناحِ للمؤمنين: إنِّي أنا المخوِّفُ بالعذاب المصرَّح به ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾؛ أي: بمثل عذابٍ نزلَ بهؤلاء، وهم مِن مشركي العرب، وكانوا اثني عشر رجلًا، وسُمُّوا مقتسمين لأنَّهم اقتسموا أنقاب مكة(٢).

(١) جامع البيان (١٤/ ١١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٢)، والكشف والبيان (١/ ١٠٣).

(٢) جامع البيان (١٤/ ١٢١) والكشف والبيان (٥/ ٣٥١ - ٣٥٢)، ومعالم التنزيل (٤/ ٣٩٢)، والتيسير في التفسير (٩/ ٢٢١). وبحر العلوم (٢/ ٢٦٢) الوسيط (٣/ ٥٢).

﴿الْمُقْتَسِمِينَ﴾: الَّذين اقتسموا القرآن، فقال بعضُهم: هو سحرٌ، وقال بعضهم: سَمَرٌ، وقال بعضهم: كذبٌ، وقال بعضُهم: أساطيرُ الأوَّلين، وقيل: هم أهل الكتاب، اقتسموا القرآن وعَضَوْه، وآمنوا ببعضِه.

(٩١) - ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾: جمع عِضَةٍ، وهو مِن التَّعضيةِ، وهي التَّفريق، ومعناه: أنَّهم عابوا كتابَ اللَّهِ باهتين، قائلين بالباطل: إنَّه سحرٌ، وإنَّه كهانةٌ، وإنَّه كذبٌ، وإنَّه مفترًى، وإنَّه أساطير الأوَّلين.

(٩٢ -٩٥) - ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي: في الآخرة ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الاقتسامِ، وتعضيةِ القرآنِ، والشِّركِ والمعاصي، وهو سؤالُ تقريعٍ وتوبيخٍ لا سؤالُ استفهامٍ واستعلام. ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: قيل: أي: أَظْهِرْ ما تُؤْمَرُ به، وتصدَّعَ القومُ؛ أي: تفرَّقوا، ويقع به الإظهار، وقيل: أي: فرِّقِ الباطلَ بالحقِّ؛ أي: الَّذي أنزلناه عليك، والشَّقُّ يقعُ به ذلك. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: أي: عن مكافأتهم. وقيل: عن قتالهم، ونُسخ هذا بآيةِ السَّيف، وآية السيف: مصطلح يستخدمه بعض علماء التفسير للإشارة إلى الآية الخامسة من سورة التوبة: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:٥]، ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾: أي: نكفيْكَ، وهؤلاء كانوا خمسةَ نفرٍ ذوي أنسابٍ وشرفٍ في قومِهم. من بني أسدِ بنِ عبد العُزَّى بن قصيٍّ: الأسود بن المطَّلب بن أسد أبو زَمعَة، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ دعا عليهم فماتوا في يومٍ وليلةٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

(٩٦-٩٩) - ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: ما ينزل بهم عاجلًا وآجلًا، ودلَّ قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ قولَه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾؛ أي: نكفيكَ. ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾: أي: نحن عالمون أنَّ صدرَكَ يضيقُ بما يقولُ هؤلاء المشركون فيك وفي القرآن مِن الفِريةِ والباطل، ويحزِنُكَ ذلك، فلا يضيقَنَّ صدرُكَ، ولينكشِفْ عنك حزنُكَ، وليكُنْ مفزعُكَ إلى ذِكْرِنا وعبادَتِنا، وذلك قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وهذا قولٌ ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾؛ أي: من المصلِّين، وهذا فعلٌ. ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾: أي: وأقم العبادة والعبوديَّة لربِّكَ إلى أن يأتِيَكَ المتيَقَّنُ مِن وعدِ اللَّهِ بما يُنزِلُ اللَّهُ بهؤلاءِ، وسَمَّى العذابَ يقينًا كما سماه حقًّا في آياتٍ، وقيل: ﴿الْيَقِينُ﴾: الموتُ[1].

(انتهى تفسير سورة الحجر).

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٩)، وزاد المسير (٤/ ٤١٩)، والبسيط (١٢/ ٦٦٠)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٨٣).

(١٦) سورة النحل مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة النَّحل مكيَّة إلَّا ثلاثَ آياتٍ نزلَتْ بالمدينة بعدَ قتل حمزة بن عبد المطَّلب عمِّ رسول اللَّه ﷺ، وهي قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ إلى آخر السُّورة[١]، سميت هذه السورة عند السلف سورة النحل، وهو اسمها المشهور في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة، ووجه تسميتها بذلك أن لفظ النحل لم يذكر في سورة أخرى، وعن قتادة أنها تسمى سورة النعم -أي بكسر النون وفتح العين-. لما عدد الله فيها من النعم على عباده، وهذه السورة نزلت بعد سورة الأنبياء وقبل سورة الم السجدة. وقد عدت الثانية والسبعين في ترتيب نزول السور، وهي مئةٌ وثمانٍ وعشرون آية، وألفٌ وثماني مئةٍ وأربعون كلمة، وسبعة آلاف وستُّ مئة وتسعة وثلاثون حرفًا، وهذه السورة نزلت بعد سورة الأنبياء وقبل سورة السجدة.

أغراض السورة:

معظم ما اشتملت عليه السورة إكثار متنوع الأدلة على تفرد الله تعالى بالإلهية، والأدلة على فساد دين الشرك وإظهار شناعته، وأدلة إثبات رسالة محمد ﷺ، وإنزال القرآن عليه - عليه الصلاة والسلام-، وإن شريعة الإسلام قائمة على أصول ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإثبات البعث والجزاء فابتدئت بالإنذار بأنه قد اقترب حلول ما أنذر به المشركون من عذاب الله الذي يستهزئون به، وتلا ذلك قرع المشركين

(١) التيسير في التفسير (٩/ ٢٣٨).

وزجرهم على تصلبهم في شركهم وتكذيبهم، وانتقل إلى الاستدلال على إبطال عقيدة الشرك فابتدئ بالتذكير بخلق السماوات والأرض، وما في السماء من شمس وقمر ونجوم، وما في الأرض من ناس وحيوان ونبات وبحار وجبال، وأعراض الليل والنهار، وما في أطوار الإنسان وأحواله من العبر، وخصت النحل وثمراتها بالذكر لوفرة منافعها والاعتبار بإلهامها إلى تدبير بيوتها وإفراز شهدها، والتنويه بالقرآن وتنزيهه عن اقتراب الشيطان، وإبطال افترائهم على القرآن، والاستدلال على إمكان البعث وأنه تكوين كتكوين الموجودات، والتحذير مما حل بالأمم التي أشركت بالله وكذبت رسله - عليهم السلام - من عذاب الدنيا وما ينتظرهم من عذاب الآخرة. وقابل ذلك بضده من نعيم المتقين المصدقين والصابرين على أذى المشركين والذين هاجروا في الله وظلموا، والتحذير من الارتداد عن الإسلام، والترخيص لمن أكره على الكفر في التقية من المكرهين، والأمر بأصول من الشريعة من تأصيل العدل، والإحسان، والمواساة، والوفاء بالعهد، وإبطال الفحشاء والمنكر والبغي، ونقض العهود، وما على ذلك من جزاء بالخير في الدنيا والآخرة وأدمج في ذلك ما فيها من العبر والدلائل، والامتنان على الناس بما في ذلك من المنافع الطيبات المنتظمة، والمحاسن، وحسن المناظر، ومعرفة الأوقات، وعلامات السير في البر والبحر، ومن ضرب الأمثال، ومقابلة الأعمال بأضدادها، والتحذير من الوقوع في حبائل الشيطان، والإنذار بعواقب كفران النعمة، ثم عرض لهم بالدعوة إلى التوبة ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ...﴾ [سورة النحل: ١١٩]، وملاك طرائق دعوة الإسلام ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ...﴾ [سورة النحل:

١٢٥]، وتثبيت الرسول - عليه الصلاة والسلام - ووعده بتأييد الله إياه[١]، وانتظامُ أوَّل هذه السُّورة بآخرِ سورة الحجر: أنَّه ختمَ تلكَ السُّورة بقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، ثمَّ قرَّب ذلك الآتي فقال: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾. وانتظامُ السُّورتَيْن: أنَّه ذكَرَ في تلك السُّورة دلائلَ التَّوحيد، ووعيدَ الكافرين، ووَعْدَ المؤمنين، وذلك كلُّه دعاءٌ إلى التَّوحيد، وذكَرَ في هذه السُّورة نِعمَه على عبادِه، وهو استدعاءٌ للشُّكر مِن العبيد، وهو الإيمان والطَّاعة على التَّأبيد، استبقاءً للنِّعمة واستجلابًا للمزيدِ[٢].

(١) - ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: أي: أتى عذاب اللَّه وعيدًا فلا تستعجلوه وقوعًا، قال النَّضرُ بن الحارث بن علقمة: اللَّهمَّ إنْ كانَ ما يقوُله محمَّدٌ حقًّا فأمطِرْ علينا حجارةً مِن السَّماء. فنزلَتْ هذه الآيةُ جوابًا له. ﴿سُبْحَانَهُ﴾؛ أي: تنزيهًا للَّه عمَّا يقول المشركون. ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تباعدَ عن شِرْكِ المشركين، فلا يجوز وصفُه بالشُّركاء والأنداد[٣].

(٢) - ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾؛ أي: بالكتاب الَّذي فيه حياةُ القلوب مِن موتِ الضَّلالة، وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: الرُّوحُ: الوحيُ، وقيل: جبريلُ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ. ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: شرائعه وأحكامه. ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: يختاره للرِّسالة. ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾أي: إنَّ اللَّهَ ينزِّل على أنبيائه ويوحي إليهم ويأمرُهم أنْ خوِّفوا عبادي عذابي وغضبي على شركِهم بي، فإنِّي لا إلهَ

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ٩٦).

(٢) الكشف والبيان (٦/ ٥)، والوسيط (٣/ ٥٥)، والتيسير في التفسير (٩/ ٢٣٨).

(٣) البسيط (١٣/ ١٠)، والتيسير في التفسير (٩/ ٢٤٢).

إلَّا أنا فاخشَوني ولا تخالفوني، ولا تجعلوا معي إلهًا آخر غيري(١).

(٣-٤) - ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: مر تفسيره، وهو إقامةُ دلالة التَّوحيد، وتقبيحُ الشِّرك والضَّلالِ البعيد، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾؛ أي: مما يخرجُ مِن صُلْبِ الرَّجل وترائبِ المرأة. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾: أي: فنقلَه أطوارًا إلى أنْ وُلِدَ ونشأ، فصار بحيث يَدفعُ عن نفسه ويخاصم عنها، وقيل: أرادَ به مخاصمته في أمر السَّاعة ومحاجَّته بقوله: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]. وقيل: الخَصْمُ: مَن يخاصِمُ بالحقِّ، والخصيم بالباطل؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

(٥-٦) - ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾: الأنعامُ: الإبلُ والبقرُ والغنم. ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾: هو ما يُستدفأ به مِن أوبارها وأصوافها وأشعارها. ﴿وَمَنَافِعُ﴾؛ أي: من الألبان والسَّمن والرّكوب والولد. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: أي: من لحومِها وشحومِها، وخصَّ الأكلَ بالذِّكْرِ لأنَّه معظم المقصود. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾: أي: تَردُّونها إلى منازلها باللَّيل، وقد راحَتْ هي رَواحًا، وأراحَها صاحبُها إراحة، مِن الرَّواح، وهو العشيُّ، وهو نقيضُ الصَّباح. ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: أي: ترسلونها إلى المرعى، يعني: أنَّها إذا راحَتْ إلى المنازل راجعةً من مسارِحِها بالعشيِّ، ممتلئةً ضروعُها، منتصبةً أسنمتُها، رافعةً رؤوسَها، ففيها جَمالٌ؛ لأنَّ الإنسانَ يتجمَّل بمالِه؛ قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، وفي الخروج إلى المرعى كذلك. وقيل: هو جمالٌ يظهرُ في الوجهِ مِن

(١) جامع البيان (١٤/ ١٦٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٦)، والكشف والبيان (٦/ ٦).

السُّرور بها. وقيل: هو جمالُ قِرى الأضياف[(١)].

(٧) - ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾: أي: تحمل أحمالكم وما يَثقلُ عليكم حملُه مِن المتاع إلى البلدان البعيدة التي لا تبلغونها ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾؛ أي: الأبدان. والشِّقُّ: المشقَّةُ. ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: خلقَ لكم هذه الأشياء وسخَّرها لكم. وقيل: ذكرَ هذا لتَرحموا هذه الأنعامَ بالإنفاق عليها والإحسانِ إليها.

(٨) - ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ دلَّتِ الآيةُ على حِلِّ اتِّخاذِ البِغال؛ إذ لو حرمَ ذلك لم تكن مِن النِّعم الَّتي يُمْتَنُّ بها. ﴿وَزِينَةً﴾: يحتملُ أن يكون تقديره: ولِزِينةٍ؛ أي: لركوبٍ وزينةٍ، أو يكون تقديره: لتركبوها ولتكون زينةً لكم، كما ذكر في الأنعام أنَّها جَمال لكم، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي: يخلقُ سوى هذه البهائم أشياءَ لا تعلمونها، مِن أنواع الحشراتِ في المفاوز، والهوامِّ تحتَ الأرض، وفي البرِّ والبحر ما لم يرَهُ البشر ولم يسمعوا به.

(٩-١٠) - ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: أي: في خَلْقِ ما ذكرنا عبرةٌ ودلالةٌ على الهدى، وعلى اللَّهِ بيانُ قصدِ السَّبيل؛ أي: الطَّريقِ القاصد، وهو المستقيمُ، وهو طريقُ الحقِّ، وليس ذلك للوجوب؛ فإنَّه لا يجبُ على اللَّهِ شيءٌ، ولكن يقول: مِن الحكمةِ البيانُ منَّا للصَّواب من الخطأ، والرَّشادِ مِن الضَّلال؛ لتتَّبعوا الرَّشاد، وتجتنبوا الضَّلال، وقد فعلْنا ذلك. ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾: أي: ومن الطُّرقِ طريقٌ مائلٌ

---

(١) جامع البيان (١٤/ ١٦٦)، وبحر العلوم (٢/ ٢٦٦)، ومعاني القرآن (٢/ ٩٦)، والنكت والعيون (٣/ ١٧٩).

عن السَّداد، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي: أعطاكم الاهتداءَ لو علِمَ منكم اختيار ذلك. ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾. وهذا أيضًا مِن آثارِ قدرته، وأنواعِ نعمته. ﴿مَاءً﴾؛ أي: مطرًا منه تشربون، ومنه يَنْبُتُ الشَّجرُ والنَّباتُ والغَرْس. ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: أي: ترعَون مواشيَكم[١].

(١١-١٢) - ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ﴾: أي: ينبتُ اللَّهُ بالمطر الزُّروعَ المختلفة من الحبوب التي تقتاتونها. ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: أي: إنَّ فيما خلقَ اللَّهُ لعلامَةً على ألوهيَّته وقدرته وإنعامِه ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في الدَّلائل. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾: وجهُ تسخيرِها: أنَّ اللَّهَ تعالى خلقَها، وجعلَ فيها منافع للخلْقِ يصلُ إليهم شِئْنَ أو أبيْنَ، أحبَبْنَ أو كرهْنَ[٢]. ﴿بِأَمْرِهِ﴾ ليس هو أمرَ تكليفٍ، بل هو أمرُ تكوينٍ. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾؛ أي: دلائل واضحة على قدرته. ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم في التَّأمُّل فيها.

(١٣) - ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾: أي: سخَّرَ لكم ما ذرأ لكم، والذرء: الخلق بالتناسل ﴿فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾: مِن الملابسِ والمطاعمِ والمشاربِ والمراكبِ والمناكحِ والخدمِ وآلاتِ الارتفاقِ وغيره. ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾: أي: تختلف ألوانه، واختلاف ألوانها: أنَّه لا يشبِهُ بعضُها بعضًا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾:

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٠)، والكشف والبيان (٦/ ٩)، والتيسير في التفسير (٩/ ٢٥٠).

(٢) تأويلات أهل السنة (٦/ ٤٨٣)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٨٧).

أصلُه: يتذكَّرون؛ أي: يتَّعظون بمواعظ اللَّه. والآياتُ للكلِّ، لكنَّ الانتفاعَ لهؤلاء، فخُصُّوا بالذِّكْرِ، وبدأ بقوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ ثم بقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾ ثم بقوله: ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ ثم بقوله: ﴿تَشْكُرُونَ﴾، وكذا التَّرتيب في الوجود، فإنَّه يتفكَّر أوَّلًا فيها، فيعقِلُ ويتذكَّر، فيشكر اللَّهَ على نعمِه[١].

(١٤) - ﴿وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾: هو للجنس، فيقع على كلِّ البحار. ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: أي: السَّمكَ بالاصطياد ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ﴾؛ أي: ولتستخرجوا منه بالغَوص ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾؛ أي: اللَّآلئَ والمرجان، تجعلونها في حليِّ الذَّهب والفضَّة، فتتزيَّنون بها. ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾: أي: السُّفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: جمع ماخرة، يقال: مَخَرَ مخرًا، مِن حدِّ دخل وصنع؛ أي: جرى بشقِّ الماء مع صوت. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: تركبونها في الأسفار للتِّجارات. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي: ولتشكروا اللَّهَ على هذه النِّعم.

(١٥) - ﴿وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ﴾؛ أي: جبالًا ثوابتَ ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ الميَدُ: الانقلاب، وقيل: الاضطراب، وقيل: الدَّوران، وقيل: التَّحرُّك يمينًا وشمالًا. ﴿وَأَنْهَارًا﴾: أي: وألقى أنهارًا، وقيل: وجعل فيها أنهارًا. ﴿وَسُبُلًا﴾: أي: وجعل فيها طُرُقًا تَصِلون بها إلى مقاصدكم، فلكلِّ مقصدٍ طريقٌ به توصِلُ إليه في الحجِّ والغزو والتِّجارات وسائر الحاجات. ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: أي: لتهتدوا إلى المقاصد. وقيل: أي: لتهتدوا إلى المراشد بالنَّظر في الأدلَّة والشَّواهد.

(١٦-١٧) - ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾: أي: وجعل للطُّرقِ علامات، وهي معالم

(١) التيسير في التفسير (٩/ ٢٥٢)، والبسيط (١٣/ ٢٤).

وُضعَتْ لها. ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾: أي: وبالنُّجوم، وهو اسم جنسٍ فصلح للجمع، ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: أي: إلى الطُّرق بالليل. ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾: استفهامٌ بمعنى الإنكار. ومعناه: أيستوي مَن يَخلق ومَن لا يَخلق؟ وأرادَ به الأصنام، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بعقولِكم أنَّه لا يجوز أنْ يُسَوَّى بين القادر والعاجز والخالقِ والمخلوق في العبادة.

(١٨) - ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: أي: لا تُطيقوا عدَّها، وأداءَ حقِّها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾: ساترٌ للذُّنوب، يمهلُكم ولا يعاجلكم ﴿رَحِيمٌ﴾ يكتفي منكم من الشُّكر بقَدْر وُسعكم، ويرضى بيسير الشُّكر على كثير النِّعم.

(١٩ - ٢٠) - ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: أي: لا يخفى على الله شيء من عبادِه، أسرُّوا أو أعلنوا. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: من الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾؛ أي: لا يقدرون على خلق شيء ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾؛ أي: وهم مخلوقون لله.

(٢١-٢٢) - ﴿أَمْوَاتٌ﴾: أي: هم أموات ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾؛ أي: هي جمادٌ لا حياةَ لها، جاهلةٌ لا علمَ لها. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: أي: وما تدري هذه الأصنام متى يُحشرون. ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: أي: المستَحِقُّ لعبادتِكم وتعظيمِكم إلهٌ واحدٌ. ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: أي: لا يصدِّقون ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾؛ أي: للتَّوحيد ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: متعظِّمون عن الإيمانِ.

(٢٣-٢٤) - ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾. ﴿لَا﴾ ردّ لكلامِهم، ﴿جَرَمَ﴾ بمعنى: حقَّ ووجبَ، وقيل:

﴿جَرَمَ﴾؛ أي: كَسَبَ، كقولِه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ [المائدة: ٢]؛ أي: كَسَبَ فعلُهم لهم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: أي: علِمَها منهم، فأعدَّ لهم جزاءَها. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: أي: المتعظِّمين عن الانقياد للرُّسل. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾: أي: من الوعيد؛ أي: إذا ذكِرَ لهم أنَّ ربَّكم أنزل فيكم الوعيد، فكيف تصنعون إذا حلَّ ذلك بكم؟ ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: هي أساطير الأوَّلين، هم سطروها، لا أنَّ اللَّهَ أنزلها، ولهذا رفع قولَه: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ لأنَّهم لم يقرُّوا بإنزالها، فلم يكن فعلُ الإنزال واقعًا عليها على زعمِهم، بل ابتدؤوا بذلك وصفَه[(١)].

(٢٥) - ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هي لام العاقبة؛ أي: فعلوا ذلك ويصيرُ جزاؤهم في العاقبة أنَّهم يعاقبون على ما حملوه من آثامهم كلِّها. ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾: أي: وآثام الذين اتَّبعوهم وضلُّوا بإضلالهم، وإنَّما قال: (مِن) لأنَّه للتَّبعيض، وفي حقِّ أنفسِهم يُعاقَبون بكلِّ ذنوبِهم، وفي حقِّ الذين ضلُّوا بإضلالهم يُعاقَبون بالذُّنوب التي أذنبوها بإضلالهم دونَ سائر الذُّنوب. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ليس بعذرٍ، بل هو عيبٌ لهم بالجهل والسَّفاهة، ومعنى نفي العلمِ؛ أي: لم يعلموا أنَّهم يَضلُّون بإضلالهم، أو لم يعلموا ماذا يلحقُهم بهذا الإضلال، أو لم يعلموا أنَّ آثامَ الذين ضلُّوا عليهم. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: أي: بئسَ ما يحملون من الأوزار.

(٢٦) - ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: مكرَ الكفَّارُ الذين كانوا قبل

---

(١) النكت والعيون (٥/ ١٥٨)، والتيسير في التفسير (٩/ ٢٥٩).

هؤلاء المشركين بأنبيائهم كما مكرَ بك هؤلاء، فلم يضرَّ ذلك بالأنبياء. ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾: أي: أبطلَ اللَّهُ مكرَهم، ونقضَ حجَّتَهم، وهو مجازٌ، كقولك لرجل إذا انكسَرَتْ حجَّتُه: قد بطلَ ما بنيْتَ، وانهدمَ ما أسَّسْتَ. ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾: أي: انقلبَ عليهم مكرُهم. ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أي: مِن الوجه الذين لا يشعرون أنَّه يأتيهم من جهته، وفي الوقت الذي لا يعلمون أنَّه يأتيهم فيه. وقيل: هو على حقيقة البناء، ومعنى قوله: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾؛ أي: الأساس ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ﴾؛ أي: سقط عليهم ﴿السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، فالخرور لا يكون إلَّا من فوق، وذكرَه للتَّأكيد، كما في قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

(٢٧) - ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾: أي: يفضحهم ويُذِلُّهم، بعد ما أهلكهم في الدُّنيا، وأبطل مكرَهم بالأنبياء، وسعيهم في هلاكهم ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾: أي: يوبِّخهم فيقول: أين الآلهة التي كنْتُم تجعلونها شركاء لي، وتعادُون الأنبياءَ بسببها؟ أين هم فيدفعوا عنكم ما نزل بكم؟ ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: أي: المؤمنون الذي أُعطوا العلمَ باللَّهِ وبدينه في الدُّنيا: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ﴾: أي: الفضيحة والمذلَّة ﴿وَالسُّوءَ﴾؛ أي: المكاره التي تسوؤهم ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: المشركين باللَّه[١].

(٢٨-٢٩) - ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾:

---

(١) الكشف والعيون (٦/ ١٣)، وتفسير مقاتل (٢/ ٤٦٥).

أي: الاستسلام؛ أي: انقادوا، ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾: أي: يقولون، ﴿مِنْ سُوءٍ﴾؛ أي: كفرٍ، يتبرَّؤون منه. وقيل: معناه: ما كان ذلك عندنا سوءًا. فيُقال لهم: ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: كنتم لا تعملون إلا سوءًا، واللَّه عليم بما كنتم تعملون، فلم ينفعكم إنكارُكم، ولا جهلُكم بالسُّوء؛ إذ كانت الأدلَّةُ واضحة، والبراهينُ لائحة. ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: لا خروجَ لكم عنها، ولا خلاصَ منها. ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: على أنبياء اللَّه وعلى أوليائه.

(٣٠) - ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾: ثم أخبر -بعد الإخبار عن الكافرين- عن المؤمنين الذين اتَّقوا الشِّرك؛ أنَّهم إذا سُئلوا عن كتاب اللَّه: ماذا أنزل اللَّه فيه؟ ﴿قَالُوا خَيْرًا﴾؛ أي: أنزل خيرًا؛ لأنَّ القرآن خيرٌ وهدًى ونفعٌ وشفاءٌ لِمَا في الصُّدور، يُستَدلُّ به على اللَّه وعلى أنبيائه وشرائعِ دينه، فخيراتُه لا تُحصى. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: معناه: للمحسنين حسنةٌ في الدُّنيا، وهي التَّوفيق والعصمة، والنَّجاة من العذاب المعجَّل النَّازل بالمشركين. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾: أي: ولدار الحياة الآخرة أو النَّشأة الآخرة خيرٌ لهم ممَّا أصابوه في الدُّنيا. ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾: اللَّام للقسم، و(نِعْمَ) كلمة مدح، فنِعْمَ الدَّارُ الجنَّةُ؛ إذ لا خوفَ فيها ولا حزن، ونعيمُها مقيمٌ، ومُلكها دائمٌ، وصاحبُها فيها خالدٌ[١].

(٣١-٣٤) - ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾: هي صفةَ تلك الدَّار ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ ثم وصف المتقين فقال: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: أي: طيبي الأعمالِ والقلوب

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٩٦)، التيسير في التفسير (٩/ ٢٦٥).

مِن دنَس الشِّرك. ﴿طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: إذا بُعِثْتم. ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: أي: ما ينتظر مشركو قريش ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحِهم، وهم ظالمون لأنفسِهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بعذاب ينزلُ بهم في الدُّنيا مثلَ ما نزل بمَنْ قبلَهم مِن الخسْفِ والقذْفِ ونحو ذلك، أو في الآخرة بما أُوْعدوا به. ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: استعجلوا العذاب ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: ما عذَّبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: يوردون أنفسَهم موارد الهلكة بالشِّرك، وينقصون حظوظها من الجنَّة. ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: أي: الأجزيَةُ السَّيِّئة بأعمالهم السَّيئة. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: نزلَ بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: العذابُ الذي كانوا لا يصدِّقون به ويجحدونه هزوًا.

(٣٥) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مر تفسيره في سورة الأنعام ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾؛ أي: ما على الرُّسل إلَّا التَّبليغ الظَّاهر، وقد بلَّغوا أنَّ مشيئةَ اللَّهِ ﷻ ليسَتْ بعذرٍ لهم.

(٣٦) - ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أي: وحِّدُوه وأطيعوه ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾؛ أي: الشَّيطان والصَّنم وكلَّ ما يدعو إلى الشِّرك والضَّلالة. ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾: أي: اختلفَتِ الأمم: فمنهم مَن اختاروا تصديقَهم واتِّباعهم فأرشدهم اللَّه لذلك، ومنهم مَن اختاروا تكذيبَهم ومخالفتَهم، فخذلهم اللَّهُ بسبَب كفرهم، وتحقَّقَتْ لهم

الضَّلالة. ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ معاشر المؤمنين ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين أهلكَهم اللَّه، وأخلى ديارَهم عنهم، وجعلها معتبَرًا لمن بعدهم، وكذلك يفعلُ بمن فعل فعلَهم.

(٣٧) - ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ﴾: أي: يا محمَّد ﷺ، إنْ جهدْتَ على هدايتِهم فليسَ الأمرُ إليك. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ أي: إنَّ اللَّه لا يهدي مَن أضلَّه، لعلمه اختيار الضَّلالة منه. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: أي: وما للضَّالين ناصرون يمنعونهم من جريان حكم اللَّه عليهم، ويدفعون العذاب عنهم، الذي أعدَّه لهم وينزلُه بهم.

(٣٨) - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أي: وحلفوا باللَّه مجتهِدين في أيمانِهم مظهرين من أنفسِهم أنَّهم بارُّون فيها: ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ وهو وصفٌ منهم للَّه بالعجزِ عن بعث الموتى. ﴿بَلَى﴾: وهو ردٌّ عليهم قولَهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ هو قادرٌ عليه، وقد أخبر به، وهو يحقِّق هذا الوعد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كمالَ قدرته، وبالغَ حكمتِه، في بعثِه بعدَ إماتتِه.

(٣٩) - ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: أي: يبعثُهم ليبيِّن لمنكريه ما يختلفون فيه؛ فمنهم مَن كان يقطع القولَ بكونه، ومنهم مَن كان يشكُّ فيه، ومنهم مَن كان يقطع القول بنفيه. ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ في تكذيب الرُّسل، وجحود البعث، وهذا إثبات الجهل للكلِّ، وليس هذا عذرًا بالجهل؛ لأنَّهم كانوا متمكِّنين من النَّظر في الدَّلائل ليعلموا[1].

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ١٧)، والتيسير في التفسير (٩/ ٢٧٢).

(٤٠-٤١) - ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: أي: بعثُ الموتى علينا يسير، لا يَلحقُنا فيه نصبٌ، إنما هو أن نقول له: كن؛ فإذا هو كائنٌ، وهو عبارةٌ عن سرعة الإيجاد. ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾: وهذا مدح للمؤمنين بعدَ ذمِّ الكافرين؛ أي: والذين هجروا أهاليَهم وأوطانهم في إحياء دين الله ونصرةِ رسول الله من بعدما ظلمَهم هؤلاء المشركون وعذَّبوهم وراودوهم بالعود إلى الكفر: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: أي: لنمكنَنَّ لهم في الدُّنيا منازل حسنةً يرضونها بدلًا عن دورهم التي هجروها، وقد فعل ذلك حيث آواهم بالمدينة، وجعل لهم أنصارًا وأعوانًا على أعدائهم، وآنَسوهم بالنُّفوس والأموال، وآثروهم على أنفسِهم بكلِّ شيء. ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾؛ أي: ولأجر الدَّار الآخرة -وهو الثَّواب الذي يؤتيهم فيها- أكبرُ وأعظم قَدْرًا من الذي عُجِّل لهم في الدُّنيا من حِسَان الأوطان والأمنِ على الدِّين والأبدان. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: أي: لو كان هؤلاء الظَّالمون يعلمون ما أعدَّ اللَّهُ للمهاجرين في الآخرة من النَّعيم، لكنْ بجهلهم يظلمونهم، فلو علموا لم يفعلوا، بل وافقوهم لينالوا في الآخرة ما يناله هؤلاء.

(٤٢-٤٣) - ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: أي: صبروا على دينهم، وعلى إيذاء عدوِّهم في الله ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ أي: في أمورِهم، ويرجون الظَّفر بعدوِّهم. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ أي: ما أرسلنا قبلَك ملائكة، إنَّما أرسلنا رجالًا آدميِّين يُوحَى إليهم على لسان ملَك. ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أي: أهل الكتب المتقدِّمة؛ لأنَّهم أهلُ المعرفة بما ذكَرَ اللَّه لهم من فرائضه وشرائعه وأقاصيص

أنبيائه. ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنتم.

(٤٤) - ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ البيِّناتُ: المعجزات، وقيل: الشَّرائعُ الواضحات. والزُّبرُ: الكُتبُ، جمع زَبور بمعنى مزبور؛ أي: مكتوب. وإنَّما أمرَ المشركين بسؤال أهل الكتاب لأنَّهم كانوا يرجعون إليهم ويقبلون قولهم، فأثبتَ الحجَّة عليهم بجنسٍ ما يركَنون إليه. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾: أي: الكتاب الذي فيه ذكرُ ما يُحتاج إليه، كما أنزلنا على مَن قبلَك ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: لتوضِّح لهم معاني ما شرح لهم. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: أي: وليتفكَّروا فيك وفيما أُنزِل عليك، فيستدلُّوا بذلك على صدقِك.

(٤٥) - ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾: استفهامٌ بمعنى إثبات الذَّمِّ لهم بذلك، ويجوز أن يكون استفهامًا بمعنى النَّهي؛ أي: لا تأمَنوا ذلك، فإنَّهم قد استحقُّوه. ﴿مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: مكروا بالنَّبيِّ عليه الصلاة والسلام بأشياءَ سيِّئة، وبما يسوء النَّبيَّ ﷺ ذلك. ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾: كما خسفَ بقارون. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من السَّماء بغتةً كما كان لقوم لوطٍ ونحوهم [1].

(٤٦-٤٧) - ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: أي: في أسفارِهم وتصرُّفاتهم في أمورهم. ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بفائتين، وقد أعجزني الشَّيء؛ أي: فاتني فعجزْتُ عن أخذه. ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: قال

(١) الكشف والبيان (٦/ ١٩)، والبسيط (١/ ٤٠١)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٣٢)، وتفسير البيضاوي (٣/ ٢٢٨).

سعيد بن المسيِّب: بينما عمرُ بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على منبر قال: يا أيُّها النَّاس، ما تقولون في قول اللَّه تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾، فسكتَ النَّاسُ، فقام شيخٌ فقال: يا أمير المؤمنين، هذه لغتُنا بني هذيل، التَّخوُّفُ التَّنقُّصُ، فقال عمرُ: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارِها، قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذليُّ:

تخوَّفَ الرَّحلُ منها تامِكًا قَرِدًا * كما تخوَّفَ عودَ النَّبعةِ السَّفَنُ**

أي: تنقَّص، فقال عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: يا أيُّها النَّاس، عليكم بديوانكم لا تضلُّوا، قالوا: وما ديوانُنا؟ قال: شعر الجاهليَّة، فإنَّ فيه تفسيرَ كتابِكم ومعاني كلامِكم.

(٤٨) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ﴾: الفيءُ: الظِّلُّ الذي بعدَ الزَّوال؛ لأنَّه يفيء؛ أي: يميل عن الجانب الذي كان إلى الجانب الآخر.

والمعنى: أو لم ينظروا إلى كلِّ ما خلقَه اللَّهُ مِن شيءٌ صغيرٍ أو كبير تتفيأُ ظلاله؟؛ أي: يرجع ظلُّ كلِّ شيء من موضعٍ إلى موضعٍ يمينًا وشمالًا على حسب تحوُّل الشَّمس، مشرِّقةً ومُغرِّبة، يختلف ذلك بأوَّل النَّهار وآخره وبالبلدان؛ بتصريف اللَّه إيَّاه.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ أي: عن يمين كلِّ واحدٍ من ذلك، وعن شمائل الجميع.

﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾: السُّجودُ: الخضوعُ للَّهِ بالخلقة، والدَّلالة على وحدانيَّة اللَّه تعالى بالصَّنعة، ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: أي: صاغرون[١].

(٤٩-٥٠) - ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ﴾: أمَّا مَن كان منهم عاقلًا مؤمنًا فطاعتُه بالأمر، وما كان لا يعقل

---

(١) جامع البيان (٢/ ١٣٧)، والتيسير في التفسير (٩/ ٢٧٩)، وإيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/ ٤٨٢).

فبالتَّسخير بدلالة الخلقة، وأمَّا الكافر العاقل: فما كان فيه مِن آثار الصَّنعة ودلائل الحدوث يشهدُ للَّه باستحقاق العبادةِ له، فكلُّهم يسجدُ للَّه من هذا الوجه، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: الملائكة. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: أي: الذي هو قاهرٌ لهم على السُّلطان عليهم إنْ خالفوه. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: خوفًا له، وعلمًا بعظمته، ونفاذِ سلطانه وقدرته. وقيل: يخافون عقاب ربِّهم من فوقهم؛ لأنَّه يأتي من فوق.

(٥١-٥٢) - ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: أي: بهذا أمرَ اللَّهُ تعالى؛ لا تتَّخذوا اثنين إلهين. أي: لا تجعلوا للَّه ثانيًا وهو واحد، وذلك قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾: أي: خافوني ولا تخافوا غيري. ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: خَلْقًا ومُلْكًا. ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾: أي: دائمًا، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى الإنكار؛ أي: ما ينبغي لكم أن تتَّقوا غيرَه وتعبدوا غيرَه وتطيعوا غيرَه وله الدِّين واصبًا، فهو الباقي الدَّائم الذي لا يزول ولا يحول، فلا تنقطعُ الطَّاعة له، فأديموها له.

(٥٣) - ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾: أي: والذي بكم من نعمتِه مِن سعةٍ ورزقٍ، وصحَّةِ جسمٍ، وانبساطِ حياةٍ، وكثرةِ مالٍ، ووفورِ أنصارٍ وأعوانٍ، وسائرِ حسناتِ الدُّنيا، فذلك كلُّه من اللَّه تعالى. ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾: أي: السَّقم والضِّيق والبلاء ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾: تَضِجُّون بالدُّعاء والمسألة[١].

(٥٤-٥٥) - ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٢٤٧ - ٢٤٩)، ومجاز القرآن (١/ ٣٦١)، والكشاف (٢/ ٦٠٨).

﴿يُشْرِكُونَ﴾: أي: الأصنامَ التي لا تنفع ولا تَدفع، فلا ترجون إدرار النِّعمة ولا كشف الضُّرِّ إلَّا منه، ثم تشركون به غيره ممَّا لا يكون منه شيءٌ من ذلك! وهذا كفرانٌ لنعمةِ اللَّه تعالى منهم، وذلك قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾؛ أي: من النِّعَم، وقيل: أي: ليجحدوا ما آتيناهم من الآيات. ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾: أي: عيشوا في دنياكم وتلذَّذوا بها قليلًا، ثم تنقضي. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: أي: خطأَ فعلِكم في الكفر والكفران.

(٥٦-٥٨) - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: ومن جهالاتهم أنَّهم يُسمُّون لأصنامهم أشياءَ من أنعامهم وزروعهم التي جعلناها رزقًا لهم، وهم لا يعلمون لها هذا النَّصيب، ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ أي: وإذا سُئلوا عن ذلك لم يكن لهم حجَّة على ذلك، فعُوقبوا به. ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾؛ أي: ويضيفون له ذلك، فيقولون: الملائكة بناتُ اللَّه ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهًا للَّه عن ذلك؛ أي: هو مُنزَّه عنه. ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من البنين، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أي: متغيِّرًا مِن الغمِّ. ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: حزين، والمعنى: إذا أُخبِر أحدُهم بولادةِ بنتٍ له اسودَّ وجهُه وتغيَّر واغبرَّ من الأنَفة والذُّلِّ، وبقي ممتلئ القلب عن الغيظ، ساكت اللِّسان عن الغمِّ، لا فرجَ له ممَّا أصابَه.

(٥٩-٦٠) - ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾: أي: يستخفي حياءً منهم وكراهةَ أنْ يُهنَّأ بها، ويفكِّرُ في نفسِه: ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ﴾: أي: يمسكُ ما بُشِّرَ به على هوان؛ لسقوطِ قَدْرِه عندَه. ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾: أي: يخفيه، وهو

الوأدُ، وهو دفنُها حيَّة. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: أي: ما أسوأ حكمَهم، يختارون لأنفسهم البنين، ويصفون للّه البنات، ويرضَون له بما لا يرضَون به لأنفسهم. ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾: أي: صفةُ السَّوء، وهو ما ذَكرَ عنهم ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾؛ أي: الصِّفةُ العليا في الملك والسُّلطان، والعزَّة والقدرة، والتَّنزُّهِ عن الشُّركاء والأنداد. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: أي: الممتنعُ على مَن رام مغالبتَه في تعذيبِ مَن أراد تعذيبَه. ﴿الْحَكِيمُ﴾: في إمهال العباد إلى أن يحقَّ بهم القول.

(٦١) - ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾: أي: ولو يعاقبُ اللّهُ الكفَّار بظلمِهم أنفسَهم وعقولَهم، وعبادَ اللّه بصدِّهم عن الحقِّ. ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾: أي: على الأرض، ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: أي: لأدَّى ذلك إلى أن لا يبقَى على الأرض مَن يدبُّ؛ أي: لخلَت الأرضُ عن سكَّانها. ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ﴾: أي: برحمتِه، لا يعاجلهم بها، ولكن يمهلُهم ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ عندَه، إمَّا في الدُّنيا إذا شاءَ أن يهلكَهم أهلكَهم، وإمَّا في الآخرة، وهو وقت الحساب، وهو الأجل المسمَّى لحساب الخلائق أجمعين، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وأيُّ هذين الأجلَيْن حلَّ لم يتأخَّر العذابُ عنهم.

(٦٢-٦٤) - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسِهم من البنات. ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾: أي: وتصف ألسنتهم أن لهم الحسنى من اللّه تعالى؛ أي: القضيَّةَ الحسنى، وهي بالبنين؛ أي: قضى لهم بالبنين، وجعل لنفسه البنات. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾: ﴿لَا﴾ هي ردٌّ لكلامهم، ﴿جَرَمَ﴾؛ أي: كسب قولهم هذا أنَّ لهم النَّار، فإنَّهم كفروا وكذَّبوا. ﴿وَأَنَّهُمْ

﴿مُفْرَطُونَ﴾ أي: متروكون في النَّار، منسيُّون فيها. وقيل: مقدَّمون إلى النَّار معجَّلون إليها[١]. ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾؛ أي: الرُّسل ﴿إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا محمَّد، وهو تسليةٌ له في تكذيب قومِه إيَّاه. ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: أي: الشِّرك والمعاصيَ ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾: فالشَّيطانُ وليُّ المشركين اليومَ، كما كان وليَّ المشركين المتقدِّمين. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: ولهؤلاء -وقيل: لأولئك- عذابٌ أليمٌ في الآخرة لا يدفعُه عنهم هو بولايته، وكيف وهو لا يمكنه الدَّفع عن نفسِه، فكيف عن غيره؟! ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: أي: من أمر الآخرة والبعث، ومن أمور الدِّين. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: هم الذين ينتفعون به، وينالون الهدى والرَّحمة.

(٦٥-٦٦) - ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: وهو من النِّعم التي عدَّها عليهم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ القولَ فيتدَّبرونه بقلوبهم، ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: تعتبِرون بها في قدرة اللَّه تعالى على إحياء الموتى. ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾: أي: نعطيكم شرابًا من بطونِ ذوات الألبان من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم. ﴿لَبَنًا خَالِصًا﴾: يخرجُ مِن بين فرثٍ ودمٍ، فلا يتعلَّق به منها شيءٌ يؤثِّرُ في لونِه وطعمِه، بل يكون سائغًا هنيئًا، سهلَ الجري لمن شربَه، لا يغصُّ به، والفَرْثُ: الثُّفْلُ الذي ينزل إلى الكرش.

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٠٧)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٠)، والبسيط (١٣/ ١٠١ - ١٠٢)، والتيسير في التفسير (٩/ ٢٨٧).

(٦٧) - ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾: أي: ونسقيكم من ثمرات النَّخيل والأعناب سكرًا ونحوَ ذلك. ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾: السَّكَرُ: هو خمرُ التَّمر. قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: السَّكَرُ: ما حُرِّمَ من الشَّراب، والرِّزق الحسنُ: ما أُحِلَّ منه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: أي: يستعملون عقولهم في التَّدبُّر فيها(١).

(٦٨-٦٩) - ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾: أي: ألهمَها ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: قيل: يبنون. وقيل: يتَّخذون عرائش الكروم، ألهمَها اللَّهُ أنْ تتَّخذ بيوتًا في هذه المواضع. ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾: أي: السُّبلَ التي ذلَّلها اللَّهُ لك، وقيل: ﴿ذُلُلًا﴾؛ أي: مُطيعة. جمع ذَلُول، وهي على هذا صفة النَّحل. ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾: أي: من بطون النَّحل. ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾: أي: عسل يُشرَبُ وتختلفُ ألوانُه، فمنها أبيض وأصفر وأحمر. ﴿فِيهِ﴾: أي: في الشَّراب، وهو العسل ﴿شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: مِن أدوائِهم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: أي: للذين تفكَّروا، فعلموا أنَّ النَّحلة على صغر جسمها وضعف خِلْقتِها لا تهتدي لصنعة العسل بنفسها، وأنَّ ذلك بصانع صنعَها، وخالف لينها ولين غيرها من الحشرات الطَّائرة، فاستُدِلَّ لذلك على خالق واحد قادر لا شريك له ولا شبيه(٢).

(٧٠) - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾:

(١) جامع البيان (١٤/ ٢٧٥ - ٢٨١)، والكشف والبيان(٦/ ٢٨)، ومجاز القرآن (١/ ٣٦٣).
(٢) لطائف الإشارات (٢/ ٣٠٦ - ٣٠٧)، والتيسير في التفسير (٩/ ٢٩٦).

أي: أردئِه، وهو إذا بلغ خمسًا وسبعين سنة، وقيل: إذا بلغ تسعين سنة، فيتعطَّل عن العمل والتَّصرف والاكتساب والحجِّ والغزو ونحوها، فيخرف، فينكر عقله، وذلك قوله: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ممَّا كان يعلمه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بالعباد ﴿قَدِيرٌ﴾ على إبقائهم وإفنائهم ونقلهم من حالٍ إلى حالٍ، من الصِّبا إلى الشَّباب، ثم إلى الكهولة، ثم إلى الشَّيب، ثم إلى الخرف.

(٧١) - ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾: فجعل منهم الغنيَّ والفقير، والمستكثِر والمقِلَّ. ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾: أي: فليس الأغنياء المُفضَّلون في المال على غيرهم رادِّين ما رزقَهم اللَّهُ على مماليكهم؛ أي: جاعلين لهم في أموالهم شركاء حتى يكون المالكون والمملوكون سواءً في التَّبسُّط فيه والإنفاق منه، وحتى يشركوهم في نسائهم وإمائهم؛ أي: وإذا كنتُم لا ترضون بهذا من أنفسكم في أملاككم فكيف تحكمون به في أملاكي وهم خلقي وعبيدي فتجعلوهم لي شركاء؟! ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: أي: إذا أشركْتُم معي غيري فقد جحدْتُم نعمتي؛ لأنَّ النِّعمَ كلَّها منِّي، والعبادة والشُّكر والطَّاعة لا تحقُّ إلَّا لي[(١)].

(٧٢) - ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: وهذا ذِكْرُ نعمةٍ أخرى؛ أي: أمُّهُنَّ حوَّاء خُلقَتْ مِن آدم، وقيل: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾؛ أي: بشرًا مثلَكم، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أي: أختانًا، وقيل: أي:

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٢٩٢)، والكشف والبيان (١٦/ ٧٨)، والبسيط (١٣/ ١٢٨)، ومعالم التنزيل (٥/ ٣٠)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٨).

خدمًا. وقيل: هم ولد الولد، وهم النَّوافل. وقيل: هم الأعوان، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: أي: الأطعمة الشَّهية، وقيل: الحلال. ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: فيما جعل لكم الشَّيطان من تحريم بعض الطَّيِّبات في الزُّروع والأنعام تؤمنون، فتجعلونه دينًا وهو باطل. ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾: التي أنعم اللَّه عليهم في إحلالها ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ فهذا منكر عجيب.

(٧٣-٧٤) - ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ﴾؛ أي: جمادًا لا يملك ﴿لَهُمْ رِزْقًا﴾؛ أي: ترزيقًا ﴿مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ أي: لا يقدرون أن يرزقوهم من السَّماء مطرًا، ولا من الأرض نباتًا. ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: أي: بأنفسِهم، أي: لا يملكون الأمر به، نفى السُّلطان والقدرة عنهم جميعًا، وقد يملك الإنسان مالًا فلا يعطي، لكنه يستطيع أن يعطي إذا أراد، فيقول: الأصنام لا ملك ولا قدرة لها. ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾: أي: لا تصفوا للَّه الأشباه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ صوابَ الأمثال من خطئِها ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك(١).

(٧٥) - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ وهذا مثلٌ ضربَه اللَّهُ لنفسِه سبحانَه وللأصنام. وقيل: هو مثلٌ للمؤمن والكافر: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ أي: إنَّ مَن يعبدُ الوثن أو شيئًا مِن دون اللَّه فإنَّما يعبد عبدًا من عباد اللَّهِ وخَلقًا من خلقِه، لا يقدر لعابده على جزاءٍ ولا ثواب، ومَن يعبد اللَّه فإنَّما يعبدُ مَن يقدر على كلِّ شيءٍ، ومَن بيده كلُّ رزقٍ حسنٍ، فهو يجازي به العابد له. ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: لا يملك لنفسه في الكون تصرفًا ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦٤)، والنكت والعيون (٣/ ٢٠٢). وجامع البيان (١٤/ ٣٠٢).

﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: المؤمن يطيع الله في نفسه وماله. ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ السِّرُّ والجهرُ مثلان للأعمال التي يُجهَر بها، كالصَّلوات المفروضة، والإعلانِ بالشَّهادة لله في التَّوحيد، والأذكارِ التي أُمِرَ النَّاس بالجهر بها، ومنها الحجُّ والجهادُ والأعمالُ التي تظهر للنَّاس. والسِّرُّ: النَّوافل التي يخلو بها المرءُ في بيتِه وحيثُ لا يُعلَم به كدعاءِ السِّرِّ. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: المستَحِقُّ للشُّكر والثَّناء والمدح كلِّه هو اللَّه؛ لأنَّ النِّعم في الدِّين والدُّنيا كلَّها منه. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ﴿بَلْ﴾: ردٌّ لِمَا قالوا من استحقاق الأصنامِ العبادةَ والشُّكرَ أنَّها ليس منها إنعام عليهم فتستحقَّ ذلك منهم، وأكثرُهم لا علمَ عندهم إنَّما هم مقلِّدون جُهَّال، استحسنوا عبادةَ غيرِ اللَّه على غير بصيرةٍ اتِّباعًا للآباء[١].

(٧٦) - ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾.

الأبكمُ: الأخرس، والكَلُّ: العيال، ومولاه: ابنُ عمِّه وقريبُه، وهذا المثل الثَّاني ضربَه اللَّهُ لنفسِه وللأوثان، فالذي كالأبكم الذي لا يقدر على شيء؛ أي: لا يقوم بإمساكِ نفسِه وتدبير أمرِه، فهو كَلٌّ؛ أي: عيالٌ على مولاه؛ أي: على قريبِه وابن عمِّه الذي يدبِّر أمرَه، أو على مَن يتولَّى من الأجانب أمرَه ويقومُ بأسبابه، أينما يوجِّهه مولاه في أمرٍ يَعْرِضُ أو حاجةٍ تقعُ أو رسالةٍ تؤدَّى فإنَّه لا يأتيه بخير؛ لأنَّه لا يُعربُ عن نفسِه، ولا ينطق فيترجِمَ نطقُه عمَّا في ضميره، فالمستعين به خائبٌ من نفعه؛ لأنَّه

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ٣٢)، والبسيط (١٣/ ١٤٣)، ومعالم التنزيل (٥/ ٣٣)، وزاد المسير (٤/ ٤٧٢).

لا يأمر ولا ينهى، ولا يُفصح عن حقٍّ ولا باطل، فكذا الوثن إنَّما يقوم بأمرِه غيرُه، فيُحمَل ويُنقَل مِن موضعٍ إلى موضعٍ، ويُصلَح ما يتشعَّث منه، ويُماطُ عنه ما يَعلقُ به مِن قذًى أو أذًى، وكلُّ ما يسألُه عابدُه ويدعوه له ويرجوه من عبادته فإنه لا يجدُه عندَه؛ لأنَّه لا يعقِلُ ولا يتكلَّمُ، فهو كَلٌّ على عابدِه، يتكلَّفُ مُؤْنَتَهُ، ولا يرجو معونتَه، ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؛ يعني: يدلُّكم على طريق مستقيم.

(٧٧) - ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إنَّ المشركين كانوا ينكرون البعث، ويقولون: متى السَّاعة؟ فإذا قيل لهم: هو مكتوم، قالوا: لو كان لكان له وقتٌ معلومٌ، فقال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: اللَّه مالك ما غابَ عن العباد في السَّماوات والأرض، ويملك إظهار ما غابَ من ذلك كلِّه، فيملك إظهار السَّاعة، ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾: أي: كنظرِ البصر؛ أي: إنَّها تأتي بغتة في أسرع وقتٍ، ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ليس هذا للشَّكِّ، بل معناه: مَثِّلوها بأيِّهما شئْتُم فهو صوابٌ، وقال ابن عبَّاس: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾؛ أي: بل هو أقربُ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: هذا ظاهر.

(٧٨) - ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾: ومن النِّعمِ التي عدَّها هذا، وقوله: ﴿أَخْرَجَكُمْ﴾ إثبات عجزنا في الابتداء؛ يعني: لم تكونوا قادرين بأنفسكم على الخروج فأنا أخرجتكم. ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾: فأنا علَّمتكم، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: راجعٌ إلى هذا؛ أي: جعل لكم آلات العلم والفهم، وفي إثباتِ السَّمع إثباتُ النُّطق؛ لأنَّ مَن لم يسمَع لا يقدر على أن يتكلَّم، والمعنى: خلقَكم وأعطاكم هذه الأعضاء السَّليمة، وأودعَها هذه المعانيَ؛

ليكلِّفَكم شكرَه بما أعطاكم، ويتعبَّدكم بشرائِعِه لتشكروا له على صنائعه.

(٧٩) - ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾: وهذا تنبيهٌ على الاعتبارِ بما يرونَه من الطَّير، ﴿مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾؛ أي: مذلَّلاتٍ في الهواء المرتفعِ من الأرض، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾: أي: ما يمسِكُ هذه الطُّيور في الهواء إلَّا اللَّه بما أنبتَ لها من الأجنحة، وسخَّرها للطَّيران. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: أي: في تسخير الطَّير للطَّيران ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنَّها تدلُّ على خالقٍ خلقَها لا يشبِهُ خلقَه، وسخَّرها بقدرته، فإنَّها ما صارَتْ كذلك بأنفسِها، بل بمسخِّرٍ سخَّرها، وخصَّ المؤمنين بها لأنهم هم المنتفِعون بالتَّفكُّر فيها.

(٨٠) - ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾: أي: من بيوت الحجر والمدَر والخشب موضعَ سُكْنى في الحضر. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: أي: يخفُّ عليكم حملُها ونقلُها في الأسفارِ وما دونها خارجَ القُرى والأمصار يومَ ارتحالِكم. والظَّعنُ بفتح العين وتسكينها: الارتحالُ. ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: قرارِكم في منازلكم. ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾: أي: وجعل لكم من أصواف الأنعام وأوبارها وأشعارها ﴿أَثَاثًا﴾ الأثاثُ: متاعُ البيتِ الكبير، أي: أمتعة وثيابًا تصلح للحضر والسَّفر، منها ثيابٌ تُلْبَس، ومنها ما يُفرَش، والأصواف للضَّان، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز. ﴿وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾: أي: يجعلون منها أثاثًا ينتفعون به أيَّام الحياة[1].

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٣٢١)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣١١)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٢١٥)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ١١٢).

(٨١) - ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾: كالشَّجر وما يُستَظلُّ به.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾: جمع كِنٍّ، وهو السَّتر؛ أي: ستورًا، وهي الكهوف يُتوقَّى بها من المطر والحرِّ والبرد. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ السِّربالُ: القميصُ من القطنِ والكتَّان والصُّوف، وإنَّما قال: ﴿تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ ولم يذكر البرد، وإن كان ما يقي البرد أعظمَ في المنَّة؛ لأنَّ الذين خُوطبوا بهذا أهل حَرٍّ في بلادهم، فحاجتُهم إلى ما يقي الحرَّ أشدُّ. قاله عطاء. ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: أي: ودروعًا من الحديد تردُّ عنكم سلاحَ عدوِّكم في قتالِكم. والبأسُ: شدَّةُ الحرب. ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾: فلا يدعُ شيئًا ممَّا بكم الحاجةُ إليه في دينِكم ودنياكم إلَّا أعطاكموه تامًّا، تقع به الكفاية ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾: أي: لتُسْلموا وتُخْلِصوا للّه، وتجعلوا أنفسكم سالمةً له مُسْلمةً إليه.

(٨٢) - ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أي: فإنْ أعرضوا عن تدبُّر ما عدَّدْتُ من النِّعم والآيات، وختمْتُ ذلك بالدُّعاء إلى الإسلام بقولي: تُسلمون، وعن قَبولِه والإيمان بك فيما أتيتَهم به، فلا تبعةَ عليك في ذلك ولا لوم؛ ولأنَّ الذي عليك هو التَّبليغ الظَّاهر، وقد فعلْتَ.

(٨٣-٨٤) - ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾: أي: يعرفون بقلوبِهم نعمةَ اللَّهِ عليهم بك يا محمَّد ﷺ، ثم ينكرونها بألسنتهم فيجحدون نبوَّتك، وأكثرُ هؤلاء المشركين هم الكافرون النِّعمةَ التي نالوها بك.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: أي: واذكرْ يا محمَّد ﷺ يومَ نبعثُ من كلِّ أمَّة شهيدًا، وهو النَّبيُّ

يشهد على أمَّته بما كان مِن إجابةِ مَن أجابَ وردِّ مَن ردَّ. ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: في الاعتذار عمَّا كان منهم في الدُّنيا من الإنكار، كما قال: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦]، ومعنى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾؛ أي: لا يُسمَع عذرُهم ولا يُقبَل. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾؛ أي: ولا يؤمرون بالكفِّ في معصيةٍ كانوا يرتكبونها؛ لأنَّه ليس بيوم تكليفٍ(١).

(٨٥) - ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: أشركوا، فوضعوا العبادةَ في غير موضعها، وضرُّوا بذلك أنفسَهم، ونقَصوها حظَّها، ورأوا العذابَ الذي أُعِدَّ لهم في الآخرة، وذلك إذا دخلوا إلى جهنَّم، فلا يهوَّن عليهم، ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: يُمهَلون للإيمان.

(٨٦) - ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾: أي: إذا رأوا أصنامَهم التي أشركوها في عبادتهم إيَّاها مع اللهِ وقد حُشِرَتْ معهم ليوبَّخوا بها. ﴿قَالُوا رَبَّنَا﴾؛ أي: يا ربَّنا ﴿هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ﴾؛ أي: هم أضلُّونا، فافعل بهم كذا. ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾: أي: فقال الشُّركاء في جوابهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولكم: إنَّا آلهةٌ وفي إضافتكم الإضلالَ إلينا.

(٨٧-٨٨) - ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾: أي: واستسلمَ هؤلاء المشركون لحكم اللَّه، وذلُّوا، وسقط تكبُّرهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من قولهم: هم شفعاؤنا، بطَلَ ذلك القولُ، فلا شفاعةَ ولا نصرةَ. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٢٠٧)، والبسيط (١٣/ ١٦٤)، وجامع البيان (١٤/ ٣٢٦)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣١٤).

﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: هم كبراء المشركين، كفروا نعمةَ اللَّهِ، وصدُّوا النَّاس بالتَّمويه عن دين اللَّه. ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾: أي: ضاعفنا لهم العذاب ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ النَّاس بالصَّدِّ عن سبيل اللَّه، فلهم عذابُ ضلالهم وعذابُ إضلالهم النَّاسَ.

(٨٩) - ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: نبيَّهم. ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾: وهو تخصيصٌ بعد التَّعميم، كما قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧]. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: ممَّا هم فيه الآن، أو ما يَؤُول إليه أمرهم في الآخرة، وكشفْنا ذلك كلَّه، وأودعْنا كلَّ ما يحتاجون إليه من أمور الدِّين والدُّنيا. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾: أي: دلالة إلى الحقِّ، ورحمة لهم حتى لا يهلكوا، وبشارة بالجنَّة لمن أسلم(١).

(٩٠) - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ الآية: هو متَّصل بقولِه: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، وقد بيَّن ذلك كلَّه في هذه الآية، فإنَّه أمرَ بثلاثةِ أشياءَ هي جامعةٌ جميعَ ما أمر اللَّه به في القرآن، ونهى عن ثلاثة أشياء هي جامعة جميعَ ما نهى اللَّه عنه في القرآن، ولذلك يقرأ كلُّ خطيبٍ على المنبر في آخر كلِّ خطبةٍ هذه الآية لإتيانها على كلِّ مأمور ومنهيٍّ؛ لتكونَ عِظةً جامعةً للنَّاس كلِّهم. وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: أجمع آية في القرآن هذه الآية(٢)، وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٧)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣١٨).
(٢) جامع البيان (١٤/ ٣٣٧)، والمعجم الكبير (٨٦٥٨)، والحاكم في المستدرك (٣٣٥٨).

جِماع التَّقوى في قول اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى﴾ الآية(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾؛ أي: بالتَّسوية في الحقوق فيما بينكم، وتركِ التَّظالم، وإيصالِ كلِّ ذي حقٍّ إلى حقِّه، والإحسانِ إلى مَن أساءَ إليكم. ﴿وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى﴾؛ أي: إعطاءِ ذي القربى، وهو صلةُ الرَّحم وبرُّ الأقارب. ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾: أي: عن الذُّنوب المفرِطة في القُبح. ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾: وهو كلُّ ما تنكِرهُ العُقول السَّليمة، ولا يُعرَف في سُنَّةٍ ولا عقلٍ. ﴿وَالْبَغْيِ﴾: أي: وينهى عن الاستطالة على النَّاس بفضل القوَّة. ﴿يَعِظُكُمْ﴾: أي: يحذِّركم مكروهَ العواقب في مخالفةِ أمرِه ونهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: لتتذكَّروا بعقولِكم فتتَّعظوا بمواعظ اللَّه.

(٩١) - ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾: أي: اثْبُتوا على ما عاهدْتُم اللَّهَ عليه وبايعْتُم به رسولَه بالأيمان التي تحلفون بها. ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾: أي: لا تنكثوها بالحِنْثِ ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾؛ أي: بعد إحكامِ عقدِها على أنفسكم. ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي: شهيداً، وقيل: وكيلًا، وقيل: حفيظاً مراعياً لعقدكم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾: من البرِّ والحنْثِ، فيجازيكم به.

(٩٢) - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾: أي: ولا تنقضوا ما عاهدْتُم اللَّهَ عليه، فيكونَ مَثلُكم كمثلِ امرأةٍ تُبْرِمُ غزلَهَا، حتى إذا قَوِيَ عادَتْ عليه فنقضته، وهذا قبيحٌ لا يخفى عليكم قبحُه، قال ابن عبَّاس

---

(١) الكشف والبيان (١/ ١٤٢)، ومعالن التنزيل (١/ ٦٠)، وزاد المسير (٢/ ٥٨٠).

رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: نزلَتْ في امرأة حمقاء من قريش، يقال لها: رائطة[١]. ﴿تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾: الدَّخَلُ: ما أُدخِلَ على الشَّيء للفساد، والمعنى والله أعلم: تَدخلون في الأيمان للغرور، وهو إفساد، ومن نيَّتكُم الغدرُ بمن حلفتُم لهم. ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍ﴾؛ أي: من أجلِ أنَّ طائفةً من النَّاس يكونون أكثرَ عددًا من طائفةٍ أخرى، ويكونون أكثرَ أموالًا، وأزيدَ أسبابًا في القوَّة والمال، فتنقضون أيمانكم إذا رأيتم الكثرة والسَّعة في الدُّنيا في أعدائكم من المشركين. وهذا لمن دخل في الإسلام ونافقَ أهلَه ليستعين بهم ويتَّسع في أسباب الدُّنيا، ويظفر على أعدائه، وإذا لم يحصل ذلك عاجلًا نقضَ العهدَ وارتدَّ إلى الكفَّار؛ لِمَا يرى من كثرة عددِهم وأموالِهم، فنهاهم أن يكون دخولهم في الإسلام على هذا القصد، فيكونوا قد اتَّخذوا إسلامهم دَخلًا خديعةً للمسلمين، لا إخلاصًا في الدِّين. ﴿إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: أي: يُجري أحوالَ المؤمنين في بعض الأوقات على الضَّعف والقِلَّة والنُّقصان ليختبرهم؛ أي: يعاملهم معاملةَ المختبِر ليظهَرَ صبرُهم فيجازيَهم عليه أحسنَ الجزاء، وهو لا محالة ينصرهم ويُظفِرهم بعدوِّهم ويُطيِّب لهم عيشهم، وله ذلك في عباده. ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾: أي: ليميزَنَّ المحِقَّ من المبطِل يوم القيامة، فيثيب المحقَّ ويعاقب المبطل، وهذا وعدٌ لهم على حفظ العهد واليمين، وعلى الصَّبر على الشِّدة، وعلى الثَّبات على الدِّين[٢].

---

(١) البسيط (١٣/ ١٧٨) الكشف والبيان (٦/ ٣٨)، ومعالم التنزيل (٥/ ٣٩ - ٤٠)، وتفسير مقاتل (٢/ ٤٨٤).

(٢) التيسير في التفسير (٩/ ٣٢٧)، ولطائف الإشارات (٢/ ٣١٥ - ٣١٦).

(٩٣-٩٤) - ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: أي: على ملَّة واحدة، وهي الإسلام. ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: مَن علمَ منه اختيارَ الضَّلال أضلَّه، ومَن علمَ منه اختيارَ الهداية هداه. ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: يوم القيامة، فتُجزَون به. ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾: أي: لا تَعْقِدوا الإيمان بالانطواء على الخديعة والفساد فتزل قدم، كما قال: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: مجازٌ عن الصيرورة من الأمن إلى الخوف، ومن الرُّشد إلى الغيِّ، ومن الصَّواب إلى الخطأ، ومن الحقِّ إلى الباطل. ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾: بما ينالكم في الدُّنيا من السُّوء على أيدي المؤمنين. ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: أعرضْتُم عنه، من الصُّدود، ومنعْتُم عنه غيركم، من الصَّدِّ. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة، مع ما ينالكم من السُّوء في الدنيا.

(٩٥-٩٦) - ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: أي: ولا تستبدلوا بنقض العهد واليمين عوضًا يسيرًا، وهو عرَض الدُّنيا، فإنَّه يسيرٌ خسيسٌ فانٍ، والثَّوابُ بحفظ العهود واليمين باقٍ، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: تنتفعون بالعلم. ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾: أي: يفنى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾: لا يفنى، فلا تنقضوا العهد واليمين طمعًا في المال الذي عندكم وهو ممَّا يفنى، فيفوتكم الثَّوابُ الذي عند اللَّه تعالى وهو باقٍ. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على حفظ العهد واليمين، وتحَمُّلِ المشقَّة والفاقة. ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: بأحسنِ أعمالِهم التي كانوا يعملونها في الدُّنيا، وهي ما عملوه في حال إسلامِهم، فإذا جزاهم بها الجنَّة، فلا شكَّ أنَّه قد غفر لهم ما كان منهم من

الشِّرك، ومن الذُّنوب في الإسلام[١].

(٩٧-٩٩) - ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: أي: مصدِّق بأنَّ عملَه الصَّالح بتوفيق اللَّه تعالى. ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾؛ أي: فلنُطيِّبنَّ عيشَه، وقد يكون بالقناعة. وقد يكون بفتح بلاد الكفر وتوسُّعهم بالغنائم. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ليس بتكرارٍ؛ لأنَّ الأوَّل في حقِّ الذين عاهدوا رسولَ اللَّه فحفظوا عهودهم، وهذا في كلِّ مؤمنٍ عمل صالحًا[٢]. ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾؛ أي: فإذا أردْتَ قراءة القرآن، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: أي: فامتنِعْ به واعتصِمْ، ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾: صدقوا اللَّهَ في وعدِه ووعيدِه. ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: في دفعِ وساوسِ الشَّيطان، وتفويض الأمور كلِّها إلى اللَّه، والتَّبرُّؤ عن الشِّرك.

(١٠٠) - ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾: إنَّما تعملُ وسوستُه وتنفذُ دعوتُه إلى الضَّلال على الذين يتولَّون الشَّيطان، فيجعلونه عمدةً لهم، ويرجون نصره وعونه، ويتوقَّعون كفايته، وينقطعون إليه. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾: أي: بسبب الشَّيطان مشركون باللَّه، والهاء على هذا راجعٌ إلى الشَّيطان.

(١٠١) - ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾: أي: واللَّه أعلم بمصالح العباد، وبما ينزلُ من النَّاسخ والمنسوخ. ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾: أي: متقوِّلٌ من نفسك، تكذبُ على اللَّه. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنَّ النَّاسخ

---

(١) بحر العلوم (٢/ ٢٨٩)، وزاد المسير (٤/ ٤٨٧).

(٢) الكشف والبيان (٦/ ٤٠)، وجامع البيان(١٤/ ٣٥٠ - ٣٥١).

والمنسوخَ كلاهما من اللَّه. وقيل: لا يعلمون حسنَ النَّسخ وجوازَه، بما فيه من الحكمة والمصلحة.

(١٠٢) - ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾: أي: قلْ لهم يا محمَّد: إنَّما أنزلَ القرآنَ كلَّه ناسخه ومنسوخه ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾، وهو جبريل ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: من عند اللَّه ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بالصَّواب ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: ليتدبَّره الذين آمنوا باللَّه، فيصدِّقوا بالنَّاسخ كتصديقهم بالمنسوخ، ويعتقدوا أنَّ الكلَّ حقٌّ في وقته، فيوفِّقَهم اللَّهُ للثَّبات على الإيمان، وليكونَ ما ينزِّله هدًى للمؤمنين إلى طريق الحقِّ، وبشارةً بالجنَّة إذ عملوا بالطَّاعة في الحالين[(١)].

(١٠٣-١٠٤) - ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾: يقول اللَّه تعالى: لا يخفى علينا قولهم: إنَّما يعلِّم محمَّدًا هذا المتلوَّ بشرٌ. قيل: أرادوا به جبْرًا، وقيل: يسارًا، وكانا غلامين لابن الحضرميِّ يهوديَّين. وقيل: كان بمكَّة رجلٌ نصرانيٌّ يقال له: أبو ميسرة، يتكلَّم بالروميَّة، فربَّما يقعد إليه رسولُ اللَّه ﷺ. وقيل: هو نصرانيٌّ حدَّاد بمكَّة يُسمَّى: بلعام؛ ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾: أي: يُميلون إليه القرآنَ ليس بعربيٍّ. ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾: أي: وهذا القرآن منظومٌ بالعربيَّة[(٢)]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: أي: بالقرآن ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ ما داموا مختارين للكفر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على شركهم في الآخرة.

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٣٢٠)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣٣٥).

(٢) جامع البيان (١٤/ ٣٦٨) والكشف والبيان (٦/ ٤٤)، والتيسير في التفسير (٩/٣٣٦).

(١٠٥-١٠٦) - ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾: أي: على الله ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: الكافرين؛ يعني: أنَّ المستَحقَّ لاسم المفتري هم لا أنت. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ كذلك. ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾: هو استثناء منهم؛ يعني: إلَّا مَن أُجبِرَ على الكفر ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾؛ أي: ساكن به، معتقِد له، فإنَّه ليس في حكمِهم. ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: وتقدير الآية على التَّقديم والتَّأخير: الكافرون بالله بعد إيمانهم به الشَّارحون لقَبول الكفر واعتقاده صدورًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم إلَّا مَن أُكرِه على الكفر؛ فإنَّه لا يستحقُّ غضبَ الله والعذابَ العظيم، والآية نزلت الآية في عمَّار بن ياسر، خرج مهاجرًا إلى رسول الله ﷺ مع جماعة، فأخذهم كفَّار مكَّة، وقالوا: إنكم تريدون محمَّدًا، وعذَّبوهم، وأكرهوهم على الكفر، فصبر بعضهم حتى قُتِلَ، وتكلَّم عمَّار بما أكرهوه عليه وقلبُه مطمئن بالإيمان، فخلَّوا عنه، فلمَّا قدم على رسول الله ﷺ أخبره بذلك، فنزلت الآية، وقال له النَّبيُّ ﷺ: "إن عادوا فعد"(١).

(١٠٧-١٠٩) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ﴾: أي: ذلك الغضب والعذاب بأنَّهم ﴿اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾؛ أي: آثروا الحياة الدنيا ﴿عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ما داموا مختارين للكفر. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: فلا يتدبَّرون ولا يتفكَّرون، وهذا عقوبةٌ لهم على إصرارهم، وخذلانٌ لهم لميلِهم إلى

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٣٧٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٤)، والحاكم في "المستدرك (٣٣٦٢) والكشف والبيان (٦/ ٤٧)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣٣٩).

الكفر واختيارهم. ﴿وَسَمْعِهِمْ﴾: فلا تصغي إلى المواعظ. ﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾: فلا تبصر طريق الرَّشاد، ولا تَعتبر بما تشاهد من عجائب الخليقة. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: أي: المتغافلون عن آيات اللّه، كأنَّهم لم يأتهم شيءٌ من هذا. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: أي: حقًّا، أو كلمةُ ﴿لَا﴾ نفيٌ لقولهم، و﴿جَرَمَ﴾ بمعنى كَسَبَ فعلُهم لهم خسرانَ الآخرة، ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٢]؛ أي: أهلكوها وباعوها بعرض الدُّنيا فغبَنوها.

(١١٠) - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا﴾: من مكَّة إلى المدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾؛ أي: عُذِّبوا بمكَّة وأُكرِهوا على الكفر ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا﴾ المشركين بعد الهجرة ﴿وَصَبَرُوا﴾ على الجهاد. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾: أي: من بعد هذه الفعلة، أو بعدِ هذه الأفعال. ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: غفرَ لهم ما كان منهم في حالة الفتنة من التَّكلُّم بكلمة الكفر، ﴿رَحِيمٌ﴾ لا يعذِّبُهم على ما قالوه حالةَ الإكراه.

(١١١) - ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ﴾: قيل: معناه: اذكروا يوم تأتي. ﴿تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾: أي: تحتجُّ وتخاصِمُ عن نفسِها فيما كانت تعتقده من دين، وقيل: لا تتفرَّغ للجدال عن غيرها، ولا للشَّفاعة له ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ من خيرٍ وشرٍّ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وهم لا ينقصون من جزائِهم شيئًا.

(١١٢) - ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾؛ أي: بيَّنَ اللّهُ شبهًا لمكَّةَ وأهلِها ﴿قَرْيَةً﴾ بدلًا عن ﴿مَثَلًا﴾؛ أي: وصفَ وبيَّن قريةً، وهي مكَّة. ﴿كَانَتْ آمِنَةً﴾: لا يخافُ أهلُها ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾: ساكنة، لا يحتاجون إلى الانتقال عنها. ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ

﴿كُلِّ مَكَانٍ﴾: أي: تُحمَل إليها الأطعمةُ والثِّمار من كلِّ مكان بالبلاد. ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾: أي: كفرَ أهلُها نعمَ اللَّه. ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: أي: ابتلاهم اللَّهُ بالجوع والخوف بصنيعهم. ومعنى اللِّباس في الجوع: أنَّه ظهر عليهم من الهزال وتغيُّر الَّلون وسوء الحال ما هو كاللِّباس، وفي حقِّ الخوف كذلك، ويحتمل أن يكون اللِّباس هاهنا مصدرًا في معنى الملابسة؛ أي: أذاقَها اللَّه ملابسةَ الجوع والخوف.

(١١٣-١١٤) - ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ وهو مِن أجلِّ النِّعم؛ لأنَّهم قد عرفوا مَولِدَهُ ومنشأَه وهديَه وأمانتَه، فيكون أقربَ لهم إلى تصديقِه والاهتداءِ به، فلم يعرفوا حقَّ هذه النعمة ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ في الدُّنيا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أنفسَهم، جائرون عليها[(١)].

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾: معاشر المشركين من غير أهل مكَّة ممَّا رزقكم اللَّه حلالًا طيبًا ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. وذلك أنَّهم مع عبادة الأصنام كانوا يدَّعون أنَّهم يعبدون اللَّه تعالى، فقيل: إن كان هذا كما تدَّعون فلا تحرِّموا طيِّبات ما أحلَّ اللَّهُ لكم؛ أي: بجعلِ بعضِ زروعِكم وأنعامِكم لأصنامكم؛ لأنَّه ممَّا لم يَشْرعْه اللَّه تعالى، والتزِموا ما شرعَه اللَّه تعالى دون ما شرعَه الشَّيطان.

(١١٥-١١٧) - ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مر تفسيره،

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ٤٩)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣٤٧).

أخبرَ أن المحرَّم هذه الأشياء دون ما حرَّموه. ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: لا تصفوا بعضَ الأنعام بأنَّه حلالٌ وبعضَها بأنَّه حرام كذبًا على اللَّه؛ فإنَّ الكاذِبَ على اللَّه لا يفوزُ أبدًا، وما أنتم فيه من النِّعم قليلٌ متاعُه في الدُّنيا، ويَعقبُه في الآخرة عذابٌ وجيعٌ.

(١١٨-١١٩) - ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾: مر تفسيره، كان ذلك التَّحريمُ تغليظًا عليهم لظلمِهم وبغيهم، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بكفران النِّعم. ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي: أعرِّفك يا محمَّد بعدَ بيان حكم المشركين أنِّي لكلِّ مَن عمل ذنبًا بكونه جاهلًا، ثمَّ تاب عنه، وندمَ عليه، وعزم على ألَّا يعود إليه، فإنِّي غفورٌ له أسترُ ما مضى من معاصيه، ورحيمٌ أرحمُه فلا أعذِّبه؛ أي: فتوبوا أيُّها المشركون؛ أي: المفترون، فتُقبَلَ توبتكُم ويُغفَرَ لكم، والآية نزلَتْ الآية في جبر مولى عامر بن الحضرميِّ، أكرهَه سيِّدُه على الكفر بعد الإسلام، ثمَّ ندم وتاب.

(١٢٠-١٢١) - ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: أي: إمامًا يُقتدَى به. وقيل: أي: كان بنفسه وحده يأتي بالخيرات التي تكون من أمَّة تامَّة. ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾؛ أي: مطيعًا مواظبًا على طاعته. ﴿حَنِيفًا﴾: عادلًا عن الباطل، مستقيمًا على منهاج الحقِّ. ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: لم يكن دينه ما تَدينون به أيُّها المشركون. ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾: بإخلاصِ العبادة له. ﴿اجْتَبَاهُ﴾: أي: اختارَه واختصَّة لنفسه واصطفاه. ﴿وَهَدَاهُ

﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أرشدَه إلى طريق الحقِّ المفضي إلى الجنَّة[١].

(١٢٢) - ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: أي: النُّبوَّة، وقيل: أي: الصَّلاة عليه على لسان هذه الأمَّة في صلواتهم، وقيل: الخُلَّة. وقيل: هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ حالة جميلة، فيتناول كلَّ خصائصه المذكورة في النُّصوص. ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي: في عداد مَن يأتي وقد انتفى عنه وعن أعماله الفساد، فاستحقَّ كلَّ منزلة رفيعة ودرجة عالية[٢].

(١٢٣) - ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: مدحَه الله بخمسةِ أشياء: سمَّاه أمَّة، قانتًا لله، حنيفًا، غيرَ مشركٍ، شاكرًا، وأكرمه بخمس كرامات: اجتباه، وهداه، وآتاه حسنة الدُّنيا، وكرامة الآخرة، وأمر محمَّدًا ﷺ باتِّباع ملَّته. ثم الأمرُ بالاتِّباع لا يدلُّ على أنَّه دون إبراهيم في الفضيلة، بل هو ﷺ أفضلُ الأنبياء، وإنَّما أُمر باتِّباع إبراهيم في هذه الآية، وباتِّباع كلِّ الأنبياء المتقدِّمين في قوله: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠]؛ لأنَّهم سبقوه، والاتِّباع هو سلوكُ سبيل المتبوع، فكان اتِّباعُه لهم لمجيئِه بعدَهم، لا لكونه دونهم[٣].

(١٢٤-١٢٥) - ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ إنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أمرَ بني إسرائيل أن يتفرَّغوا في كلِّ سبعة أيَّام يومًا للعبادة، وهو

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٢)، وجامع البيان (١٤/ ٣٧٨)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣٤٩).
(٢) النكت والعيون (٣/ ٢١٩)، والكشف والبيان (٦/ ٥٠)، وجامع البيان(١٤/ ٣٩٨).
(٣) لطائف الإشارات (٢/ ٣٢٨).

يوم الجمعة، ويتركوا فيه عمل دنياهم، فقالوا: نتفرَّغ يوم السَّبت؛ فإنَّ اللَّه تعالى لم يخلق يوم السَّبت شيئًا، فقال فريق منهم: انظروا إلى ما يأمركم به نبيُّكم فخذوا به، فذلك اختلافهم فيه، فجُعل لهم يوم السَّبت على ما سألوا، فاستحلُّوا فيه المعاصي. فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ فتنة ومحنة، ولو اتَّبعوا نبيَّهم ولم يختلفوا عليه لم يُشدَّد عليهم هذا التَّشديد، ولم يقعوا فيها وقعوا فيه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: أي: يميِّز المحقَّ من المبطِلِ بالثَّواب والعقاب[1]، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾؛ أي: ادع يا محمَّد النَّاس إلى سلوك الطَّريق الذي هو يؤدِّي إلى طاعة ربِّك، وكلُّ ما أضافه اللَّه إلى نفسه فذلك دليلُ تشريفه وتفضيله، كبيت اللَّه، وشهر اللَّه، فكذلك سبيل اللَّه، ومعناه: تفضيلُه والحثُّ على سلوكه. ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾؛ أي: باستعمال الصِّدق والصَّواب، وبوضع كلِّ شيءٍ موضعَه، ودعاءِ كلِّ أحدٍ بما يحتملُه حالُه، ويقبلُه عقلُه، وتُرجَى به إجابتُه. ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾؛ أي: وأحسِنْ وعظَ مَن تدعُوه بالتَّرغيب الجميل والتَّنبيهِ البليغ. ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي: بالخصلة التي هي أجمل؛ أي: بالمحاجَّة التي ليس فيها مماراةٌ أو لجاجٌ ومكافأةٌ على قبيحٍ يقولُه الخصم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ في المجادلة لا يخفى عليه مقاصدهما فيها، فإذا أَلزَمْتَ فاكتفِ به، واضبط نفسك عن المقابلة بالمخاشنة.

(١٢٦-١٢٨) - ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾: قيل: الأوَّل

---

(١) تأويلات أهل السنة (٦/ ٥٩٣)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣٥٢).

خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ على الخصوص، وهذا خطاب لأمَّته، وإباحةٌ لهم بالمكافأة على المساواة، ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ﴾ فلم تجيبوا ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ من المكافأة بالمثل.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ﴾: هذا خطاب للنَّبيِّ ﷺ على الإفراد، وهو تأكيدُ الأمر الأوَّل بالمجادلة بالتي هي أحسن. ﴿إِلَّا بِاللَّهِ﴾؛ أي: بتوفيق اللَّه، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: أي: على المشركين بتركهم الإيمان واستحقاقهم سخط اللَّه وعقوبته بذلك، وكان كذلك لكمال شفقته، وهو كقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ [الشعراء: ٣]. وقيل: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: على قتلى أحد، فإنَّهم وصلوا إلى رضوان اللَّه تعالى وجنَّته.

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾؛ أي: ضيق صدر، أي: لا يضيقنَّ صدرُك لمكرهم، فإنَّه لا ينفذ عليك. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾: أي: حافظُهم وناصرُهم، وأنت متَّقٍ محسنٌ فيحفظُك وينصرُك. وقيل: هو على العموم، و﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾؛ أي: توقَّوا عن السَّيِّئات، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾؛ أي: عاملون بالطَّاعات.

(انتهى تفسير سورة النحل).

(١٧) سورة الإسراء مكية

بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكيةٌ، سميت في كثير من المصاحف سورة الإسراء، وسميت بذلك إذ قد ذكر في أولها الإسراء بالنبي ﷺ واختصت بذكره، وتسمى في عهد الصحابة سورة بني إسرائيل، وتسمى أيضًا سورة سبحان؛ لأنها افتتحت بهذه الكلمة، نزلت هذه السورة بعد سورة القصص وقبل سورة يونس، وعدت السورة الخمسين في تعداد نزول سورة القرآن(١)، وهي مئةٌ وإحدى عشرةَ آيةً، وهي ألفٌ وخمسُ مئةٍ وستٌّ وخمسون كلمةً، وستةُ آلافٍ وأربعُ مئة وتسعةٌ وعشرون حرفًا.

أغراضها:

العماد الذي أقيمت عليه أغراض هذه السورة إثبات نبوة محمد ﷺ، وإثبات أن القرآن وحي من الله، وإثبات فضله وفضل من أنزل عليه، وذكر أنه معجز، ورد مطاعن المشركين فيه وفيمن جاء به، وأنهم لم يفقهوه فلذلك أعرضوا عنه، وإبطال إحالتهم أن يكون النبي ﷺ أسري به إلى المسجد الأقصى. فافتتحت بمعجزة الإسراء توطئة للتنظير بين شريعة الإسلام وشريعة موسى - عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - على عادة القرآن في ذكر المثل والنظائر الدينية، ورمزا إليها إلى أن الله أعطى محمدا ﷺ من الفضائل أفضل مما أعطى من قبله، وأنه أكمل له الفضائل فلم يفته منها فائت. فمن أجل ذلك أحله بالمكان المقدس الذي تداولته الرسل من قبل، فلم يستأثرهم

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٧).

بالحلول بذلك المكان الذي هو مهبط الشريعة الموسوية، ورمز أطوار تأريخ بني إسرائيل وأسلافهم، والذي هو نظير المسجد الحرام في أن أصل تأسيسه في عهد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فأحل الله به محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد أن هجر وخرب إيماء إلى أن أمته تجدد مجده، وأن الله مكنه من حرمي النبوءة والشريعة، فالمسجد الأقصى لم يكن معمورًا حين نزول هذه السورة وإنما عمرت كنائس حوله، وأن بني إسرائيل لم يحفظوا حرمة المسجد الأقصى، فكان إفسادهم سببًا في تسلط أعدائهم عليهم وخراب المسجد الأقصى. وفي ذلك رمز إلى أن إعادة المسجد الأقصى ستكون على يد أمة هذا الرسول الذي أنكروا رسالته، ثم إثبات دلائل تفرد الله بالإلهية، والاستدلال بآية الليل والنهار وما فيهما من المنن على إثبات الوحدانية، والتذكير بالنعم التي سخرها الله للناس، وما فيها من الدلائل على تفرده بتدبير الخلق، وما تقتضيه من شكر المنعم وترك شكر غيره، وتنزيهه عن اتخاذ بنات له، وإظهار فضائل من شريعة الإسلام وحكمته، وما علمه الله المسلمين من آداب المعاملة نحو ربهم سبحانه، ومعاملة بعضهم مع بعض، والحكمة في سيرتهم وأقوالهم، ومراقبة الله في ظاهرهم وباطنهم، مع ما تخلل ذلك كله من تفصيل وتبيين عريت عنه الوصايا العشر التي كتبت في الألواح، وإثبات البعث والجزاء، والحث على إقامة الصلوات في أوقاتها، والتحذير من نزغ الشيطان وعداوته لآدم وذريته، وقصة إبيائه واستكباره عن السجود، والإنذار بعذاب الآخرة، وذكر ما عرض للأمم من أسباب الاستئصال والهلاك، وتهديد المشركين بأن الله يوشك أن ينصر الإسلام على باطلهم، وما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين واستعانتهم باليهود.

واقتراحهم الآيات، وتحميقهم في جهلهم بآية القرآن وأنه الحق، وتخلل ذلك من المستطردات والنذر والعظات ما فيه شفاء ورحمة، ومن الأمثال ما هو علم وحكمة(١)، وانتظامُ أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّ في آخر تلك السورة الأمرَ بالصبر، وفي أول هذه ثمرةَ الصبر، صَبَرَ في اللَّه صبرًا جميلًا فأُعطي ليلةَ المعراج عطاءً جزيلًا، وانتظام تلك السورة بهذه السورة: أن تلك السورة في بيان آيات وحدانية اللَّه تعالى، وبيانِ نعمه، وفي أكثر آياتها محاجَّةُ المشركين، وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[النحل: ٩٠] تضمينُ جميع الأوامر والنواهي، وفي هذه السورة ذُكر في الآية الأولى إراءةُ الآيات، وفيها بيانُ كمال القدرة وتمامِ النعمة، وبعدها آياتٌ جامعةٌ لجميع الأوامر والنواهي، وفي بقيَّتها محاجَّةُ المشركين ووعيدُهم ووعدُ المؤمنين(٢).

(١) - ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾: أي: نزِّهوا اللَّه وبرِّئوه من قول المشركين. ﴿أَسْرَى﴾؛ أي: سار بالليل، ﴿بِعَبْدِهِ﴾، وهو محمدٌ المصطفى ﷺ. ﴿لَيْلًا﴾: أي: بالليل. ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: هو الذي يحيط بالكعبة، وأراد به هاهنا جميعَ الحرم ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾: وهو مسجد بيت المقدس، ﴿الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾: البركة: دُرور الخير وثبوتُه؛ لأن ما بَرَك ثبت، وهو يكون دينيًّا ودنيويًّا، والبركةُ حول المسجد الأقصى بهما جميعًا، فإنه مستقرُّ الأنبياء والأولياء، وفيه قبورُ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وفيه كثرةُ الماء والأشجار والأطعمة

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٩).
(٢) جامع البيان (١٥/ ١٣٨)، التيسير في التفسير (٩/ ٣٦١).

والنهار. ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾: أي: أَسْرينا به لإراءةِ الآيات، وهي: البُراقُ، وقطعُ المسافة البعيدة في المدة اليسيرة، وسيَرُ الأنبياء، وعجائبُ الملَكوت. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لمقالات المصدِّقين والمكذِّبين بحديث المعراج ﴿الْبَصِيرُ﴾ بجزاء كلٍّ على وَفْق عمله(١).

(٢) - ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: أي: التوراةَ ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: وجعلنا موسى، ويحتمِل الكتابَ هاديًا؛ أي: دليلًا وداعيًا إلى الحق والصواب؛ أي: أعطينا موسى الكتاب حين جاء لميقاتنا وأسرينا بمحمد وأريناه آياتنا. ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾: أي: لا تتَّخذوا من دوني أحدًا وليًّا تتكلون عليه في أنْ يخلِّصكم من العذاب ويقومَ بأموركم ويراعيَ مصالحكم.

(٣) - ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: أي: يا ذريةَ مَن حملنا وهم الأولاد، و﴿حَمَلْنَا﴾؛ أي: في السفينة وهم مؤمنو قومه، وبنو إسرائيل من نسلِ سام بن نوح. ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: أي: كثيرَ الشكر على نَعمائي مطيعًا لي.

(٤) - ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾: أي: أعلمناهم في التوراة، وأصله: الإحكام والإتمام؛ أي: أعلمناهم إعلامًا محكمًا متمَّمًا. ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: لتُفسدَنَّ أخلافُكم، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: في البلاد التي تسكنونها من بيت المقدس وما يُضاف إليها من الشام، وهذا الإفساد هو العصيان، وارتكابُ المحظورِ من الدماء والأموال. ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: أي: دفعتين في زمانين مختلفين.

---

(١) التيسير في التفسير (٩/ ٣٦٤)، وجامع البيان (١٤/ ٤١٤)، وتفسير مقاتل (٢/ ٥١٦ - ٥١٨)، ولطائف الإشارات (٢/ ٣٣٣ - ٣٣٤).

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: هو غلبةُ المفسدين على المصلِحين إفراطًا مجاوِزًا للقَدْر، عظيمًا في الذِّكر، والعلوُّ لغةً: هو الغلبةُ بحقٍّ كان أو باطلٍ.

(٥) - ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾: أي: الوقتُ المعلوم الموعود لأُولَى المرتين من الإفساد والعلوِّ وما أَوْعَدْنا عليه من العذاب. ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾: أي: سلَّطْنا عليكم ﴿عِبَادًا لَنَا﴾: خلقًا يجري لنا عليهم سلطان العبودية، ولا يتمكَّنون إلا بتمكيننا. ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أي: علماءَ بالقتال صابرين عليه، والبأس: هو الحرب والقتال، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الأحزاب: ١٨]. ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾: أي: أَفسدوا، وقيل: وَطِئوا، وقيل: تخلَّلوا، وقيل: طافوا، وقيل: هو الاستقصاء في الطلب، وقيل: هو التردُّد بالذهاب والمجيء للاستقصاء في طلب الشيء، ومعناه: يستولون عليكم، وإذا انهزمْتُم اتَّبعوكم ودخلوا بلادكم بالسيوف، ويدخلون البيوت فيقتلون مَن يجدون، ويأخذون ما يجدون، وهو أشدُّ ما يكون من استيلاء الأعداء. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾: أي: كان ذلك موعودًا من اللّه كائنًا لوقتٍ معلوم عند اللّه يفعله فيه، وهو مصدر بمعنى المفعول.

(٦) - ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: ثم جعلنا لمن بقي منكم لم يُقتل الدولةَ عليهم. ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾: أي: زدناكم أموالًا وأعطيناكم أولادًا. ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: أي: أعوانًا وأنصارًا من أهل زمانكم تَنفرون في قتال عدوِّكم.

(٧) - ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾: أي: أن أخلَصْتُم الشكر للّه

على نعمه بالطاعة له في أوامره ونواهيه كان نفعُ ذلك راجعًا إليكم بنَيلكم المزيد. ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾: أي: إن أسأتُم بكفران النعمة كان ضررُ ذلك راجعًا إليكم بزوال النعمة ونزولِ العقوبة، وبوقوع الذِّلة والمسكنة، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: أي: وقتُ المرة الآخرة بالعَود إلى الإفساد بعد زمان، ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾: أي: ليسوء هؤلاء وجوهَكم، ويَسوء بمعنى: يَحْزُن، ومعناه: أن لقاءهم لا يسرُّهم بل يَحزُنهم، وخَصَّ الوجوه لأن أثره يظهر في الوجوه، وقيل: أي: ليقتلوكم، فتسوءَ الوجوه وتقبُحَ بعد زوال الحياة عن الأجسام. ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾: أي: المسجد الأقصى، ولا يدخلونه إلا بعد دخول البلد، فمعناه: أنهم يستولون على بلدكم. ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾: أي: وليُهلِكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ أي: ما عَلَوه وظفروا به. ﴿تَتْبِيرًا﴾: أي: إهلاكًا[(١)].

(٨) - ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾: بإرسال محمد ﷺ إليكم ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الإفساد بتكذيب محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿عُدْنَا﴾ إلى تعذيبكم في الدنيا، وهو بأيدي العرب بنحو ما أريناكم في المرتين. ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾: أي: لكم ولأمثالكم ﴿حَصِيرًا﴾؛ أي: مَحبسًا لمن مات منكم مصرًّا على كفره.

(٩-١٠) - ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾: أي: يُرشد إلى الملة التي هي أقومُ الملل، وهي القيِّم، وهي المستقيم، وهي ملةُ الإسلام. ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) جامع البيان (١٤/ ٥٠٨)، والنكت والعيون (٣/ ٢٢٩)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣٧٥)، ولطائف الإشارات (٢/ ٣٣٧).

﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾: أي: تقع به لهم البشارة بالثواب العظيم. ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. أي: وينذر أن الكفار لهم العذاب الأليم، وقيل: معناه: وبشر المؤمنين أيضًا بأن أعداءهم الكفار أعَدَّ الله لهم عذابًا أليمًا(١).

(١١) - ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾: أي: الكفارُ يُعرضون عن قبول هذا القرآن الذي مرَّ ذكرُه ولا يصدِّقون بالعذاب الأليم الذي ينذر به، ويستعجلون هذا العذاب فيقولون: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]،و: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. و﴿الْإِنْسَانُ﴾ جنسٌ، والمراد به الناس، وهم المشركون هاهنا، يَدْعون بالعذاب وهو الشرُّ. ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾؛ أي: كما يدعو بالسلامة والعافية والنعمة. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾: أي: عادتُه في أصل تركيبه العجلةُ وتركُ التثبُّتِ والإعراضُ عن التدبُّر.

(١٢) - ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾؛ أي: خلقنا الليل والنهار علامتين؛ للتعيُّش والاضطراب لتحصيل الأقوات التي بها قِوامُ الأبدان، والاستراحةِ من التعب الذي يقع بهذا الاضطراب؛ إذ لا قوام للأبدان إلا بلجام. ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: فخالَفْنا بين الآيتين فجعلنا الآيةَ التي هي الليلُ ممحوَّةً؛ أي: عديمةَ النُّور، فإن القمر لا نور له في نفسه وإنما يأخذه من الشمس، والآيةَ التي هي النهارُ مبصرةً؛ أي: مضيئة. ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾: بالنهار، ولتستريحوا بالليل، ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾:

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ١٤)، وجامع البيان (١/ ٢٦٤)، والكشاف (٢/ ١٠٨).

بانفصالِ الليل من النهار، فيُعرف به حساب الساعات والأيام والشهور، وباجتماعها تصير سنةٌ، ثم يجتمع عددُ السنين في التواريخ فيعرف بها أزمنةُ الحوادث، والحسابُ لِمَا دون السنة والعددُ للسنين المجتمعة. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾: أي: مما يهم الحاجة إليه. ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾: أي: بيَّنَّاه تبيينًا، والمصدر للتأكيد؛ أي: هو حقٌّ يَلزم العمل به(١).

(١٣) - ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾: أي: ألزم كلَّ إنسان عملَه في عنقه؛ أي: قلَّدهم أعمالهم في الخير والشر. ﴿طَائِرَهُ﴾ يعني: ما كان من خير وشرٍّ لا يفارقه حتى يحاسَب به. ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾: أي: ونخرج له الطائرَ، وهو عمَلُه الذي عمِلَه، ويحتمل: بالطائر الذي عمِله كتابًا مكتوبًا؛ أي: في كتاب ﴿يَلْقَاهُ﴾؛ أي: يراه ﴿مَنْشُورًا﴾ بعدما كان مطويًّا مختومًا ليقرأه(٢).

(١٤-١٥) - ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾: أي: يقال له: اقرأ كتابك ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾؛ أي: مُحاسِبًا. ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الوِزر: الحِمْل، ومعناه: لا تحمِلُ كلُّ نفسٍ حاملةٍ حِمْلَ نفسٍ أخرى، والآثام: أحمال وأثقال، قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ الآية [العنكبوت: ١٣]، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: أي: وما كنَّا معذِّبين تعذيبَ استئصالٍ في الدنيا إلا بعدَ دفع الشُّبهِ ورفعِها عن الحجج مِن

(١) الكشف والبيان (٦/ ٨٧)، وجامع البيان(١٤/ ٥١٥)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣٨٢).
(٢) الكشف والبيان (٦/ ٨٨)، ومعالم التنزيل (٥/ ٨٢).

كلِّ وجهٍ وبعد تمامها -وإن كانت الحجةُ لزمتْهم بالعقول بدون بعثِ الرسل- ليدفعَ عنهم عذرَهم من كلِّ وجهٍ، أو يكونُ قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ في الآخرة ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ في الدنيا فضلًا منًّا ورحمةً، وإن كان العذاب قد لزمهم والحجةُ قد قامت عليهم(١).

(١٦) - ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾: أي: أهل قرية ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾؛ أي: أمرنا منعَّميها وجبابرتها بالطاعة. ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾: أي: خرجوا عن الأمر وعصَوا، ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾: أي: وجب عليها الوعيد ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾؛ أي: أهلكناها واستأصلناها، أَخبر أنه لا يعاجل بالعقوبة أمةً ظالمة حتى يُعذِر إليهم غايةَ الإعذار.

(١٧) - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾: أي: وما أكثرَ ما أهلكنا من القرون، وهو جمع قرنٍ، وهو مئة سنةٍ، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ أي: هو عالم بجميع أعمالهم خيرها وشرها لا يخفى عليه منها خافية- سبحانه وتعالى- وهذه الآية تخويف لكفّار مكّة(٢).

(١٨-١٩) - ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾: أي: مَن كان يريد بعمله الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا﴾: في العاجلة ﴿مَا نَشَاءُ﴾ تعجيلَه ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ تعجيلَه له، لا

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٣٤٠)، تأويلات أهل السنة (٧/ ١٧ - ١٩)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣٨٥).

(٢) جامع البيان (١٤/ ٥٣٤)، والنكت والعيون (٣/ ٢٣٦)، ومعالم التنزيل (٥/ ٨٤)، ولطائف الإشارات (٢/ ١٣٤).

ما يشاؤه العامل وما يريده العامل، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾: يدخلُها ﴿مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾: مطرودًا، والآية نزلت في ثلاثة نفرٍ من ثقيف: مَرْثِدِ بن ثُمامة، وأبي فاطمةَ بنِ البَخْتَريِّ، وجَدْعان، كانوا حراصًا على الدنيا. ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾: أي: ثواب الآخرة بعمله ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾: عَمِلَ عَمَلَ الآخرة من أداء الفرائض واجتنابِ المحارم ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ أي: مصدِّقٌ للّهِ في وعده ووعيده ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾؛ أي: مقبولًا عند الله، مَرْضيًّا محمودًا، مُثابًا عليه الكثيرَ الخطيرَ على اليسير الحقير من العمل، والآية نزلت في بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومِهْجَع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١).

(٢٠-٢٣) - ﴿كُلًّا﴾: من هذين الفريقين ﴿نُمِدُّ﴾: نعطي ونوسِّع ﴿هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾: ممنوعًا عن عباده. ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: في السعة في الدنيا ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾: أشد تفاوتًا، وتفضيلُها أكبرُ قَدْرًا من التفضيل الواقع في الدنيا. ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: أي: جرِّد التوحيد فلا تعتقِدْ مَن يَستحق العبادةَ غيرَه. ﴿فَتَقْعُدَ﴾: أي: فتبقى وتمكُثَ ﴿مَذْمُومًا﴾ بكلِّ لسان ﴿مَخْذُولًا﴾: موكولًا إلى مَن اتَّخذْتَه من دون الله معبودًا لا نصيرَ عنده ولا عون، والخطاب للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والمراد به غيره. ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾:أي: أَحْكَم ربُّك الأمرَ لعباده وبتَّ القولَ عليهم فيما تعبَّدهم به أن يُفْردوه بالعبادة فلا يشركوا به أحدًا غيرَه. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: أي: وأن تُحْسِنوا بالوالدين؛ أي: إلى الوالدين، ﴿إِمَّا

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٦)، والتيسير في التفسير (٩/ ٣٩٠).

﴿يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾: أي: إنْ بلغ عندك الكبرَ الذي هو أرذلُ العمر وهما حينئذٍ في الحاجة إلى مَن يكفيهما ويقومُ بمصالحهما كالولد في صِغَره حين حاجتِه إليهما، فلا تَستثقِلْ أن تليَ منهما ما كانا يليانه منك، ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ أي: ولا تُظهر لهما شيئًا من التكرُّه والتضجُّر قولًا ولا فعلًا، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: النَّهر والانْتِهار: الزَّجرُ بإغلاظٍ وصياح. ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: شريفًا في نفسه، أَعْرِض فيه عن القُبح واللَّغو، وأصل الكَرَم: الصَّفْح، وقيل: الكريم: الذي يُظهر محاسنَ حبيبه ويُخفي القبائح(١).

(٢٤-٢٥) - ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾: أي: لا تَرفع إليهما بصرَك، ولا تشدَّ نظرك، ومجازُه: أن الطائر إذا أراد ضمَّ فرخِه إليه خفَض له جناحيه، فكذا قيل للولد: اكفُل والديك وضمَّهما إلى نفسك كما كانا هما يفعلان بك في صغرك. ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: والرحمة تجمعُ كلَّ الخيرات في الدِّين والدنيا إلى أن يُدخل اللَّه المرحومَ الجنة ويَغفر له خطاياه، يقول: يا ربِّ افعَلْ بهما هذا النوع من الإحسان كما أحسَنَا إليَّ في تربيتهما إياي، والتربيةُ هي التنمية، وهذا من حقوقهما بعد موتهما وهو الدعاءُ لهما. ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ أي: اللَّهُ عالمٌ بقصدِ قلوبكم، فإن تكونوا صالحين غيرَ قاصدين للعقوق، بل نادمين على ما يقع من غير قصدٍ، راجعين إلى اللَّه، غفر اللَّه تعالى لكم ما قد سلف(٢).

---

(١) البسيط (١٣/ ٢٠٦)، والنكت والعيون (٣/ ٢٣٩).

(٢) جامع البيان (١٨/ ٣٦٣)، البسيط (١٣/ ٣١٠).

(٢٦-٢٨) - ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾: أي: أعطِ ذا القرابة منك -وهو المتَّصل بك بأبيك أو أمِّك- حقَّه الواجب عليك من الصلة والمواساة. ﴿وَ﴾أعطِ ﴿الْمِسْكِينَ﴾أيضًا وهو الفقير ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾أيضًا وهو الغريب. ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾: أي: ولا تُسرف إسرافًا، وقيل: هو إنفاق المال في غير حقِّه ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾: أي: لم يزل فعلُهم قبيحًا في العقل والشرع، فهم لقبح أعمالهم إخوان الشياطين؛ أي: جارُون على مذهبهم لازمون لأفعالهم، والعرب تسمي الملازِمَ أخًا له، فتقول: أخو المكارم، وأخو الجود، وأخو السفر، إذا كان مواظِبًا عليه ملازمًا له. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾: أي: كثيرَ الكُفران لنعمه جَحودًا لحقوقه، وقيل: إخوانُ الشياطين: قرناؤهم في الدنيا والآخرة، ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: أي: وإن عَرَضتْ لك حاجةٌ أحوجَتْك إلى الإعراض عن هؤلاء المحتاجين لضِيقِ يدٍ فانتظار الرزقِ ترجُوه من اللَّه ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾أي: فلا تَدَعْ تعهُّدهم بالقول الجميل[1].

(٢٩-٣٠) - ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾: أي: ولا تمنع العطيةَ بمرةٍ منعَ البخيل، والغَلُّ كنايةٌ عن المنع. ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾: أي: ولا تجاوزِ الحدَّ في الإعطاء ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾؛ أي: فتبقى تلومُك الناس على ذلك. ﴿مَحْسُورًا﴾: أي: منقطِعًا عن الطاعة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: أي: اللَّه هو الذي يوسِّع الرزق على مَن يشاء من عباده ﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يضيِّق على ما

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣٦)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٠٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٥٠).

يعلم من صلاح العبد، لا لعجزٍ ولا لبخل، بل قد يعطي ليَمتحِنَ بالشكر وقد يَمنع ليَمتحِن بالصبر. ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: عالمًا بعباده ومصالحهم، بصيرًا بأحوالهم وأعمالهم[(١)].

(٣١-٣٣) - ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾؛ أي: فقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾؛ أي: علينا أرزاق الكلِّ فلا تهتمُّوا لذلك. ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ أي: إثمًا عظيمًا ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾: والفاحشة: الفعلةُ المتناهيةُ في القبح ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾: أي: وما أسوأه وأفسده، والنهي عن القُربان مبالغةٌ في المنع عنه. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: أي: كلُّ نفس عصَمها وحقَن دمَها بالإسلام أو بالعهد فلا تقتلوها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: إلا بحقٍّ يُوجب قتلها؛ كالقصاص، والرجم بعد الإحصان، ونحوِ ذلك، وبيَّن النبيُّ ﷺ ذلك فقال: "لا يحلُّ دمُ امرئ مسلمٍ إلا بإحدى معانٍ ثلاثة: زنًا بعد إحصان، وكفرٍ بعد إيمان، وقتلِ نفس بغير حق"[(٢)]. ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾: أي: ولايةَ القصاص، ووليُّه: وارثُه، ﴿فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ أي: إن الوليَّ منصورٌ باستيفاء القصاص، وعلى الأئمة والمسلمين نصره بإيفاء حقِّه، ومعنى النهي عن الإسراف فيه: ألا يَقتل وليُّ المقتول غيرَ قاتلِ وليِّه،

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ٩٦)، ومعالم التنزيل (٥/ ٨٩)، والتيسير في التفسير (٩/ ٤٠١)، وبحر العلوم (٢/ ٣٠٩)، الكشاف (٢/ ٦٦٢)، وروح المعاني (٢٩/ ١٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٥٠٢) والترمذي (٢١٥٨) والنسائي (٤٠٥٧)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان مِن عادةِ العرب قتلُ غيرِ قاتله، والزيادةُ على ذلك بقتلِ النفوس بنفسٍ واحدة. وقيل: هو مجاوزةُ الحدِّ الذي جُعل في القصاص؛ من المُثْلة، وقطعِ الأطراف، ونحوِ ذلك(١).

(٣٤-٣٥) - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي: بالجهة التي هي أحسنُ؛ أي: أصلحُ وأنفع. ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ أي: استحكام قوة شبابه وسنه، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾: أي: بعهد اللَّه، وهي أوامره ونواهيه، ونذورُ العبد وأيمانُه، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾: أي: مطلوبًا؛ كما يقال: سألتُه حقِّي؛ أي: طلبته. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾: أي: سلِّموا ما استُحِقَّ عليكم كيلًا بكيلٍ تامٍّ. ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: أي: سلِّموا ما استُحِقَّ عليكم وزنًا على استقامةٍ، والقسطاس: الميزان صغُر أو كبُر. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: في الدنيا، فإنه أمانة، وهو يوجب الثناءَ والمحمَدَةَ ورغبةَ الناس في معاملته، وهو أنفع من كلِّ كسبٍ ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ في الآخرة فقد جمع نفع الدارين(٢).

(٣٦) - ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ أي: ولا تقُل: سمعتُ، ولم تسمع، ولا: رأيتُ، ولم تَرَ، ولا: علمتُ، ولم تَعلم. وأصلُ القَفْو: اتِّباع الأثر، وكأنه يتبَّع قفا المتقدِّم، والخطاب للنبيِّ ﷺ والمرادُ جميع أمته، ﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾؛ أي: كلُّ العباد ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾؛ أي: عن قَفْو ما ليس له به علم، وعن استعمال هذه الجوارح فيما استعملها فيه، وقيل: ﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾؛ أي:

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٣)، والبحر المحيط (١٤/ ٧٢)، والكشف والبيان (٦/ ٩٨).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣٨)، والتيسير في التفسير (٩/ ٤٠٧).

كلُّ هذه الأشياء وهي السمع والبصر والفؤاد ﴿كَانَ﴾؛ أي: كان كلُّ واحد منها ﴿عَنْهُ مَسْئُولًا﴾؛ أي: عمَّا عمِل صاحبه؛ أي: يُسأل الشهادةَ على ذلك، وقيل: ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾: عن شكر هذه الأشياء، وقيل: إن العبد مسؤولٌ عما يَكسبه بسمعه وبصره وقلبه من الأمور؛ إذ للَّه في جميع هذه الجوارح عبادات، حتى لا يجوزُ لهم استعمالها في غيرها، فيُسأل عنها؛ أي: يحاسَب عليها ويجازَى بها.

(٣٧) - ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾: قيل: هو شدة الفرح. وقيل: هو الخُيَلاء والكِبْر ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾: أي: لن تشقَّ الأرض بشدةِ مشيك؛ أي: لا تقدر على ذلك ولا يتهيَّأ لك ذلك. ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾: أي: برَفْع رأسك ونصبِ عنقك لن تنال الجبال؛ أي: فليس من أحد إلا وهو يقدر على هذا الضرب من المشي فلا معنى للتكبُّر به، فالتواضع والقصد في المشي أولى، وقد مدح اللَّه تعالى به عباده فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣](١).

(٣٨-٣٩) - ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ أشار إلى جميع ما تقدم ذكره مما أمر به ونهى عنه من قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ وقوله: ﴿كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ أي كل ذلك يسوء العاملين ويضرهم والله تعالى يكرهه ويأباه. ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾: أي: جميع ما ذكر فيه من القصص والأمر والنهي وآداب الدين هو مما أوحاه اللَّه تعالى إليك على يدِ جبريلَ لم يأتِ به شيطان، وبيَّن أنه من الحكمة؛ أي: من الأشياء الموضوعة في

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٥٩٦)، والبحر المحيط (١٤/ ٧٧).

مواضعها، الموصوفِ معتقِدُها والعاملُ بها بصوابِ الاعتقاد والقول والعمل، وقيل: يريد من الفرائض والسُّنَن، وقيل: يعني من القرآن ومواعظه ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: أعاد ما بدأ به -وهو قوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الإسراء: ٢٢] - إعلامًا بعظم محلِّه. قال ابن عباس: هذا أدب من الله لخلقه، ومخاطبة للمؤمنين، يعني أن هذا خطاب لكل واحد من المؤمنين؛ كأنه قيل: ولا تجعل أيها الإنسان مع الله إلهًا آخر، ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾: والملوم: المعنَّفُ على الشيء يفعلُه، والمدحور: المطرود المهان[١].

(٤٠-٤٣) - ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾: استفهام بمعنى التوبيخ؛ أي: أفخصَّكم أيها المشركون ربُّكم بالبنين من الأولاد؟ ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾: اتخذ لنفسه البنات. ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾: أي: كذبًا عظيمًا، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾: أي: صرَّفنا في هذا القرآن القولَ في بطلانِ ما يقولونه ويعتقدونه، ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾؛ أي: ليتَّعظوا وليتذكَّروا بعقولهم قبحَ ذلك وبطلانه فينتهوا عنه. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾: أي: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ القرآن أو تصريفُ هذا القول فيه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾؛ أي: نفرةً وإعراضًا عنه[٢]. ﴿قُلْ لَوْ كَانَ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: أي: قل للمشركين: لا تجعلوا مع الله آلهة، فإنه لو كان مع الله آلهةٌ أخرى في الأرض كما تقولون ﴿إِذًا

---

(١) التفسير البسيط (١٣/ ٣٣٨)، ومعاني القرآن وإعرابه(٣/ ٢٤١)، وزاد المسير(٥/ ٣٧).

(٢) لطائف الإشارات (٢/ ٣٤٨)، التيسير في التفسير (٩/ ٤١٣)، والكشف والبيان(٧/ ١٠٩).

﴿لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾؛ أي: إذًا لطلبوا إلى الله ذي العرش العظيم في السماء سبيلًا لإزالة ملكه ولقهره، وإذا لم تكن آلهتهم هكذا -بل هي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا تضرُّ ولا تنفع، ولا قدرةَ معها على ردِّ مَن يَروم قهرَها- فقد وجب أنها مربوبة مخلوقة، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: أي: هو منزَّهٌ عن ذلك وبعيدٌ عنه، أمرٌ للعباد بتنزيهه عما يقول هؤلاء الظالمون.

(٤٤) - ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾: أي: تشهدُ له بالإلٰهية والوحدانية والتعالي عن الأضداد والأنداد السماواتُ السبع والأرضون وما فيهنَّ من حيوان وجماد؛ لِمَا في كلِّ شيءٍ منها من دلائل الحدوث وآثار صنعِ الصانع. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾: أي: وما من شيء إلا ينزِّه الله تعالى بما قلنا ويحمده على نعمه؛ أي: يُظهر وجوبَ الشكر على خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والثناء عليه بما يستحقُّه بذاته وصفاته وأفعاله. ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾: هذا خطابٌ للمشركين؛ أي: أنتم لإصراركم على الكفر وإعراضِكم عن التدبُّر في الآيات لا تفقهون هذه الشهادة، وأنتم تستحقُّون العذاب. ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: ولكنه لا يعاجلُكم بالعقوبة لِحِلْمه، ويستر عليكم الذنوب فلا يَهتكُ أستاركم للحال. وقيل: ﴿غَفُورًا﴾؛ أي: يغفر لكم إذا آمنتم فلا يعذِّبكم بما كان منكم.

(٤٥) - ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله إذا قرأ القرآن؛ قال الكلبي: وهم أبو سفيان، والنضر بن الحارث، وأبو جهل، وأم جميل بنت حرب بن أمية؛ امرأة أبي لهب، وحويطب، حجب الله رسوله عن أبصارهم

عند قراءة القرآن، فكانوا يأتونه ويمرون به ولا يرونه ﴿جَعَلنَا بَينَكَ﴾، أي: بين قولك وقراءتك وفهم ما تأتي به، ﴿وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾، وهو ما لا يرونه ولا يعلمونه من الطبع على قلوبهم، وإن شئت قلت: حجابًا ساترًا(١).

(٤٦-٤٧) - ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أي: أغطيةً، جمع كِنَان؛ أي: غطاءٍ. ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: أي: لئلا يفقهوه، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: أي: ثقلًا، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾: أي: وإذا قرأت عليهم ما فيه ذكرُ التوحيد وذمُّ الشرك أعرضوا نافِرين عنك مفارِقين مجلسَك، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾: قيل: أي: يستمعون إليه، وقيل: الباء بيانُ السبب؛ أي: نحن أعلم بالسَّبب الداعي لهم إلى الاستماع. ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: أي: حين يستمعون إليك ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾؛ أي: وهم متناجون بالطعن في القرآن، مصدر يراد به نعتُ الجمع قد اشتغلوا بتناجيهم عن الإنصات والتدبُّر. ثم بيَّن تناجيَهُم، وهو قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾: أي: المشركون الواضعون الشيءَ في غير موضعه: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾: أي: ما تُظهرون الاستماع، فسمِّي إظهارهم الإصغاءَ إليه اتِّباعًا. ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾: مخدوعًا مغلوبًا على عقله يأتيه الشيطان فيخدعه فيظنُّه ملَكًا.

(٤٨-٤٩) - ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾: أي: العجبُ منهم كيف

---

(١) التفسير البسيط (١٣/ ٣٤٩)، وزاد المسير(٥/ ٤١) والبحر المحيط(٦/ ٤١)، والجامع لأحكام القرآن(١٠/ ٢٧١)، والكشف والبيان(٧/ ١١٠)، والنكت والعيون (٣/ ٢٤٦).

وضعوا لك الأشباه والأوصاف يُسمُّونك بكلِّ اسم سوء. ﴿فَضَلُّوا﴾ سبيلَ الاحتيال عليك، وتحيَّروا في وجه صدِّ الناس عنك. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: فما يجدون إلى شيءٍ من ذلك سبيلًا. ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾: أي: أئذا متنا وكنا عظامًا ورفاتًا وترابًا تحت الأرض نبعث خلقًا جديدًا كما نحن عليه الآن؟! وهذا استفهامٌ بمعنى الاستبعاد؛ أي: إنَّ هذا لا يكون[١].

(٥٠ - ٥١) - ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾: أي: عرِّفهم أنهم لا يُعْجزونني وإن صاروا عظامًا أو رفاتًا، أو لو كانوا حجارةً أو حديدًا، أو خلقًا أشدَّ من خلق البشر وأصلبَ، ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي: تغييرُه عن هيأته؛ أي: يَعْظم ويَسْتكبِر مثلَ السماوات والأرض والجبال ونحوها؛ أي: لو كنتُم في نهاية القوة والامتناع من نيل العباد لكم لم تعجزوني. ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾: أي: مَن الذي يفعل بنا هذا؟ ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: خلقكم وأنشأكم، ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: أي: فسيحرِّكون رؤوسهم فعلَ المستبعِد للشيء والمتعجِّب منه، والإنغاض: التحريك، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾: أي: البعث ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾؛ أي: لن تطولَ مدةُ كونه ولا تبعد بلَ هو قريب؛ لأن كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ[٢].

(٥٢) - ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: أي: يُعيدكم خلقًا جديدًا يوم يدعوكم. ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾: أي: تُبعثون قائلين: سبحان اللَّه وبحمده. وقيل: يدعوكم

---

(١) بحر العلوم (٢/ ٣١٤)، والتيسير في التفسير (٩/ ٤٢١).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٤)، والكشف والبيان (٦/ ١٠٥)، والتيسير في التفسير (٩/ ٤٢٣).

للمحاسبة فتسعَون إليه قائلين ذلك. وقيل: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾؛ أي: يبعثكم ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾؛ أي: لا تمتنِعون على الله بل تحيَوْن بإحيائه معترِفين بما كنتُم عليه من الباطل، حامدِينَ لله بالثناء عليه بالقدرة على ما يشاء، وبإنعامه عليكم بخلقكم وتركيبِ العقول فيكم. ﴿وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي: ما لبثُم، وهو كقولهم: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[الكهف: ١٩]، وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[النازعات: ٤٦].

(٥٣) - ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي: قل يا محمد لعبادي - أي: المؤمنين - يقولوا للكفار إذا حاجوهم في إثبات التوحيد وإثبات البعثِ التي هي أحسنُ؛ أي: الكلمةَ التي هي أحسنُ، أو المقالةَ التي هي أحسن، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾: أي: يُغري بين المؤمنين وبين المشركين، فيعارض المشركون المؤمنين بالكلام السيِّئ. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾: أي: مُعاديًا قديمَ العداوة للناس مؤمنِهم وكافرِهم، فهو يُغري بعضَهم ببعضٍ ثم يتبرأ منهم[(١)].

(٥٤-٥٥) - ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾: أي: لا يخفَى عليه شيءٌ من ظواهركم وبواطنكم ﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾: إن تبتُم رَحِمكم ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾: إنْ أصرَرْتُم على كفركم عذَّبكم في النار أبدًا. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ المعنى: يقول الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: وما أرسلناك يا محمد على من أرسلناك إليه لتدعوه إلى طاعتنا ربًا ولا رقيبًا، إنما أرسلناك إليهم لتبلغهم رسالاتنا، وبأيدينا صرفهم وتدبيرهم، فإن شئنا رحمناهم، وإن شئنا عذّبناهم، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٢٤٩)، والبسيط (١٣/ ٣٦٤)، وجامع البيان (١٤/ ٦١٦ - ٦١٧)،

﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: من الملائكة والبشر، لا يختار منهم أحدًا إلا على علمٍ به وأهليَّتِه لِمَا اختيرَ له، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾؛ أي: إنْ أنكر هؤلاء المشركون اختصاصَ اللَّه إياك بالنبوة فعرِّفهم أن اللَّه فضَّل بعضَ الأنبياء على بعضٍ فيما آتاهم من الآيات، وأجرى على أيديهم من المعجزات، وعرَّفهم أنه فضَّلك على جميع الأنبياء بما آتاك من الآية الباقية إلى قيام الساعة وهي القرآنُ المعجِزُ، وإن حاجَّك اليهود بأنْ لا كتاب بعد التوراة فعرِّفهم أن اللَّه تعالى قد آتى داودَ زبورًا بعد موسى فبطَلَت دعواهم.

(٥٦) - ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾: أي: ﴿قُلِ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿ادْعُوا﴾؛ أي: دعاء المسألة والاستعانة ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾؛ أي: الآلهةَ الذين قلتُم ظنًّا وكذبًا إنهم آلهةٌ وهم الملائكة، وسَلُوهم كشفَ الضر عنكم، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ إجابةَ دعائكم ولا ﴿كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾ وهو إزالتُه لا إلى أحد، ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي: نقله عنكم إلى غيركم من مستحقِّيه، وكانوا لا يَدْعون لكشف الضرِّ عنهم غيرَ اللَّه.

(٥٧) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: أي: الملائكةُ الذين يسمُّونهم هؤلاء آلهةً، وهذا دعاءُ تسمية. ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾: أي: هؤلاء الملائكةُ يتبادرون إلى طلب القُربة إلى اللَّه تعالى، ويجتهدون في العبادة له طلبًا لفضل الدرجة على غيرهم ينظرون ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ درجةً إلى اللَّه ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾؛ أي: طاعته ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾؛ أي: إنْ عَصَوه. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾: يعلمون أن عذاب اللَّه مما ينبغي أن يحذَره كلُّ مكلَّف نبيًّا كان أو ملكًا أو غيرَ ذلك، وإذا كان

الملائكة كذلك فكيف تكون آلهةً؟ وأنتم معاشرَ المشركين أحقُّ بأن تحذَروا عذابي بمخالفتي وتكذيبِ رسولي.

(٥٨-٥٩) - ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾: أي: من أهل بلدةٍ ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بكفرها وإصرارها ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بما دون الاستئصال ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾: أي: في اللوح المحفوظ. ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾: المنع: وجودُ ما يَتعذَّر به وجودُ الفعل من القادر، ولا يجوز ذلك على التحقيق في صفةِ اللّه تعالى، ولكنْ إطلاقُه هاهنا للمبالغة في أنه لا يقع منه هذا الفعل كما لا يقع من الممنوع، ومعناه: إنَّا لم نرسلْ الآيات لئلا يكذِّبَ بها هؤلاء كما كذَّب مَن قبلَهم فيستحقُّوا عذاب الاستئصال. ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾؛ أي: والآيةُ التي التمَسوها مثلَ آية ثمود قد آتيناها ثمودَ واضحةً بيِّنة يشاهدونها معجزةً، ثم كفرت ثمودُ بها فاستحَقُّوا الاستئصال، فكيف يتمنَّاها هؤلاء على سبيل الاقتراح؟ ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾؛ أي: جحدوا بها. ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾؛ أي: وكلُّ آيةٍ نُرسل بها نبيًّا -أيَّ آية كانت- فإنما هي منَّا تخويفٌ بالعذاب لمن يكذِّب بها(١).

(٦٠) - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ أي: وعدناك بالعصمة من الناس وهذا تخويفٌ لهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أي: علِم بمكر الناس في حقِّك؛ كما قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]؛ أي: عالمًا، وقال: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ

---

(١) بحر العلوم (٢/ ٣١٧)، وتفسير مقاتل (٢/ ٥٣٧)، والكشف والبيان(١٦/ ٣٦٨)، والكشاف (٢/ ٦٧٤)، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٦٣).

بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]، وقيل: إنه غالب لهم قادرٌ عليهم؛ كما قال: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢]، ومعنى ذلك: أن الخلق في قبضة الله وأنه محيط بهم بالعلم والقدرة، فهو مانعك منهم وحافظك، فامض لما أمرك من تبليغ الرسالة ولا تهتم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ ما أراه الله تعالى ليلة الإسراء ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ هو أنه ارتد بعضهم حين أعلمهم قصة الإسراء، وأنكروا وكذبوا، وازداد المؤمنون المخلصون إيمانًا، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾: أنها شجرة الزقوم التي ذَكرت في قوله: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٢ - ٦٤]، ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾؛ أي: المذكورةَ في القرآن؛ وسماها ملعونةً على تقدير: والشجرةَ الملعونةَ الأُكُل؛ ولأن عادة الناس أنهم إذا نادَوا بشيء سمَّوه ملعونًا على معنى الشتم والذمِّ له وطلبِ البعد منه، فيقولون: لعنك اللَّه؛ أي: بعَّدك اللَّه عنا وأراحنا منك، ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ أي: نخوفهم بالزَّقوم فما يزدادون إلا كفرًا وعتوًا، وهو ما زادوا من التكذيب والإنكار حين سمعوا بذكر هذه الشجرة في القرآن.

(٦١-٦٢) - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ أي: قد أُمر الملائكة بالسجود فسجدوا إلا هو: ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾: استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: لا أسجد لمن خلقتَ طينًا؛ أي: قدَّرْته وهو طين ليكون إنسانًا إذا نفختَ فيه الروح فصيَّرْتَه لحمًا ودمًا وكذا وكذا. ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾: أي: أخبرني لمَ فضَّلتَ هذا عليَّ؟ ولمَ جعلتَه أكرم عليك

مني؟ ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي: لأستأصلنَّ، ولأُفسدنهم بالإغواء فلا يبقَى معهم من دينهم شيء، كالشيء الذي يُقلع من أصله[(١)].

(٦٣-٦٤) - ﴿قَالَ اذْهَبْ﴾: أي: قال اللَّه له على لسان ملَك: اذهب، دلالة الاستهانة به والوعيدِ له. ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ لا نقصان فيه عن قَدْر الاستحقاق، وقيل: هو الذي لا يزول ولا ينقطع. ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾: أي: واستَخْفِفْ وأَزعِجْ إلى المعاصي، ﴿بِصَوْتِكَ﴾؛ أي: بدعائك، ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾: أي: اجمع عليهم، وقيل: الإجلاب هو السوق بجلَبة من السائق؛ أي: بصياح. ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾، والرَّجْل: جمع راجل، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أما الأموال: فالحرثُ والأنعام والبَحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وما حلَّلوا وما حرَّموا، وأما الأولاد: فأولاد الزنا. ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ هو ما يمنِّيهم من الأماني الكاذبة: من النصر على مخالِفيهم في الدنيا، وأنه لا بعثَ ولا نشورَ[(٢)].

(٦٥-٦٦) - ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي: إن خواصِّي ليس لك عليهم سلطانُ الوسوسة؛ لالتجائهم إليَّ ودوامِ استعاذتهم بي، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: أي: كافيًا لك، ومعتمَدًا لك في أمورك.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨٤)، جامع البيان (١٤/ ٦٥٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٤٩).

(٢) جامع البيان (١٤/ ٦٦٠) والبسيط للواحدي (١٣/ ٣٨٩)، والتيسير في التفسير (٩/ ٤٤٢).

(٦٦) - ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: أي: يُجري، والإزجاء في اللغة. السَّوق؛ قال تعالى: ﴿يُزْجِى لَكُمُ﴾[الإسراء: ٦٦]. أي: هو ربُّكم المتفضِّل عليكم بما يَتِمُّ به معاشكم، الذي يَسوق لكم السفن في البحر سَوقًا ليِّنًا رقيقًا بريحٍ طيبةٍ تقطَعُ بكم المسافة البعيدة في المدة القريبة. ﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: أي: من رزقه ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾؛ أي: لم يزل بارًّا بكم يوصل إليكم المنافعَ والمرافق الدِّينية والدنيوية.

(٦٧-٦٩) - ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: أي: إذا اشتدَّ بكم البلاء في البحر حتى تُشرفوا على الهلكة ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾؛ أي: بطَل وتلاشى عنكم آلهتُكم التي تدعون من دون اللَّه فلا تستعينون إلا باللَّه. ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾: أي: خلَّصكم من هول البحر فأخرجكم إلى البر ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ عن إخلاص العبادة للَّه وأقبلتُم على عبادة غيره. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾: أي: عادةُ الإنسان كفرانُ النِّعم، والمراد به الناس. ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾: استفهام بمعنى التوبيخ، يقول: عجبًا منكم كيف أمنتُم أن يَغور بكم في الأرض في جانبٍ من جوانبها؟. ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحًا ترميكم بالحصباء، وهي صغار الحجارة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾؛ أي: مَن يكفيكم ما يَحِلُّ بكم. ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾: أي: يسبِّبَ لكم سببًا يَضْطَرُّكم إلى العَود وإلى ركوب البحر مرة أخرى. ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ﴾: عند ذلك ﴿قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ يكسرُ السفن ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: فيهلكَكم عقوبةً لكم على كفران نعمةِ تخليصكم في المرة الأولى. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ﴾: أي: لأنفسكم

﴿عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾؛ أي: مَن يَتبعُنا بدمائكم ويخاصمُنا عنكم بهلاككم[١].

(٧٠) - ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾؛ أي: فضَّلناهم على كثيرٍ من أصناف الحيوانات، وجعلناهم أحقَّ بالكرامات منها، ويدخل فيها خلقُه إياهم على هذه الهيئة التي يَصلحون بها للتكليف والتمييز بين الأشياء، والاهتداءِ إلى أسباب المعاش، ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ في البر على الدواب وفي البحر على الفُلك، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾؛ أي: اللذائذِ من الحبوب والثمار، ولحومِ الحيوانات النافعة المقوِّيَة، والأشربة العذبة. ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾؛ أي: فضَّلناهم بهذه الأشياء على سائر الحيوانات، وجعلنا سائر الحيوانات مسخَّرة لهم.

(٧١) - ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾: أي: إلى كتابهم الذي كتب فيه أعمالهم، وسمِّي إمامًا لأن المرجع إليه في تعرُّف أعمالهم، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: وهو كتاب أهل السعادة ﴿فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ مشتمِلًا على ما كان منهم. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: أي: ولا يُنقصون شيئًا من ثواب أعمالهم وإن كان شيئًا حقيرًا يسيرًا بمقدارِ ما يفتله الرجلُ بين أصابعه من الوسخ، فهو الفتيل، وقيل: الفتيل: الذي يكون في شقِّ النواة[٢].

(٧٢-٧٣) - ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾؛ أي: في الدنيا والنظرِ إلى أعيانها والاستدلالِ بها على ما جُعلت الدلائلُ عليها ﴿أَعْمَى فَهُوَ﴾ في التفكُّر في أمور

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٣٥٧ - ٣٥٨)، والكشف والبيان (٥/ ٣٤٢)، والنكت والعيون (٣/ ٢١٣)، ومعالم التنزيل (٤/ ٣٨٢).

(٢) الكشف والبيان (٦/ ١١٤)، والبسيط (١٣/ ٤٠٢)، ومعالم التنزيل (٥/ ١٠٨)، وتفسير مقاتل (٢/ ٥٤٢)، ولطائف الإشارات (٢/ ٣٥٩ - ٣٦٢).

﴿فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ لأنها غيبٌ أي: ومَن عمي عن آيات الله في الدنيا فعن الذي غُيِّب عنه من أمور الآخرة أشدُّ عمًى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ أي: أعدلُ عن الحق.

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾: وهذا من عماهم في الدنيا، أي: ما كادوا إلا أنْ يصرفوك ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾، وهو قولهم: قل: أمرني الله به ﴿وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ يعني: لو فعلتَ ذلك لصادقوك وطاوَعوك.

(٧٤) - ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ أي: على الحق والصواب لكان منك ذلك، وفيه إثبات العصمة له حتى لم يهمَّ بذلك أصلًا، ولم يكَدْ يفعل ذلك؛ والمعنى: لو تركناك ونفسَك ورفعنا عنك ظلَّ العصمة لألْمَمْتَ بشيءٍ مما لا يجوزُ من مخالفةِ أمرنا، ولكنَّا ضربنا عليك سُرادقاتِ العصمة، وآويناك في كَنَف الرعاية، وحفظناك عن الأخطار باتِّباع هواك، فالزلة منك مع هذا محال، والافتراء في نفسك غير موهوم[١]، وقال قتادة: لمَّا نزلت هذه الآية قال ﷺ: "اللَّهمَّ لا تَكِلْني إلى نفسي طَرفةَ عين"[٢].

(٧٥-٧٦) - ﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾: أي: لو ركَنْتَ إليهم لأذقناك ضعفَ عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، فمَن كانت درجتُه أرفعَ ونِعمُ الله عليه أسبغَ كان وعيدُ الله في حقه أبلغَ، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾:

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٣٦٢)، وزاد المسير (٥/ ٦٧) والكشف والبيان (٦/ ١١٧)، وحاشية الشهاب على البيضاوي (٦/ ٣٠٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في "المسند" (٢٠٤٣٠)، وأبو داود (٥٠٩٠)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

أي: مانعًا عذابَنا عنك معينًا لك. ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾: أي: ليستخِفُّوك ويستعجلوك، والمراد منه الإخراج المذكور في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[الأنفال: ٣٠] وهو ما ائتَمروا به في دار الندوة. ﴿وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لو فعلوا ذلك لم يكن لهم بقاءٌ بعدك إلا قليلًا قَدْرَ ما ينزل بهم العذاب، لأنه ما فارق نبيٌّ قومَه إلا عذِّبوا ونزل بهم الاستئصال.

(٧٧-٧٨) - ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾: أي: كسنَّتِنا فيمَن قد أرسلنا قَبْلَك من رُسُلِنا: أنه ما فارق نبيٌّ قومَه إلا عذِّبوا ونزل بهم الاستئصال. ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: أي: لا يجد أحدٌ سبيلًا، إلى تبديل ما سنَّه الله وكتب على عباده. ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: أي: فإنْ ثقُل عليك أذاهم فافْزَعْ إلى الصلاة ففيها الفرجُ والمخرج، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٨]. ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: قال ابن مسعود، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لغروبها؛ أي: بعد غروبها وهي صلاةُ المغرب، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو زوالها[(١)]، ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: هو أولُ ظلمة الليل، وقيل: هو ظهور ظَلامه، والمعنى: أقِمِ الصلاة لزوال الشمس إلى ظلام الليل، وهو يَنتظِم صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء. ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾: أي: صلاةَ الفجر، سماها قرآنًا لأن القراءة من أركانها، كما سميت الصلاة ركوعًا وسجودًا، وقيل: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾؛ أي: قراءةَ الفجر؛ أي: أقمْ قراءةَ الفجر؛ أي:

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٢٢ - ٢٧)، والتيسير في التفسير (٩/ ٤٦٣).

القراءةَ المفروضة فيها، فعلى هذا تكون الآية جامعةً للصلوات الخمس. ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: أي: صلاةَ الفجر وما يُقرأ فيها، يشهدها ملائكةُ الليل والنهار، لفضيلة هذه الصلاة في نفسها.

(٧٩) - ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾: أي: اسهَرْ بالقرآن تقرؤه في صلاة الليل ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ زائدةً على تلك الفرائض المذكورة في الآية الأولى، فتلك فرائضُ وهذه نوافل، وقيل: غنيمةً لك، وقيل: خالصةً لك، وخلوصُه له: أنه لا يَغفل عن شيء منه في حالٍ، وغيرُه من الناس قد يغفلون فيه عن أشياء. ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾: أي: يُقِيمكَ مقام الشفاعة فيَحمدك عليه الخَلق، والمحمود: المرْضيُّ أيضًا، والمقام: هو الموضع الذي يقوم فيه الإنسان بجلائل الأمور، والمقام المحمود هو مقام الشفاعة.

(٨٠) - ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ أي: أدخلني المدينة مدخل صدق، وأخرجني من مكة مخرج صدق، والصدق أريد به: صدقُ الوعد؛ أي: تُصَدِّقُ به ما وعدتَني، وقيل: معناه: أدخلني فيما أَمَرْتني به وأخرجني عما نهَيْتني عنه. ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾: أي: وإذا أدخلْتَني مكة بالحرب فسلِّطني على المشركين وأعنِّي عليهم وانصُر سلطاني؛ أي: اجعل سلطاني عليهم منصورًا، وقد استجاب اللّٰه تعالى ذلك يوم الفتح.

(٨١) - ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾: أي: بشِّر أصحابك بدنوِّ دولتهم وبُطلان دولة أعدائهم. ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: أي: لم يزل مضمحلًّا؛ أي: لا بقاء له يتراءى ثم يتلاشى، وإنما الثباتُ والدوامُ للحق، فيحتمِل أن تكون هذه الآيةُ

أمرًا له أن يقول هذا إذا دخل مكة، وفيه تحقيقٌ للبشارة بالفتح، وهذا التأويل أقربُ للنظم.

(٨٢) - ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: القرآن كلُّه شفاءٌ، شفاء من الضلال، لما فيه من الهدى، وشفاء من السَّقم، لما فيه من البركة فيدفع اللَّه به كثيرًا من المكارِه والمضارِّ والأمراض، وقد روي أن اللَّديغ برئ حين قُرئ عليه فاتحة الكتاب(١)، وشفاء من البيان للفرائض والأحكام، ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾: أي: المشركين المعرِضين عن التدبُّر والتفكُّر فيه إلا هلاكًا وغبنًا بفَوْت الثواب واستحقاقِ العقاب.

(٨٣) - ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ﴾: وسبب الخسران بتنزيل القرآن: أنَّا إذا أنعمنا على الإنسان -أي: المشرك- بإعطاء المال والصحة والأمان وكثرةِ الولد لنمتحنَه بشكر نعمتنا وأداءِ طاعتنا أعرض عن تدبُّر آياتنا. ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾: أي: تباعَدَ بجانبه عن المؤمنين، فلم يَلِنْ لهم، وهو عبارةٌ عن التكبُّر. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾: أي: فإذا أصاب هذا الكافرَ سوءٌ يَئِس من رحمة اللَّه فلم يصبر على المحنة، وفي الحالة الأولى لم يشكر على النعمة، وهو كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١].

(٨٤) - ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾؛ أي: كلُّ إنسان يعمل في دينه على ما

---

(١) رواه البخاري (٥٠٠٧)، ومسلم (٢٢٠١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٥٧٣٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يشاكِل عقله، فمَن تدبَّر القرآن واستشفَى به عمِل في دينه بالحجة، ومَن أعرض عنه عمِل على ما يُوجبه تقليد الآباء في الضلالة. ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾: من الفريقين، ويجازي كلَّ فريقٍ على عمله وعلى وَفْق اعتقاده. والشاكلة: الخليقة، وقيل: الطريقة، وقيل: الطبيعة(١).

(٨٥) - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾: أي: هؤلاء المشركون المعرِضون عن التدبُّر في كتابك يتعنَّتونك في سؤالك وجوابك، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾؛ أي: عن الروح التي يَحْيَى بها الحيوان: ما هي؟ كما يَسأل عنها مَن يدَّعي الفلسفة ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾؛ أي: هو المتفرِّد بعلم كيفيتها، كمَن يُسأل عن شيء لا يقف على حقيقته، فيقول: هذا من أمر أستاذي؛ أي هو الواقف على حقيقته. ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي: ولقلَّةِ علمكم بمواقع حُجج اللَّه ومراتبِ دلائله تلتمسون دلائلَ صحةِ دعوَى النبوةِ من جهةِ العلم بالروح ونحوِ ذلك، وليس كذلك.

(٨٦-٨٧) - ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: عدَّد نعمَه عليه ﷺ بما آتاه من القرآن، ثم قال: ونحن قادرون على أن نَذهب به بأنْ نُنْسيَكه والناسَ جميعًا ونرفعَه من صدوركم. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾: أي: لا تجد مَن يردُّنا عنه وكيلًا لك بذلك؛ أي: قائمًا به معتمِدًا عليه. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: لكنْ ما أراده اللَّه من الرحمة بعباده على يديك وما في سعة فضله هو

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٣٠)، وتفسير مقاتل (٢/ ٥٤٧)، والكشف والبيان (٦/ ١٢٩)، والنكت والعيون (٣/ ٢٦٩)، وروح المعاني (١٥/ ٧٨).

الذي يبقيه عليكم. ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾: أي: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ﴾ في سابق علمه بما أراده من إرسالك إلى الناس نبيًا ﴿كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾.

(٨٨) - ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾: لفظًا ومعنًى وإعجازًا ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾؛ أي: لم يقدروا على ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾؛ أي: مُعينًا؛ أي: وإن تظاهروا وتعاونوا وتقوَّى بعضُهم ببعض لم يقدروا على ذلك.

(٨٩) - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: أي: صرَّفنا في هذا القرآن المعجزِ القولَ بكلِّ نوعٍ من الترغيب والترهيب ليتدبَّروا وليتفكَّروا. ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: وهم قريشٌ والعرب ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: إصرارًا على الكفر وتماديًا على الطغيان وكفرانِ النِّعم.

(٩٠-٩٢) - ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾: أي: لن نصدِّقك وإنْ أتيتَنا بهذا القرآن المعجز. ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾أي: من أرض مكةَ ﴿يَنبُوعًا﴾؛ أي: عيونًا فيتهيَّأ لنا بها الزراعة وغرسُ الأشجار. ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾: أي: يكونَ لك في خاصةِ نفسك إذ زعمتَ أنك رسول الله مكرمٌ عنده، فيَخصَّك بالجنان التي فيها النخيل والأعناب، فتفجِّرَ فيها الأنهار المطَّردة. ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾أي: قِطَعًا، وقوله: ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾يعنون قوله عن الله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾[سبأ: ٩] ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾[الطور: ٤٤]. ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾: أي: مُقابلًا،

وقيل: ﴿قَبِيلًا﴾ جمع قبيلة؛ أي: مجتمعين. وقيل: القبيل: الكفيل؛ أي: تأتي بهم كفلاءَ عنك يضمنون عهدةَ ما تَدْعونا إليه(١).

(٩٣) - ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ أي: أو يجعل اللّه لك بيتًا مزيَّنًا بالذهب كما تكون بيوت ملوك الروم وفارس وغيرهما، فإن الناس لا ينقادون لك على ما بك من الفقر. ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾: أي: تصعدَ ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾؛ أي: لصعودك ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾ في قرطاس، كما قال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام: ٧]، وقيل: أي: على كلِّ واحدٍ منا كتابًا، كما قال: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢]. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾: أي: تنزيهًا لربي أن يعجز عن شيء من هذا ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ والبشريةُ لا تقتضي القدرة على هذه الأشياء من غيرِ إقدارِ اللّه تعالى عليه، والرسالةُ لا تقتضي الإتيانَ بها لا محالة، فإنه أرسل الرسل وما أَتَى كلُّ رسولٍ بهذه الأشياء، وقيل: قوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾؛ أي: أمرُها إلى الذي أرسلني، وهو أعلم بالتدبير وبما ينصبه من الدليل.

(٩٤-٩٥) - ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾: لمَّا قال: ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ فقالوا: وإذا كنتَ بشرًا مثلَنا فكيف يلزمُنا الانقيادُ لك؟ ثم ردَّ عليهم هذه الشبهةَ فقال: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾: أي: يسكنونها مستوطِنين ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ

(١) الكشف والبيان (٦/ ١٣٢)، والتيسير في التفسير (٩/ ٤٧٨)، وجامع البيان (١٥/ ٨٤)، النكت والعيون (٣/ ٢٧٣).

السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ ليكون من جنسهم فيفهمون كلامه ويسكنون إليه، فأما أنتم فبشر، فبعثني إليكم بشرًا مثلكم لتكون قلوبكم إليه أسكنَ، وأنتم لكلامه أفهمَ.

(٩٦) - ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذِّبين لك: قد أوردتُ عليكم الآيات، وبلَّغتُ الرسالات، وأنا أُشهد اللَّه على ذلك، و﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ عالمًا ﴿بَصِيرًا﴾ مشاهِدًا أفعالَكم وأفعالي، فهو يَشهد لي عليكم يوم القيامة بالتبليغ وعليكم بالإعراض والتكذيب، فيجازي كلًّا بعمله، وهو وعيد شديد.

(٩٧) - ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾: أي: ومَن يَهده اللَّه فهو المهتد، ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ﴾: أي: ومَن يُضلِلْه اللَّه ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾؛ أي: مَن يتولَّى هدايتَهم، وهو بمعنى الجمع لأنه جنسٌ ولذلك جمع ما بعده، وهو قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾: أي: مسحوبين عليها. ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾: حين يحشرون، ثم يزول ذلك بدليل قوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣]، وقال: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، وقال: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]، وقيل: عُميٌ عمَّا يَسرُّهم، بكمٌ عن التكلُّم بما ينفعُهم، صمٌّ عمَّا ينفعهم، ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾: أي: مَصيرهم ومَقرُّهم ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾؛ أي: كلما سكن لهبُها، ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾: أي: لهيبًا[1].

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٢٧٥)، التيسير في التفسير (٩/ ٤٨٣)، والجامع لأحكام القرآن ١٧٩)، وتفسير مقاتل (٢/ ٥٥١).

(٩٨-٩٩) - ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ أي: لم نعذِّبهم ظلمًا، بل جزاءً على كفرهم وإنكارهم البعثَ وتعجُّبهم منه بعدَ إرمامهم وتفتُّت عظامهم. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: فإذا قدَر على خَلْق مِثْلِهم قدَر على إعادتهم خلقًا جديدًا ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ذلك؛ أي: أولم يعلموا ذلك علمًا يقوم مقام العِيان في حقِّ الإيقان؟. ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾: أي: مدةً طويلةً إنظارًا لأنفسهم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه؛ أي: في مُضيِّه. ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾: أي: كفرانًا لهذا الإنعام بعد الإمهال، وقيل: جعَل لهم أجلًا هو البعثُ لمحاسبتهم على كفرهم، فأبوا في الدنيا إلا كفرًا بهذا الوعيد في الآخرة.

(١٠٠) - ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾: يخاطب المشركين، و﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾؛ أي: مفاتيحَ رزقه. ﴿إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ﴾ عن الإنفاق على أنفسكم ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾؛ أي: لخوف الفقر، وقيل: ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾؛ أي: أن يُذهِب إنفاقُكم أموالَكم. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ أي: بخيلًا. وقيل: أي: مُمسكًا(١).

(١٠١) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: واصَلنا له الحججَ فلم يقبلوها ولم ينقادوا لها، كما فعل قومك بآياتنا التي واصلناها لك. و﴿تِسْعَ آيَاتٍ﴾ هي العصا، واليد البيضاء، واللسان، والبحر، والطوفان، والجراد والقمَّل، والضفادع والدم، ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾: أي: سَلْ علماءَ بني إسرائيل

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٩٨)، والكشف والبيان (٦/ ١٣٧)، والبسيط (١٣/ ٤٩٢ - ٤٩٣).

عن الخبر حين جاءهم -أي: جاء أسلافَهم- موسى. ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا﴾: أي: سُحرتَ فأثَّر في عقلك وحسِّك ذلك حتى أفضى بك ذلك إلى أنْ تدَّعيَ أن لك إلهًا فوقي أرسلك إليَّ لأَدخل في طاعتك وقيل: ﴿مَسْحُورًا﴾؛ أي: مخدوعًا.

(١٠٢) - ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾:أي: علمتَ أنت يا فرعونُ؛ لأنَّه عانَدَ مع علمه، والمعنى: إنك لصحة عقلك وسلامةِ حسِّك تعلم أنَّ ما جئتُ به من الآيات ليس بسِحر، ولا أنا فيها مخدوع، بل هي حجج اللَّه جَلَّجَلَالُهُ التي مَن تأمَّلَها استبصَر فيها؛ أي: تيقَّن أنها من عند اللَّه. ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: أي: أَعلمُك بالاستدلال مهلَكًا، وقيل: ممنوعًا عن كلِّ خير.

(١٠٣-١٠٤) - ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: أي: هَمَّ أن يستخِفَّهم ويزعجهم عن أرض مصر. ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾: مِن أعوانه وأهلِ دينه جميعًا لم يبق منهم أحد. ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾: أي: أسكنَّاهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: أي: أخبرناهم أنكم ممتَّعون في الأرض إلى الموت فتُفارِقون الدنيا وتُنقلون إلى الآخرة للحساب والجزاء، فإذا جاء ما وعدنا من البعث حشرناكم مختلِطين من قبائل شتَّى وبلدانٍ مختلفة.

(١٠٥-١٠٦) - ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي: القرآن، وقد سبق ذكره في آيات أنزلناها بالحق لا بالباطل، وبيانًا للحق. ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾: أي: كما أنزلناه لم يبدِّله جبريل ولا حرَّف شيئًا منه. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾: أي: فامضِ لِما

أرسلناك له ولا تنظر إلى تكذيب المكذِّبين. ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾: أي: آتيناك قرآنًا فرقناه؛ أي: دلَلْنا فيه على أصوب الطريقين، وميَّزنا به الحق من الباطل، وقيل: بيَّناه، وقيل: هو بمعنى التفريق؛ أي: أنزلناه متفرِّقًا في سنين. ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾: أي: على تثبُّت وتوقُّف، لتجمعه في صدورهم. وقيل: أي: من غير عجلٍ، كما قال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، وقال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ [طه: ١١٤]. ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾: أي: شيئًا فشيئًا على حسب الحوادث.

(١٠٧) - ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾: أي: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يقولون لك: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ الآيات: ﴿آمِنُوا بِهِ﴾؛ أي: بالقرآن ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾، وليس بتخييرٍ، ولا جمعٍ بين الأمر والنهي، لكنه وعيدٌ وإخبارٌ أنهم إن آمنوا فلا نفعَ لنا وإن لم يؤمنوا فلا ضررَ علينا، النفعُ لكم والضَّررُ عليكم، وليس في ترككم الإيمانَ ما يُبطل الحقَّ الذي نزل به، وقد آمَن به مَن هو أعلم بالدِّين منكم، وهو قولُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾: أي: من قبلِ نزول القرآن وهم مؤمنو أهل الكتاب مثلَ عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ القرآنُ ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾: جمعَ الذقنَ وهو مجمع اللَّحْيين، وأراد بها الوجوه، وقيل: إنما ذكر الأذقان لأن أول ما يقع في الأرض من الوجه ذلك(١).

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ١٤٠) وجامع البيان (١٥/ ١١٧ و١١٨)، والتيسير في التفسير (٩/ ٤٩١)

(١٠٨-١٠٩) - ﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي: في سجودهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تنزيهًا له عن المعايب ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾: أي: ما كان وعدُ ربِّنا إلا كائنًا. ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾: أي: ثم يخرُّون سجَّدًا لذلك ويبكون فيه خجلًا من تقصيرهم. ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾: أي: القرآن حين يتلى عليهم ﴿خُشُوعًا﴾؛ أي: خوفًا وتذلُّلًا.

(١١٠) - ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ قال أهل الكتاب -وهم الذين مر ذكرهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ -: يا رسول اللَّه! إنك لتُقِلُّ ذكرَ الرحمن، وقد أكثر اللَّه هذا الاسم في التوراة، فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية[١]، فسُرَّ به أهلُ الكتاب، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سمعوا النبيَّ ﷺ يقول: "اللَّه" مرة و"الرحمن" مرة، فقالوا: ينهانا عن إلهين اثنين وهو يدعو إلهين! فأنزل اللَّه هذه الآية. ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: أي: التسميات الدالةُ على الصفات، بأيِّ اسم دُعي به فهو واحد، وليس اختلافُ الأسماء لاختلاف المسمَّى. ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾: أي: بدعائك، كما قال: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ أي: ليكن دعاؤك اللَّهَ بين الجهر الشديد والمخافتة الشديدة، وذلك بأن تُسمعَ نفسك ويَفهَمَ عنك مَن يَقرُب منك، فيؤمِّنَ على دعائك أو يقتديَ بك فيه، وهو تعليم أدب الدعاء. ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عند مَن يَلتمِسها منك، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾: بأنْ تجهر بصلاة الليل وتخافتَ بصلاة النهار.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥٥). الكشف والبيان (٦/ ١٤١)، أسباب النزول (ص: ٢٩٥)، وزاد المسير (٥/ ٩٩).

(١١١) - ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: أي: الحمد لله الذي عرَّفني أنه لم يتَّخذ ولدًا، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ﴾ أي ليس له شريك في ألوهيته ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِىٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ أي: ليس بذليل فيحتاج إلى الوليّ والنصير ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾: أي: عظِّمه تعظيمًا حقًّا، أي: حتى لا يكون في قلبك شيءٌ أعظمُ منه ولا أهيبُ.

(انتهي تفسير سورة الإسراء).

(١٨) سورة الكهف مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكيةٌ، وتسمى بسورة الكهف، ويقال لها سورة أصحاب الكهف، وأن نزولها كان بعد سورة الغاشية، وقبل سورة الشورى، وهي الثامنة والستون في ترتيب نزول السور، وهي مئةٌ وخمسُ آيات، وقيل: ستٌّ، وقيل: إحدى عشرةَ، وكلماتُها: ألفٌ وخمسُ مئة وستٌّ وسبعون، وحروفُها: ستةُ آلاف وأربعُ مئة وسبعةٌ وثلاثون، فضلها: عن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ، وإلَى جانِبِهِ حِصانٌ مَرْبُوطٌ بشَطَنَيْنِ، -جمع شطن: بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة: الحبل- فَتَغَشَّتْهُ سَحابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وتَدْنُو وجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أصْبَحَ أتَى النبيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذلكَ له فقالَ: تِلكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بالقُرْآنِ»(١)، وعن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «مَن حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِن أوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجّالِ»(٢).

مقاصدها:

(أ) أن القصص قد اشتمل على جانب كبير من آياتها، ففي أوائلها نرى قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الرجلين اللذين جعل الله لأحدهما جنتين من أعناب. ثم بعد ذلك جاء طرف من قصة آدم وإبليس، ثم جاءت قصة موسى

(١) متفق عليه البخاري (٥٠١١)، ومسلم (٧٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (٧٩٥).

والخضر - عليهما السلام - ثم ختمت بقصة ذي القرنين، وقد وردت هذه القصص في أكثر من سبعين آية، من سورة الكهف.

(ب) اهتمت السورة الكريمة بإقامة الأدلة على وحدانية الله - تعالى - وعلى صدق الرسول ﷺ فيما يبلغه عنه، وعلى إثبات أن هذا القرآن من عنده - تعالى.

(ج) برز في السورة عنصر الموازنة والمقارنة بين حسن عاقبة الأخيار وسوء عاقبة الأشرار، ترى ذلك في قصة أصحاب الكهف، وفي قصة الرجلين وفي قصة ذي القرنين، وفي الآيات التي ذكرت الكافرين وسوء مصيرهم، ثم أعقبت ذلك بذكر المؤمنين وحسن مصيرهم كما برز فيها عنصر التسلية للرسول ﷺ والتهوين من شأن أعدائه كما برز فيها التصوير المؤثر لأهوال يوم القيامة، وسورة الكهف قد - ساقت - بأسلوبها البليغ الذي يغلب عليه طابع القصة - ألوانا من التوجيهات السامية، التي من شأنها أنها تهدى إلى العقيدة الصحيحة، وإلى السلوك القويم. وإلى الخلق الكريم، وإلى التفكير السليم الذي يهدى إلى الرشد، وإلى كل ما يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة[١]، وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّ خَتْم تلك السورة بالتكبير وافتتاحَ هذه بالتحميد، وهما من الثناء على اللَّه تعالى، ولأنه قال هناك أيضًا: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فكانا حمدَين، وأما انتظام السورتين: فإنه ذكر في تلك السورة سؤالَهم عن الروح وفي هذه السورة سؤالَهم عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، وكانت هذه السؤالات في دفعةٍ واحدة[٢].

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ٤٦٣).

(٢) النكت والعيون (٣/ ٢٧٤)، والتيسير في التفسير (١٠/ ١٠).

(١) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: جميعُ أنواع الشكر والأثنية والرضا لله ﴿الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾؛ أي: محمدٍ المصطفى ﷺ ﴿الْكِتَابَ﴾؛ أي: القرآن المعجِزَ المشتمِلَ على مصالح الخلق في دينهم ودنياهم. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾: أي: لم يجعل فيه تناقضًا واختلافًا.

(٢-٣) - ﴿قَيِّمًا﴾؛ أي: أنزله قيِّمًا، أي: مستقيمًا، وقيل: قيِّمًا على الكتب التي قبله نَسخَ منها ما نَسخ وأثبت منها ما أثبت، وقيل: قيِّمًا على سائر كتب الله تعالى يصدِّقها وينفي الباطل عنها. ﴿لِيُنْذِرَ﴾: أي: عبدةَ الكفَّار ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾؛ أي: ببأسٍ شديدٍ، ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾؛ أي: بعذابٍ شديدٍ من عنده ينزلُه بهم في الدنيا والآخرة إن أصرُّوا على كفرهم بالكتاب والرسول. ﴿وَيُبَشِّرَ﴾: أي: وليبشِّر ﴿الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾: أي: ثوابًا جميلًا في الجنة. ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾: أي: خالدين لا ينتقلون عنه ولا ينقطعُ عنهم.

(٤) - ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: وخصَّ هؤلاء بالإنذار بعدما عم الجميع بقوله: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ لغايةِ فحش هذا الصنيعِ، وهو قول المشركين: الملائكةُ بنات الله.

(٥) - ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾: أي: هو جهلٌ منهم وكذبٌ وباطل، جعلَه خارجًا عن العلم لدخوله فيما تُحِيله العقول. ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾؛ أي: قلَّدوا آباءهم وآباؤهم مثلُهم في الجهل؛ إذ لا دليلَ يجوِّزه من حسٍّ أو عقل أو خبر. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾: أي: عظُمت هذه الكلمةُ كلمةً؛ لأنَّها فريةٌ على الله مستحيلةٌ في فِطَرِ العقول. ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: يقولونها بألسنتهم وهي في أفواههم. ﴿إِنْ

﴿يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾: أي: ما يقولون ذلك إلا كذبًا، يقولون على الله ما لم يفعل [١].

(٦) - ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ أي: قاتلٌ نفسَك، هوَّن على النبي ﷺ ما يجد من الحزن بكفرِ المشركين فقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾: مُهلكٌ نفسك ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾؛ أي: آثارِ الكفار، وهو كنايةٌ عن إعراضهم، كأنهم إذا أعرضوا عن الإيمان نظر إليهم وهم مُعرضون. ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾أي: القرآنِ، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾[الزمر: ٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧]. وقيل: ﴿بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾: حديثِ أصحاب الكهف؛ أي: سألوك عنه فأخبرتَهم عنه، فلم يجعلوه دليلَ صدقك ولم يؤمنوا بك. ﴿أَسَفًا﴾:أي: غضبًا، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾[الزخرف: ٥٥][٢].

(٧) - ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾: أي: الدنيا دارُ ابتلاءٍ، وبالابتلاء يَظهر الصالح وغيره، فلا تهتمَّنَّ لذلك، يقول: إنَّا زينَّا الدنيا بأصنافِ ما خلقنا فيها من المخلوقات؛ من اللباس والنبات وضروب الحيوانات وغيرها، فالأرض مزيَّنةٌ بجملةِ ذلك. ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أي: نختبرَهم ونمتحنَهم بالعبادات، وتقديره: لنعاملَهم معاملةَ مَن يَختبر، وحقيقتُه: ليَظهر منهم ما عَلِمنا أنه يكون منهم. ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾أي: أيهم أزهدُ في الدنيا وأترَكُ لها، وقيل: أيهم أصدقُ نيةً وأخلصُ طَويةً.

(٨) - ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾: قال السُّدِّي: الصَّعيد:

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٣٧٦).

(٢) جامع البيان (١٥/ ١٤٩)، والبسيط (١٣/ ٥٢٧)، والدر المنثور (٥/ ٣٦٠).

الأملس، والجُرُز: الميت. وقيل: الصعيد: المستوي، والجُرُز: الذي ليس فيه زرعٌ. ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾: بَلْقعًا لا شيء فيه. وقيل: ﴿جُرُزًا﴾: غليظًا لا يُنبت شيئًا[(١)].

(٩) - ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾: أي: أَحَسِبْتَ أن أصحاب الغار الذي في الجبل ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ اللوح المكتوب عليه أسماؤهم كانوا من بين آياتنا عجبًا؟، فليس كذلك، بل كلُّ آياتنا عَجَبٌ، وفي آياتنا ما هو أعجبُ من ذلك.

(١٠) - ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾: أي: كانوا عجبًا حين التَجؤوا إلى الكهف فرارًا بدينهم. ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾: أي: أعطِنا من عندك رحمة ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الرَّشَد: إصابةُ الطريق المؤدِّي إلى البُغية، وكذا الرُّشْد والرَّشاد، وصَرْفه من باب دخل وعلم جميعًا.

(١١) - ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾. فاستجاب الله تعالى دعاءهم، أي: أَنَمْناهم ومنعناهم السماعَ، وهذا من فَصاحات القرآن التي أقرَّت العرب بالقصور فيها عن الإتيان بمثلها؛ لأن هذا لو نُقل بلفظه إلى لفظٍ آخر لم يُفهم منه ذلك، وإن قيل: أَنَمْناهم فهو ترجمةٌ للمعنى دون اللفظ. ﴿عَدَدًا﴾ أي: معدودةً، وقيل: ﴿عَدَدًا﴾؛ أي: تُعدُّ عددًا لكثرتها[(٢)].

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٣٧٨)، زاد المسير (٥/ ١٠٥ - ١٠٦)، وجامع البيان (١٥/ ١٥١ - ١٥٢)، والنكت والعيون (٣/ ٢٨٥)، والبسيط (١٣/ ٥٢٨)، والتيسير في التفسير (١٠/ ١٥).

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٢ - ٢٣)، معاني القرآن" للفراء (٢/ ١٣٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٧١).

(١٢) - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾: أي: أيقظناهم من نومهم لم تغيِّرهم السِّنون. ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾: أي: لنَعلم اختلافَهما موجودًا واقعًا كما علِمناه قبل وجوده أنه يوجد، وقيل: أي: لنبيِّنَ لهم ولغيرهم أنَّ الحزبَين لا يُحصِيان مبلغَ مدة لبثهم في الكهف، وقيل: ﴿لِنَعْلَمَ﴾؛ أي: ليَعلم أوليائي. و﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾: أي: أيُّ الفريقين من قوم الفتية: أهل الهدى أو أهل الضلالة، ووقيل: أحدهما أصحاب الكهف والآخر أصحاب الرقيم، وهم الذين كتبوا أسماء أصحاب الكهف بعدهم. وقيل: هما طائفتان من المسلمين اختلفوا في ذلك. ﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا﴾: أي: عَلِم وتحقَّق، كما قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]. ﴿أَمَدًا﴾: أي: غايةً، وتقديره: أحصَى أمدًا لِما لبثوا؛ أي: أمد ما لبثوا.

(١٣ - ١٤) - ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾: أي: بالصِّدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾؛ أي: شبَّانٌ. ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾: أي: صدَّقوا بوحدانيته ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾؛ أي: ثباتًا ويقينًا ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: شدَدْناهم ووفَّقْناهم وألهمناهم الصبرَ. ﴿إِذْ قَامُوا﴾: قال قتادة: أي: قاموا من رقدتهم. ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ﴾: أي: لن نعبد ﴿مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾؛ أي: لن ندعو غيرَه معبودًا. ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾: أي: قلنا جَورًا وعدوانًا لو دعونا غيره إلهًا[١].

(١٥) - ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا﴾: أي: اعتقدوا ﴿مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ بتقليدٍ من

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٧١)، وجامع البيان (١٥/ ١٦٥).

غيرِ حجة. ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾: أي: هلَّا يقيمون على آلهتهم سلطانًا بيِّنًا؛ أي: حجةً بيِّنةً أن عبادتها جائزةٌ أو واجبة. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: فلا أظلمُ من هؤلاء لأنفسهم ولا أوضعُ للعبادة في غير موضعها، افتروا على اللَّه كذبًا، اختلفوا فقالوا: له شريك.

(١٦) - ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾: أي: سوى اللَّه. وقيل: معنى الاستثناء أنه كان فيهم مَن يعبد اللَّه، وقالوا: كان فيهم رجلان يكتمان إيمانهما، وهما كتَبا أسماء الفتية وقت مفارقتهم قومهم.

أي: قال بعضهم لبعضٍ: وإذا فارقتُم قومَكم وآلهتهم ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: يبسطْ لكم ربُّكم ما يُصلح لكم دينكم ومعاشكم. ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾: بفتح الميم وكسرِ الفاء،، وبكسر الميم وفتح الفاء، وهما لغتان فيما يُرتفق به؛ أي: يُنتفع به(١)، وقيل: أرادوا به الغداءَ، وكانوا يحتاجون إليه ويخافون الخروج والطَّلب، فدعوا اللَّه أن يهيِّئ لهم ذلك.

(١٧) - ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: وأصله: تتزاور، والتزاوُر والازورار: الميلُ والانحراف. ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾: أي: تعدِلُ عنهم وتميل يسرةً، وقيل: تخلِّفُهم وتجاوِزُهم وتقطَعُهم وتتركهم عن شمالها.

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾: أي: في متَّسَع ينالهم النسيم فينتفي بذلك عنهم غمَّة الغار وكربُه. ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: أي: ما اختاره اللَّه تعالى لهم من هذا

---

(١) السبعة (١/ ٣٨٨)، والتيسير (١/ ١٤٢).

الموضع، وهو لطفٌ من اللَّه بأوليائه. ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾: كهؤلاء الفتية ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾: مَن يواليه ويتولَّاه ويرشدُه إلى مصالحه (١).

(١٨) - ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾: جمع يَقُظٍ ويَقِظٍ -بضم القاف وكسرها- وهو اليقظان، قيل: أي: لانفتاح أعينهم حال نومهم. وقيل: أي: لكثرةِ تقلُّبِهم كما يتقلَّب اليقظان. ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ أي: نيام. ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾: أي: جعلناهم يتقلَّبون يمينًا وشمالًا، وأضاف التقليب إلى نفسه لأنه بتخليقه. ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾: قيل: كان لهم كلبٌ فتبِعهم. ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ أي: بالفِناء. ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾: أي: خوفًا، وهذا خطابٌ للنبيِّ ﷺ، ولم يُردْ به اطِّلاعه حقيقةً، لكنه الإخبارُ عن حالهم على تقدير: أن أحدًا لو اطَّلع عليهم كان كذا، يقول: لو نظرتَ في كهفهم نظرًا من فوقهم لهربتَ منهم ولامتلأتَ خوفًا. وقيل: لو رأيتَهم لظننتَ أنهم يريدونك؛ لأن أعينَهم كانت مفتوحةً، وقيل: هذا وصفُ وحشةِ مكانهم؛ أي: لو نظرتَ إلى موضعهم لهالَتْك وحشةُ مكانهم، وكان اللَّه تعالى لطفَ بهم في هذا الموضع الوحشي ليَنفر الناس عنهم ولا يَقْرَبوهم لطلبهم، أو يكونُ مدحًا لهم برضاهم بمثل هذا الموضع (٢).

(١٩) - ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾: أي: كما أَنمناهم وحفظنا عليهم أبدانهم

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٣٨٢)، مجاز القرآن (١/ ٣٩٦). التيسير في التفسير (١٠، ٣٨).

(٢) جامع البيان (١٥/ ١٨٦ و١٩١)، والكشف والبيان (٦/ ١٦٠)، ومعالم التنزيل (٥/ ١٥٨)، والنكت والعيون (٣/ ٢٩٢).

وثيابهم كذلك أيقظناهم ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: كانت عاقبةُ أمرهم أن يتساءلوا بينهم عن مدة لبثهم في النوم. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾: أي: رئيسُهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ قيل: إنما سألوا لأنه راعهم ما فاتهم من العبادة في ذلك النوم عند أنفسهم. ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا﴾: قيل: دخلوا الكهف أولَ النهار، فنظروا حين استيقظوا فإذا هو آخرُ النهار، فقالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا﴾ ثم رأوا من الشمس بقيةً فقالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ كان عندهم كذلك، فلم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخَذوا. ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾: ورُوي أن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا استدلَّ بهذه الآية على أن الصحيح من الأقوال في عددهم أنهم سبعة؛ لأنَّه قال في الآية: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ وهذا واحد، وقال في جواب قول هذا: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾و﴿قَالُوا﴾ فعلُ الجمع وأقلُّه ثلاثة، ثم قال: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ وهذا قولُ جمعٍ آخَرين سواهم؛ لأنَّه قال: ﴿قَالُوا﴾ وهذا جمعٌ، وقال بعده: ﴿رَبُّكُمْ﴾ وهذا خطابُ الجمع فهم ثلاثة آخرون، فصاروا سبعة. ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: أي: بفضَّتكم هذه، وكانوا أخذوا فضةً للحاجة إليها في طريقهم. ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾: أي: هذا المبعوث ﴿أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ فليشترِه، والزكاةُ في اللغة عبارةٌ عن النماء وعن الطهارة، واختلف في تفسير هذا: فقيل: أي: أَحَلُّ ذبيحةً، وكانوا يذبحون للطواغيت، وقيل: أطيبُ طعامًا وألذُّ، وقيل: أكثرُ رَيعًا، وقيل: أرخصُ وأجود، يقال: طعام زكيٌّ؛ أي: رخيصٌ جيد. ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾: عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا في رواية وهو عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أيضًا أنه الأَرزُّ، وعلى هذا قولُه: ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾؛ أي: أكثر ريعًا، فإنه يزاد بالطبخ. ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: أي:

وليستعملْ دقائق التدبير في دخول المدينة وشرائه الطعام، ليَخْفَى مكانه فلا يُعلمَ به في ذهابه وإيابه. ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: أي: ولا يُعلمنَّ بأخباره[١].

(٢٠) - ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: ويستولوا عليكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾؛ أي: يقتلوكم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾؛ أي: يردُّوكم إلى الكفر ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾؛ أي: ولن تفوزوا بخيرٍ أبدًا إذا ارتدَدْتم.

(٢١) - ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: أَطْلَعْنا عليهم، وقيل: أظهَرْنا، ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: أي: استدلوا بذلك على أن وعد الله بالبعث حق وأنه قادر عليه ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أي: لا شك في قيامها. ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: أي: يتنازع أهل ذلك العصرِ في أمر الساعة، فيقِرُّ به بعضهم وينكره بعضهم، فعرفوا جميعًا أن البعث حقٌّ بهذه الدلالة، ومعنى ﴿أَمْرَهُمْ﴾؛ أي: الأمرَ الذي فيه تنازُعهم، ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ بمعنى: تنازعوا، أو: كانوا يتنازعون. وقيل: كان تنازُعهم في البناء. ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾: يُعرف به مكانهم كما يُبنى على قبر الرجل الجليل المذكور. وقيل: كان باب الكهف قد فتح بعد ما كان مردومًا، فقالوا: ابنوا عليهم ما يستُرُهم فلا يدخل عليهم أحد. وقيل: قال الكفار: نبني بناء الكفار؛ لأنَّهم من عشائرنا فلعلهم على ديننا. فقال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾: أي: أنهم آمنوا بربهم. ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾: عظماؤهم، وقيل: مسلموهم. ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾: نتعبد فيه؛

---

(١) الدر المنثور (٥/ ٣٧٤)، وجامع البيان(١٥/ ٢١٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٣٧).

لأنَّهم مسلمون فيتبرَّك المسلمون بالصلاة في مسجدهم عندهم[(١)].

(٢٢) - ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: أي: سيقول بعض أهل الكتاب: هم ثلاثةٌ رابعهم كلبهم. ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: أي: ويقول بعضٌ ذلك. ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾: أي: قذفًا بالظنِّ، وذلك أن الغيب ما غاب عن الإنسان، وما غاب إنما يُدرك بالاستدلال، ولا يكون كالعِيان في إفادة الإيقان. والرجم بالكلام: هو التكلُّم من غير تدبُّر. ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: أي: ويقول بعضُهم ذلك، يعني: إذا كانوا يختلفون ثبت أنهم لا يتيقَّنون به، فكيف يمتحنونك به؟ ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾: وهذا إخبار من اللّه وهو أعلم بعدتهم، فهو الصدق دون ما قالوه بالظن، وكذا قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: هذا إثباتُ علمِ ذلك لقليلٍ من الخلق، وإذا علِمه أحد من خَلْق اللّه فالنبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أولى بأن يكون عَلِم ذلك بإعلام اللّه، وقد قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا من ذلك القليل. ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾: أي: لا تجادلْ في أصحاب الكهف أهلَ الكتاب إلا جدالًا ظاهرًا؛ أي: قل لهم: إنكم تقولون هذا بغير حجة ولا خبرٍ من عند اللّه، ونحوَ هذا. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾: أي: في أصحاب الكهف ﴿مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿أَحَدًا﴾؛ فإنهم لا يعلمون ذلك[(٢)].

---

(١) التيسير في التفسير (١٠/ ٤٩)، والكشف والبيان (٦/ ١٦٢)، والوسيط (٣/ ١٤٢)، ومعالم التنزيل (٥/ ١٦١).

(٢) بحر العلوم (٢/ ٣٣٢)، والكشاف (٢/ ٧١٢)، والتفسير الكبير (٢١/ ٤٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٦)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٥١).

(٢٣ - ٢٤) - ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: أي: إلا أن تقول: إن شاء اللَّه، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ إذا قلتَ لشيء: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ فنسيتَ أن تقول: إن شاء اللَّه، ثم تذكَّرتَ فقل: إن شاء اللَّه، وإن كان بعد هذا بيومٍ أو بشهرٍ أو بسنةٍ. ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أي: عسى أن يخبرني ربِّي عما سألتُموني قبل غد، فيكون ذلك رشادًا وهذا أرشد منه (١).

(٢٥ - ٢٦) - ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾: أي: ولبثوا في كهفهم سنينَ ثلاثَ مئةٍ، ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قيل: تسعَ سنين. وقيل: كانت ثلاثَ مئة سنين شمسية، وازدادت عليها تسعُ سنين قمرية. ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: هو مالك غيبهما والعالم به، وهو ما غاب عن حواسِّ الخلق. ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾: أي: ما أسمعَه وما أبصَره بخلقه وبما يكون منهم، وهو مبالغةٌ في وصفه بالسمع والبصر. ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: أي: ما للخلق غيرَه مَن يتولى كفايتَهم. ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾: ومِن حُكمه الانفرادُ بعلم الغيب، والعلمُ بمدتهم عنده، فليس لأحد أن يَحكم فيه بشيء.

(٢٧) - ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾: أي: اقرأ واتَّبع القرآن الذي أوحاه اللَّه إليك. ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: أي: لا مغيِّرَ لِمَا ذَكر فيه، ويدخل في هذه الجملة ما أَخبر به عن أصحاب الكهف مما يختلف فيه أهل الكتاب، وغير ذلك مما أخبر اللَّه تعالى به. ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾: ملجأً تَعدِلُ عنه إليه؛ أي:

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٨)، ومعاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٢٩).

الزَمْ كتابه واعمل به فإنك إن خالفْتَه لم يعصمك من عذابه ملجأٌ(١).

(٢٨) - ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: ولمَّا أخبر اللَّه بقصة أصحاب الكهف، وكانوا قالوا له: إن أخبرتنا بما سألْنا عنه صدَّقناك واتَّبعناك، فلما أخبرهم به قالوا: اطرد عنك الفقراء والسفلة الذين اجتمعوا عندك نتبَّعْك، فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية في نهيه عن ذلك.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾؛ أي: احْبِس نفسك معهم ولا تطردهم بقول المشركين، فهم أحقُّ بمجالستك إذ هم يَدْعون ربهم بالغداة والعشي ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾؛ أي: قاصدينَ التوجُّه إليه طالبين رضاه، ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: أي: ولا تُجاوِزْ عيناك عنهم إلى أولئك. ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: تريد التزيُّن والتجمُّل بأولئك الأغنياء الأشراف. ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾: أي: جعلناه غافلًا عن ذكرنا، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: أي: عبَد ما استحسَنه من الأصنام بهوَى نفسِه. ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ أي: مجاوِزًا فيه الحدَّ(٢).

(٢٩) - ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي: وقلْ لهؤلاء: الحقُّ من ربكم جاء، وهو الإيمان به، فلا ينبغي أن يُنظَر ضعفُ أهله وفقرُهم، بل يُعرَف هو بنفسه لا بأهله. ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾: أي: فقد بان الحقُّ فليَختَرِ امرؤٌ لنفسه ما يشاء من الإيمان به والكفر به، فالمؤمن جزاؤه في الآية التالية، وأما الكافر فعقابه في هذه الآية، وهذا صيغتُه صيغةُ أمرٍ وفي الحقيقة هو أشدُّ تهديدًا وأبلغ

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٣٩١)، وتأويلات أهل السنة (٧/ ١٦٦).

(٢) البسيط (١٣/ ٦٠١)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٦٣)، والنكت والعيون (٣/ ٣٠٢).

زجرًا. ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾: أي: هيَّأنا لمن ظلم نفسَه فكفر نارًا، وهي الجحيم. ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: هو ما أحاط بالبناء من الستر والحائط ونحوِ ذلك، أَخبر أن للنار شبهًا بذلك يحيط بهم من كلِّ وجهٍ؛ أي: لا مخلص لهم منها ولا مخرج، ولا فُرجة يتفرَّجون بالنظر إلى ما وراءها. وقيل: هو حائط من نار. ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾: أي: من العطش ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هو كلُّ شيء أُذيب حتى ماع. وقيل: هو القيح والدمُ الأسود. ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾: أي: هذا المهلُ بئس الشرابُ. ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾: أي: ساءت النارُ مجتمَعًا للرُّفقة، لأن قرناءهم الشياطينُ والكفار الملاعين[١].

(٣٠-٣١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي: بالحقِّ الذي جاءهم من ربهم. ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾: أي: مَن أَحسنَ منهم وعمل الصالحات وقدم القربات. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: أي: إقامةٍ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾؛ أي: تحت قصورهم وأشجارهم وسُرُرهم، وقيل: بأمرهم. ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾: أي: في الجنان. ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾: جمع سوارٍ؛ يقال: سِوَار، ويجمع: أَسْوِرة، ويجمع الأسورة: الأساور، وهي حليةٌ تلبس في اليد. ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: السُّندس: ما رقَّ من الديباج، والإستبرق: ما غَلُظَ منه، ﴿مُتَّكِئِينَ﴾: نصبٌ على الحال ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في جنات عدن. ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: جمع أريكة، وهي السرير، ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾: أي: الجزاء

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٢٤٦)، والكشف والبيان (٦/ ١٦٧)، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٦/ ٩٨).

﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾؛ أي: وحسُنت الجنة مجتمَعًا للرفقاء(١).

(٣٢) - ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾: هذا تأكيدُ ما سبق من النهي عن تركِ الإقبال على ضعفاء المؤمنين، والتجاوُزِ عنهم إلى أقوياء المشركين، وتعليمٌ للناس صحبةَ أهل الخير والدِّين. ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾؛ أي: صِفْ يا محمد ﷺ شَبَهًا ﴿رَجُلَيْنِ﴾ ترجمةٌ عن قوله: ﴿مَثَلًا﴾، وكانا أخوين أحدهما مسلم والآخر كافر. ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾: وهو الكافر ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾؛ أي: بستانَين فيهما أعناب ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾؛ أي: كان يحيط بهما نخل. وهو من قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]؛ أي: محيطين به، والحِفَاف: جانب الشيء، وحفَّ به القوم؛ أي: صاروا في أَحْفِيَة جمع حِفَافٍ، ودل على فضل العِنب على الرُّطَب، حيث جعل النخل محيطةً بها، والمحاطُ به هو المقصود والأصل، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾: أي: بين الجنتين أرضًا مزروعة.

(٣٣) - ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾: أي: كلُّ واحدة منهما ﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾: أي: أعطت ثمرها، ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾: أي: لم تنقص من الأكُل شيئًا؛ أي: الثمر. ﴿وَفَجَّرْنَا﴾: أي: سيَّلنا ﴿خِلَالَهُمَا﴾: بينهما ﴿نَهَرًا﴾؛ أي: نهرًا كبيرًا.

(٣٤) - ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ قرئت "ثَمَرٌ" و"ثُمُرٌ" فمَن فتحهما: فهو الثمر المعروف الذي يكون على الشجر، ﴿وَكَانَ لَهُ﴾؛ أي: لهذا الكافر في جنته كلُّ ثَمَرٍ، وأما الضم: فقد قيل: هو جمعُ جمعٍ، يقال: ثمرةٌ وثمارٌ وثُمُرٌ، وهو كالحمار والحمُر، ثم يخفَّف ويثقَّل كما في الكتب، أي: كان له الذهب والفضة وكلُّ مالٍ، وكذا كان ابن

(١) جامع البيان (١٥/ ٢٥٥)، والنكت والعيون (٣/ ٣٠٥)، والبسيط (١٣/ ٦١٤).

عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يقرأ بالضم ويقول: هذا أنواع المال. ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾: أي: لأخيه المسلم ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾؛ أي: يراجعه الكلامَ، والحَورُ: الرجوع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۞ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٤ - ١٥]. ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: أي: أمنعُ أصحابًا، والنَّفَر: عشيرةُ الرجل وأصحابُه الذين يقومون بالذبِّ عنه، ويَنفِرون إلى عدوِّه الذي يقصده(١).

(٣٥) - ﴿وَدَخَلَ﴾: أي: هذا الكافر ﴿جَنَّتَهُ﴾؛ أي: بستانَه ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ استعان بِنعم اللَّه على الكفر به وجحودِ قدرته على البعث. ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾: أي: ما أحسبُ أن هذه الجنة تهلكُ قطُّ. وقيل: ﴿هَذِهِ﴾ إشارةٌ إلى الدنيا ﴿أَنْ تَبِيدَ﴾؛ أي: تفنَى هذه الدنيا ﴿أَبَدًا﴾.

(٣٦) - ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾: أي: ولا أحسب البعث وما تَذكُر من الحساب والثواب والعقاب مما يكون. ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾: ولئن كان الأمر كما تصف أنه كائن ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾؛ أي: منصَرَفًا، يعني: يعطيني اللَّه تعالى في الآخرة أفضلَ من هاتين الجنتين. قيل: ظنَّ أنه أُوتي الدنيا بمحلٍّ له عند اللَّه، فكذلك يؤتى في الآخرة كذلك.

(٣٧) - ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾؛ أي: أخوه المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾؛ أي: يجادلُه، ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾؛ أي: خلق آدم الذي هو أصلُك من تراب. ﴿ثُمَّ﴾ خلقك ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾: أبيك ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾؛ أي: جعلَك من النطفة

(١) جامع البيان (١٥/ ٢٥٩ - ٢٦٠)، ومعاني القرآن" للفراء (٢/ ١٧٣)، والنكت والعيون (٣/ ٣٨٧)، والبسيط" للواحدي (١٤/ ٣١١).

مع مهانتها وضعفها رجلًا سويًّا بنقله إياك من النطفة إلى العلَقة، ثم إلى المضغة، ثم إلى العظم، ثم كساك لحمًا، ونفخ فيك الروح، فاحتج المؤمن على الكافر بهذا، وأراد به أن ما أقرَّ به من قدرة اللَّه تعالى هو أعجبُ وأبدع مما أنكره من البعث والإعادة.

(٣٨) - ﴿لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ أي: الذي خلقني من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم سوَّاني رجلًا هو اللَّه ربي يصرِّفني كيف يشاء، إن شاء أغناني وإن شاء أفقرني. ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾: أي: لا أرى الفقرَ والغنى إلا منه، ولا أراه من نفسي ولا من غيري من خلقه.

(٣٩) - ﴿وَلَوْلَا﴾: أي: هلا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ إذ دخلت بستانك ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: وله إضمار في أوله وآخره، أما في آخره: ما شاء اللَّه كان، وأما في أوله: هذا ما شاء اللَّه؛ أي: حصل هذا بمشيئة اللَّه، و﴿مَا﴾ هاهنا بمعنى الذي. ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: أي: ما قدرتَ على تحصيله إلا بعون اللَّه. ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ أي: أعوانًا من الأولاد وغيرهم.

(٤٠) - ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾. يقول: إن كنتَ تراني الآن أقلَّ مالًا وولدًا وأنصارًا منك في الدنيا الفانية ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ في الآخرة الباقية، ويحتمِل: في الدنيا؛ أي: يعطيني كما أعطاك. ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾: أي: على جنتك ﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: عذابًا. ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أملسَ لا نبت عليها، والصعيد: وجه الأرض، والزَّلَق: الذي تَزِلُّ عليه القدم لملوسته، و(تُصبح) دليلٌ على أن الحسبان يأتي ليلًا، وهو كقوله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩ - ٢٠].

(٤١-٤٢) - ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾: أي: غائرًا في الأرض فتيبسَ ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾: أي: لا تقدر أن تطلبه فتردَّه إلى موضعه. ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾: تحقَّق ما ظنه الأخ المسلم، واجتيحت ثمار جنَّته ليلًا؛ أي: استؤصلت بآفة، وقيل: أُهلك ماله كلُّه: الجنانُ وغيرُ ذلك من أمواله. ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾: أي: إحداهما على الأخرى، يعني: الكافر. وقيل: يَصْفقُ كفيه ندمًا، ﴿عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾: أي: في الجنة. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: أي: ساقطةٌ على سقوفها، وذلك أنه يقع الحيطان أولًا قبل السقف، ثم يقع السقف على الحيطان، والخَواء: السقوط. ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾: أي: لمَّا رأى قدرة الله تعالى ندم على شركه، وقيل: معناه: ليتني رأيت هذه النعمَ من الله، وبقوَّته لا بقوتي[(١)].

(٤٣) - ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ﴾: أي: لهذا الكافر فرقةٌ يرجع إليهم ويلتجئُ بهم. ﴿يَنصُرُونَهُ﴾: أي: يمنعون عنه عذاب الله ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: من المخلوقين، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: غيرِ الله؛ أي: لا نصرة إلا منه. ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: أي: لم ينصره غيرُه، ولا انتصَر بنفسه، وقيل: لم يكن له ناصرٌ فينتصِرَ بنُصرته.

(٤٤) - ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾: بالكسر: السَّلطنة، وهي مصدرُ الوالي، وبالفتح: مصدرُ الوليِّ، ومعنى الفتح؛ أي: في مثلِ ذلك الوقت والمقام، فإن هنالك لهما جميعًا تكون الموالاةُ لله، يوالي أولياءه ويُعليهم على أعدائه، ومعنى الكسر: هنالك المُلك والسلطان والقهر والغلبة ونفاذ الأمر له وحده. ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: أي: في

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٨٩)، وجامع البيان(١٥/ ٢٥٩)، ومجاز القرآن (١/ ٤٠٥)، التيسير في التفسير (١٠/ ٨١).

الآخرة لمن آمَن به والتجأ إليه. ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾: أي: عاقبةً لمن رجاه وعَمِل لوجهه[١].

(٤٥) - ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يتَّصل بما تقدم من قصة المشركينَ المتكبرين على فقراء المؤمنين. ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ﴾؛ أي: وبيِّن لهم يا محمد ﷺ ﴿مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شَبهَ الحياة الدنيا التي يفتخرون بها ويترفَّعون بها على فقراء المؤمنين ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي: هي كمطرٍ أنزلناه من السحاب ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾؛ أي: سقَى المطرُ النبات فالتزَق به فربَا النباتُ واهتزَّ وحَسُنَ منظرُه، ثم انقطعت المادةُ من ذلك المطر عنه فيبس ثم تفتَّت. ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: أي: صار مهشومًا مكسورًا مفتتًا. ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾: تقلِّبه وتطيِّره وترميه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾: يُنشئه ويُنميه إذا شاء، ثم يفتِّته ويكسره إذا شاء، يعني: ما ينال الإنسانُ من هذه الدنيا من عزِّها وغَنائها زائلٌ عن قريبٍ؛ كهذا النباتِ الحسن الذي يَرُوق ثم يَفنى ويزول، فما ينبغي للعاقل أن يثق ويفتخرَ بها ويتكبَّر بنَيلها.

(٤٦) - ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: تَتزيَّن بها وتَتجمَّل مدةً قليلة، ثم تزول وتنقضي. ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: أي: أعمالُ الخير هي باقياتٌ لبقاء أجرها ونفعها، وصالحاتٌ لانتفاء الفساد عنها. ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾: أي: ثوابُها وما يؤمَّل بها خير من المال والبنين[٢].

---

(١) السبعة (١/ ٣٩٢)، والتيسير (١/ ١٤٣)، معاني القرآن للفراء (١/ ٤١٩)، وتفسير مقاتل (٢/ ٥٨٤) و(٣/ ٦٠٧)، وبحر العلوم (٢/ ٣٤٦)، والهداية (٦/ ٤٣٧٨).

(٢) الدر المنثور (٤/ ٤١٨)، والبسيط (١٤/ ٣٥)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٨٧).

(٤٧) - ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ ذكر القيامة وما فيها من الأهوال والأفزاع، ومجيءِ الناس يومئذ منفردينَ عن الأموال، مَجزيِّين على الأعمال، نهيًا لهم عن التكبُّر والترفُّع على الفقراء والضعفاء بالثروة وحُسن الأحوال، فقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ أي: واذكر لهم يا محمد يوم ننسفُ الجبال عن مواضعها ونسيِّرُها في الهواء، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرةً ليس عليها ما يسترُها من جبلٍ أو شجرٍ أو حجر. وقيل: أبرزنا ما في بطنها من الموتى. ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾: أي: جمعناهم بعد الموت للحساب. ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: أي: لم نَترك أحدًا من الأوَّلين والآخِرين لم نُحضره، وهو ماضٍ بمعنى المستقبل.

(٤٨) - ﴿وَعُرِضُوا﴾: أي: يُعرضون ﴿عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ قيل: صفًّا واحدًا. وقيل: صفوفًا، ويؤدي الواحد عن الجمع؛ كما قال: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]؛ أي: أطفالًا. وقيل: صفًّا بعد صفٍّ مستديرين كصفوف المصلِّين حول الكعبة. ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾: أي: يقال للمشركين المفتخرين بالأموال ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: في بطون أمهاتكم حفاةً عراةً بلا أموالٍ ولا أولادٍ ولا أعوانٍ. ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾: أي: ولقد جئتُمونا كما خلقناكم أولَ مرةٍ بعد تعزُّزكم بالأموال والأولاد، وتكبُّركم على الفقراء، فأين تلك الأموالُ والأولاد؟، دعوا هذا فقد كنتُم تقولون شرًّا من هذا: لا بعثَ ولا نشورَ ولا موعدَ، وهو ميقاتٌ يبعث فيه(١).

(٤٩) - ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: أي: ويوضع كتاب كلِّ إنسان في يده، وهو

(١) التيسير في التفسير (١٠/ ٩١).

واحد أريد به الجمع لأنه جنس. ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾: أي: المذنِبينَ، وقيل -هو قول السديِّ-: أي: المشركين ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾: أي: خائفين مما في الكتاب. ﴿وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا﴾: لمَّا رأوا أعمالهم محصاةً عليهم فيه، وعلموا أنهم مجازَون بها، نادَوا بالويل والثُّبور ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾ وهي لفظة تعجُّب. ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: أي: لا يتركُ فعلةً دقيقةً ولا فعلةً جليلةً إلا أثبتها بقَدْرها. ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾؛ أي: في الكتاب ذكرُه. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: أي: لا يعاقب بغيرِ ذنبٍ، ولا ينقص ثوابَ طاعةٍ

(٥٠) - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: أي: واذكر يا محمد ﷺ قصةَ آدم وإبليس إذ أمرناه بالسجود لآدم في جملةِ مَن أمرناهم بالسجود له من الملائكة، فسجدوا إلا إبليس فإنه فسق عن أمر اللّه تعالى؛ أي: خرج بتكبُّره ليعتبرَ هؤلاء المشركون بما أدَّاه إليه تكبُّره، ويعلموا أنهم يَفسُقون بتكبُّرهم أيضًا على فقراء المؤمنين. ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾: قيل: هم جنس من الملائكة سُمُّوا به لاجتنانهم عن أعين الناس، وهو كقوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨]؛ أي: الملائكةِ بقولهم: الملائكة بناتُ اللّه، وقيل: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾؛ أي: من خزَّان الجِنَان، وقيل: بل كان من الجن الذين في الدنيا، وهم المذكورون في قوله: ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ونحوها من الآيات. ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾: استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار، أي: أتتولَّون إبليس وأولاده بالطاعة لهم والاقتداء بهم؟. ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: أي: أعداءٌ، ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾: أي: بئس إبليسُ

وأولادُه الواضعونَ التولِّيَ غيرَ موضعه بدلًا عن اللَّه تعالى[(١)].

(٥١) - ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾: أي: ما أشهدتُ هؤلاء المشركين الذين يَنهون النبيَّ ﷺ عن مجالسةِ الفقراء والضعفاء، وقيل: ما أحضرتُ إبليسَ وذرِّيته، وقيل: ما أشهدتُ بعضَهم خلقَ بعضٍ فأستعينَ به وبرأيه، بل انفردتُ بخلقِ جميع ذلك بغيرِ مُعين، ﴿خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾؛ أي: لم أستعِنْ بهم في شيءٍ من خلقي ولا تدبيري، بل هم مخلوقون أنا خلقتُهم من ماءٍ مَهين، ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي: أعوانًا، من قولك: اعتضَدْتُ به؛ أي: استعنتُ به. وقيل: ﴿عَضُدًا﴾ بمعنى الأعضاد، أي: وما كنتُ لأتَّخذهم وهذه حالُهم عضدًا؛ لأنَّهم مضلُّون فلا أعتضِد بهم في ديني، فلا تلتفتْ يا محمد إلى قولهم: لو أسلمنا أسلم الناس بإسلامنا، فأنا مستغنٍ وأنت عنهم[(٢)].

(٥٢) - ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَايِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ أي: ﴿وَ﴾ اذكر لهم يا محمد أحوالَهم وأحوال آلهتهم ﴿يومَ﴾ القيامة إذ ﴿يَقُولُ﴾ اللَّه لهم: ﴿نَادُوا شُرَكَايِيَ﴾؛ أي: ادعو ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم شركائي وعبدتُموهم دوني؛ أي: ادعوهم لينفعوكم ولينصروكم ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾؛ أي: ففعلوا ذلك ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ إلى ما دعوهم إليه. ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾: أي: مَهلِكًا وقد وَبَق وُبوقًا - إذا هلك، وأوبَقه غيره: إذا أهلكه، وقيل: ﴿مَوْبِقًا﴾؛ أي: عداوةً يوم القيامة؛ أي: يتلاعنون ويتبرأ بعضهم من بعضٍ، وهو من الهلاك أيضًا.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٩٨) والهداية (٦/ ٤٤٠٠).

(٢) جامع البيان (١٥/ ٢٩٤)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٩٦).

(٥٣) - ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾: أي: علموا وأيقنوا أنهم داخلوها. وقيل: حين يُجاء بالنار لها تغيُّظٌ وزفيرٌ علموا أنها تأتيهم فتأخذهم. ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: أي: مَعدِلًا.

(٥٤) - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: أي: صرَّفنا القولَ في كلِّ نوع من الأمور، وأتينا فيها بضروب الأمثال، فضربنا مَثَل البعثِ بابتداء الخلق، وبإحياء الأرض بعد موتها، وضربنا مثَل الشرك بالشركاء المتشاكسِينَ ورجلًا سالمًا لرجل، وضربنا الأمثال للحق والباطل، والمثَلَ لمن اغتر بالدنيا وتعزَّز بزينتها من المال والولد. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: أي: والمشركون مع هذه الأمثال يُكثرون الجدال من غير علم.

(٥٥) - ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾: أي: وأن يستغفروا، والهدى: القرآن، والاستغفار: التوحيد. يقول: لم يمنع هؤلاء الكفارَ حين جاءهم الكتابُ الهادي إلى الرشد أنْ يؤمنوا به ويستغفروا لِمَا سلف من ذنوبهم ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: إلا التماسُهم أن ينزل عليهم من الآيات ما حُكم في مثلها أنهم إذا لم يؤمنوا بها أنزلت عليهم عذاب الاستئصال الذي هو سنَّتي في الأولين.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾: بضمِّ القاف والباء؛ جمع قَبيلٍ بمعنى: ضروب من العذاب، بكسر القاف وفتح الباء بمعنى: مقابَلةً ومعايَنةً(١).

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٢٩٧)، الدر المنثور (٥/ ٤٠٥)، السبعة (١/ ٣٩٣)، والتيسير (١/ ١٤٤).

(٥٦) - ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾: أي: بهذا نرسل المرسلين لا بما التمسوه من الآيات التي تَضطرُّ إلى الإيمان، فلا يكون لها ثوابٌ ولا يقع به تبشير. ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا﴾: أي: إنما يقترح الكفار الآياتِ تعنُّتًا ومجادَلة بالباطل، وقصدًا منهم أن يُبطلوا بجدالهم الحقَّ الذي أنزله اللّه تعالى. ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾؛ أي: ليُزيلوا به الحقَّ من موضعه، من قولهم: دَحَضتْ رجله؛ أي: زَلِقتْ وزلَّتْ، ومكان دَحْضٌ؛ أي: زَلِق. ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾: أي: إنذارَهم مما يُهزأ به.

(٥٧) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾: أي: ومَن أظلم لنفسه وعقله ممن وُعظ بالقرآن المعجز ولم يتَّعظ. ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: أي: عن التدبُّر فيها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: أي: بترك التدبُّر فيما قدَّم من سوء أعماله. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أي: أغطيةً مانعةً من ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾؛ أي: يفهموه، وهو الخذلان لَمَّا علم اللّه اختيار الضلال منهم. ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: أي: وجعلنا في آذانهم ثقلًا مانعًا أن يستمعوا الحقَّ ويعقلوه، خذلانًا لهم على سوء اختيارهم وشُؤم إصرارهم. ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾: أي: وإن اجتهدتَ في دعائهم إلى الإيمان. ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾: أي: فلن يَرْشُدوا أبدًا، وهذا في قوم بأعيانهم من المتمرِّدين المتعنِّتين الذين عَلِم اللّه تعالى منهم أنهم لا يؤمنون.

(٥٨) - ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾: أي: الساترُ لذنوب العباد، الرحيمُ بترك التعجيل في العقوبة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾: لو أراد أخذهم بما فعلوا من الذنوب ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾: الاستئصال في الدنيا. ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾: أي:

وقت للعذاب إذا جاء ذلك الوقت لم يتأخَّر عنهم. ﴿لَن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾: أي: من دون الله ملجأً يلجؤون إليه ويمتنِعون به إذا نزل بهم العذاب. وقيل: أي: من دون العذاب؛ أي: لن يجدوا شيئًا يلتجئون إليه سوى العذاب.

(٥٩) - ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾: أي: أولئك أهلُ البلاد أهلكناهم، وهي القرى التي عرَفوها من قرى قوم لوطٍ وشعيبٍ وعادٍ وثمودَ ونحوِها. ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾: بفتح اللام والميم، أي: لهلاكهم، وبضم الميم وفتح اللام؛ أي: لإهلاكهم. ﴿مَّوْعِدًا﴾؛ أي: أجلًا[(١)].

(٦٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ﴾: أي: واذكر يا محمدُ ﷺ لهؤلاء المشركين المتكبِّرين على فقراء المسلمين قصةَ موسى وتواضُعَه للَّذي ذهب إليه يتعلم منه، وفيه: تقريعُهم على تكبُّرهم ومدحٌ للمؤمنين على تواضعهم. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾: أي: موسى بنُ عمران، وهو قول أكثر الصحابة والتابعين وعامةِ المفسرين رضوان الله عليهم أجمعين. ﴿لِفَتَاهُ﴾ وهو يوشع بن نون، وعليه الأكثر، وهو ابنُ أخت موسى. وقيل: ﴿لِفَتَاهُ﴾؛ أي: لعبده. ﴿لَا أَبْرَحُ﴾؛ أي: لا أزال أسير. ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي: بحر الروم مما يلي المغربَ، وبحر فارسَ مما يلي المشرقَ. ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: دهرًا. وقيل: زمانًا[(٢)].

(٦١) - ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾: أي: انطلقا حتى بلغا مجمع البحرين.

---

(١) السبعة (١/ ٣٩٣)، والتيسير (١/ ١٤٤)، وتأويلات أهل السنة (٧/ ١٨٩)، والتيسير في التفسير (١٠/ ١٠٣).

(٢) جامع البيان (١٥/ ٣٠٨ - ٣٠٩)، والنكت والعيون (٣/ ٣٢٢).

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: أي: الحوتَ الذي كانا تَزَوَّدانه، وشاهَد ذلك يوشعُ، وكان موسى بحيث لم يَرَه، وارتحلا من ذلك الموضع ونسي يوشع أن يذكر ذلك لموسى.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾: أي: جَعل سبيله في البحر كالسرب؛ أي: النفقِ الذي يُدخل فيه فيُسلك منه إلى موضع. وقيل: ﴿سَرَبًا﴾؛ أي: مسلكًا ومذهبًا[١].

(٦٢) - ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: أي: تعدَّيا ذلك الموضعَ الذي سربه الحوت في الماء ﴿قَالَ لِفَتَاهُ﴾؛ أي: قال موسى لصاحبه يوشع: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾؛ أي: ائتنا بغدائنا. ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾: أي: تعبًا، والجوعُ يَقْوَى معه.

(٦٣) - ﴿قَالَ﴾: أي: يوشع: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ استفهام بمعنى التقرير، وظاهره: أعلمتَ؟، ومعناه: أعلم أنه كان كذا. ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾: أي: التجأنا إليها للاستراحة ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾؛ أي: نسيت أمر الحوت أن أذكره لك ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بإلقاء الخواطر في القلب. ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾: من كلام يوشع في الإخبار عن حال الحوت. ﴿عَجَبًا﴾ قيل: هو تمامُ كلام يوشع؛ أي: اتَّخذ سبيله في البحر اتخاذًا عجبًا، وهذا مما يُتعجَّب منه إذ صار كالطاق. وقيل: قوله: ﴿عَجَبًا﴾ قول موسى؛ أي: يا عجبًا من هذا، وقيل: عجبًا من نسيانك هذا الأمر العجيبَ أن تذكُرَه لي.

(٦٤) - ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: أي: قال موسى ليوشع: هو الذي كنا نطلبُه؛ لأن ذهاب الحوت كان جُعل علمًا له على وجود الخضر، و﴿ذَلِكَ﴾ يصلح

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٤)، ومجاز القرآن (١/ ٤٠٩)، والتيسير في التفسير (١٠/ ١٠٧).

إشارةً إلى انسراب الحوت فإنه جُعل عَلَمًا، ويصلح إشارة إلى المكان فإن وجود الخضر كان فيه. ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾: أي: فرجع موسى ويوشع ﴿عَلَى آثَارِهِمَا﴾؛ أي: على طريقهما الذي جاءا منه، وقوله: ﴿قَصَصًا﴾؛ أي: اتِّباعًا لذلك الأثر لا يزولان عنه.

(٦٥) - ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾: أي: وجَدا هنالك ذلك المطلوب. ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾: قيل: أي: نبوَّةً، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾؛ أي: عِلمًا من عِلْمنا لم نعلِّمه غيرَه، وهو دليل على نبوته، وكذلك قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾. وقيل: العلم اللدُنيُّ: ما حصل للعبد من طريق الإلهام.

(٦٦) - ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾: وفيه تعليمُ التواضع لمن طلب العلم من غيره، فإنه غايةُ التواضع من موسى، فإنه بدأ بالاستفهام والاستئذان، ووصف نفسه بالاتِّباع، ومدَحه بالعلم، وأظهر الرغبة فيما عنده من العلم.

(٦٧-٦٨) - ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: أي: يَثقل عليك الصبرُ على ما تَرى مني؛ لأنك تنظر إلى ظاهر ذلك الأمرِ، وربما يكون فيه سرٌّ لا يكون لك عليه اطِّلاع، وذلك قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ أي: على ما لم تعلم وجهَه؛ لاتِّصال ما أفعلُه بمعرفة العواقب التي لا يحيط بها علمًا إلا مَن علَّمه اللَّه إياها(١).

---

(١) بحر العلوم (٢/ ٣٥٣). الكشف والبيان (٦/ ١٨٢ - ١٨٣)، والكشف والبيان(٦/ ١٨٤)، والنكت والعيون (٣/ ٣٣٣).

(٦٩-٧٠) - ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾: وهذا تواضعٌ آخرُ بعد تمنُّعٍ كان من الخضر. ثم تحكَّم عليه من وجهٍ آخرَ ثانيًا، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: عن شيء تراه وتُنكره لظاهره، فلا تُراجِعْني فيه ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾؛ أي: بيانًا لوجهه.

(٧١) - ﴿فَانْطَلَقَا﴾: أي: فسارا، قال وهبٌ: فمشيَا على ساحل البحر. ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾: مرت بهما سفينةٌ وثيقةٌ جديدةٌ، فسألا أهلها أن يحملوهما ففعلوا، فلما اطمأنَّا في السفينة ولجَّجت بأهلها ﴿خَرَقَهَا﴾؛ أي: الخضرُ. وكانت لمساكين، وكانوا عشرةَ إخوةٍ زَمْنَى لم يكن لهم معيشةٌ غيرها، ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾: أي: منكرًا. وقيل: أي: داهية عظيمة.

(٧٢-٧٣) - ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: أي: تحقَّقَ ما قلتُ لك. ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾: أي: بما تركتُ من شرطِكَ. ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: أي: لا تُعسِّر عليَّ، وقد رَهِقه الشيء؛ أي: غشيَه وأدركه، وأَرهقه غيره.

(٧٤) - ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾: قيل: لما انتهيا إلى الملك الذي كان يأخذ كلَّ سفينة صحيحة غصبًا، فنظر إلى سفينتهم مخروقةً قد عابوها فخَلَّى عنها، فلما جاوزهم سدَّ الخضر السفينةَ وسلَّمها إليهم، وخرجا من السفينة يمشيان، فانطلقا على وجوههما حتى أتيا أيلةَ، وهي قرية من قرى الروم، فإذا هما

بغلمان عشرةٍ يلعبون وفيهم غلامٌ هو أصغرهم، وليس فيهم أظرفُ ولا أضوأُ منه، فأخذ الخضر بيد الغلام وأخذ حجرًا فرضخ به رأسه وقتله. ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾: أي: طاهرةً بريئةً من الذنوب. ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ أي: من غيرِ أن قتلتْ نفسًا. ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾؛ أي: منكرًا، والنكر أشد من الإمر، والأول كان فيه وهمُ الهلاك وفي هذا حقيقةُ الإهلاك. وقيل: بل الإمر أشدُّ؛ لأنَّه الأمر العظيم، وكان ذلك إتلافَ نفوس كثيرة غالبًا، وهذا إتلاف نفسٍ واحدة.

(٧٥ - ٧٧) - ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: أَذكَرَه ما كان ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾؛ أي: بعد هذه المرة، أو هذه المسألة ونحوها. وقيل: أي: بعد النَّفْس التي قتلتَها. ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾: أي: صرتَ معذورًا بمفارقتي[١]. ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾: قال وهب: كانت قريةً من قرى الروم حين غربت الشمس، وكانت ليلةً شاتيَةً شديدةَ البرد، فانطلقا فطلبا إلى أهل القرية أن يضيِّفوهما والقرية قيل: هي: أرمينية، وقيل: أنطاكية ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾؛ أي: امتنعوا أن يُنزلوهما ضيفين ويطعموهما. ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾: أي: فوجدا فيها حائطًا على ظهر الطريق مائلًا يمرُّ تحته أهل تلك القرية وغيرُهم لا طريق لهم غيرُه، وكان بناه رجل صالح، فلم يزل يرثُ ذلك الحائط قرنٌ بعد قرنٍ حتى ورثه أبو الصغيرين، فمال الحائط من أسفله حتى كاد يسقطُ، وذلك قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ١٨٤)، والنكت والعيون (٣/ ٣٣٣)، وغرائب التفسير (١/ ٦٧١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣٣٠).

﴿أَنْ يَنقَضَّ﴾؛ أي: يقارِبُ أن ينكسر ويسقطَ، والانقضاض: السقوط، وقوله: ﴿فَأَقَامَهُ﴾؛ أي: قوَّمه. ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ فلما رأى الخضر الجدار رفعه بيديه حتى أقامه، فقال له موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: استطعمناهم فأبوا أن يطعمونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ في عمله حتى يكون قُوتًا على سفرنا هذا، وتتصدَّق ببعضه (١).

(٧٨-٧٩) - ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾: ثم قال الخضر لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أمَا إذا لم تستطع أن تصبرَ فسأخبرُك ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾؛ أي: سببُ فراقِ وَصْلي ووَصْلِك. ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾: وفي رواية: أخذ موسى بطرف ثوبه فقال: حدثني، فقال: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: أي: أجعلَها ذاتَ عيبٍ لئلا يأخذَها الملك الغاصب، وهو قوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ أي: أمامهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]، وقال: ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠]، والملك قيل: كان ملكَ عمان، وقيل: الجلندى بن المستكبر بن الأرقم بن الأزد. وقيل: هدد بن برد. ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ وفي قراءة أبيِّ بن كعب وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهو مرويٌّ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يأخذ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ غصبًا) وهو محمولٌ على التفسير دون التنزيل. ورُوي أن الملك مر بها فرآها مَعيبةً فتركها ومرَّ، فقال الخضر لموسى: كيف رأيتَ عاقبةَ صنعِ الله بها؟ أخبرني عن خرق

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٤١٠) وتأويل مشكل القرآن (١/ ٨٦)، والجامع لاحكام القرآن (١٥/ ٣٤٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٠٦).

السفينة أحسنتُ أم أسأتُ، فقال: بل أحسنتَ وأَصبتَ وأُجرتَ[١].

(٨٠) - ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أي: فخشينا أن يحملها حبُّه على أن يدخُلا معه في دِينه، وقيل: كان يحتمل أن يكون يُدخل عليهما شبهةً في دينهما، ويزيِّنَ الكفر والطغيان إليهما[٢].

(٨١) - ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾: أي: يعطيَهما ولدًا آخر بدلًا عنه. ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ دينًا وصلاحًا وطهارة، ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: أبرَّ بوالديه والرُّحم مصدرٌ كالرحمة والمَرحمة، وقيل: أي: أقرب إلى أن يُرحما به؛ أي: يطيع ولا يعصي ولا يحمل أبويه على الكفر والطغيان.

(٨٢) - ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾: وهي القرية المذكورة قبلها، ودل أنه كانت كبيرة ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ﴾؛ أي: تحت الجدار ﴿كَنْزٌ لَهُمَا﴾ قال: صحفٌ فيها علمٌ، وقيل: ذهب وفضة، وقال الخضر: ولو وقع الجدار لظهر الكنز، ولو ظهر الكنز لأخذه الناس دونهما. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾. قيل: اسم الغلامين أصرم وصريم، واسم أبيهما كاشح، وكان صالحًا تقيًّا، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الرجل الصالح يُحفظ في ولده وولدِ ولده، والدوائرُ تدور حولهم وحولَ دارهم ولا يضرُّهم شيئًا[٣]. ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾: اسطاعَ لغةٌ في

---

(١) التيسير في التفسير (١٠/ ١٢٤)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٧). وجامع البيان (١٥/ ٣٥٤).

(٢) الكشف والبيان (٦/ ١٨٤)، والبسيط (١٤/ ١٢٠)، وتفسير مقاتل (٢/ ٥٩٨).

(٣) الدر المنثور (٥/ ٤٢٢).

استطاع، وهو تخفيفٌ بحذف التاء، ثم ذَكر في الأول ﴿فَأَرَدْتُ﴾ لأنه ذكر بعده: ﴿أَنْ أَعِيبَهَا﴾ فأضاف ذلك إلى نفسه، ثم قال في الثاني: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا﴾ جمعًا؛ لأنَّه تنبَّه على أن في إضافة الفعل إلى نفسه على الانفراد رؤيةَ نفسه، فذكر الجمع إدخالًا لنفسه في الجملة، ثم تنبَّه على أن الأشياء كلَّها بإرادة اللَّه تعالى فقال في الثالث: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، ولأنه ذكر الفضل والرحمة فأضافه إلى اللَّه تعالى دون غيره.

(٨٣) - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ﴾: ذكر أن المشركين سألوا رسول اللَّه ﷺ بتلقين أهل الكتاب - عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فأنزل اللَّه جلَّ ذكرُه وجلالُه جوابَ ذلك كلِّه، واختُلف في معنى تسميته بذي القرنين، وفي أنه نبيٌّ أو غيرُ نبيٍّ، وفي نسبه. كان عبدًا أحبَّ اللَّه تعالى فأحبَّه اللَّه، وناصَحَ اللَّه تعالى فناصَحَه اللَّه، وقال ابن عباس وعبد اللَّه بن عمر وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: كان نبيًّا، وسمي ذا القرنين لأنه قَرَن ما بين مطلع الشمس ومغرِبها، وقيل: رأى رؤيا أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقَرْنيها شرقِها وغربِها، فقصَّ رؤياه على قومه فسمي بذي القرنين، وقيل: اسمه إسكندروس، وقيل: إسكندر بن فيلاسون بن يونان، وقيل: اسمه ميرزبانبن مردبة اليوناني، من ولد يونان بن يافث بن نوح، وأنه روميٌّ من ولد العِيص بن إسحاق. ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِنْهُ ذِكْرًا﴾؛ أي: سأقرأ عليكم منه خبرًا فيه ذكرُ قصته وحاله[1].

(٨٤ - ٨٥) - ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ﴾: أي: ملَّكناه الدنيا وأعطيناه إمكان

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٣٧١)، ووزاد المسير (٥/ ١٨٤)، والدر المنثور (٥/ ٤٣٨)، والتيسير في التفسير (١٠، ١٣١).

ضبطها. ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: أي: من كلِّ شيء يحتاج إليه في سياستها ما به يَتوصل إلى المراد، وأصل السبب هو الحبل يُتوصَّل به إلى الماء وغيره. وقيل: ﴿سَبَبًا﴾: علمًا، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: قرئت بالتشديد، ومعناه: اقتفى، وبالتخفيف، ومعناه: لَحِق، وقيل: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ علمًا ﴿فَأَتْبَعَ﴾ طريقًا(١).

(٨٦) - ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾: أي: انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب. ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: أي: رآها في مرأى العين تغيبُ في عين حمئة. أي: ذاتِ حَمْأةٍ، والحمأة: الطين الأسود، و﴿حامِيةٍ﴾؛ أي: حارَّة، ومعناه: أنه انتهى إلى عمارةٍ كان إذا نظر رأى بعينه عينًا حَمِئةً حاميةً، وكانت الشمس تغيب من تلك الحمئة؛ كالواحد منا إذا كان على شطِّ البحر وغربت الشمس رآها تغرب في البحر. ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ يجوز: عند الشمس؛ أي: بقرب رؤية غروب الشمس، ويجوز: عند العين الحمئة؛ أي: بقُربها. ﴿قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾؛ أي: بالقتل ﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾؛ أي: بالمنِّ، وقيل: بالأسر والاسترقاق، وكانوا كفارًا فخيَّره فيهم بين الأمرين ليجتهد فيختارَ الأصلح في الدين.

(٨٧) - ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾: إذا أصرَّ على الكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾؛ أي: بالقتل في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾؛ أي: فظيعًا في الآخرة.

(٨٨) - ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾: أي: فله الحسنى جزاءً، والحسنى: الجنة، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ [يونس: ٢٦]،

---

(١) تأويلات أهل السنة (٧/ ٢٠٦)، والكشف والبيان (٦/ ١٩٠)، ومعالم التنزيل (٥/ والسبعة(١/ ٣٩٧ - ٣٩٨)، والتيسير (١/ ١٤٥).

و﴿جَزَاءً﴾ نصبٌ على المصدر، وتقديره: يجزى به جزاءً. ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾: أي: سنأمرُه بما هو يسرٌ.

(٨٩ - ٩٠) - ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: أي: طريقًا آخر وهو إلى المشرق ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾: كانت أرضهم أرضًا لا تحتمِل البناء، فكانت الشمس إذا طلعت عليهم تهوَّروا في البحار، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فتراعَوا كما تراعَى البهائم، وقيل: لم يُبن فيها بناءٌ قط، فإذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابًا لهم حتى تزول، وقيل: لا جبلَ بها ولا شجرَ ولا مأوى، ولا ثوبَ ليَستُرهم(١).

(٩١ - ٩٢) - ﴿كَذَلِكَ﴾: قيل: كذلك فعل ذو القرنين أَتبع الأسباب ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾؛ أي: وقد علمنا بما لديه من الصلاح كذلك، وقيل: علمنا كلَّ ما فعل من جميع الجيوش والآلات والسياسات كذلك كانت حاله مع أهل المشرق كما كان مع أهل المغرب. ﴿لَدَيْهِ﴾ كنايةٌ عن ذي القرنين. ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: أي: طريقًا آخر.

(٩٣) - ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ جبلان بين أرمينية وأذربيجان. ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾: أي: من ورائهما مجاوِزًا عنهما ﴿قَوْمًا﴾؛ أي: أمةً من الناس ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾؛ أي: لا يعرفون الكلام إلا بلسانهم دون لسان ذي القرنين، وقرئت ﴿يُفْقِهون﴾ بضم الياء وكسر القاف، ومعناه: لا يَفقه إنسان كلامَهم(٢).

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ١٩٢)، وجامع البيان (١٥/ ٣٨٢)، والدر المنثور (٥/ ٤٥٤).

(٢) السبعة (١/ ٣٩٩)، والتيسير (١/ ١٤٥)، ومجاز القرآن (١/ ٤١٤)، إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٠٦).

(٩٤) - ﴿قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: فهَّم ذا القرنين وفهَّمَهم قولَه بعد وَصْفهم بأنهم لا يَفْقَهون ولا يُفْقِهون، وهو من الأسباب التي آتاه اللَّه تعالى كما علَّم سليمانَ مَنطِقَ الطير، أو تَرْجَم عنه آخَرُ. ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي: أجرًا، أو جُعْلًا، وقيل: مالًا. وقال أهل اللغة: الخَرْج: ما يُخرَج من المال، والخَراج: ما يُخرَج من الأرض. ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: فسألوه أن يجعل بينهم حاجزًا على أن يُعِينوه بمالهم دفعًا لفسادهم في الأرض؛ لأنهم كانوا يَخرجون فيأخذون ويَقتلون ثم يَرجعون، وقيل: كانو ا يُفسدون معايشهم وأموالهم وأزواجَهم.

(٩٥-٩٦) - ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: ما أعطاني ربي من الدنيا خيرٌ مما تَعرضون عليَّ من المال، وقيل: أي: العلمُ الذي أعطاني ربِّي بالأسباب التي يقع بها التمكينُ خيرٌ من جُعلكم. ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: أي: برجالٍ وآلةٍ، ولا حاجة بي إلى المال. وقيل: أي: أعينوني بمالٍ أَصْرفه في الآلة، لا جُعلًا لي وأجرًا. ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: أي: سدًّا. ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾؛ أي: ائتوني بزُبَرِ الحديد، يعني: قطعَه. ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: وهاهنا مضمرٌ تقديره: فأَتَوه بها فساوى بين الصدفين؛ أي: الجبلين، يعني: وضعها بينهما حتى صارت مساويةً لهما كالحشو فيما بينهما[1]. ﴿قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾: أي: وضع المنافخ وأوقد النار في الحديد، ثم أمر بالنفخ فيها. ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾: أي: نفَخوا حتى ذاب الحديد كلُّه وصار كالنار في منظرها. ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي: آتوني بقِطرٍ

(١) جامع البيان (١٥/ ٤٠٥ - ٤٠٦)، والعين (٧/ ٣٦٢)، والتيسير في التفسير (١٠/ ١٤٦).

أفرغْ عليه، والقِطر: النحاس. وقيل: هو المذاب الذي يَقطُر.

(٩٧) - ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: أي: يَعلُوه من فوقه لعلوِّه ومَلاسَته ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ من أسفله فيَخرجوا منه لكثافته وصلابته.

(٩٨) - ﴿قَالَ هَذَا﴾: أي: ما قوَّاني اللَّه تعالى عليه من هذا الرَّدم ﴿رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ على خلقه، وهو يبقى إلى الميقات. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾: وهو الوقت الذي وقَّته لخروجهم في آخر الزمان. ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾: أي: مستويًا على الأرض، وقيل: جعله أرضًا دكَّاء. ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾: أي: صدقًا.

(٩٩) - ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يعني: يأجوج ومأجوج يوم خروجهم من السدِّ يموج بعضهم في بعضٍ يزدحمون ويتبادرون. وقيل: يختلطُ بعضُهم ببعضٍ مقبِلين مُدْبرين حيارَى. وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: هم الجن والإنس يموجون عند خروج يأجوج ومأجوج؛ إذ هو عَلَمٌ للساعة، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦] إلى قوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧]. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾؛ أي: ينفخ إسرافيل فيه. ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾: للعرض والحساب والجزاء؛ كما قال: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

(١٠٠-١٠١) - ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾: أي: أبرزنا جهنم لهم يرونها قبل أن يدخلوها بما فيها. ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾: صفةٌ لقوله: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾، مجازٌ عن احتجابهم عن النظر في العواقب والتفكُّر فيما ذكَّرهم اللَّه تعالى به. وقيل: ﴿فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾؛ أي: في غفلةٍ،

﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: أي: يَستثقلون سماع ذكر الله تعالى.

(١٠٢) - ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: أي: أفظنَّ هؤلاء الذين كفروا وأشركوا واتَّخذوا الأنبياء والملائكة آلهةً أنهم إنْ تولَّوهم يصيروا لهم بذلك أولياءَ ينصرونهم ويشفعون لهم ويقرِّبونهم إلى الله زُلفى. وهذا استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار؛ أي: ليس كذلك، و﴿عِبَادِي﴾ إضافة التخصيص، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: هم عيسى والملائكة. وقيل ﴿عِبَادِي﴾؛ أي: الشياطين والجن، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾: للمعاندين والشياطين جميعًا. ﴿نُزُلًا﴾؛ أي: جعلناها مقرًّا لهم لينزلوها. وقيل: ﴿نُزُلًا﴾؛ أي: منزلًا(١).

(١٠٣-١٠٤) - ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: هم الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا. ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: أي: تلاشَى عند الله ثوابُ ما عملوا في الدنيا، وهم مع هذا يظنون أن ما يصنعونه من موالاةِ الكفار وتعنُّتهم النبيِّ ﷺ بهذه السؤالات صنعٌ حسنٌ.

(١٠٥-١٠٧) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: أي: أولئك كفروا بالتوراة بجَحْد ما فيها ﴿وَلِقَائِهِ﴾؛ أي: البعثِ بعد الموت ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾؛ أي: بطَلَت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾؛ أي: لا نجعل لها قَدْرًا. ﴿ذَلِكَ

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ٢٠٠)، وروح المعاني (١٥/ ٥٨٥)، وتفسير مقاتل" (٢/ ٦٠٤)، ومعاني القرآن" للزجاج (٣/ ٣١٤)، والتيسير في التفسير (١٠/ ١٥٤).

﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾: يهْزؤون بذلك. ثم بعد ذكرِ جزاء الكافرين ذَكَر جزاء المؤمنين، وهو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾: أي: بساتينُ الأعناب وكلُّ شيء من الثمار والأزهار وسائرِ ما يُلِذُّ ويُمتِع، ﴿نُزُلًا﴾؛ أي: ثوابًا معدًّا للنازلين بها، والفردوس سُرَّة الجنة وأفضلُها.

(١٠٨) - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾: لا يطلبون عنها تحويلًا، ومعناه: لا يتمنَّون التحوُّل عنها؛ لأنَّه يكون لكراهته، أو لوجود أفضلَ منه، وليس كذلك، ولأن الإنسان إنما يطلب التحوُّل إذا حُوِّل، وهم لا يحوَّلون[(١)].

(١٠٩) - ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾: فكُتب به ما وَصف اللّه تعالى في الجنة للمؤمنين مما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطَر على قلبِ بشر، وما في النار للكافرين، وقد سبق ذكرهما في هذه الآيات، لنَفِدَ البحر قبل أن يَنْفَدَ ذلك، ولو جيء ببحرٍ آخرَ مثلِه لنَفِدَ أيضًا؛ أي: فَنِيَ.

(١١٠) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾: أي: مِثْلُكم في البشرية، وأُفارقكم في أن يُوحى إليَّ، فلا أعلم إلا ما علَّمني ربي، وقد أَوحَى إليَّ أنْ أبلِّغكم. ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ فلا تتخذوا من دونه أولياء. ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: أي: يأمل ثواب الطاعة، وقيل: يخاف عقاب المعصية، والرجاء اسم لهما عند لقاء ربه؛ أي: يوم القيامة. ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾: خالصًا عن الشرك والرياء

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٤٣١)، معاني القرآن" للزجاج (٣/ ٣١٥)، والتيسير في التفسير (١٠/ ١٥٦).

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ قيل: ولا يراءِ بعمله لله أحدًا مِن خلقه، وقيل: لا يشركْ بالله في العبادة شيئًا من الأصنام وغيرها[١].

(انتهى تفسير سورة الكهف).

---

(١) بحر العلوم (٢/ ٣٦٥)، والكشف والبيان (٤/ ١٦٢)، والبسيط" (١٤/ ١٧٢)، ومعالم التنزيل (٥/ ٢١٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٤٦)، والكشاف (٢/ ٧٥٠).

(١٩) سورة مريم عليها السلام مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورةُ مكيةٌ، وسميت في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة سورة مريم، ووجه التسمية أنها بسطت فيها قصة مريم وابنها وأهلها قبل أن تفصل في غيرها، نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه، وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول، وهي تسعٌ وتسعون آيةً، وقيل: ثمان وتسعون آية، وقيل: سبع وتسعون آية، والاختلافُ في ثلاث آيات: ﴿كهيعص﴾﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾، وكلماتُها تسعُ مئةِ كلمة وستون، وحروفُها ثلاثة آلا ف وثماني مئةٍ وواحد وستُّون، أغراض السورة: ويظهر أن هذه السورة نزلت للرد على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران وقداستهم في الخير، ثم التنويه بجمع من الأنبياء والمرسلين من أسلاف هؤلاء وقرابتهم. والإنحاء على بعض خلفهم من ذرياتهم الذين لم يكونوا على سننهم في الخير من أهل الكتاب والمشركين وأتوا بفاحش من القول إذ نسبوا لله ولدا، وأنكر المشركون منهم البعث وأثبت النصارى ولدًا لله تعالى، والتنويه بشأن القرآن في تبشيره ونذارته، وأن الله يسره بكونه عربيا ليسر تلك اللغة. والإنذار مما حل بالمكذبين من الأمم من الاستيصال، واشتملت على كرامة زكريا إذ أجاب الله دعاءه فرزقه ولدًا على الكبر وعقر امرأته، وكرامة مريم بخارق العادة في حملها وقداسة ولدها، وهو إرهاص لنبوءة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ومثله كلامه في المهد.

والتنزيه بإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وإسماعيل، وإدريس عليهم السلام، ووصف الجنة وأهلها.

وحكاية إنكار المشركين البعث، وإنذار المشركين أن أصنامهم التي اعتزوا بها سيندمون على اتخاذها، ووعد الرسول النصر على أعدائه، وذكر ضرب من كفرهم بنسبة الولد لله تعالى، والتنويه بالقرآن ولملته العربية، وأنه بشير لأوليائه ونذير بهلاك معانديه كما هلكت قرون قبلهم، وقد تكرر في هذه السورة صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن(١)، وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه ختم تلك السورةَ بقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ثم بيَّن في أول هذه السورة أنه الكافي على الكمال فلا معنى للإشراك في عبادته وقصدِ غيره لمعونته أو كرامته، وانتظامُ السورتين في المعنى: أن تلك السورة في ذمِّ المشركين ووعد المؤمنين وإلزامِ الحجة عليهم بقصص الأولين، وختم تلك السورة بوعيد المشركين ووعد المؤمنين، وهذه السورة كذلك(٢).

(١-٢) - ﴿كهيعص﴾: قيل: هي اسم للقرآن، وقيل: هي اسمٌ لهذه السورة، وقيل: هي من الغيب الذي استأثر الله به فهو أعلم بمراده. ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾: قيل: ﴿كهيعص﴾ مبتدأ، وهذا خبره. وقيل: ﴿كهيعص﴾ كلام

---

(١) التحرير والتنوير (١٦/ ٦٠).

(٢) الكشف والبيان (٦/ ٢٠٥)، والبيان في عد آي القرآن" للداني (ص: ١٨١)، والتيسير في التفسير (١٠/ ١٦٢).

تامٌّ، ثم معناه: هذا ذكر رحمة ربك، كقولك: هذا ذكر سرِّ فلان بن فلان، وهذا بيان ذكر رحمة اللَّه زكريا، وهو نبي اللَّه زكريا بن ماثان،

(٣) - ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾. ثم بيَّن ذلك بقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾: أي: دعا وناجى، وكان ذلك في الصلاة كما قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩] وهو أبلغُ في التضرع. ﴿نِدَاءً خَفِيًّا﴾ عن الخلق، وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء[(١)].

(٤) - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾: أي: ضعُف، وهو نهاية الضعف فإن العظم أشدُّ ما في البدن، وإذا انتهى الضعفُ إليه فهو غاية الضعف. ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾: أي: الْتَهبَ، يعني: عمَّ الشيبُ رأسي كالنار تشتعلُ في الحطب فتنتشر فيه، وهو مجاز. ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾: أي: قد عوَّدْتَني الإجابة أبدًا، فلم تكن تُشقيني قط بالردِّ إذا دعوتُك.

(٥) - ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾: المولى: ابن العم والعصَبة، وجمعه: الموالي، و﴿مِنْ وَرَائِي﴾ أي: من جهة الموت الذي هو قدَّامي؛ أي: خِفْتُ عصَبتي الذين هم موجودون الآن ألَّا يقوموا مقامي في الدِّين بعد موتي، كأنه لم ير فيهم من الخِلال ما يَصلحون لذلك، فسأل من اللَّه تعالى ولدًا صالحًا لذلك. ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾؛ أي: عقيمًا لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ أي: ولدًا هو وليٌّ من أوليائك.

(٦) - ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ أي: يرث المال، وقيل: يرث النبوةَ،

---

(١) بحر العلوم (٢/ ٣٦٧).

وقيل: يرثُني المال ويرثُ من آل يعقوب النبوة. ﴿مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قيل: هو والد يوسف عليهما السلام، لأن زكريا كان تزوج أخت مريم بنت عمران، وهي ترجع بنسبها إلى يعقوب، لأنها من ولد سليمان بن داود، وداود من ولد يهوذا بن يعقوب، ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: راضيًا عنك وراضيًا بتقديرك. وقيل: أي: مرضيًّا عندك[(١)].

(٧) - ﴿يَازَكَرِيَّا﴾: فيه إضمار: فقلنا: يا زكريا. ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾: وكانت البشارة على لسان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في سورة آل عمران: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [آل عمران: ٣٩]. ﴿بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾: أي: قد سميناه يحيى. ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾: أي: لم يسمَّ أحد قبله يحيى، وقيل: أي: سميناه يحيى قبل أن نخلقه، وسائر الأنبياء إنما سماهم آباؤهم وأمهاتهم بعد ولادتهم، فخصَصْناه بتسميته إياه وبتسميته قبل خلقه. وقيل: سمي يحيى لأنه به حَيِي به عُقرُ أمه.

(٨) - ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾: أي: كيف؟ وقيل: أي: من أين؟ فليس هذا باستعظامٍ ولا تعجيزٍ، بل هو استكشافٌ أنه بأيِّ طريق؟ ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾: والعُتِيُّ: هو بلوغ نهاية الكبر، وقيل: أراد به بلوغَ العمر الطويل، يقال: ليلٌ عاتٍ؛ أي: طويلٌ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٦٢٣)، الكشف والبيان (٦/ ٢٠٦)، والنكت والعيون" (٣/ ٣٥٦)، والتفسير الكبير (٢١/ ٥١١)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢)، وجامع البيان (١٥/ ٤٥٨)، والدر المنثور (٥/ ٤٤٨٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣١١).

(٩) - ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾: أي: أنت وامرأتُك كما قلتَ. ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: خلقُ هذا الولد عليَّ سهل ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: أبدعتُك من قبلِ إخباري إياك عن خَلْق يحيى. ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾: أي: بشرًا كما أنت الآن.

(١٠) - ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾: أي: علامةً أعلم بها أنه عَلِق؛ لأزيدَ في الشكر ودعاءِ السلامة. ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾: أي: لا تطيقَ أن تكلِّمَ الناس ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾؛ أي: بأيامها ﴿سَوِيًّا﴾؛ أي: حال كونك سويَّ الأعضاء واللسان لا خرس به ولا آفةَ ولا ضعفَ ولا سُقم.

(١١) - ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾: أي: من موضع صلاته. وقيل: كانت له غرفةٌ يصعد إليها بسلَّم. وقيل: كان موضعًا لا يدخلونه إلا بإذنٍ، فاجتمعوا ينظرونه، فخرج إليهم وهو لا يتكلم. ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾: أي: أشار ﴿أَنْ سَبِّحُوا﴾؛ أي: صلُّوا ﴿بُكْرَةً﴾؛ أي: صلاة الفجر ﴿وَعَشِيًّا﴾؛ أي: صلاة العصر[(١)].

(١٢) - ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾: وأضمَر هاهنا: فوهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته في حال طفوليَّته: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ قيل: أي: التوراة. وقيل: آتاه كتابًا خصَّه به. ﴿بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بجدٍّ ومُواظَبة، وأخذُه: قبولُه والعمل به. ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾: أي: أعطيناه الذكاء وشدةَ الفهم حال صباه. وقيل: ﴿الْحُكْمَ﴾: النبوة.

(١٣ - ١٤) - ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾: أي: رحمة وشفقة. ﴿وَزَكَاةً﴾: أي:

---

(١) الدر المنثور (٥/ ٤٨١)، والنكت والعيون (١/ ٣٩١).

طهارةً، وقيل: وتزكية، فإنه من زكاة الزرع وهو نماؤه. ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: أي: يحيى ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ وهو أحد وجوه التقوى. ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾: أي: متكبِّرًا متعظِّمًا على عباد الله.

(١٥) - ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾: هي كلمة مدح وثناء، وهو إخبارٌ بطِيب مولد يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ وحُسن خاتمته وفوزه يومَ القيامة، ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾؛ أي: أمانٌ له من الله يومَ ولد من أن ينالَه الشيطان ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾؛ أي: وأمانٌ له من فتَّاني القبر ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾؛ أي: وأمان له من العذاب يوم القيامة(١).

(١٦) - ﴿وَاذْكُرْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿فِي الْكِتَابِ﴾؛ أي: في القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾؛ أي: اقرأ عليهم في القرآن قصةَ مريم؛ ليقفوا عليها، ويعلموا ما جرى عليها من ولادة عيسى، فيَعتقدوا ذلك فيَسلموا من شرك النصارى، ويعرفوا قَدْرَ الصلاح والتقوى عند الله ممن كان ذكرًا أو أنثى. ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ﴾: أي: تباعدت. وقيل: أي: انفردتْ. ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾: أي: قومها الذين هي فيهم ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾: موضعًا يلي مشرق الشمس.

(١٧) - ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾: أي: من الجدران، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: حجابًا يسترها من الشمس. ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: أي: جبرائيل، والإضافة للتشريف. ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾: أي: تصوَّر لمريم -عليها السلام- ﴿بَشَرًا﴾؛ أي: آدميًا ﴿سَوِيًّا﴾؛ أي: صحيحَ الأعضاء لتُطيق مريمُ النظر إليه.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾: والتقيُّ يعيذ مَن استعاذ

(١) جامع البيان (١٥/ ٤٨١).

باللَّه، وغيرُ التقي لا ينفع ذلك عنده.

(١٩) - ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾: أمَّنها مما خافت، وأخبر أنه ليس بآدميٍّ يُخافُ منه، بل هو رسول من اللَّه تعالى. ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾: أي: ليَهَب اللَّه لك؛ أي: أنا مبشِّر لك بذلك، ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾؛ أي: ابنًا صالحًا طيِّبًا طاهرًا[(١)].

(٢٠) - ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: أي: بالحلال ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾؛ أي: زانية، ولا يكون الولد في العادة إلا من أحدِ هذين الوجهين، فأنَّى يكون لي ولد؛ أي: كيف ومن أين؟ وهو استعظامٌ واستبعاد. وقيل: هو سؤال وجهُه: أنى يكون: بزوجٍ أتزوَّجه، أو يخلق اللَّه تعالى فيَّ ذلك بغير زوج؟

(٢١) - ﴿قَالَ كَذَلِكِ﴾: أي: قال جبريل: بل هو كما قلتِ. ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: أي: خلقُه من غير أبٍ يسيرٌ عليَّ. ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾: أي: نَهَبُه لك من غير أبٍ لنجعله معجزةً له. وقيل: أي: نجعل هذا الولدَ آيةً للناس دالةً على قدرة اللَّه تعالى ووحدانيته. ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾: نرحمُ به عبادنا ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾؛ أي: شأنًا كائنًا قضى اللَّه به.

(٢٢) - ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: أي: حملت الولد في البطن بالنفخ ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾؛ أي: تنحَّت بالحمل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾؛ أي: بعيدًا عن الناس، وقد قصا يَقْصو قَصْوًا فهو قاصٍ وقصيٌّ؛ أي: تباعَدَ، وأقصى غيرَه؛ أي: أبعده. وقيل: أي: انتبذت خوفًا على نفسها من القتل.

(٢٣) - ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾: أي: ألجأها؛ والمخاض: وجع الولادة،

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ٢٠٩)، ومعالم التنزيل (٥/ ٢٢٣).

وحقيقتُه: اضطراب الولد للخروج، وقد تمخَّض؛ أي: تحرَّك. ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: أي: أصلِها، وكان يابسًا، وتعريفُ النخلة دليلٌ أنها كانت نخلةً معروفة مشهورة. ﴿قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾: قيل: لمَّا ضربها الطَّلْقُ عِيلَ صبرُها فتمنَّت الموت، وهذا كلام يستعمله الصالحون عند الشدائد طبعًا -لا تسخُّطًا لقضاء اللَّه تعالى ولا تشكِّيًا- فيُعذرون، وقيل: إنما قالت ذلك: ﴿يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ حتى لا تسمع ما يقولون: مريم زوجة اللَّه وعيسى ابن اللَّه. ﴿وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾: قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿نَسْيًا﴾ بفتح النون وكسرها، وهما لغتان، وهو الشيء المتروك كأنه منسيٌّ، وقيل: هو الشيءُ ينساه القوم من حَبْلٍ أو إداوةٍ[1].

(٢٤) - ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي﴾: بكسر الميم، وفتحها، بمعنى: الذي ﴿تَحْتِهَا﴾، وأُضمر قبل هذه الآية: فوَلدت فناداها، قيل: ناداها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: ناداها عيسى. ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: من أقصى الوادي، وقيل: من تحت النخلة، وكانت المناداةُ مخاطبَةً لها لا رفعًا للصوت، ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾: أي: لا تهتمِّي بالوحدة وعدمِ الطعام والشراب وقالةِ الناس. ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ أي: جدولًا. وقيل: نهرًا صغيرًا.

(٢٥) - ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ﴾: أي: حرِّكي ﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ الباءُ زائدة كما في قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ﴾ قرئت بالتاء

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٤٢٥)، والسبعة (١/ ٤٠٨)، والتيسير (١/ ١٤٨)، ومجاز القرآن (٢/ ٣)، والتيسير في التفسير (١٠/ ١٨٤).

المفتوحة وتشديدِ السين، وأصلها: تتساقط، فأدغمت الأولى في الثانية، ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾: أي: طريًّا يُجتَنَى؛ أي: يُقتطف، فحوَّل اللَّه تعالى جذعَ النخلة اليابسة نخلةً مثمرةً كرامة لها، وكان ذلك في الشتاء.

(٢٦-٢٧) - ﴿فَكُلِي﴾: أي: من الرُّطَبِ الجنيِّ ﴿وَاشْرَبِي﴾ من ماء السَّرِيِّ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾؛ أي: بالولد الرَّضي، وهذا كلُّه لإزالة حزنها كما قال: ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾. وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ﴾: أي: التزمْتُ ﴿لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾؛ أي: صمتًا وإمساكًا عن الكلام، فلن أكلم أحدًا. ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾: أي: بعيسى ﴿قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ قيل: عجيبًا، وقيل: عظيمًا

(٢٨) - ﴿يَاأُخْتَ هَارُونَ﴾: قال قتادة: أي: يا أختَ هارونَ بنِ عمران في الصلاح، وقيل: كان أخوها من أبيها يسمَّى هارون. وقيل: كان هارون في زمانها رجلَ سوءٍ رمَوها به. وقيل: كان رجلًا صالحًا فشبَّهوها به ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: أي: زانيةً، والبغاء: الزنا -بكسر الباء- قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣]؛ أي: فكيف أتيتِ بهذا الولد وأنت معروفةٌ بالصلاح وولدُ الأبوين الصالحين[(١)].

(٢٩) - ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: أي: إلى عيسى أنْ كلِّموه. ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾: ﴿كَانَ﴾ زائدة، ومعناه: مَن هو في المهد صبيٌّ. وقيل: ﴿كَانَ﴾؛ أي: حدث ووقع، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة:

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٥٢٣)، والتيسير في التفسير (١٠/ ١٨٩).

٢٨٠]. والمهد: الحِجْر هاهنا، لأنها كانت حملتْه في خرقةٍ. والمهد: المَقَرُّ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ: ٦]، ومهَّدْتُ عذري تمهيدًا؛ أي: قرَّرته. وقيل: هو مهدُ الصبي، ومعناه: أنه من أهل المهد وإن لم يكن في تلك الحالة موضوعًا في المهد.

(٣٠ - ٣١) - ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾: بدأ بالإقرار بالعبودية لله جَلَّجَلَالُهُ، وهو قطعٌ لكلام النصارى وإبطالٌ لمقالهم. ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾: أي: يؤتيني الكتاب، وهو الإنجيل. ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾: أي: يرسلني إلى خلقه رسولًا ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾: أي: وجعلني نفَّاعًا للخلق. ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾: أي: يوصيني بذلك؛ أي: يأمرني. تكلَّم بهذا إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ثم لم يتكلَّم بعد ذلك إلى أن بلغ مبلغ كلام الصبيان، فكان ذلك آيةً أظهرها الله تعالى كرامةً لمريم لبراءتها، وكان ذلك إخبارًا منه بكونها في وقت احتمالها.

(٣٢-٣٣) - ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾: أي: وجعلني عاطفًا عليها مؤدِّيًا حقَّها. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾: أي: متعظِّمًا على عباد الله، لا أرى لأحدٍ منهم عليَّ حقًا. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾: أَخبر أن الله تعالى حكَم له بالسعادة والسلامة في هذه الأحوال عن كلِّ آفةٍ وعيب. وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ من الهَمْزة واللَّمْزة من الشيطان ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ من ضغطة القبر ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ في الآخرة من العناء(١).

(٣٤) - ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: أي: ذلك الموصوفُ بأنه عبد الله وكذا

---

(١) التيسير في التفسير (١٠/ ١٩٤).

وكذا هو عيسى ابن مريم، هو بهذه الصفة لا كما قال اليهود والنصارى. ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾: بنصب اللام أي: أقول قولَ الحق، وبرفعها؛ أي: هو قولُ الحق. ﴿الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: أي: يختلفون ويختصمون. وقيل: يشكُّون، والمرية: الشك، والمراء: الجدال، فاليهود مع النصارى يختلفون فيه فيما بينهم، ثم النصارى يختلفون فيه فيما بينهم أيضًا[١].

(٣٥) - ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾: أي: ليس من صفة اللَّه اتِّخاذُ الولد ﴿سُبْحَانَهُ﴾؛ أي: هو منزَّهٌ عن ذلك. ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾: أي: أن كون عيسى من غيرِ أبٍ لا يوجِب أن يكون إلهًا أو ابنَ اللَّه، لأن اللَّه تعالى لا يتعذَّر عليه خلقُ ما يريده من غير أصلٍ، بل إذا أراد شيئًا خلَقه كما يريد.

(٣٦-٣٧) - ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: بفتح الهمزة، والمعنى: وقضى أن اللَّه ربِّي وربُّكم. وقيل: وأوصاني أن اللَّه ربي، وبكسرها على الاستئناف. ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: أي: فاقصُروا عبادتكم عليه ولا تُشركوا به شيئًا، وهو الطريق السويُّ المفضِي بسالكيه إلى الجنة. ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾: أي: من بين أصحابِ عيسى، وهو ما ذكرنا. وقيل: من بين قومه. وقيل: ﴿مِنْ﴾ صلة، ومعناه: فاختلف الأحزاب بينهم، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي من الأحزاب، فقد كان على الحق واحدٌ من الفرق. ﴿مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يجوز أن يكون المشهد موضعًا ومصدرًا؛ أي: فويل لهم إذا شهدوا يوم القيامة وتبرأ

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٣٧١)، والسبعة (١/ ٤٠٩)، والتيسير (١/ ١٤٩).

عيسى منهم وقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ الآية [المائدة: ١١٧].

(٣٨) - ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾: أي: ما أبصرهم وأسمعهم ذلك اليوم، وهو كلمةُ تعجُّب، ومعناه: أنهم حلُّوا في هذا محلَّ مَن يُتعجَّبُ منه؛ أي: سيسمعون يومئذٍ ما يصدِّعُ قلوبهم، ويرون ما يُهلكهم. وقيل: أي: كانوا صمًّا عن استماع الحق وعُميًا عن رؤية الحق في الدنيا، فيصيرون بخلاف ذلك فيسمعون صفتَهم ويبصرون عاقبتَهم. ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي: لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسَهم ووضعِهم العبادةَ في غير موضعِها في ضلالٍ مبينٍ عن الحق، ظاهر بيِّن عن نفسه لوضوحه، وهو اعتقادهم عيسى إلهًا معبودًا مع ظهور أحواله.

(٣٩) - ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾: قيل: هو يومُ الموت. وقيل: هو يومُ القيامة، والحسرة: أشدُّ الندامة، وهي التي تقطع الأمل. يقول: وخوِّفهم يا محمد ﷺ يومَ الندامة حين قُضي الأمر؛ أي: أُتم وأُمضيَ وفُرغ منه، فإن كان عند الموت فقد صار بحيث لا يُتدارك، وإن كان في القيامة فهو حين يدخل أهلُ الجنة الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ، فلا إخراج بعده. ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: غافلون عما يَنال الكافرين يوم القيامة وهم لا يؤمنون، وهذا وصفُهم في الحال؛ أي: أنذرهم اليومَ في هذه الحالة قبل أن يصيروا إلى الآخرة فيُقضى الأمرُ ولا تنفعهم الندامة.

(٤٠) - ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: أَخبر أن يوم القيامة كائنٌ لا محالةَ، وأن الله تعالى ينزعُ الملك من كلِّ مَن آتاه مُلكًا في الدنيا، وكلِّ

مَن يَغلبُ على شيء منه، وأنهم إلى الله يحشرون فلا يكونُ لأحدٍ منهم يومئذ مُلكٌ ولا رئاسةٌ ولا حكم، ولا أمرٌ ولا نهي، وفي هذا تحذير لهم عن الاغترارِ بما ينالونه من الرئاسة في الدنيا، وتنبيهٌ لهم على التدبُّر في خطأ ما هم فيه.

(٤١) - ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾: واتصالها بما قبلها: أن قصة مريم وعيسى في ردِّ قول اليهود والنصارى، وفي هذه القصة كذلك، فإنهم يدَّعون أن دينهم دينُ إبراهيم، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧] وبيَّن في هذه القصة حالَ إبراهيم ودينه، يقول: واذكر يا محمد فيما تقرأ عليهم من القرآن أمرَ إبراهيم أنه كان نبيًّا لله عادتُه الصدقُ والتصديقُ بكلِّ ما جاءه من عند ربه، فهو أهل للاقتداء به.

(٤٢) - ﴿إِذْ قَالَ﴾: إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ﴾: التاء فيه للمبالغة كما في العلَّامة والنسَّابة، وكسرت طلبًا لياء الإضافة، وقيل: التاء عوضٌ عن ياء الإضافة، و﴿يا أبتَ﴾ بالفتح، على إرادةِ: يا أبتاه، على النُّدبة. ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾ من الله ﴿شَيْئًا﴾: وهذه صفاتُ نقصٍ وعجز، فلا يَستحقُّ صاحبُها العبادة، ولو أن إنسانًا خدم مثلَه في الدنيا مع علمه بعجزه عن أن يَدفع عن خادمه ضرًّا، أو يجلبَ له نفعًا، أو يعلمَ بخدمةِ مَن يخدمه، لكان هذا الإنسان سفيهَ الرأي عند العقلاء، فكيف حالُ مَن هو أدنى من هذه الأحوال؛ من حجرٍ نحتَه بيده، أو خشبٍ اتَّخذه معبودًا له[(١)]؟

(٤٣) - ﴿يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: أي: أنا في العلم

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٨٩)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٢٠٢).

والمعرفة فوقك بما خصَّني اللَّه تعالى به من النبوة، فأنا على يقين من ضلال ما أنت فيه من عبادة الأصنام. ﴿فَاتَّبِعْنِي﴾: أي: فاقتدِ في العبادة بي، واعبدْ مَن أعبدُ أنا، وهو الذي لا يخفى عليه شيء ولا يُعجزه شيء، فإنك إذا فعلتَ هذا كنتَ على الصراط المستقيم المستوي، وهو قوله تعالى: ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾.

(٤٤) - ﴿يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾: أي: لا تُطِعْه ولا تعظِّمْه بالائتمار له وقبولِ وساوسه ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾؛ أي: هو متقادِمُ العصيان للَّه الذي خلَقه، فهو لا يريد لك خيرًا، ومَن هذا صفتُه فحقيقٌ أن لا تقبل إشارته لسوء اختياره لنفسه.

(٤٥) - ﴿يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾: أي: أخشى أن يصيبك من اللَّه عذاب في الآخرة إن دمتَ على طاعتك للشيطان فتكون للشيطان قرينًا في جهنم، لأن الوليَّين لا يكادان يفترقان في محبوبٍ أو مكروه، وقيل: أن يمسكَ عذاب في الدنيا وهو خذلانُه، فتكونَ حينئذٍ مواليًا للشيطان.

(٤٦) - ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ﴾: أي: أزاهدٌ أنت من عبادةِ آلهتي وتعظيمِها، وذاكر لها بسوءٍ، ولم يتأمَّلْ فيما دلَّه عليه، وأصرَّ على تماديه في ضلالته وجهالته، وأنكر عليه اتِّباعَ الحق والدعاءَ إليه.

وقد رغب في الشيء؛ أي: أراده وأقبل عليه، ورغب عن الشيء؛ أي: أباه وأعرَضَ عنه، وزَهِد في الشيء؛ أي: أباه وأعرض عنه، وزَهِد عن الشيء؛ أي: أراده وأَقبل عليه. ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾: أي: لئن لم تمتنع عن هذا ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي:

لأرمينَّك بالعيب والذم، وقيل: لأرمينك بالحجارة حتى تتباعَد عني، وقيل: لأرجمنَّك بالحجارة عقوبةً لك على فعلك. ﴿وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾: أي: اجتنِبْني دهرًا طويلًا فلا تكلِّمْني (١).

(٤٧) - ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾: أي: ﴿قَالَ﴾ إبراهيم مصاحبًا له بالمعروف، ومحسِنًا في المعاشرة، ومظهِرًا لما وُصف به من الحِلْم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾؛ أي: أمانٌ مني لك أن أكافئكَ على إيذائك، ولو حقَّقْتَ بفعلك ما ذكرتَه بقولك: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾. وقيل: هو خطابُ وداعٍ؛ أي: هجرتُك كما أمَرْتَني به. ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى﴾: أي: أسألُ اللَّه تعالى أن يجعلك من أهل المغفرة بأنْ يهديك للإسلام. ﴿إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾: أي: لطيفًا، وقيل: أي: بارًّا، وقيل: رحيمًا.

(٤٨) - ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: أهجرُك وأهجرُ مَن على دينك، ولا أعبدُ ما تعبدون من الأصنام؛ أي: تَدْعون وتعبدون. ﴿وَأَدْعُو رَبِّى﴾: أي: أعبدُ ربي ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾؛ أي: راجيًا أن تقع عبادتي متقبَّلةً فلا أشقى بردِّها، لسلامتها من الآفات، ويحتمِل: ﴿وَأَدْعُو رَبِّى﴾؛ أي: أسأل اللَّه أن يهديك راجيًا أن لا يردَّ دعوتي فيك.

(٤٩) - ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: قيل: اعتزلهم بخروجه من أرض بابل إلى أرض الشام؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]. ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾: مَن تكثَّر بهم من القلة واستأنَس بهم

(١) النكت والعيون (٣/ ٣٧٤)، البسيط" (١٤/ ٢٥٥)، وجامع البيان (١٥/ ٥٥٢).

من الوحشة ﴿إِسْحَاقَ﴾ ولدًا ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ نافلةً. ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾: أي: كلَّ واحد منهما نبيًّا إمامًا للناس.

(٥٠) - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾: أي: من نعمتنا، قيل: هي المال والولد؛ أي: كثَّرناهم وباركنا فيهم ووسَّعنا عليهم. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾: أي: ثناءً حسنًا، وهو الصلوات على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في الصلوات إلى قيام الساعة، ووصفَه بالصدق لأنه ثناء حسنٌ لا كذب فيه. ﴿عَلِيًّا﴾: أي: عاليًا، وقيل: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ هو دعاؤهم الناسَ إلى اللَّه تعالى، والرسالةُ في أولاده والدعاء إليهم.

(٥١) - ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾: وفي ذكر قصته ردٌّ على قول اليهود أيضًا، لأنهم على غير ما كان عليه موسى. ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾: بفتح اللام؛ أي: أَخْلَصه اللَّه تعالى، وبكسرها؛ أي: أخلَص هو العبادة للَّه تعالى. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾: أي: جمعنا له الوصفين.

(٥٢) - ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾: أي: ليلةَ خرج لاقتباسِ النار ناديناه بالنبوة والرسالة. ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾: الطور: الجبل، وليس للجبل أيمنُ وأيسرُ لكنه راجع إلى يمين الذي يأتيه؛ أي: الجانبِ الذي كان على يمين موسى وهو متوجِّه إليه. ﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾: أي: أَدْنيناه بتقريب المنزلة عندنا ﴿نَجِيًّا﴾؛ أي: مناجيًا، أي: كلَّمناه بما نكلِّم به غيره.

(٥٣) - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾: أي: برحمتنا بعبادنا، ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾؛ أي: من نعمتنا؛ أي: من جملة ما أنعمنا به عليه. ﴿أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ إجابةً لدعوته: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي

أَمْرِى﴾ [طه: ٢٩ - ٣٢].

(٥٤-٥٥) - ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ قال مجاهد: إن إسماعيل لم يَعِدْ ربه بوعدٍ إلا وَفَّى به، وهو كلام جامع للقيام بالفرائض كلِّها؛ لأن اللّه تعالى أخذ على عباده العهدَ بها، والأنبياءُ وعدوا من أنفسهم الوفاءَ بها، وهذا وصفُ جميع الأنبياء، لكن هذا لا يمنع اختصاص بعضهم بالمدح به.

وقيل: كان وعَد من نفسه الصبرَ -على ذبح أبيه إياه- للّه تعالى، فوَفَّى به وصبر إلى أن ظهر له الفداء. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾: أي رسولًا إلى قومه يخبر من اللّه تعالى. ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾: أي: أمَّته، وقيل: أي: أهل بيته ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ وهذا يشتمِل على أمره إياهم بالعبادات البدنية والمالية جميعًا. ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾: وهذا أجلُّ صفاته(١).

(٥٦-٥٧) - ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: وإدريس هو أخنوخ بن بدد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسمي إدريس لكثرة دَرْسِه ذكرَ اللّه تعالى، وروي أنه كان خياطًا، فكان لا يغرزُ إبرته في الثوب إلا قال: بسم اللّه، ولا يخرجها إلا قال: الحمد للّه. وقيل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾؛ أي: إلى الجنة. وقيل: رفعناه بالنبوة في المنزلة والفضيلة.

(٥٨) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾: أي: هؤلاء

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٦٣١)، المحرر الوجيز (٤/ ٢١)، ولطائف الإشارات (٢/ ٤٣٣)، العلوم (٢/ ٣٧٧)، وجامع البيان (١٥/ ٥٦١).

المذكورون في هذه السورة الذين تفضَّل اللّه عليهم من النبيين ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾؛ أي: من ولد آدم. ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾؛ أي: في السفينة مع نوح، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: هم إسماعيل وإسحاق ويعقوب. ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾: أي: ومن ذرية إسرائيل -وهو يعقوبُ- وهم موسى وهارونُ وزكريا ويحيى وعيسى، ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾: أي: وهم ممن هديناهم واصطفيناهم، ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا﴾: أي: سقطوا على وجوههم ﴿سُجَّدًا﴾؛ أي: ساجدين للّه ﴿وَبُكِيًّا﴾؛ أي: باكين من خشيته، ولرقَّة قلوبهم عند تلاوته، وهو وصف لهم بالخشوع والوجَل والعبادةِ للّه تعالى[١].

(٥٩) - ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: أي: فجاء بعد هؤلاء المفضَّلين أقوامٌ أردياءُ. ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: تركوها، وقيل: أَخَّروها عن وقتها، ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾: أي: المشتهَيات، فلم ينظروا بعقولهم إلى العواقب، ولم يتحملوا مشاقَّ العبادات، ومالوا إلى ما يَخِفُّ على الطباع من طلب الراحات. ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾: الغيِّ: هو الهلاك، وقيل: هو الجهل. وقيل: هو الضلال. هذا من ناحية اللغة، والمراد به هنا: هو وادٍ في جهنم، وقيل: هو الخسران. وقيل: هو العذاب[٢].

(٦٠) - ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾: أي: رجع عن كفره ﴿وَآمَنَ﴾ أي: دام على إيمانه وتاب من ذنوبه. ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بعد إيمانه. ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾: ولا

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ٢٢٠).

(٢) النكت والعيون (٢/ ٢٧٤)، والبحر المحيط (١٠/ ٣٧٧).

يدخلون الغَيَّ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا يُنقصون من ثواب عملهم في المستقبل بما عملوا من الذنوب في الماضي.

(٦١) - ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: أي: هي جنةٌ واحدة مشتمِلة على الجنات. ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ﴾: أي: العبادَ التائبين المؤمنين العاملين الصالحاتِ، ﴿بِالْغَيْبِ﴾: بالوحي إلى نبيِّه وتلك الجنةُ غائبة عنهم فصدَّقوه، وهو ثناء عليهم بالتصديق. ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾: أي: موعودُه ﴿مَأْتِيًّا﴾؛ أي: يأتيه الموعودُ له ويبلغه.

(٦٢-٦٣) - ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: أي: في الجنة ﴿لَغْوًا﴾؛ أي: هدرًا من الكلام وما حقُّه أن يُلغَى؛ أي: يُبطل ويُطرح ولا يُصغى إليه، ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ أي: لكنْ سلامًا؛ أي: سالمًا من اللغو، أو سلامًا عليهم بالتحية. ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: أي: مطاعمُهم ومشاربهم على ما يحبُّونه في الدنيا من الأكل والشرب في هذين الوقتين، فيؤتَون به بمقدارِ هذين الوقتين، ولا بكرة فيها ولا عشيَّ. ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾: أي: نجعلها للأتقياء دون الذين أضاعوا الصلوات واتَّبعوا الشهوات، وإيراثها: مصيرُها لهم وإنزالُهم فيها.

(٦٤) - ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: أي: ويقولُ لك جبريل حين استبطأتَ نزوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ نحن معاشرَ الملائكة ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: أي: قبل أن يخلقنا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾؛ أي: من الدنيا بعد أن يُفنينَا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: حالَ حياتنا. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: أي: ناسيًا ينسى الوقتَ الذي فيه

الصلاحُ في إنزالنا، وحقيقته: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ من الأزمان والأوقات، فهي كلُّها لله تعالى، هو خلقَها وهو يدبِّرها ويدبِّر أمرنا فيها بما شاء من تقديم إنزالٍ وتأخيره.

(٦٥) - ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: هو ربُّ السماوات والأرض. ﴿فَاعْبُدْهُ﴾: بالصلاة وغيرها ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾؛ أي: اثبُت عليها ولا تجزع لتأخُّرِ الوحي عنك ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾: أي: هل تعلم أحدًا يستحقُّ أن يسمَّى بأسمائه ويوصفَ بصفاته، فيكونَ خالقًا ورازقًا، ومحييًا ومميتًا، عالمًا بكلِّ شيء، قادرًا على كلِّ شيء؛ أي: قد علمتَ أن أحدًا ليس كذلك غيرُه فالْزَمْ عبادته.

(٦٦) - ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾. استفهام بمعنى التعجُّب والإنكار، وقوله: ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾؛ أي: من القبر. وقيل: هو أُبيُّ بن خلف الجُمَحي؛ أي: يقول هذا الإنسان المنكِر للبعث، وهو الذي يترفَّع عن الصلاة والخدمة لله تعالى، مخالفًا للأنبياء الذين ثبتوا، وموافقًا للَّذين أضاعوا الصلاة واتَّبعوا الشهوات؛ لإنكاره البعث ولولاه ما فعَل كذلك: ﴿أَإِذَا مَا مِتُّ﴾ لأُبْعَث وأُخرج من القبر، مستعظِمًا له منكِرًا لكونه.

(٦٧) - ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾: بتخفيف الذال: من الذكر الحاضر في القلب وبتشديد الذال والكاف، ﴿يَذَّكَّرُ﴾ وأصله: يَتذكَّر، فأدغمت التاء في الذال؛ أي: أفلا يتذكَّر ويَحضره قلبه. ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾: أي: أوجَدْناه.

(٦٨) - ﴿فَوَرَبِّكَ﴾: أَقْسَم بنفسه وأضاف نفسَه إلى نبيِّه، وهذا تعظيم لقَدْره،

وهو تأكيدُ الخبر عن البعث بعد إقامةِ الحجة عليهم. ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: أي: لنبعثنَّهم ولنجمعنَّهم يوم القيامة ﴿وَ﴾ لنحشرنَّ ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ معهم وهم أولياؤهم، فنَقرُنهم في السلاسل في جهنم. ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾: أي: جماعات، وقيل: أي: جاثِين على ركبهم، وذلك يكون للاختصام.

(٦٩) - ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾: معنى الآية: ثم لنُخرجن للنار من كلِّ فرقةٍ متشايعةٍ -أي: متعاونةٍ على الكفر- أشدَّهم على الله عتوًّا؛ أي: تمرُّدًا[١].

(٧٠-٧١) - ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾: أي: نحن أعلم بمن هو أشدُّ استحقاقًا لدخول النار من سائر الناس، وأحقُّ بالبداية به. ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: أي: وليس منكم أيها الناس من المؤمنين والكافرين إلا وهو واردُ جهنم أي: داخِلُها. ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾: أي: كائنًا لا محالة محكومًا به.

(٧٢) - ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: أي: يخرِج منها الذين اتَّقوا الذنوب كلَّها قبل أن يعذِّب، والذين اتقوا الكفر ووقعوا في المعاصي إمَّا قبل التعذيب وإمَّا بعده، فمصيرهم إلى الجنة في العاقبة. ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾: أي: ندَع المشركين ﴿فِيهَا﴾ أبدًا ﴿جِثِيًّا﴾؛ أي: جماعاتٍ. وقيل: جاثين على الرُّكب للتخاصم.

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٩ - ٣٤٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٧)، والبسيط (١٤/ ٢٩٠)، والكشاف (٣/ ٣٤). والكشف والبيان (٦/ ٢٢٤)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٢٢٨).

(٧٣) - ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: أي: على هؤلاء المنكرين للبعث ﴿آيَاتُنَا﴾؛ أي: القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ أي: حججًا واضحاتٍ. ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾: بضم الميم وهو موضع الإقامة، وبفتحها، وهو موضع القيام، ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أي: مجلسًا ومجتمعًا، وندَوْتُ القوم أَنْدُوْهم نَدْوًا؛ أي: جمعتُهم في مجلس، والنادي: المجلس.

(٧٤-٧٥) - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ الأثاث: المتاع. وقيل: هو ما يزيَّنُ به المنزل من أنواع الأمتعة. والرِّئْي بالهمزة: المنظر، من الرؤية[١]. ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾: أي: قل لهم يا محمد ﷺ: مَن كان في الشرك والجحود فليَعِش ما شاء من المدة الطويلة، وأضاف المَدَّ إلى نفسه لأنه هو الذي يُعَمِّر ويُبقي في الدنيا أهلَها، فإن طول عمره لا يمنع الله تعالى مما يريد به عاجلًا أو آجلًا. ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾: أي: على شركهم من أحد هذين: ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾؛ أي: العاجلَ ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾؛ أي: القيامةَ. ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾: أي: فسوف يعلمون في القيامة ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾: أهُم أم المؤمنون؟. ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾: أي: أقلُّ ناصرًا؛ أي: لا يبقَى لهم ناصرٌ ولا مقامٌ ولا نديٌّ، وكانوا يقولون: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ والمقام هاهنا هو ذلك المقام؛ أي: يعلمون أن ما أُوتوه من المقام والنَّديِّ لم يكن لعزِّهم وشرف محلِّهم عند الله، بل المؤمنون هم أشرفُ عند الله محلًّا.

(٧٦) - ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾: أي: ثباتًا على الاهتداء كما يمدُّ

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٦٣٦)، والكشف والبيان (٦/ ٢٢٨)، ومعالم التنزيل (٥/ ٢٥٢).

الضالِّين المصرِّين على ذلك في الضلال. ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: أي: الأعمال الحسنة التي يبقى ثوابها ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾؛ أي: أحسنُ عاقبةً من الأعمال السيئة كعبادة الأوثان والمعاصي والافتخارِ بالدنيا والأثاثِ والزِّي، والمقام والنَّدِيِّ[1].

(٧٧) - ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾: وروي عن خبَّاب بن الأرتِّ أنه قال: كنت قَيْنًا في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل حقٌّ، فأتيتُه في الإسلام أتقاضاه، فقال: لا أقضيك حتى تكفرَ بمحمدٍ، فقلت: واللَّه لا أكفرُ بمحمد حتى يميتَك اللَّه ثم يبعثَك، فقال: دعني حتى أموتَ وأُبعثَ فأُوتَى مالًا وولدًا فأقضيَك، فنزلت الآية. وهذا دليل على أنه قال ذلك استهزاءً. وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة. وقيل: في أبيِّ بن خلف. ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾؛ أي: أرأيت يا محمد هذا العجَب من هذا الكافر الذي يقول: لأعطين مالًا وولدًا؟.

(٧٨) - ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾: ألف الاستفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَظَرَ في اللوح المحفوظ؟. وقال مجاهد: أَعَلِمَ علمَ الغيب؟. ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾: أي: ميثاقًا أنه يُدخله الجنة ويؤتيهِ المال والولد[2].

(٧٩) - ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما توَهَّم، وما اطَّلع الغيب وما اتَّخذ عند الرحمن عهدًا. ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: أي: ستكتب ملائكتُنا بأمرنا كتابًا فيُخرَجُ له يوم القيامة فيقرؤه فيجازى به. وقيل: أي: سنُثبت. وقيل: أي: سنحفظ. ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ

---

(١) التيسير في التفسير (١٠/ ٢٣٧).

(٢) البسيط (١٤/ ٣١٢)، والدر المنثور (٥/ ٥٣٦).

﴿الْعَذَابِ مَدًّا﴾: أي: نزيد ونَصِل بحيث لا ينقطع.

(٨٠) - ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾: أي: نُميته ونرث ماله وولده وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾[مريم: ٤٠]. ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾: أي: من المال والولد.

(٨١) - ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾: أي: اتخذ هؤلاء المشركون أصنامًا يعبدونها ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾؛ أي: ليتعزَّزوا بها في الآخرة عند اللّٰه بما ذكروا من رجاء الشفاعة وتقريبِهم إلى اللّٰه زُلفى.

(٨٢) - ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما ظنوا ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾؛ أي: تتبرَّأ الآلهة عنهم، كما قال تعالى: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾[العنكبوت: ٢٥]. ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: قيل: أي: أضدادًا؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[غافر: ٦٧]، قالوا: وإنما وحَّد لأنه أراد كلَّ واحد منهم يكون ضدًّا.

(٨٣) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾: أي: خلَّيناهم، وهو كإرسال البعير. ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: أي: على هؤلاء المشركين الذين اتخذوا آلهةً بتحريض الشيطان؛ أي: خذَلناهم فلم نمنع تزيينَ الشيطان عنهم. ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: أي: تزعجُهم وتُغْريهم بالمعاصي.

(٨٤) - ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: بطَلَب عذابهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾؛ أي: نَعدُّ مدَّتهم، وقيل: معناه: لا تعجل عليهم فإنما نؤخِّرهم لا لخيرٍ نريده بهم، ولكن ليزدادوا إثمًا(١).

(٨٥) - ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ﴾: أي: نبعث ﴿الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ﴾؛ أي: إلى جنات

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧٢)، ومجاز القرآن (٢/ ١١).

الرحمن، وقيل: ﴿إِلَى الرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: إلى موقف الحساب، وفيه تيسير الحساب وتوفير الثواب. ﴿وَفْدًا﴾؛ أي: وافدِين وقيل: ﴿وَفْدًا﴾؛ أي: ركبانًا؛ فإنه من خصائص الوفود. وفي تسميتِهم وفدًا بيانٌ أنهم يتوجَّهون إلى الجنة مسرورين، ويجدون الأهلَ والخدم بقدومهم مسرورين؛ كالوفد يتوجهون إلى السلطان مسرورين، ويكون السلطان وحشمُه بورودهم مسرورين.

(٨٦) - ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ أي: عطاشًا، وهو في اللغة: ورودُ الماء، ولكن لا يكون ذلك إلا عن عطشٍ، فجُعل مجازًا عنه ودليلًا عليه، ودلَّ ذكر ورود جهنم ها هنا أن ما يقابله من ذكر الوفود هو دخول الجنة.

(٨٧) - ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: أي: لا يملك أحد من أهل المحشر أن ينفع أحدًا بشفاعته إلا أن يكون الشافعُ ممن ﴿اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؛ أي: وثيقةً بعملٍ صالحٍ قدَّمه يستحقُّ به رتبةَ الشفعاء. ويحتمِل: إلا لمن اتخذ عند الله هذا العهد؛ أي: لا تكون الشفاعة إلا في حق المؤمن.

(٨٨ - ٨٩) ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾: قال أكثر العرب: الملائكة بناتُ الله. ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾: أي: منكرًا عظيمًا. ويحتمِلُ أن تكون الآية عامَّةً فيهم وفي النصارى وزعمِهم المسيحَ ابنَ الله.

(٩٠) - ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾: من التفطُّر؛ أي: قاربت السماوات أن يتشقَّقْن من هذا الشيء الإدِّ. ﴿وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ﴾: لذلك ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ﴾؛ أي تسقط ﴿هَدًّا﴾ أي: سقوطًا، وقيل: كسرًا، وقيل: زلزلةً وكسرًا.

(٩١ - ٩٥) - ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾: أي: لِأَنْ سمَّوا له ولدًا وأضافوه

إليه. ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: أي: وما يصلُح هذا. ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾: أي: ليس أحدٌ من أصناف الخلق من الأنبياء والملائكة والجنِّ والإنس والشياطين وغيرهم إلا وهو يأتي عبدًا يوم القيامة، وإذا كانوا عبيدَه وقد خلقهم فكيف يكون أحدٌ منهم ولدًا له[1]. ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾: أي: قَدَر عليهم وعلِم مبلغَ عددهم. ﴿وَكُلُّهُمْ﴾: أي: كلُّ واحد منهم، ﴿آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾: أي: مفردًا عن الأنصار والأموال، فلا يحجزه عما يستحقُّه من عذاب الله تعالى حاجزٌ، ولا ينفعه إلا ما قدَّمه من عملٍ صالح.

(٩٦-٩٨) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: ذكر المؤمنين بعد ذكر الكافرين. ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾: أي: محبةً في صدور عباده المؤمنين، فيحبُّهم ويحبِّبهم إلى خلقه. ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾: أي: يسَّرنا القرآن، وقيل: يسَّرنا ما قصَصْنا عليك في هذه السورة ﴿بِلِسَانِكَ﴾؛ أي: بلسانك الذي هو لسانُ العرب، حتى فهموه وعقَلوه ووقفوا على إعجازه. ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾: أي: المؤمنين الذين يتَّقون الشركَ والمعاصيَ بما قلنا: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ونحوِ ذلك. ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾: هؤلاء المشركين المذكورين في هذه الآيات، واللُّدُّ: جمع الألَدِّ، وهو شديدُ الخصومة. ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: ثم هوَّن الله على النبيِّ ﷺ خصامهم وعنادهم، وقال: وكثيرًا أهلكنا قبل هؤلاء من قرونٍ كثيرة مثلَ قوم نوحٍ وقوم صالحٍ وقوم لوطٍ وقوم شعيبٍ وغيرِهم؛ لمخالفتهم

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٢٧٦)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ١٧٣)، والعين (٣/ ٣٤٧).

أنبياءهم. ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾: أي: هل تُبصر. ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾: هو الصوتُ الخفيُّ في الحركة؛ أي: قد ذهبوا وبادُوا فلا عينَ لهم ولا أثر، فكذلك هؤلاء أيضًا إن أعرضوا عن تدبُّر ما يسَّرناه بلسانهم من القرآن، الذي لهم فيه الشفاء والبيان، فعاقبَتُهم الهلاكُ فليَهُنْ عليك أمرهم(١).

(انتهى تفسير سورة مريم –عليها السلام-).

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٣)، والعين (٨/ ٩)، التيسير في التفسير (١٠/ ٢٥٠)، ولطائف الإشارات (٢/ ٤٤٤).

(٢٠) سورة طه مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة طه مكيةٌ، سميت سورة «طه» باسم الحرفين المنطوق بهما في أولها، وردت تسميتها في كتب السنة. وتسمى أيضا «سورة الكليم» و«سورة موسى»، نزلت بعد سورة مريم وقبل سورة الواقعة، وهذه السورة هي الخامسة والأربعون في ترتيب النزول، وهي مئة واثنتان وثلاثون آيةً، وقيل: أربع وثلاثون، وقيل: خمس وثلاثون، وقيل: أربعون، وهي ألفٌ وثلاثُ مئة وخمسٌ وثلاثون كلمةً، وخمسةُ آلافٍ ومئتان وثلاثةٌ وثمانون حرفًا.

أغراضها:

احتوت من الأغراض على:

- التحدي بالقرآن بذكر الحروف المقطعة في مفتتحها.

- والتنويه بأنه تنزيل من الله لهدي القابلين للهداية فأكثرها في هذا الشأن.

- والتنويه بعظمة الله تعالى، وإثبات رسالة محمد ﷺ بأنها تماثل رسالة أعظم رسول قبله شاع ذكره في الناس، فضرب المثل لنزول القرآن على محمد ﷺ، أو بتكليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

- وبسط نشأة موسى وتأييد الله إياه ونصره على فرعون بالحجة والمعجزات وبصرف كيد فرعون عنه وعن أتباعه.

- وإنجاء الله موسى وقومه، وغرق فرعون، وما أكرم الله به بني إسرائيل في

خروجهم من بلد القبط.

- وقصة السامري وصنعه العجل الذي عبده بنو إسرائيل في مغيب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكل ذلك تعريض بأن مآل بعثة محمد ﷺ صائر إلى ما صارت إليه بعثة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من النصر على معانديه. فلذلك انتقل من ذلك إلى وعيد من أعرضوا عن القرآن ولم تنفعهم أمثاله ومواعظه.

- وتذكير الناس بعداوة الشيطان للإنسان بما تضمنته قصة خلق آدم.

- ورتب على ذلك سوء الجزاء في الآخرة لمن جعلوا مقادتهم بيد الشيطان وإنذارهم بسوء العقاب في الدنيا.

- وتسلية النبي ﷺ على ما يقولونه وتثبيته على الدين، وتخلل ذلك إثبات البعث، وتهويل يوم القيامة وما يتقدمه من الحوادث والأهوال(١)، وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه ختم تلك السورة بذكر القرآن وتيسيرِه وافتتح هذه بذكر القرآن وإنزاله، وانتظام السورتين: أنه ذكر في تلك السورة قصصَ الأنبياء وذكر فيهم موسى، وذكر أنه من ذرية آدم، وختمها بذكر الموافقين والمخالفين، وذكر في هذه السورة قصة موسى وختمها بقصة آدم ثم بذكر الموافقين والمخالفين.

(١) - ﴿طه﴾. معناه: يا رجل، وهي بالسُّريانية، وقيل: بالنَّبطية، وقيل: أي: طأ الأرضَ بقدميك، يريد به التهجُّد، وقيل: هو اسم هذه السورة، وقيل: هو اسم القرآن، وقيل هو من الغيب الذي استأثر الله له فهو أعلم بمراده(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (١٦/ ١٨٢).

(٢) الكشف والبيان (٦/ ٢٣٦ -٢٣٧)، ومعالم التنزيل (١/ ٥٩)، ولطائف الإشارات (٢/ ٤٤٥).

(٢-٤) - ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ وهو أن الكفار لمَّا عيَّروه بذلك -أن اللَّه تعالى ألزمه اجتهادًا يشقَى به في دنياه بالتعب والسهر أو أرادوا أن ينفِّروه- أنزل اللَّه تعالى هذا يبين له أنه ليس بشقاءٍ بل هو يَسعدُ به، ويقتدي به غيره فيكونُ له مثلُ أجورهم، فيكون هذا أمرًا بالثبات عليه والازدياد منه. ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾: أي: ما أنزلناه إلا ليتَّعظ مَن يخشى عقاب اللَّه، فيُقبلَ على اللَّه ويؤمنَ به ويؤدِّيَ ما يلزمه له. ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾: أي: نزِّل تنزيلًا ممن خلق الأرض ﴿وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾: جمع العلياء.

(٥-٦) - ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ لمَّا كان العرش أعظمَ المخلوقات نبَّه بذكره على ما دونه من سائر المخلوقات، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾: أي: ذلك كلُّه ملكُه وفي قبضته، وتحت قهره وقدرته وأمره، ولا يمتنِع شيء منه عما يصرِّفه عليه. ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾: أي: وما تحت الأرض؛ لأن ظاهر الأرض من ترابٍ جافٍّ، وما هو أسفل منه إذا كثر فهو تراب مبتلٌّ وهو الثرى.

(٧-٩) - ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ قيل: وإن تجهر بالدعاء للَّه في الصلاة وخارجَها فإن اللَّه تعالى يعلم ذلك ولا يخفَى عليه ويُثيبك عليه؛ لأنَّه يعلم الجهر وما دونه، وهو السرُّ وما هو أخفى من السرِّ، فدُمْ على ما أنت عليه. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: بأيِّ أسماء اللَّه تعالى دعوتَه في الصلاة وخارجَها فهو حسنٌ جميل. ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾: وهذا حثٌّ للنبي ﷺ على الصبر على عبادةِ اللَّه تعالى وعلى أذى قومه، والجِدِّ في الدعاء لهم،

فإن موسى فعل كذلك فكان له حسنُ العاقبة. ﴿وَهَلْ﴾: استفهام بمعنى التقرير؛ فإن كان هذا أولَ ما نزل من قصته فمعناه: لم يأتك حديث موسى إلى الآن فقد أتاك الآن فاسمعه فاعتبِرْ به، وإن كان نزل قبله منه شيء فهذا تذكيرٌ لذلك(١).

(١٠) - ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾: وذلك حين سار بأهله وكان ليلَ شتاء فأظلم عليه، ورأى من بعيد نارًا. ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾: أي: لزوجته -وهي صفورا بنت شعيب- ولمن كان معه، ويدل على أنه كان معه جمعٌ وقد خاطب الجمع. وقيل: كان معه أهلُه وولدُه وعبده. ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾: أي: أبصرتُ، ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾: أي: شعلةِ نارٍ في طرفِ عودٍ أو قصبةٍ. ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾: أي: عند النار هاديًا إلى الطريق الذي ضللنا عنه.

(١١ -١٢) - ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى﴾: أي: ناداه ربُّه فأسمعه كلامه. ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾؛ أي: مالكك ومدبِّرك ومصرِّفك على ما أريد. ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾: أي: انزِعْها ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾؛ أي: المطهَّرِ، وقيل: المبارك. ﴿طُوًى﴾ هو اسم ذلك الوادي(٢).

(١٣) - ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾: أي: اصطفيتُك للرسالة. ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾: أي: فأصغِ لِمَا أُوحيهِ إليك لتعرِفه وتحفظَه فتؤدِّيَه كما آمُرك به.

(١٤) - ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾: وهو أولُ ما أُوحي إليه، يقول: لا يستحقُّ العبادة غيري فأفرِدْني بعبادتك. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾: أي:

---

(١) جامع البيان (١٦/ ١١)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٢٦٤).

(٢) لطائف الإشارات (٢/ ٤٤٧)، جامع البيان (١٦/ ٢٤).

وحافِظْ بعد توحيدي على الصلاة مُقيمًا لها بما هو مشروعٌ فيها من أفعالٍ وأقوال، ودلَّ أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها. ﴿لِذِكْرِى﴾؛ أي: لتكون بها ذاكرًا لي؛ أي: بالأذكار التي فيها، أو تُذكِّرك أفعالُها معاني تتقرب بها إليَّ، وتتذلَّلُ فيها لي.

(١٥) - ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾: أي: اعبُدني وصلِّ لي فإني أجزيك بما يكون منك في يوم القيامة، وهي آتيةٌ لا محالة. ﴿أَكَادُ﴾؛ أي: أريد، وهو تحقيق لا مقاربة، و﴿أُخْفِيهَا﴾ من الأضداد للكتمان والإظهار ومعناه: أُظهرها، يقال: خَفَى يَخْفِي خَفْيًا؛ أي: أظهر، ومعنى الآية على هذا: أكاد أُظهرها ليحذَرها الناس لقرب وقتها ودنوِّ إتيانها. ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾: أي: بعملٍ إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ، و﴿لِتُجْزَى﴾ صلة قوله: ﴿آتِيَةٌ﴾؛ أي: تأتي الساعة لجزاء الأعمال.

(١٦) - ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾: أي: لا يردنَّك عن الساعة وذكرِها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾: أي: لا يصدِّق بها، فيهوِّنَ عليك أمرها، ويُبعِّدَ عليك شأنها. ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: أخبر أن التكذيب بها إنما هو من اتِّباع الهوى؛ لأن أصله مبني على استثقال الشرائع والإعراض عن النظر. ﴿فَتَرْدَى﴾: أي: فتهلكَ؛ أي: إن اتَّبعتَ قولَ هؤلاء هلكتَ، وهذا خطاب لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمراد به أمتُه.

(١٧-١٨) - ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى﴾: أي: وما تلك التي بيمينك يا موسى، فحذف (التي)، وقيل: الحكمة في هذا السؤال بسطُه، فقد كانت الهيبة قبضَتْه. وقالوا: إنما قال: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ ولم يقل: بيدك؛ لأنه كان في يساره خاتم، فلو أَجمل لعَيِيَ في الجواب للاشتباه[1]. ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾: أي: أعتمِدُ

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٤٤٨).

عليها إذا مشيتُ وإذا وقفتُ لرعي الغنم. ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾: أي: أخبط ورق الشجر. ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾: أي: حوائجُ سوى ما ذكرتُ.

(١٩ -٢٢) - ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ قيل: إنما أمره بإلقائها لأنه أضافها إلى نفسه بقوله: ﴿عَصَايَ﴾؛ ليقطعه عنها. ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾: أي: فقلَبها اللَّه تعالى حيةً تمشي كما تمشي الحية، وأضمر هاهنا: ولَّى خائفًا. ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾: قيل: أُمر أن يُدخل يده في فيها فيقبضَ عليها، ففعل، فصارت يده في الشعبتين اللتين كانتا في العصا. ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾: أي: سنردُّها إلى كونها عصًا -والسيرة: الطريقة- فتنتفعُ بها بالاتكاء عليها والهشِّ بها. ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: قيل: أي: جيبك، وقيل: يدا الإنسان جناحاه، ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾: أي: مضيئةً، قيل: كالثلج، وقيل: كالبرق. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: أي: آفةٍ؛ من البرص وغيره. ﴿آيَةً أُخْرَىٰ﴾: سوى معجزةِ العصا.

(٢٣ -٢٧) - ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ﴾: أي: لنريَك الكبرى من آياتنا؛ أي: لنريَك الآية الكبرى من جملة آياتنا. ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾: أي: اذهب إليه لتدعوَه إلى الإيمان بي وتركِ التجبُّر والتكبُّر والتمرُّد، إنه قد جاوز الحد في ذلك، وهو ما قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية [القصص: ٤]، فدعا موسى بهذه الدعوات استعانةً من اللَّه تعالى على القيام بما أمر به، وهو قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾: أي: وسِّعه للقيام بهذا حتى أصبر على ما ينالني فيه فلا أضيقَ به صدرًا؛ كما قال: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ [الشعراء: ١٣]. وقيل: اجعل صدري واعيًا لِمَا أوحيتَه إليَّ. وقيل: أي: شجِّعني لاجترئ على

مخاطبةِ فرعون بما تُحبّ. ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾: أي: سهِّله ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ قيل: كانت به رُتَّةٌ وانعقادٌ في اللسان بسبب الجمرة التي تناولها في طفولته عند فرعون، وقيل: لا يجوز أن يقال هذا، فإنه يرجع إلى إثبات نقصٍ في خِلقة الأنبياء، لكن معناه: أن مخاطبة الخلق بعد مخاطبةِ اللَّه تعالى مما يَشُقُّ على الإنسان ويَعقِد اللسان، فسأل معونة اللَّه تعالى على إجراء لسانه بذلك(١).

(٢٨ - ٣٢) - ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾: جزاء قوله: ﴿وَاحْلُلْ﴾؛ أي: ليفهَموا قولي ويعلموا بما أريد به. ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾: أي: مُعاونًا أستشيرُه في أموري وأتقوَّى به على أداء ما أمرتَني به، والوزير من الوِزْر وهو الثِّقْل، فكأن الوزير يحمِل بعضَ ذلك عن صاحبه. ﴿مِنْ أَهْلِي﴾: الوزير من الأهل يكونُ أتمَّ نُصحًا وأوفرَ شفقةً وأكمل عونًا. ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ لذلك، وكان موصوفًا باللِّين والتُّؤَدة وطَلاقة اللسان، فاعتضد به واستعان. ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: قوِّ به ظهري واجعله يا ربِّ شريكًا لي في النبوة.

(٣٣ - ٣٦) - ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾: في الصلوات؛ أي: لنجتمعَ للصلاة لك والتنزيه لك. ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾: أي: في الصلوات وخارجَها بالثناء والحمد. ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾: أي: لم تزَل عالمًا بنا مُريدًا لمصالحنا، فإن كنتَ تعلم أنه أصلَحُ لي ولأخي فأعطِنا سؤلنا. ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى﴾: أي: أُعطيتَ سؤلَك؛ أي: مسؤولك، وعدَه بالإجابة.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٨)، وجامع البيان (١٦/ ٤٩)، وغرائب التفسير للكرماني (٢/ ٧١٦)، والعين (٣/ ٨٤).

(٣٧ - ٣٨) - ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾: أي: مننَّا عليك الآن بإيتائك سؤلَك، وقد سبقت منا منٌّ أخرى عليك، ثم فسَّرها فقال: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾: أي: ألهمناها.

(٣٩) - ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾: أي: ارميه، هذا هو اللغة، ومعناه: ضعيه فيه. ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾: أي: البحر، وذلك حين كان فرعون لعنه اللَّه يأمر بقتل الذكور من الولدان وخافت أمه عليه، فألهمها اللَّه ذلك. ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾: صيغة أمر ومعناه الإخبار، وتقديره: يُلْقِه بالساحل؛ أي: بالشطِّ، واليمُّ: النِّيل، ومعناه: يسير به الماءُ على الجانب لا في وسطه فيغرقَ. ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾: قيل: مَن أخَذه من الماء مِن خدَم فرعون. وقيل: هو فرعون؛ لأن حاصل أَخْذِه كان عنده. ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾: أي: أحببتُك وحبَّبتُك إلى عبادي. ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾: أي: لتربَّى على رؤيتي كما أُحبُّ، وقيل: أي: لتربَّى كما أريد كأنَّ الذين يربُّونك يرونني(١).

(٤٠) - ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾: وكانت مشت لتتعرَّف حال موسى، ورأتهم يطلبون له مُرضعةً فقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾؛ أي: يَضمة إلى نفسه فيربِّيه، وأرادت بذلك المرضعةَ، ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ﴾: أي: أجابوا أختَ موسى إلى ذلك واسترضَعوا أمَّ موسى له فرجع إليها، ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: برؤيتك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ لفُرقتك. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾: بعد

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤١)، التيسير في التفسير (١٠/ ٢٨٠)، والكشف والبيان (٦/ ٢٤٤).

كِبَرك، وهو القِبْطي الذي استغاثه عليه السِّبْطي، فوكزه فقضى. ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾: أي: غمِّ قتلِه وخوفه. ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي: امتحنَّاك امتحانًا بذلك كلِّه. وقيل: أخلصناك إخلاصًا. ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: أي: خرجتَ إليها خائفًا وكنتَ عند شعيب سنين -قيل: عشرَ سنين- ترعى غنمه مهرًا لبنته. ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى﴾: أي: انتهيتَ إلى الوقت الذي أردتُ انبعاثك فيه بالرسالة.

(٤١-٤٢) - ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾: أي: اختصصْتُك لأمر أستكْفيكه.

﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾: أي: هارون ﴿بِآيَاتِي﴾؛ أي: بحجَجي وأدلَّتي؛ أي: معها. وقيل: معناه: اذهبا فإني أُمدُّكما بآياتي بعد هذا، وهو كقول الملك لأميره: اذهب فإن جندي معك؛ أي: أُمِدُّك بهم إذا احتجتَ. ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾: أي: لا تَفْتُرا ولا تضعُفا، ﴿ذِكْرِي﴾ يحتمِل ذكرَهما جلالَ اللَّه تعالى عند فرعون لعنه اللَّه وقومِه، ودعاءَهم إلى توحيده. ويحتمِل الوعظَ؛ أي: عِظاهم بوعظي. ويحتمِل مواصلة ذكر اللَّه تعالى والثناءِ عليه، فإن اللَّه تعالى ناصرُ مَن ذكره.

(٤٣) - ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: في هذا التكرار بهذه الصيغة فائدةُ الاجتماع عند الذهاب إليه، والأول -وهو قوله: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾- يحتمِل الاجتماع ويحتمِل الافتراق، ويحتمِل أن يكون الأولُ إلى الكل والثاني إلى فرعون على الخصوص. ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ أي: عتى وتكبر (١).

(٤٤-٤٦) - ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾: أي: ارْفُقا ولا تُغْلظا، فإن المترَفين إذا

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨)، والكشف والبيان (٦/ ٢٤٥).

أُغلظ لهم في الوعظ ازدادوا عتوًّا وتكبُّرًا. ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾: أي: على أرجى الوجوهِ للاتعاظ والخشية. ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ بمعنى: ويخشى، ﴿قَالَا﴾: أي: قال موسى وهارون: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾؛ أي: أن يَعْجَل علينا فرعون بعقوبةٍ، أو لا يسمعَ منا، أو لا يتركَنا نبلِّغه. وقيل: ﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾: على موسى وهارون ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾: على بني إسرائيل. وقيل: ﴿يَفْرُطَ﴾ بالضرب، ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ بالقتل. ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾: أي: ناصرُكما ومعينُكما وحافظُكما، ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾: ما يجري بينكما من كلام أو فعل.

(٤٧) - ﴿فَأْتِيَاهُ﴾: أي: فرعونَ ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ إليك ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: أطلِقْهم من الاستعباد، كما يقال: أرسلتُ الصيد. ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾: بالاستعمال في الأعمال الشاقة، وكان يفعل ذلك. ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: معجزةٍ ظاهرة دالةٍ على صدق دعوانا أننا رسولاه. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾: أي: السلامةُ من المكاره والعقوبات في الدنيا والآخرة من اللَّه تعالى إنما هو لمن اتَّبع هدى اللَّه؛ أي: إرشادَه، فقَبِله وسلك طريقه، والسلام بمعنى السلامة.

(٤٨) - ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا﴾: أي: أوحَى اللَّه تعالى إلينا؛ أي: أعلمَنا ﴿أَنَّ الْعَذَابَ﴾؛ أي: عذابَ اللَّه الذي لا فتورَ له ولا انقطاع إنما هو ﴿عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ بآيات اللَّه كتكذيبك بما جئنا به من الآيات ﴿وَتَوَلَّى﴾؛ أي: أعرض عن طاعة اللَّه كإعراضك[1].

(١) الكشف والبيان (٦/ ٢٤٦)، ولطائف الإشارات (٢/ ٤٦٠)، التيسير في التفسير (١٠/٢٩٦).

(٤٩-٥٠) - ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾: وفي الكلام إضمار: أنهما أتيا فرعون فقالا له ما أمرهما اللَّه تعالى أن يقولا. وقيل: الإضمار عند قوله تعالى: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ﴾ فأتَياه فقالا له ذلك، ﴿قَالَ﴾: أي: قال موسى مجيبًا له حيث خاطبه فرعون على الخصوص: ﴿رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾. أي: أعطى كلَّ شيءٍ حيٍّ صورتَه التي خلقَها له؛ أي: قدَّرها له، ثم هداه إلى مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه وضروبِ هدايته. وقيل: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ﴾؛ أي: مِثْلَه ونظيرَه في مثل خِلْقته وهيئته، فإناثُ كلِّ جنسٍ من الحيوانات نظيرُ ذكورها، و﴿أَعْطَى﴾ بمعنى: مكَّنه منه. ﴿ثُمَّ هَدَى﴾: ثم أَلهم ما به التناسلُ والنماءُ والاغتذاءُ وأسبابُ البقاء إلى حين الفناء[(١)].

(٥١-٥٢) - ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾: أي: قال فرعون معترِضًا على موسى: ما بال القرون الأولى عبدوا غيرَ ربك وسلكوا غيرَ طريقك؟ وهو اعتراضٌ فاسد وتقليدٌ بغير حجة. ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾: قال موسى: علمُ تلك القرون عند ربي؛ أي: شركُ أولئك وكفرُهم ليس يخفَى على ربي بل هو عالمٌ بهم. ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾: أي: أثبتَ ذلك في كتابٍ عنده يَنشره يوم القيامة، ويُثبت ذلك عليهم ويَجزيهم عليه. وقيل: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾؛ أي: الكتاب ﴿وَلَا يَنْسَى﴾؛ أي: ما فيه.

(٥٣) - ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾: أي: ربي هو الذي جعل لكم الأرض موضعَ قرار كالمهد الذي يُنام فيه ويُستقرُّ عليه، والمهاد الذي يُجلس عليه

---

(١) جامع البيان(١٦/ ٧٩ - ٨٠)، والبسيط (١٤/ ٤١٤).

ويُستقر عليه، وقد وصفها اللَّه تعالى بكونها فراشًا وبساطًا وقرارًا. ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: أي: وجعل لكم فيها طرقًا، والمسلَك: الطريق، والسلوك: الدخول، والسَّلْك: الإدخال، وتقديره: وطرَّق لكم فيها طرقًا تدخلونها وتَمضون فيها إلى مقاصدكم في حوائجكم. ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: وهو المطر الذي يكون به الزرعُ والثمار ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ أي: بالماء ﴿أَزْوَاجًا﴾؛ أي: ألوانًا وأصنافًا ﴿مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾؛ أي: مختلفةِ المناظر والطُّعوم والأرائح مع اتحاد الماء والتربة، وذلك دلالةٌ على قدرة اللَّه تعالى على ما يشاء.

(٥٤) - ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾: أمرٌ بمعنى الإخبار؛ أي: لتأكلوا منها أنتم وتَرعوا أنعامكم منها، وهذا كقوله: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]: اللباب لكم والقشور لأنعامكم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾: أي: العقولِ؛ جمع نُهْيَةٍ؛ لأنَّها تَنْهَى عن القبيح، ولأنها يُنتهى إليها في إمضاء الأمور. وخصَّ بكونها آياتِ أهل النهى لأنهم أهل التفكُّر والاعتبار والتدبُّر. وهذا كلُّه احتجاج من موسى على فرعون في إثبات الصانع جوابًا لقوله: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾.

(٥٥) - ﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾؛ أي: خلقنا أباكم آدمَ من تراب، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: إذا متُّم فدُفنتم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾؛ أي: ومن الأرض نبعثكم يوم القيامة ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾؛ أي: كما خلقناكم أول مرة منها.

(٥٦ - ٥٧) - ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾: أي: فرعونَ ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ أي: كلَّ الآيات التي كانت لموسى، وهي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾

[الإسراء: ١٠١] وقد أراها كلَّها له آياتٍ في كلِّ المدة من حين أتاه إلى حين أغرقه اللَّه تعالى في البحر، والآية إشارة إلى ذلك. ﴿فَكَذَّبَ﴾: أي: لم يصدِّق بالآيات ﴿وَأَبَى﴾ الانقياد لها ﴿قَالَ﴾؛ أي: فرعون: ﴿أَجِئْتَنَا﴾ يا موسى استفهام بمعنى التوبيخ. ﴿لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾: أي: أرضِ مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَامُوسَى﴾؛ أي: بتخييلك وتسميةِ الآيات لتخدعهم بها، فيجتمعوا معك على محاربتنا وإخراجنا من أرضنا، وهذا لا يتمُّ لك ولا ندعُك تفعله.

(٥٨) - ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾: أي: فلَنعارضنَّك بسحرٍ مثلِ سحرك ليتبيَّن للناس أن ما أتيتَ به ليس من عند اللَّه حيث أَمكنَنا معارضته. ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾: أي: نتواعدُ يومًا نلتقي فيه لإبراز ما تدَّعي أنت أنه معجزةٌ، وإبراز ما أذكُر أنه معارَضةٌ منا. ﴿لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾: أي: الوعدَ ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ أي: عدلًا بيننا وبينك. وقيل: مستويًا يتبيَّن للناس ما بيننا فيه[1].

(٥٩-٦٠) - ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾: أي: قال موسى: الوقت الموعود -أي: الأجل المضروب- يومُ الزينة، وهو يومٌ معروف كان لهم يتزيَّنون فيه. قيل: كان يومَ عاشوراء، وقيل: كان يومَ النيروز، وقيل: كان يومَ سوقٍ لهم.

﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾: أي: يُحْوِجهم يومُ العيد إلى الخروج، فكأنهم حُشروا فيه، لا أنَّ حاشرًا حشرهم. وقيل: بل اتَّفقوا على أنْ يَحشر لهم حاشرٌ لئلا يتخلَّف أحدٌ، وخصَّ الضحى لأن النهار حينئذ أضوأُ، فيكون الناس فيه أبصرَ، وللمُخْرَجات أَبْيَنَ. ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾: قيل: أعرض عن قبول الحق الذي أتى به

(١) جامع البيان (١٦/ ٩٠)، التيسير في التفسير (١٠/ ٣٠٣).

موسى. ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾: أي: سحرَتَه المختالين، ﴿ثُمَّ أَتَى﴾: أي: أتى للموعد مع سحرته. وقيل: (جمع كيده)؛ أي: مكرَه؛ أي: هيَّأ أسبابه.

(٦١) - ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾: أي: لفرعون وسحرته: ﴿وَيْلَكُمْ﴾؛ أي: وعيدًا لكم. ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بإضافتكم إليه أنه أقدَرَكم على إحداث الأعيان وقلبِها بما تخيِّلونه. ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾: أي: يستأصلَكم. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾: أي: حُرم خيرَ الآخرة مَن كذَب على اللَّه.

(٦٢ - ٦٣) - ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: أي: فتشاوروا، ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾: أخفَوا ذلك التشاوُرَ بحيث لم يسمعه موسى وهارون. ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ بالتخفيف فمعناه: (ما)؛ أي: ما هذان لساحران؛ أي: إلا ساحران. ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾: أي: ويَصْرِفا وجوه السادات من قومكم والأشرافِ من أهل أرضكم إلى أنفسِهما فيذهبا بهم؛ أي: يُميلاهم إلى أنفسهما، فهمَّتُهما الرياسة، و﴿الْمُثْلَى﴾: تأنيث الأمثل، وهو الأفضل، والطريقةُ مؤنثةٌ لفظًا فلذلك أُنِّث نعتها. وقيل: معناه: أنهم يقولون: أرسل معنا بني إسرائيل، وليسا يريدان به تخليصَهم عن الاستعباد، بل يريدان أن يخرجاهم من بينكم فيتكثَّرا بهم، وإنما سمَّوهم الأشراف مع أنهم كانوا يستعبدونهم؛ لشرفهم بالانتساب إلى الأنبياء. وقيل: أرادوا به: ويذهبا بدينكم المختار، من قولهم: فلان حسن الطريقة؛ أي: المذهب.

(٦٤) - ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾: أي: لا تدَعوا من كيدكم شيئًا إلا جئتُم به، وقيل: فأَحْكِموا احتيالكم حتى لا يتبيَّنَ لِمَا يفعله موسى فضلٌ على ما

تفعلونه. ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾: قيل: أي: صفًّا واحدًا لإلقاء حبالكم وعصيِّكم، فهو أهولُ وأهيَب. ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾: أي: غلَب، فاجتهِدوا أن تستَعْلُوا -أي: تَغلِبوا- فتُفلحوا؛ أي: فتفوزوا بما تَرْجونه من الزينة والعزِّ عند فرعون وقومه(١).

(٦٥ -٦٦) - ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾: أي: منَّا، وهذا على وجه الاقتدار عند أنفسهم. وقيل: بل كان للاحترام، فنالهم بركتُه. ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾: أي: أنتم مبتدِئون فسترون، فكان وعيدًا على السحر لا أمرًا به. ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾: وهاهنا مضمر؛ أي: فألقوا فإذا حبالُهم وعِصِيُّهُم. ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾: من الخيال؛ أي: يمثَّل عنده ﴿مِنْ سِحْرِهِمْ﴾؛ أي: احتيالهم وتمويههم ﴿أَنَّهَا تَسْعَى﴾ سعيَ الحيات.

(٦٧ -٦٨) - ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾: قيل: أَحسَّ ووَجد، وقيل: أَضمَر. ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ الكنايةُ ترجع إلى ﴿مُوسَى﴾ قيل: كان خوفَ طبيعةٍ، والعاقل قد يخاف طبعًا عند رؤية الأشياء الفظيعة في أول وهلة، ثم يتأمَّل فيسكن. ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾: أي: العالي، وقيل: بل كانوا يَعْلون على الذين لا يعلمون السحر عند الناس، فتبيَّن أنه هو الأعلى، وأنه الغالب لا المغلوب.

(٦٩) - ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾: وهو العصا، ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ أي: تلتقم وتبتلع ما عملوا من الحبال والعصي. ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾: أي: لا

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٥)، وجامع البيان (١٢/ ٢٣١)، التيسير في التفسير (١٠١/ ٣١١).

حقيقة له وهو تخييلٌ. ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾: لا نفاذَ لِمَا يفعله، ولا فوز له بما يأمله. ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ قيل: أي: حيث كان؛ لأن الذهاب والإتيان يعبَّر بهما عن الكون(١).

(٧٠) - ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾: ها هنا مضمرٌ؛ أي: ألقى موسى عصاه فتلقَّفَتْها ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾؛ أي: فوقعوا لله ساجدين، ومن سرعةِ ما سجدوا كأنهم أُلقوا، يعني: علموا أنه ليس بسحر بل هو معجزة، فآمنوا بالله وسجدوا لله. ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ الذي أرسلهما، فكان إيمانًا بالله ورسولَيه.

(٧١ - ٧٢) - ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾: أنكر عليهم إيمانهم توهُّمًا أنه بلغ في سلطانه ونفاذ أمره المبلغَ الذي لا يجب أن يُعتقد دينٌ إلا بإذنه، وهذا غاية جهله وعظمته عند نفسه. ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾: أي: لرئيسُكم الذي علَّمكم السحر. ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾: التقطيع: تكثيرُ القَطع وتكريره، والخلاف: أن تكون اليد اليمنى مع الرِّجل اليسرى، ظنَّه تشديدًا فوقع تخفيفًا. ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾: أي: على جذوعها تشهيرًا لعقوبتكم، وخصَّ النخل لطول جذوعها، ويشبَّه المفرِطُ الطولِ بالنخلة السَّحوق. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾: أي: لن نختارك ولن نُؤْثِر رضاك. ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾: من الشواهد

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٣٠١)، جامع البيان (٢٤/ ٤٧٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٣٥).

البيِّنة أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيُّه. ﴿وَالَّذِى فَطَرَنَا﴾: وعلى الذي فطرنا؛ أي: خلقَنا وأعطانا العقل الذي ميَّزنا به بين السحر والمعجزة. وقيل: ﴿وَالَّذِى فَطَرَنَا﴾ قسَمٌ؛ أي: وحقِّ الذي خلقَنا. ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾: أي فاصنَعْ ما أنت صانعٌ، وأَمْضِ ما أنت مُمْضٍ، ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: أي: كلُّ ما تصنعُه وتمضيه بسلطانك اليوم فإنما تصنعه في هذه الحياة الدنيا، وهو مُنْقضٍ زائلٌ، ونحن نَمضي إلى النعيم الباقي الدائم.

(٧٣) - ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾: أي: بالكفر والسحر وسائر المعاصي. ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ أي: يكن إكراهًا على عين الفعل ليزول بهم الإثم، وإنما كان الإكراه في الأصل وكانوا مختارين في الفعل فكان ذنبًا فَرَجَوا مغفرتَه بالإيمان. ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾: ثوابًا لمن آمن به وأطاعه ﴿وَأَبْقَى﴾ عقابًا لمن عصاه، وهو ردُّ قول فرعون: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾. وقيل: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ يرجعان إلى الثواب. وقيل: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ منك ﴿وَأَبْقَى﴾ سلطانًا منك(١).

(٧٤-٧٦) - ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾: أي: وافَى القيامةَ مشركًا ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: فإن جزاءه جهنمُ يُدخَل فيها ويعذَّب بها ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾: لا يموت فيستريحَ ولا يحيى حياةً يَنتفعُ بها. ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾: أي: ومَن وافى القيامة وقد عمل الصالحات بعد الإيمان ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ﴾ عند الله ﴿الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾، ثم فسَّرها فقال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: أي: إقامةٍ

(١) التفسير الكبير (٢٢/ ٧٨) وجامع البيان (١٦/ ١١٨)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٣١٧).

لا خروج عنها ﴿تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: من تحت قصورها وأشجارها المياهُ في الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين فيها. ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾: أي: تَطهَّر من المعاصي وتشرَّب بالطاعات.

(٧٧) - ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾: أي: أوحيا إليه بعد أن تابَعْنا الآيات إلى فرعون فلم يزدَدْ إلا عتوًّا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾؛ أي: أن أَخْرِج بني إسرائيل ليلًا ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى الْبَحْرِ يَبَسًا﴾؛ أي: اتَّخِذْ لهم طريقًا يابسًا في البحر بضربِكَ البحرَ بعصاك، فينفلق فيصير فيه طرقٌ لقومك لكلِّ سبطٍ طريق. ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾: فيه وأنت آمِنٌ من أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ غرقًا.

(٧٨) - ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾: أي: فَسَرى بهم فأَتْبعهم فرعون؛ أي: لحِقَهم ﴿بِجُنُودِهِ﴾؛ أي: كاد يلحقُهم. ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾: أي: فأتاهم منه ما أتاهم. وقيل: غطَّاهم منه ما غطَّاهم، وهو عبارةٌ عن تعظيمِ الأمر[(١)].

(٧٩-٨٢) - ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾: أي: عدَل بهم عن سبيل الرشاد ﴿وَمَا هَدَى﴾؛ أي: ما هداهم إلى الحق؛ أي: ما أرشدهم. ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾: ثم بعد ما أنجاهم من فرعون وقومه، وغرق أولئك، وأنعم عليهم في التِّيه بما أنعم، ذكَّرهم آلاءه وحثَّهم على شكرها، فقال: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: أولادَ يعقوب ﴿قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعونَ. وقيل: منه ومن قومه، ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾: وهو حين أُمر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ باختيار سبعين رجلًا يحضرون معه الطورَ لنزول التوراة، ﴿وَنَزَّلْنَا

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٧)، وجامع البيان (١٦/ ١٢٢)، والبسيط (١٤/ ٤٧٥).

عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾: أي: في التِّيه. ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: أي: لذائذه، فقد كانا كذلك. وقيل: كلوا من حلالاته، فقد كانا ينزلان لم يَجْرِ عليهما يدُ إنسان تَثبُتُ به حرمةٌ أو شبهة. ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾: قيل: لا يظلمْ بعضُكم بعضًا فنأخذَه من صاحبه. ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ﴾ بضم اللام؛ أي: ينزل، وبالكسر؛ أي: يجب، وهو وعيدٌ على الطغيان. ﴿عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾: أي: هلك. وقيل: أي: سقط في النار. ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾: أي: كثيرُ المغفرة؛ أي: أُتْبع الوعيدَ الوعدَ، وعلى ذلك أكثرُ آيات القرآن؛ ليكون العبدُ بين الخوف والرجاء. ﴿لِمَنْ تَابَ﴾: أي: لمن تاب من الشرك ﴿وَآمَنَ﴾؛ أي: وحَّد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: وأدى فرائضه ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾: لم يشكَّ، وقيل: ﴿تَابَ﴾ من الذنوب ﴿وَآمَنَ﴾؛ أي: دام على ذلك ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: أخلص ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ لزم الإسلام حتى يموت[(١)].

(٨٣ - ٨٤) - ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى﴾ أي: كيف سبقْتَهم؟ قيل: كان اختار سبعين رجلًا للميقات بأمر اللَّه تعالى، فتعجَّل هو وخلَّف السبعين وأمرهم أن يتَّبعوه، فقال اللَّه: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى﴾؛ أي: عمَّن اخترْتَهم وهم السبعون، فـ ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ يلحقونني، وقيل: هم أولاءِ بالقرب مني مع هارون قد استخلفتُه عليهم وعجِلْتُ أنا. ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾: أي: إلى الموضع الذي وُعِدْتُ ﴿لِتَرْضَى﴾؛ أي: حرصًا على وجود

---

(١) جامع البيان (١٦/ ١٢٧)، والكشف والبيان (٦/ ٢٥٦)، والدر المنثور (٥/ ٥٩١)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٣٢٤)،والسبعة (١/ ٤٢٢)، والتيسير (١/ ١٥٢).

رضاك بالتعجُّل إلى وعدك.

(٨٥) - ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾: الذين خلَّفْتَهم مع هارون عاملناهم معاملةَ المختبِر ليظهَرَ منهم بفعلهم ما كان في علمنا أنهم يفعلونه. ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾: دعا هم إلى عبادة العجل واتِّخاذه إلهًا، ونَسب الضلال له لأنه سببُه.

(٨٦) - ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾: أي: على قومه بما صنعوه من عبادة العجل ﴿أَسِفًا﴾: شديدَ الغضب. وقيل: حزينًا على ما ينالهم بسببه. ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾: هو إنزال التوراة ليقِفوا بها على ما عليهم ولهم في دينهم، ويستحقُّوا بالعمل بها الكرامةَ، ويتخلَّصوا به من العقوبة، وهو إشارة إلى قوله: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾.

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾. معناه: أوَطالَ عليكم الزمانُ -كما يقال: كان ذلك في عهد فلانٍ- فنسيتُم بسببِ طول الزمان ما أُمرتم به؟! ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي: أم تعمَّدتُم ذلك من غير نسيان، وفعلتُم ذلك فعلَ مَن يريد أن يقع عليه غضبُ اللَّه تعالى بقصده خلافه. ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ أي: عهدي ويجوز إضافة الوعد إلى موسى: كنتُ واعدتُكم أن يكلمني اللَّه بحضرتكم، وكنت واعدتُكم أن أرجع إليكم ومعي الكتاب الذي فيه شرفكم وجمالكم ونجاتكم.

(٨٧) - ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾: بكسر الميم، وفتحها، والفتح والكسر، وهما القدرة والملك والسلطان؛ أي لم نُخلف الوعد ونحن مالكون أمورَ

أنفسنا ولنا سلطانٌ على أَمْرنا نملك به الرأيَ والتدبير، بل اضطُرِرنا إلى ذلك. ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا﴾: بالفتح والتخفيف؛ أي: احتملنا، وبضم الحاء والتشديد؛ أي: حمَّلوها علينا. ﴿أَوْزَارًا﴾؛ أي: أحمالًا ﴿مِن زِينَةِ﴾؛ أي: الحليِّ المستعارة من قوم فرعون. وقيل: أي: احتملنا آثامًا بأخذِ حليِّهم ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ عنَّا خروجًا عن إثمها. ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾: أي: كما ألقيناها[(١)].

(٨٨) - ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾: أي: السامريُّ لبني إسرائيل ﴿عِجْلًا﴾: ولدَ بقرةٍ؛ أي: في هيئته ﴿جَسَدًا﴾: مجسَّدًا ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾؛ أي: صوتٌ كصوت العجل، ﴿فَقَالُوا﴾؛ أي: الذين عبدوا العجل. ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾: أي: المستحِقُّ للعبادة. ﴿فَنَسِيَ﴾: قيل: معناه: قال السامري: فنسي موسى أنه هو وضلَّ عنه فذهب يطلب غيره، أو: ذهب يطلبه في موضع آخر ونسي أن يذكر لكم أن هذا إلهه. وقيل: بل معناه: قال الله جَلَّجَلَالُهُ: فنسي السامري؛ أي: ترك دينَ الإسلام وبدَّله بعبادة العجل، أو نسي الاستدلال على أن العجل لا يجوز أن يكون إلهًا، وهذا النسيان بمعنى التركِ والإعراض عن التأمل.

(٨٩-٩١) - ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾. أي: لا يردُّ إليهم قولًا. ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ﴾: أي: للَّذين عبدوا العجل من قبلِ رجوع موسى إليهم ﴿يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُم بِهِ﴾؛ أي: إنما جَعل الله تعالى هذا العجل فتنة يمتحن به ثباتكم على الإيمان. ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ

---

(١) التيسير في التفسير (١٠/٣٢٩)، والسبعة (١/ ٤٢٢ - ٤٢٣)، والتيسير (١/ ١٥٣)، والنشر (٢/ ٣٢١ - ٣٢٢).

﴿فَاتَّبِعُونِي﴾: أي: كونوا على ديني الذي هو الحق. وقيل: أي: فاتبعوني في مسيري إلى موسى. ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾: بذلك. ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾: أي: لن نزال على هذا العجل مقيمين نعبده ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ فننظرَ هل يعبدُه كما عبدناه؟ وهل صدَق السامري فيما قال: هذا إلهكم(١)؟

(٩٢- ٩٤) - ﴿قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾: يعني: فتركهم هارون حتى رجع موسى وخاطب قومه، ثم عاتب هارونَ فقال: ما منعك يا هارون إذ رأيتَهم ضلوا؟ ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾؛ أي: أن تتَّبعني فتلحقَ بي مع مَن أطاعك ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾. وقيل: أن تتَّبعني فيما قلت لك: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾: بالفتح على معنى: يا ابن أمَّاه، وبالكسر على معنى: يا ابن أمِّي. ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾: أي: فأخذ موسى ذلك منه، ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾أي: خشيتُ أنْ لو أمرتُهم أن يتَّبعوني في اللحاق بك أن تتَّبعني طائفةٌ وتصيرَ مع العابدين طائفةٌ وتشكَّ طائفةٌ. ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾؛ أي: لم تحفَظ قولي(٢).

(٩٥- ٩٦) - ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ﴾: أي: ما شأنك العظيم؛ أي: ما هذا العظيمُ الذي دعاك إلى ما صنعتَ؟! أقبَلَ عليه فسأله عن الأمر موبخًا له بعدما خاطب هارونَ بما خاطب. ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بتاء المخاطبة يخاطِبُ

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٤٧٢).

(٢) الكشاف (٣/ ٨٣)، وتفسير البيضاوي (٤/ ٣٧)، والسبعة (١/ ٤٢٣)، والتيسير (١/ ١١٣)، والتيسير في التفسير (١٠١/ ٣٣٢).

به موسى وقومَه، وبالياء،يعني: القومَ، ومعنى كلامِه: علمتُ بما لم تعلموا به، و﴿بَصُرْتُ﴾؛ أي: صرتُ بصيرًا؛ أي: عليمًا، والبَصارة والبَصيرة: العلم، من بَصَر القلب. وقيل: أي: رأيت ما لم تروه، من بَصَر العين، ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾: أي: من تراب فرس جبريل. ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: أي: ألقيتُها في العجل ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾؛ أي: زيَّنت نفسي أن أفعله، ففعلتُه اتِّباعًا لهوايَ وهو اعترافٌ بالخطأ واعتذارٌ منه.

(٩٧) - ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾؛ أي: ما عشت ﴿أَنْ تَقُولَ﴾؛ أي: لمن أراد مخالطتك جاهلًا بحالك فذكِّره بهذا، ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا مماسَّةَ بينك وبين الناس ولا مخالطةَ ولا مؤاكلةَ ولا مشاربة ولا معاملة، تضييقًا عليه وعقوبة له ؛ كما يُفعل ذلك بالجاني الذي التجأ إلى الحرام في شريعتنا ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾: بكسر اللام؛ أي: لا تجدُه خُلْفًا، وبفتح اللام أي: لن يُخْلِفك اللَّه، وهو عذاب الآخرة. ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾: أي: الذي اتخَذْتَه إلهًا. ﴿الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾: أصله: ظَلِلْتَ، ومعناه: أمضيتَ نهارك وأنت وأصحابُك عاكفينَ على عبادته. ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾: بالتشديد؛ أي: بالنار، ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾: أي: لَنُذَرِّيَنَّه ﴿فِي الْيَمِّ﴾؛ أي: البحر ﴿نَسْفًا﴾ تأكيدٌ له بالمصدر، وقد نَسَفَ الطعام بالمِنْسَف: إذا ذرَّاه ليطير عنه قشورُه[1].

(٩٨) - ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: أي:

---

(١) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤١٦)، ومجاز القرآن (٢/ ١٠٧)، وجامع البيان (١٨/ ٢٦١)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٣٣٦).

عمَّ فعلِم كلَّ شيء، ولا يخفى عليه خافيةٌ، فهو المستحِقُّ للعبادة، لا العجلُ الذي لا علمَ له ولا قدرة.

(٩٩) - ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾: أي: يا محمدُ كما قصَصْنا عليك هذه القصةَ نقصُّ عليك قِصصَ مَن سبَق من الأنبياء والأمم؛ لنُعْلِمك ما لم تكن تعلمُ أنه لك مَسْلاةً وتثبيًا. ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾: أي: وقد أعطيناك من عندنا كتابًا فيه ذكرُ ما بالناس حاجةٌ إليه من أمور دِينهم ودنياهم، وفيه وعظٌ لمن يتذكَّر، وشرفٌ لقومك إذ هو بلسانهم، والذكر اسمٌ لكلِّ ذلك.

(١٠٠ - ١٠١) - ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾: أي: عن هذا الذكر فلم يَقبلْه ولم يَعمل به ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾؛ أي: حملًا ثقيلًا، وهو إثمُ الكفر بالقرآن. ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾؛ أي: مؤبَّدين في عذاب ذلك الوِزر، والعذابُ مضمَرٌ. وقيل: في ذلك الوزر، وهو الحِمل. ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾: أي: وما أسوأَ هذا الوِزْرَ حِملًا لمن أعرضَ عنه.

(١٠٢) - ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: وهو بيان للنفخة الثانية التي هي للبعث. ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾: قيل: ازْرَقَّت عيونهم من شدة العطش. وقيل: أي: عَمِيتْ؛ كما قال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾[الإسراء: ٩٧] كأنها تُرى زرقًا وهي عمياءُ. وقيل: أي: نُشوِّه خلقتَهم فتسودُّ وجوهُهم وتَزرقُّ عيونُهم.

(١٠٣ - ١٠٤) - ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: يتسارُّون فيما بينهم. ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾: أي: ما لبثتُم في الدنيا إلا عشرَ ليالٍ بأيامها؛ أي: لعظيمِ ما عايَنوا من

الأهوال يخيَّل إلى بعضهم أنهم لم يعيشوا في الدنيا إلا عشرةَ أيام. ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾: أي: لا يخفى علينا ما يتسارُّون به وإن كان همسًا، إذ يقول أفضلُهم حالًا ومذهبًا عند نفسه وعند أصحابه في العلم والحفظ والتذكُّر: ما لبثتُم إلا يومًا.

(١٠٥ - ١٠٦) - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾: أي: سيسألونك عن الجبال: ما يصنع اللّه بها في هذا اليوم، قيل: إن مشركي العرب سألوا النبي ﷺ فقالوا: فكيف هذه الجبال في اليوم الذي تذكر؟ فنزلت الآية: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ولذلك أجاب بالفاء، وتقديره: إذا سألوك فقل. ﴿يَنْسِفُهَا﴾ أي: يقلَعُها، وقيل: يستأصلها ويُطيِّرها، وقيل: يذهب بها ولا يُبقي منها شيئًا. ﴿فَيَذَرُهَا﴾: أي: فيدعُ مواضعها ﴿قَاعًا﴾: أرضًا ملساء ﴿صَفْصَفًا﴾: مستويةً[(١)].

(١٠٧ - ١٠٨) - ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾: اعوجاجًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾؛ أي: تفاوتًا بارتفاع وانخفاض، وقيل: اضطرابًا. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾: أي: داعي اللّهِ تعالى إلى الموقف، قيل: هو إسرافيل بالنفخ في الصور على صخرةِ بيت المقدس. ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾: أي: لا انحرافَ عنه، بل يستقيمون سراعًا إليه، كما قال: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾[القمر: ٨] وقال: ﴿سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣]. ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾: أي: خضع الناس وسكنوا لهيبةِ الرحمن، فلا تعلو أصواتهم. ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾: قيل: أي: صوتًا خفيًّا؛ كما

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٢٥)، وتفسير السمعاني (٣/ ٣٥٥)، والبسيط (١٤/ ٥٢١)، ومعالم التنزيل (٥/ ٢٩٤).

قال تعالى: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [طه: ١٠٣]. وقيل: إلا نَفَسًا. وقيل: إلا أنينًا.

(١٠٩) - ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾: أي: ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ مشفوعًا له ﴿إِلَّا﴾ أن يكون الشافعُ قد ﴿أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الشفاعة ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾؛ أي: رضي ما يقوله من الشفاعة، بأنْ تكون شفاعتُه لمن يجوز أن يُغفر له، وهو المسلم دون الكافر، وهو كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(١١٠ -١١١) - ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: هم الملائكة ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الساعة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الدنيا. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾: أي: بعِلْم ذلك، وقيل: ﴿بِهِ﴾؛ أي: بما أحاط به علم اللّه.

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾: أي: خضعت وذلَّت، وكنَى بالوجوه عن الناس؛ لأن آثار الخضوع والذل في الوجوه، ﴿لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾: للّه الواحدِ القهار، الحيِّ القيوم الذي لا يموت، وهو قائمٌ بتدبير خلقه، وقائم على كلِّ نفس بما كسبت. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾: أي: يئس من رحمة اللّه وثوابه مَن حَمَل إلى موقف القيامة ظلمًا؛ أي: شركًا، وهو وضعُ العبادة في غير موضعها.

(١١٢ -١١٣) - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: ولم يحمل ظلمًا ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ وهو أن يُزاد في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾؛ أي: يُنقص من حسناته. ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: أي: وكالذي قدَّمنا ذكرَه أنزلنا عليك هذه السورةَ قرآنًا بلغة العرب ليَعقلوه. ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ﴾؛ أي: القولَ ﴿مِنَ الْوَعِيدِ﴾: بأنواع العذاب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: ما خوَّفتَهم به ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ

﴿ذِكْرًا﴾: أو يجدِّدُ لهم ذكرَ نِعمِ اللَّه تعالى. وقيل: تذكُّرًا واتِّعاظًا، وقيل: شرفًا، و﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو.

(١١٤) - ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾: تنزَّه اللَّه عما أضافه إليه المشركون مما لا يليق به، وهو الملك الحق، فهو الغني الذي لا يَلحقه حاجةٌ، وملوك الخلق محتاجون، فليسوا ملوكًا على الحقيقة. ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾: هو كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[القيامة: ١٦]، وكان لحرصه على أخذ القرآن عن جبريل يَعْجَل بقراءته قبل استتمام جبريل إيحاءَه إليه، فقال اللَّه تعالى: لا تعجل به إلى أن يتم وحيُه وإلقاؤه إليك. وقيل: ولا تَعْجَلْ بقراءته على أصحابك قبل أن يبين لك معناه. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾: بفوائده(١).

(١١٥) - ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: أوصينا وأَمَرْنا، ﴿فَنَسِيَ﴾: أي: خَفِيَ عليه الحال ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾: أي: قصدًا.

(١١٦ -١١٧) - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾: مر تفسيره في سورة البقرة. ﴿فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ﴾: لم يسجد لك ولم يَرَ فضلك، وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾[الأعراف: ١٢]، ﴿وَلِزَوْجِكَ﴾، لأنها سكنُك وموضعُ أُنْسك، فصار عدوًّا لها بعداوتك، ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾: أي: فلا يكونَنَّ سببًا لخروجكما بأنْ تطيعاه فيما يوسوسُ إليكما في مخالفةِ أمري. ﴿مِنَ الْجَنَّةِ﴾: أي: هذه الجنة التي أنتما فيها ﴿فَتَشْقَى﴾؛ أي: فتتعبَ في الدنيا بالكسب.

(١١٨ - ١٢٠) - ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾: أي: في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَى﴾؛

---

(١) البسيط (١٤/ ٥٣٧ - ٥٣٨)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٣٤٧).

أي: عن الملابس؛ أي: هي مُعدَّةٌ فيها أبدًا، وكذا الطعام. ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ أي: ولا تعطش؛ لوجود الأشربة فيها. ﴿وَلَا تَضْحَى﴾؛ أي: لا تبرز لشمس؛ لأنك في منازل الجنة، وفي ظلٍّ ظليلٍ لا شمسَ فيها ولا زمهرير. ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾: أي: لا يضعف ولا ينقطع كالثوب إذا بَلِي.

(١٢١) - ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾: العصيان: وقوع الفعل على خلاف الأمر والنهي، وقد يكون عمدًا فيكونُ ذنبًا، وقد يكون خطأً فيكون زلةً، ﴿فَغَوَى﴾؛ أي: تغيَّر حاله عليه، وقيل: أي: فجهل موضعَ الحظِّ.

(١٢٢ - ١٢٣) - ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾: أي: اختاره. ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: وفقه للرجوع إليه ﴿وَهَدَى﴾؛ أي: وهداه إلى الاعتذار والاستغفار. ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ مر تفسيره في سورة الأعراف. ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾: في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَى﴾: في الآخرة. وقيل: لا يضلُّ عن الجنة، ولا يشقى في النار[(١)].

(١٢٤ - ١٢٥) - ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾: أي: كتابي فلم يَقبله ولم يعمل به، بخلافِ مَن اتَّبع الهدى. وقيل: هو الإعراض عن قراءته حتى ينساه، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾: أي: ضيقةً، أي: في الدنيا، ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾: قيل: أي: عن الحجة والحيلة والاهتداء إلى ما ينفعه. وقيل: يحشر بصيرًا

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٤٨٥)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٣٥٢).

إلى أن يحاسب ويقرأ الكتب، ثم يصير أعمى، ثم يساق إلى النار، ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾: أي: يا ربِّ، لم عاقبْتَني بهذا؟ وبأيِّ ذنبٍ أعميتَني؟ يظنُّ أنه لم يكن له ذنب(١).

(١٢٦ - ١٢٧) - ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾: أي: تركتَها وتناسَيْتَ عنها ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾: أي: تترك في العقوبات كالمنسيِّ لا يُذكر ولا يُخلَّص. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾: وجاوَزَ الحدَّ في المعصية حتى انتهى إلى الشرك. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾: أي من المعيشة الضَّنْك في الدنيا وفي القبر، ومن العمى في القيامة.

(١٢٨ - ١٢٩) - ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: أي: أفلم يبيِّنْ لهم؟، استفهامٌ بمعنى الإثبات. ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي: كثرةُ مَن أهلكنا من القرون، أي: أفلم يبيِّن للمشركين كثرةُ القرون المهلَكين بمخالفة الأمر أن حالهم كذلك؟. وقيل: أفلم يبيِّن القرآنُ للمشركين كثرةَ مَن أهلكنا؟. ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾: أي: يمشي هؤلاء المشركون في مساكن أولئك المهلَكين، وهم عادٌ وثمودُ وقومُ لوطٍ وشعيبٍ، وكانت العرب تسير للتجارة وغيرها في بلادهم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾: أي: أصحابِ العقول؛ أي: يتفكَّرون في أنهم كفروا وعصَوا فاستُؤصلوا، فلا يفعلوا كذلك لئلا يُفعل بهم كذلك. ذكَر إهلاكَ الأولين ثم أخبر عن سبب تأخير إهلاك الآخرين فقال: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ معناه: ولولا قولٌ سبَق من ربِّك أنه لا يعذِّب هذه الأمةَ

---

(١) جامع البيان (١٦/ ١٩٣)، والدر المنثور (٥/ ٦٠٩).

بالاستئصال في الدنيا، ولولا أجلٌ مسمًّى وهو الساعةُ التي سبق القول بتأخير العذاب إليها، لجاءهم العذاب عاجلًا ولازمهم، وقيل: الأجل المسمَّى في الدنيا، ومعناه: ولولا كلمةٌ سبقت من ربِّك في أنَّ لإهلاكِ هؤلاء وقتًا معلومًا قد جعَله وقتًا لذلك وسماه له، لكان الهلاكُ لزامًا، فالهلاك مضمر، و﴿لِزَامًا﴾؛ أي: مُلازمًا عاجلًا، وقد حلَّ ذلك الأجَل.

(١٣٠) - ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: أي على ما يقول هؤلاء المشركون في اللَّه تعالى وفيك من الأباطيل. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: أي: صلِّ مسبِّحًا لربِّك حامدًا له ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاة العصر. ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾: أي: ساعاته، جمع إنًى وأناءٍ، وهي صلاةُ العتمة لأنها تصلَّى بعد مضيِّ آناءٍ من الليل. ﴿فَسَبِّحْ﴾: أي: فصلِّ له. ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: جمعُ طرَف، وأراد بها هاهنا صلاة الظهر والمغرب، وصلاةُ الظهر في آخر طرف النهار الأول، وفي أولِ طرف النهار الآخر، وهي في طرفين منه، والطرفُ الثالث غروبُ الشمس، وهو عندها يصلِّي صلاة المغرب. ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾: أي: يرضيك اللَّه، وقيل: أي: تكونُ مرضيًّا عند اللَّه بطاعتك؛ وقيل: يعطيك من الثواب ما تريده فترضى.

(١٣١) - ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾: أي: أشكالًا؛ أي: رجالًا متشاكِلين في الذهاب عن الصواب والتمتُّع بكثير الإمتاع، والإمتاع: الإلذاذ بالمناظر الحسنة والأصوات المطربة والروائح الطيبة. ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: زينتَها وحُسنها، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: أي: لنختبِرَهم بها

أعطيناهم، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾: أي: وما يُعطيه اللَّه تعالى رسولَه والمؤمنين في الآخرة من الثواب على صبرهم وقمعِهم أنفسَهم من النزاع إلى ما متَّعنا به هؤلاء ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ من ذلك؛ لأنَّه باقٍ، ولأنه يؤدي إلى رضا اللَّه تعالى، وهذا فانٍ ويؤدي إلى سَخَط اللَّه تعالى[١].

(١٣٢) - ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾: أي: أهلَ بيتك، وقيل: أمَّتك ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: واثبُتْ ودُم عليها. ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾: أي: لا نسألك أن تَرزق نفسكَ وإياهم ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وإياهم. ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾: أي: العاقبة المحمودة ﴿لِلتَّقْوَى﴾؛ أي: لأهل التقوى. وقيل: العاقبة: الجنة.

(١٣٣) - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا﴾: أي: قال هؤلاء الكفارُ: هلَّا يأتينا محمدٌ ﷺ ﴿بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾: بعلامةٍ تدل على صحة نبوته، يلبِّسون بهذا الكلام على ضعفَتهم. ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾: أي: الآيةُ الدالةُ على نبوته بما وجدوه في الكتب المتقدمة من البشارة، وذكرِ نبوته، ووصفِ أصحابه وأمته.

(١٣٤) - ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: أي: هؤلاء ﴿بِعَذَابٍ﴾ يعاجلهم به ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبلِ إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾: أي: هلَّا أرسلت ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾: بالعذاب، فقد قطعْنا هذا العذر بما أَرسلنا وما أَنزلنا.

(١٣٥) - ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لهم: ﴿كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ﴾ منَّا ومنكم، مترقِّبٌ عاقبةَ أمره ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾؛ أي: أنتم عاقبةَ أمركم فنحن متربصون. وقيل: أنتم

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٢١٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٧٠)، والدر المنثور (٥/ ٦١٠).

تتربصون موتنا لتستريحوا منا، ونحن نتربَّص بكم العذاب. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: أي: عند الموت ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾؛ أي: الدائنون بالدِّين المستقيم. ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾؛ أي: ومَن المهتدِي أنحن أم أنتم؟[١].

(انتهى تفسير سورة طه).

(١) الكشف والبيان (٦/ ٢٦٧)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٣٦٣)، ولطائف الإشارات (٢/ ٤٨٨ - ٤٩٢).

(٢١) سورة الأنبياء مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة الأنبياء مكيةٌ، سميت بـ «سورة الأنبياء»، ولا يعرف لها اسم غير هذا، ووجه تسميتها سورة الأنبياء أنها ذكر فيها أسماء ستة عشر نبيئا ومريم -عليهم السلام- ولم يأت في سور القرآن مثل هذا العدد من أسماء الأنبياء في سورة من سور القرآن عدا ما في سورة الأنعام، وهي مئة واثنتا عشرة آيةً، وقيل: إحدى عشرة؛ للاختلاف في آية: ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦]، وهي ألفٌ ومئةٌ وخمسٌ وستون كلمة، وأربعةُ آلاف وتسعُ مئةٍ وتسعةٌ وتسعون حرفًا، نزلت بعد حم السجدة وقبل سورة النحل وهي السورة الحادية والسبعون في ترتيب النزول(١).

أغراض السورة:

والأغراض التي ذكرت في هذه السورة هي:

- الإنذار بالبعث، وتحقيق وقوعه وإنه لتحقق وقوعه كان قريبًا.

- وإقامة الحجة عليه بخلق السماوات والأرض عن عدم وخلق الموجودات من الماء.

- والتحذير من التكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله.

- والتذكير بأن هذا الرسول ﷺ ما هو إلا كأمثاله من الرسل وما جاء إلا

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/٧).

بمثل ما جاء به الرسل من قبله.

- وذكر كثير من أخبار الرسل عليهم السلام.

- والتنويه بشأن القرآن وأنه نعمة من الله على المخاطبين وشأن رسول الإسلام ﷺ وأنه رحمة للعالمين.

- والتذكير بما أصاب الأمم السالفة من جراء تكذيبهم رسلهم وأن وعد الله للذين كذبوا واقع لا يغرهم تأخيره فهو جاء لا محالة.

- وحذرهم من أن يغتروا بتأخيره كما اغتر الذين من قبلهم حتى أصابهم بغتة، وذكر من أشراط الساعة فتح يأجوج ومأجوج.

- وذكرهم بما في خلق السماوات والأرض من الدلالة على الخالق.

- ومن الإيماء إلى أن وراء هذه الحياة حياة أخرى أتقن وأحكم لتجزى كل نفس بما كسبت وينتصر الحق على الباطل.

- ثم ما في ذلك الخلق من الدلائل على وحدانية الخالق إذ لا يستقيم هذا النظام بتعدد الآلهة.

- وتنزيه الله تعالى عن الشركاء وعن الأولاد والاستدلال على وحدانية الله تعالى.

- وما يكرهه على فعل ما لا يريد.

- وأن جميع المخلوقات صائرون إلى الفناء.

-وأعقب ذلك بتذكيرهم بالنعمة الكبرى عليهم وهي نعمة الحفظ.

- ثم عطف الكلام إلى ذكر الرسل والأنبياء.

- وتنظير أحوالهم وأحوال أممهم بأحوال محمد ﷺ وأحوال قومه.

- وكيف نصر الله الرسل على أقوامهم واستجاب دعواتهم.

- وأن الرسل كلهم جاءوا بدين الله وهو دين واحد في أصوله قطعه الضالون قطعا.

- وأثنى على الرسل وعلى من آمنوا بهم.

- وأن العاقبة للمؤمنين في خير الدنيا وخير الآخرة، وأن الله سيحكم بين الفريقين بالحق ويعين رسله على تبليغ شرعه(١)، وانتظامُ أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال: ﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ وهذا العلم حين يعرف الناس حسابهم، وأولُ هذه: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، وانتظام السورتين: أن (سورة طه) في ذكر اللَّه تعالى وقدرته وجلاله، وذكرِ القرآن وإنزاله، وإرسالِ الرسل ونصرتهم، وتوبيخِ الكفار وعقوبتهم، ونفعِ الطاعة وضررِ المعصية، وهذه السورة كذلك(٢).

(١-٢) - ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾: أي: دنا للناس وقتُ حسابهم على أعمالهم، وهو يوم القيامة، وهو تنبيهٌ على قِصَر ما بقي من مدة الدنيا ليستعدُّوا للآخرة ولا يركَنوا إلى الدنيا. ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: عن هذا ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التأمل فيه والاستعدادِ له. ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾: من شيءٍ من القرآن ﴿مِنْ رَبِّهِمْ

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٨).

(٢) الكشف والبيان (٦/ ٢٦٨)، بصائر ذوي التمييز (١/ ٣٢٢)، البيان في عد آي القرآن (١/ ١٨٧).

﴿مُحْدَثٍ﴾: لم يكن أتاهم قبل ذلك مما هو ذكرٌ؛ أي: وعظٌ وإذكارٌ لِمَا يلزمُهم التفكُّرُ فيه، وذكرٌ لِمَا بهم الحاجة إليه من مراشد دينهم ودنياهم. ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾: من النبي ﷺ أو غيرِه ممن يَتْلوه. ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يستهزؤون به، يشتغلون عنه بأمور دنياهم لا يتفكرون فيه.

(٣) - ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾: أي: متشاغلةً عن التأمُّل فيه، من قولهم: لَهِيْتُ عن الشيء أَلْهَى عنه، أي: غفلتُ عنه. ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: والذين ظلموا أسروا النجوى، أي: تناجوا فيما بينهم -يعني المشركين الذين وُصفوا باللهو واللعب-، ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ترجمة سرهم، أي: تناجوا بهذا القول فيما بينهم يريدون: أن محمدًا بشر آدمي مثلكم، لحم ودم، ليس مثل الملائكة، ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: استفهام بمعنى التوبيخ والاستنكار؛ أي: يقولون للضَّعفة: ليس هو برسول بل هو ساحر، أفتأتونه لاستماع هذا الكلام الذي هو سحرٌ وأنتم تعلمون أنه سحر، وهذا منكم خطأٌ وسَفَهٌ؟. وقيل: وأنتم ترونه بشرًا مثلكم، وسمَّوا كلامه سحرًا على معنى أنه يَرُوقُ ويَرُوعُ ويأخذ بالقلوب(١).

(٤) - ﴿قَالَ﴾ أي: يا محمد ﷺ قل للَّذين أسرُّوا النجوى: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ قولَ كلِّ قائلٍ هو في السماء أو في الأرض. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: وهو السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم وأسرارهم.

(٥) - ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾: أي: لتحيُّرهم تضطرب أقوالهم، وهاهنا مضمر: قالوا: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ثم لم يثبتوا على هذا ﴿بَلْ قَالُوا

(١) جامع البيان (٩/ ٦١٥)، وتفسير مقاتل (٣/ ٦٩)، والبسيط (١٥/ ١٦).

﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾؛ أي: تخاليط وتهاويل من الرؤيا رآها في نومه فتوهَّمها وحيًا من اللَّه إليه، ثم لم يثبتوا على هذا حتى قالوا: ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾؛ أي: اختلقه من نفسه وكذَب به على اللَّه تعالى، ثم لم يثبتوا على هذا حتى قالوا: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ وما أتى به شعرٌ، كلامٌ يَنْظِمُه هو. ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾: لمَّا كانوا علماءَ بضروب الكلام، وكانوا يعلمون أنه ليس بسحرٍ ولا بشعرٍ ولا برؤيا، تحكَّموا واقترحوا فقالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ﴾؛ أي: بمعجزةٍ كمعجزات موسى وعيسى -عليهما السلام- وغيرهما، فأمَّا هذا القرآن فإنَّا لا نرضى به آيةً، فردَّ اللَّه عليهم هذا فقال:

(٦ - ٧) - ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: أي: لم يؤمن أهلُ القرى الذين أهلكناهم وقصصْنا عليكم أخبارهم مع مجيء الآيات التي اقترحوها.

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: أهؤلاء المقترحون يؤمنون لو أتيناهم بما اقترحوا؟، وهو استفهام بمعنى النفي. وقيل: ما آمنتْ قبل هؤلاء قريةٌ قد سبق لها الهلاك على الكفر، أفأهل مكة يؤمنون وقد سبق لهم أنهم يموتون على الكفر. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾: هو ردُّ قولهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ استبعَدوا الرسالة من البشر وقالوا: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١] قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ الرسلَ ﴿قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ بشرًا لم يكونوا ملائكة ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: مع ذلك كان يأتيهم الوحي من عندي على ألسُن الملائكة. ﴿فَاسْأَلُوا﴾: أي: يا أهل مكة ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أهلَ الكتب المتقدمة ممن تقرأ التوراة والإنجيل والزبور، وذلك لأنهم كانوا يذكرون أقاصيصَ الأنبياء والأمم ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ والعرب لم تكن تعرف ذلك ولا تذكُره، فكان أولئك يسمَّون

أهلَ الذكر، وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم، فأمرهم بسؤالهم ليقع لهم العلم بإخبارهم بأن الأنبياء قبله كانوا من البشر. وقيل: ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: مؤمنو أهل الكتاب. وقيل: ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالقرآن. قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠] وهذا دعاءٌ إلى مساءلة أهل العلم من المؤمنين ومناظرتهم والاجتماعِ معهم على البحث والنظر ليخرجوا بذلك عن التقليد(١).

(٨ - ٩) - ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾: أي: وما جعلنا كلَّ واحد منهم جسدًا -كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]؛ أي: يخرج كلَّ واحد منكم طفلًا- ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾؛ أي: كانوا في طباع البشر محتاجين إلى ما يُقيم أبدانهم. وقيل: الجسد كنايةٌ عما لا يتصرَّف ولا يتحرَّك ولا يحتاج إلى غذاء. ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾: لا يموتون؛ أي: فكذلك أنت يا محمد، والرسالة لا توجب الخروجَ من البشرية. ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾: من النصرة والنجاة ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ﴾ مما أحلَلْناه بقومهم المكذِّبين. ﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾: أي: وأنجينا مَن نشاء، وهم المؤمنون بهم. ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾: المجاوزين الحدَّ بالكفر والشرك، ودلَّ الإخبار بإهلاك المسرفين أن ﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ غيرُهم.

(١٠) - ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: أي: إلى نبيكم، والإنزال إلى النبي إنزالٌ إلى أمته لأنهم مخاطَبون به. ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: أي: شرفُكم، من قولهم: فلان مذكورٌ في الناس، وإنما صار شرفًا لهم لأنه منزَلٌ على رسول هو منهم، والمنزَل بلسانهم، والناسُ يتفاخرون بكتبٍ يؤلِّفُها لهم حكماؤهم، فكيف بكتابٍ أنزله اللّه تعالى على

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٤٩٢)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٣٧٣).

شريفٍ منهم؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلستُم عقلاءَ تعرفون مواضع حظوظكم، فكيف غفلتُم عن تحصيل الشرف بالإيمان بهذا الكتاب ومُعاوَنةِ مَن أتى به[(١)].

(١١) - ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾: وهذا ترهيب بعد ترغيب؛ أي: وكم كسرنا، وهو عبارة عن الإهلاك، يقال: كُسر الجيش، وقيل: أهلكنا، وقيل: دمَّرنا. ﴿مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾: أي: من أهل قرية كانوا ظالمين؛ أي: مشركين. ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا﴾: أي: خلقنا ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ غيرَهم[(٢)].

(١٢ - ١٣) - ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾: أي: رأوا عذابنا ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾؛ أي: أخذوا يهربون خارجين منها يحركون أقدامهم عَدْوًا. ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾: أي: قيل لهم: لا تَفِرُّوا ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾؛ أي: إلى نعمكم التي خوِّلتموها وتوسَّعْتُم فيها حتى بَطِرْتُم بها وكفرتُم وأعرضتُم، والمترَف: الموسَّع عليه عيشُه، القليل فيه همُّه[(٣)]. ﴿وَمَسَاكِنِكُمْ﴾: أي: وأتوا مساكنكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ يعني: عن دِينكم.

(١٤ - ١٥) - ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: أي: أنفسَنا بكفرنا، ولا ينفعهم هذا الاعتراف. ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ﴾: أي: تلك الكلمة، أو تلك الدعوى ﴿دَعْوَاهُمْ﴾؛ أي: دعاءهم -كقوله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ [يونس: ١٠]؛ أي: دعاؤهم فيها- بالويل والثبور على أنفسهم. ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾: أي:

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٢٣٢)، والدر المنثور (٥/ ٦١٧).

(٢) الكشف والبيان (٣/ ٢٢٨)، الكشاف (١/ ٤٥١).

(٣) العين (٨/ ١١٤).

محصودًا بالسيف كحصيد الزرع. ﴿خَامِدِينَ﴾: ميتين كخمود النار.

(١٦ -١٧) - ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾: أي: وما خلقتُ ذلك وأنا أريد به اللعب؛ بل خلقتُ الخلق للابتلاء بالأمر والنهي، ثم أبعثُهم بعد الموت لأجازيَهم في الآخرة على الخير الشر. وهذه الآية في إثبات وحدانيته، وما قبلها في إثبات رسالة رسوله وحقِّيَّة كتابه. ثم ذكر بعدها تنزيهَه عن الصاحبة والولد، فقال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾: أي: زوجة، وقيل: اللهو بلغة أهل اليمن المرأة؛ لأنَّها يُلهى بها ويُصرَف الهم. وقيل: يقع اللهو على الزوجة والولد. ﴿لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾: أي: من عندنا لا من عندك. وقيل: لو اتخذنا ولدًا لم يكن ذلك ما تنحتونه من الأوثان المتَّخذة من طينٍ وخشبٍ وحجارة، بل كنا نتَّخذه نحن من عندنا؛ أي: كيف يكون ما تنحتونه ولدًا لنا؟. ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾: قيل: هو على الشرط: لو جاز ذلك لفعلنا، لكنَّا لسنا ﴿فَاعِلِينَ﴾ لاستحالة ذلك. وتم الكلام عند قوله: ﴿لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ ثم قوله: ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ معناه: ما كنَّا لنفعلَ ذلك، و﴿إِنْ﴾ للنفي كما في قوله: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣].

(١٨ - ١٩) - ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾: أي: ليس الأمر كما تتوهمون من قوة الباطل، وأنكم تُتركون على ضلالكم وتمويهكم على الضَّعَفة، ﴿بَلْ﴾؛ أي: لكن ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: نرمي بالحق ﴿عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾: فيقهر الحقُّ الباطل ويعلُوه، كما يفعل القاتل بالمقتول إذا أصاب دماغه. ﴿فَإِذَا هُوَ﴾: أي: الباطل ﴿زَاهِقٌ﴾؛ أي: هالك ذاهبٌ كالحي تزهَق نفسه فيموت. ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾: أي: الوعيد والعذاب الشديد في الآخرة ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾؛ أي:

تُضيفون إلى اللَّه تعالى ما لا يليق به. ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: هم خلقُه وملكُه، فكيف يكون شيء منه شريكًا له أو ولدًا أو صاحبة؟ ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾: أي: الملائكةُ الذين عنده، وهو بيانُ قربِ المنزلة دون قربِ المكان، فإن اللَّه تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، وهم الذين يعبدهم كثير من المشركين. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾: أي: لا يتعظَّمون عنها بل يداومون عليها ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾؛ أي: لا يَكلُّون ولا يَملُّون ولا يَعيَوْن[١].

(٢٠ -٢٢) - ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: على المواظبة ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾: لا يضعفون ولا يعيَون. ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾: أي: يُحيون الموتى. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾: أي: لو توهِّم وجود السماوات والأرض بصانعَين لفسدتا؛ لِمَا يجري بين الصانعَين من التمانع؛ لأنَّهما لا يخلوان من أن يكونا قادرين، أو عاجزين، أو أحدهما عاجزًا والآخرُ قادرًا، والعاجز لا يكون إلهًا، وفي كونهما قادرين مع جواز ممانعةِ أحدهما صاحبَه ما يوجب استحالة وجود فعلهما؛ أو يَحتاج كلُّ واحد إلى موافقة صاحبه لحصول مراده، والحاجةُ نقصٌ يستحيل معها الإلهيَّةُ، فإذا لم يكونا إلهين خلا العالم عن مدبِّر له، وفي ذلك مما يوجب انتقاضَ أمور العالم، وفي وجود العالم على ما هو عليه من الاتِّفاق دليلُ صانع واحد. ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾: أي: نزِّهوا اللَّه ﴿رَبِّ الْعَرْشِ﴾ العظيم ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ أي: من الولد والشركاء.

(٢٣ - ٢٤) - ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾: أي: من أفعال الربوبية ﴿وَهُمْ

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٤٠)، والبسيط (١٥/ ٣٢)، ومعالم التنزيل (٥/ ٣١٢).

﴿يُسْأَلُونَ﴾ عما كلِّفوا به من العبودية. ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾: قيل: الإعادة لتجديد إفادة؛ فإن الأول إنكار عليهم من حيث العقلُ، والثاني من حيث الخبر؛ أي: أيقولون ذلك عقلًا وهم يُنشرون الأموات فيقعَ لهم شبهةٌ؟، أم يقولون من جهة الخبر أنَّا أخبرنا في الكتب أنهم آلهةٌ، وليس كذلك، فلا إنشار ولا إخبار، وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: على أنه في الكتب ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾؛ أي: هذا الكتاب -وهو القرآن- وكتابُ مَن قبلي وهو التوراة والإنجيل ليس ذلك في شيء منها؛ بل كلُّها دالة على التوحيد ونفي الصاحبة والولد والشريك، فقد بطل اتخاذ الآلهة من الجهات كلها. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾: من أين يُتعرَّف؟ ومن أيِّ جهة يُطلب؟ ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن الحقِّ كذلك(١).

(٢٥ -٢٦) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ أي: ولم نرسل قبلك رسولًا إلا أوحينا إليه بالتوحيد وتجريدِ العبادة للَّه، دون الشرك الذين يَدين به هؤلاء، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾: أي: قال طائفة من العرب: اتخذ اللَّه الملائكةَ بناتٍ ﴿سُبْحَانَهُ﴾؛ أي: تنزَّه اللَّه تعالى عن ذلك وتقدَّس. ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾: أي: ليس كما قالوا، لكنهم ﴿عِبَادٌ﴾ لي ﴿مُكْرَمُونَ﴾؛ أي: أكرمتُهم ورفعتُ منزلتهم.

(٢٧ -٢٨) - ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾: أي: لا يقولون شيئًا لم يؤذَن لهم فيه. وقيل: هو إبطال ظنِّ المشركين، فإنهم كانوا يعبدون الملائكة طمعًا في شفاعتهم، فقال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾؛ أي: لا يقولون شيئًا لم يؤذن لهم فيه. ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ

---

(١) التيسير في التفسير (١٠/ ٣٨٤).

﴿يَعْمَلُونَ﴾: ذكر طاعتهم في القول والعمل جميعًا. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: مما لم يبلُغوه بعدُ: ماذا يعملون فيه؟؛ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: ويعلم ما مضى من أزمنتهم فخلَّفوه ما عملوا فيه؛ أي: أحصى ذلك عليهم وحفظه ليحاسبهم، فهم مستعبَدون محاسبون، فكيف يتقدمون بين يدي اللّه فيشفعون لمن لم يأذن لهم فيه؟. ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾: أي: لمن هو مرضيٌّ عند اللّه بالتوحيد، ومن شفاعتهم ﴿لِمَنِ ارْتَضَى﴾ هو استغفارهم الآن، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ الآية [غافر: ٧]. ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾: أي: خائفون.

(٢٩ - ٣٠) - ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾: أي: من دون اللّه ﴿فَذَلِكَ﴾ القائلُ ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ على ادعائه الشركةَ في الألوهية. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: أي: هكذا نفعل بمن ادَّعى ما ليس له أن يدَّعيَه، وهذا الوعيد تحقَّق في إبليس خاصة كما قال ابن عباس. ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾: وهذا بيان دلالة التوحيد، والرَّتق: السد، ومنه الرَّتْقاء: وهي المرأة التي فرجها ملتحمٌ، والفَتْق: الشَّق، ومعناه: أولم ير الكفار بالأبصار؟، وهو استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: قد رأوا ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾؛ أي: تكونان مرتوقتَين، مصدرٌ أريد به النعت فلم يثنَّ لذلك، وإنما ثُني ﴿كَانَتَا﴾ مع أن السماوات والأرض جمع؛ لأنَّهما صنفان. ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾: أي: ففتق السماء بالمطر والأرضَ بالنبات قوامًا للعالَم. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾: أي: وجعلنا من ماء السماء كلَّ شيء على وجه الأرض حيًّا، وتأويل آخر: أولم يعلم

الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتَين ففتقناها بالهواء؟، والرؤية على هذا من رؤية بصر القلب وهي العلم؛ أي: فليعلموا ذلك. ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: أفلا يصدِّقون بأن ذلك لم يكن بنفسه بل بمكنونِ كونه؟، وقيل: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: أفلا يصدِّقون بهذا وقد أتاهم الخبر به عن الله تعالى؟(١).

(٣١) - ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: أي: جبالًا ثوابتَ ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾؛ أي: لئلا تضطرب بهم؛ ليَتِمَّ القرار عليها والتمكُّن فيها. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: بين الجبال؛ ﴿فِجَاجًا﴾ أي: طرقًا واسعة، جمع فجٍّ، ومنه: تفاجَّ؛ أي: فتح ما بين رجليه للبول. وقيل: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض، فيعمُّ الجبال والسهول. ﴿سُبُلًا﴾: أي: مسالكَ، وهو كقوله تعالى: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[نوح: ٢٠]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: أي: ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة، ودخل فيها (لعل) لأنه قد ينقطع الاستدلال، وقد يقع فيه الخطأ.

(٣٢ - ٣٣) - ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾: أي: مُظِلًّا عليكم كالسقف ﴿مَحْفُوظًا﴾ في موضعه عن السقوط، وقيل: ﴿مَحْفُوظًا﴾ بالشهب من الشياطين، كما قال: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧]. ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾: أي: آياتِ السماوات والأرض ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكَّرون فيها، بخلاف المؤمنين الذين يتفكَّرون في خلق السماوات والأرض ويقولون: سبحانك ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾[آل عمران: ١٩١]. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾:

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٢٥٤)، والدر المنثور (٥/ ٦٢٥)، والبسيط (١٥/ ٥٥)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٣٨٧).

الليلَ ليسكنوا فيه والنهارَ ليتصرفوا فيه. ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: أحدهما سراجُ الليل والآخر سراج النهار، ليُعلم بهما الشهورُ والسِّنون، ويقومَ بهما مصالح العباد. وهذا كلُّه آيات يُستدل بها على وحدانية اللَّه تعالى ونعمِه يجب بها شكر اللَّه تعالى.

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: أي: كلٌّ من الشمس والقمر والنجوم في فلك، أي: هذا المجرى الذي يجري فيه الشمس والقمر. ﴿يَسْبَحُونَ﴾ كما يسبح الإنسان في الماء. وقيل: يَجرون، وقيل: يسرعون، وقيل: يدورون(١).

(٣٤ - ٣٥) - ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ أي: الخلودَ في الدنيا، فليس في الموت ما يُبطل النبوة. ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يخلدون بل يموتون كما تموت. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾؛ أي: تذوق الموت لا محالة ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾؛ أي: نختبرُكم في الدنيا ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾: بالمكروه والمحبوب ﴿فِتْنَةً﴾؛ أي: امتحانًا وتعبُّدًا بالصبر في المكروه، والشكرِ في المحبوب. ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾: بالموت والبعث فنجزيكم بما عملتُم.

(٣٦) - ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ﴾: أي: ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ يَسْخرون بك. ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾: استفهام بمعنى التعجب؛ أي: يقولون: أهذا الذي يَعيب آلهتكم.، وهو كقولهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠]؛ أي: يَعيبهم. وقيل: يذكرهم بالذم والسوء. ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: أي: بذكر اللَّه الذي خلقهم بما هو أهلٌ أنْ يُذكر به كافرون؛ أي: يُنكرون عليك ذكر آلهتهم بالسوء، وذكرَ اللَّه تعالى بصفاته الحسنى.

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٢٦٢)، والتفسير الكبير (٢٢/ ١٣٩).

وقيل: الذكر اسم للقرآن هاهنا، ومعناه: هم بكتاب الله كافرون.

(٣٧ - ٤٠) - ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾: أي: عَجولًا، أي: خُلق مستعجِلًا ما يشتهيه ويريده بطبعه، وهؤلاء المشركون يستعجلون أيضًا في طلب الآيات، فقال تعالى: ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾ التي تطلبونها دلالةً على صحة رسالة محمد ﷺ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ في سؤالها.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: أي: الموعود ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ هو أحد وجهي استعجالهم، وذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾: أي: لو علموا حالهم إذا دخلوا جهنم وهم حينئذ لا يمكِنُهم أن يمنعوا عن أنفسهم ما يضطرم من النار في وجوههم وظهورهم لعظمها وكثرتها، ولأن أيديَهم مغلولةٌ حينئذ ولا ينصرهم غيرهم؛ أي: لا يمنع العذاب عنهم، والنصرة: المنع، قال الله تعالى خبرًا: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ [هود: ٦٣]، وقيل: لا تنصرهم الآلهةُ التي رجَوها.

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾: أي: النار فجاءةً ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ قيل: فتحيِّرهم، وقيل: فتَجْهَدهم وتَلفح وجوههم وظهورهم عِيانًا؛ كالرجل يَبْهَت الرجل في وجهه.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: أي: يُمْهَلون؛ أي: لا تؤخَّر عنهم طرفةَ عين، والجمع بين هذه الصفات بيانُ غايةِ شدة عذابهم.

(٤١ - ٤٢) - ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾: أي: نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا﴾؛ أي: جزاءَ ما كانوا ﴿بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: يسخرون. ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ﴾: أي: قل يا محمد لهؤلاء المستعجِلين: مَن

يحفظكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾؛ أي: من عذاب الرحمن، وكان مشركو العرب مقرِّين بأن اللَّه تعالى هو الخالق والرازق والحافظ، فإذا سألتَهم عن ذلك واعترفوا بأنْ لا حافظ من عذاب اللَّه، ثبت أنه قادر على أن يعجِّل لهم العذاب، فإنه لا يؤخِّره لعجزه ولكن ليبلُغ الكتاب أجلَه، ﴿بَلْ هُمْ عَنْ﴾ تدبُّر ﴿ذِكْرِ﴾ اللَّه؛ أي: وعظِه ﴿مُعْرِضُونَ﴾أي: لا يتفكرون[1].

(٤٣ - ٤٤) - ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾: فيه إضمار وتقديره، أيستعجلون العذاب ظنًّا منهم أنهم يمتنعون من عذاب اللَّه تعالى بأنفسهم؟ ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾. ثم ردَّ عليهم ذلك فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾: أي: يُجارون ويُحفظون، يقال في الدعاء: صَحِبَكَ اللَّه؛ أي: كان اللَّه لك مجيرًا وحافظًا، ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: أي: ليس لهم آلهةٌ تمنعهم من دوننا ولا جار يُجيرهم من عذابنا ليكون إصرارهم على الكفر اتِّكالًا عليهم، لكنْ متَّعناهم بالحياة الدنيا وبسَطنا لهم في عزِّها ونعيمها، وكذلك فعلنا بآبائهم فطال عليهم العمر فألِفوه واستطابوا الدَّعَةَ، فقست قلوبهم، فلما جاءهم مَن يدعوهم إلى خلافِ ما ألِفوه استثقلوا تركَ ما هم عليه وظنوا أنَّ ما هم فيه لا يزول عنهم، فأعرضوا عن التدبُّر. ثم بيَّن خطأهم في ذلك فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: أي: أفلا يُشاهدون ما نفتحه على محمدٍ ﷺ من بلاد الكفر مما حول مكة، فنَنْقص من قراهم ونزيد في ملكه ﷺ وما يهلكه من رؤساء هؤلاء؟. ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾: أي: أفكفَّارُ مكة

---

(١) البسيط(١٥/٨٨)،، والتفسير الكبير(٢٢/ ١٧٥).

يغلبون بعد أن نقصنا من أرضهم.؛ أي: ليس كذلك، بل يغلبهم رسول اللَّه ﷺ وينصرُه اللَّه تعالى[(١)].

(٤٥ - ٤٦) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾: أي: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمستعجِلين: ﴿إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ بالعذاب بوحي اللَّه لا من تلقاء نفسي.

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾: ويحقُّ عليهم أن يسمعوا إنذارك، لكن لا يسمع الصمُّ الدعاء إذا ما ينذرون، وقد أصمَّهم الاغترار بالمهلة. وقيل: معناه: ﴿إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ واللَّه تعالى يُنزل العذاب متى شاء، ولكنكم لصَمَمكم معرضون عن التدبر. ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾: أي: شيء قليل، أي: ولئن أصابت هؤلاء المستعجِلين بالعذاب ﴿نَفْحَةٌ﴾؛ أي: شيء قليل من ﴿عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾؛ أي: لأقرُّوا على أنفسهم بظلمهم عليها، ولنادوا بالويل جزعًا مما أصابهم، أَخبرَ أنه لا طاقة لهم باحتمالِ قليلِ العذاب فكيف بالكثير؟

(٤٧) - ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: أي: ونحضِر الموازين التي لا جَور فيها -بل هي كلُّها قسطٌ؛ أي: عدلٌ- لوزن الأعمال في يوم القيامة، ومعنى الجمع في الموازين: تعظيمُ شأنها وإن كان الميزان واحدًا، كقول اللَّه تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١] يعني: النبيَّ ﷺ. ولأن أعمال كل واحد توزن به فهي ميزان في حقِّه وميزان في حقِّ كلِّ واحد، فصار جمعًا بإضافته إلى الجمع، ولأن الميزان مجموع أشياءَ بها كلِّها يقع الوزن، فكلُّ شيء منه آلةُ وزنٍ فكان ميزانًا،

---

(١) الدر المنثور (١/ ٦٦٦)، وجامع البيان (١٧/ ٣٢)، والكشف والبيان (٣/ ٣٠).

فكان بجملته موازينَ معنًى. ولأن ﴿الْمَوَازِينَ﴾ يجوز أن تكون جمع الموزون، فكان جمعًا للموزونات لا للميزان ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾: أي: لا يُنقص شيءٌ من عمله ولا يُحمل عليه ذنبُ غيرِه. ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾: وإن كان عملُها قَدْرَ حبةٍ من خردل ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾؛ أي: أحضرنا تلك الحبة فوزنَّاها وحاسبنا عليها. ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾: أي: مُحْصِين مثبِتين مقاديرَ ما عملوا، لا حاجة بنا إلى غيرنا في محاسبةٍ يومئذ. وقيل: ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ في الدنيا مُحْصِين لأعمالهم[(١)].

(٤٨) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا﴾: ثم اقتصَّ اللَّه تعالى على نبيِّه ﷺ أخبارَ كثير من الأنبياء، وما قاسَوه مع قومهم في إقامة دين اللَّه تعالى، وما أنعم اللَّه عليهم من حميد العاقبة، يُسلِّيه بذلك ويبشِّره اللَّه تعالى، ويعرِّف الكفار أن الأنبياء -عليهم السلام- كانوا بشرًا عاشوا ما قدِّر لهم ثم قبضهم اللَّه إلى رحمته، فمحمد ﷺ كأحدهم، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا﴾. قيل: هذه الثلاثُ كلها في التوراة: هي فرقانٌ يُفرَق به بين الحق والباطل والهدى والضلال. وهي ضياءٌ يُهتدى به إلى الحق ويُتوصَّل به إلى سبيل النجاة. وهي ذكرٌ؛ أي: تعريفٌ لِمَا بالناس من حاجةٍ إليه، ووعظٌ وتنبيه. وقيل: بل ﴿الْفُرْقَانِ﴾ هو نصرهما على العدو، والفرقان: النصر؛ قال اللَّه تعالى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، أو فرقُ البحر قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٢٣٧)، التيسير في التفسير (١٠/ ٣٩٧)، ومعاني القرآن" للفراء (٢/ ٢٠٥).

فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠]، والضياء اسم للتوراة، والذكرُ الوعظ.
﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: وفي الحقيقة الضياء والذكر للكلِّ، لكن انتفع بذلك المتَّقون فخصَّهم بالإضافة إليهم؛ كما قال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥].

(٤٩ - ٥٠) - ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾: هو وصف المتقين.
﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: لم يروه. وقيل: يحذَرون ما حذَّرهم اللَّه تعالى وبلَّغه الأنبياءُ من الأشياء التي تكون في القيامة وهي غيب. وقيل: ﴿بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: بالسرِّ حين يغيب عنهم الناس يُجِلُّون اللَّه تعالى ويخافون مقامه. ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾: أي: حذِرون من قيام الساعة وما يَظهر فيه من معاصيهم وتقصير طاعاتهم. ﴿وَهَذَا﴾: وهو القرآن المنزل عليك ﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ مَن تَبَرَّك به اتَّصلت له البركات، من الاهتداء إلى المَراشد، والنجاةِ من العقاب، والوصول إلى الثواب.
﴿أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾: قيل: أي: جاحدون أنه منزلٌ من عند اللَّه تعالى، استفهام بمعنى التوبيخ. وقيل: ﴿مُنْكِرُونَ﴾؛ أي: مستنكرون نزولَه على محمد ﷺ؛ أي: لا معنى لإنكاركم، فقد أنزلنا التوراة على موسى وهارون، وأرسلنا رسلًا إلى قومهم(١).

(٥١ - ٥٢) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾: أي: ولقد أعطينا إبراهيم الخليل هداه. وقيل: وفَّقناه للحق وعصمناه من عبادة الأوثان. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي: من قبل الوحي؛ أي: دلَّلْناه على معرفتنا بالآيات. وقيل: أي: الفهمَ والعقل قبل

(١) النكت والعيون (٢/ ٢٠١)، ولطائف الإشارات (٢/ ٥٠٥)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٤٠٠).

البلوغ. وقيل: أي: من قبلِ موسى وهارون، والرُّشد على قول هؤلاء النبوةُ. ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾: أي: بصلاحه للنبوة؛ أي: على علمنا بذلك آتيناه النبوة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢]. وقيل: كنا عالمين بطاعته لنا. ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾: أي: الأصنام المصوَّرة وتماثيلُ الناس ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾: أي: على تعظيمها وعبادتها مُقيمون.

(٥٣ - ٥٦) - ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾: كعبادتنا لها. ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي: ظاهر. وقيل: أي: مُظهِرٍ عن نفسه أنه ضلال، ووجهُ ظهور هذا الضلال: أنكم عبدتُم خشبًا وطينًا وحجارة لا تعقل ولا تضرُّ ولا تنفع، ولا تدفع عن نفسها شيئًا. ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾: أي: أَمُحِقٌّ أنت في هذا القول جادٌّ فيه أم لاعبٌ مازح؟! استعظامًا منهم إنكارَه عليهم. ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: لستُ بلاعبٍ فيما قلتُ لكم، بل أنا جادٌّ فيه محقِّقٌ له، لأن هذه التماثيل ليست بربكم ﴿بَلْ رَبُّكُمْ﴾؛ أي: مدبِّرُكم والقائم عليكم هو خالق السماوات والأرض ومدبِّرهما وممسكهما؛ لِمَا فيها من الدلائل أنها مصنوعة لصانعٍ واحدٍ قادرٍ عليهم، لا يُشبه المصنوعات بوجهٍ من الوجوه كأصنامكم هذه التي هي مصنوعة. ﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾: أي: أنشأهن من غير شيء. ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: أي: أنا أشهد أن المستحِقَّ للعبادة والربوبية هو خالقُ السماوات والأرض.

(٥٧ - ٥٨) - ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾: أي: أحلف بالله تعالى لأحتالنَّ في إصابة أصنامكم بالمكروه، ولم يرض بالمجادلة باللسان حتى قصد الفعلَ

بما لا يفعله إلا مَن أخلص في الذبِّ عن دين اللَّه بنيَّته، ووطَّن على مكروٍ؛ يناله في اللَّه نفسَه. ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾: أي: بعد غيبتكم عني، وذلك لانتهاز الفرصة لِمَا أراد. وقيل: إنه قال هذا سرًّا لم يسمعه الجميع وإنما سمعه واحد، وهو الذي قال: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾[الأنبياء: ٦٠]. وقيل: إن القوم كانوا عزموا على الخروج إلى عيدٍ لهم، فاحتال إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ للتخلُّف عنهم بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]. أي: سأسقم. فتركوه، فلما خرجوا إلى عيدهم دخل بيت الأصنام وبيده فأسٌ، وكان في البيت تسعون صنمًا ما بين خشبٍ وحديد ورصاص ونحاس وفضة وذهب، فكان في صدر البيت أكبرُها من ذهب، وفي عينيه جوهرتان تضيئان في الليل، فكسر رؤوسها ووضع الفأس على عاتق الكبير وخرج. ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾: بالضم وهي قراءة الجمهور: ﴿جِذاذًا﴾ بالكسر قراءة الكسائي. قال الفرَّاء: الضمُّ مثل الحُطام والرُّفات، وبالكسر: جمع جَذيذ، وهو من الجذِّ؛ أي: القطع، قال تعالى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود: ١٠٨]. وقيل: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾؛ أي: مستأصَلين، هاهنا مضمر: فتولوا عنه مدبرين فكاد أصنامهم ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾؛ أي: فتاتًا. ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾: أي: إلا صنمًا كبيرًا لم يجذَّه. ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾: أي: إلى كبيرهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ على عادتهم في الرجوع من العيد للسجود له. وقيل: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: إلى دين اللَّه. وقيل: إلى قول إبراهيم (١).

(٥٩ - ٦٠) - ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾: وهاهنا مضمر أيضًا؛ أي: فرجعوا إليها ورأوا ما فعل بها فقالوا: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا﴾ ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛

---

(١) السبعة (١/ ٤٢٩)، والتيسير (١/ ١٥٥)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠٦)، والعين (٦/ ١١)، ومجاز القرآن (٢/ ٤٠).

أي: قد ظلم نفسَه مَن فعَل هذا وهو يعلم أنا إذا علمنا به أهلكناه. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: أي: قال الذين سمعوا منه قولَه: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾. وقد قيل: سمع ذلك واحد وأخبر هو، وذُكر جمعًا لأن الجمع رضُوا بقوله، فكأنهم قالوا ذلك، ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾: أي: اسمه هذا.

(٦١-٦٢) - ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾: أي: أحضروا إبراهيم وأشهِروه للناس لِيَنظروا له، ومعنى: ﴿عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾؛ أي: بحيث يَرونه ويشاهدونه. ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: قيل: أي: يُؤدُّون الشهادة عليه أنه هو الفاعل ذلك، فيكون لنا حجةٌ في أخذه. وقيل: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: أي: على كسر الأصنام. وقيل: بل معناه: يشهدون ما نعاقبه به؛ أي: يحضرون ويشاهدون. ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾: وهاهنا مضمر أيضًا؛ أي: فأحضَروه فقالوا له: أأنت فعلتَ هذا بآلهتنا ﴿يَاإِبْرَاهِيمُ﴾؟ يحتمِل أن يكون هذا استخبارًا منه لأنهم لم يتيقَّنوا به، ويحتمِل أن يكون استنكارًا عليه.

(٦٣) - ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾: أَوهمهم أن كبير الأصنام كسر سائرها والفأسُ على عنقه دليلُه، فأمرهم بسؤالهم إنْ كانوا ينطقون ليشهدوا له بما يدَّعي، وهذا من معاريضِ الكلام ولا كذب فيه، وله ثلاثة أوجه: أحدها: فيه تقديم وتأخير، تقديره: فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم، علَّق فعلَه بنطقهم، يعني: فإن نطقوا فهو فاعل ذلك، ومقتضاه: إن لم ينطقوا فليس هو بفاعل ذلك. والثاني: ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾ وهاهنا وقف؛ أي: فعَله مَن فعَله، عنَى به نفسه، ثم قال: ﴿كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وهاهنا وقف وهو مبتدأ وخبر،

﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا﴾ وهذا كلام آخرُ تام. والثالث: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ عنى به نفسه، وأضاف نفسه إليهم لاشتراكهم في الحضور ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ وهذا كلام آخر. وإنما أتى بهذا التعريض تمهيدًا لأمرٍ يُلزِمُهم به الحجةَ، وكذلك قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ كان من المعاريض، هم فهموا به قيام السقم فتركوه، وهو أراد به أنه سيَسقم في المستقبل، فتخلَّص عنهم ومهَّد ذلك للكيد بالأصنام(١).

(٦٤ - ٦٥) - ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: تفكَّروا في أنفسهم فيما قال لهم راجعين إلى عقولهم. ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾: هذا الرجلَ في مسألته، فاتركوا مسألتَه واسألوا آلهتكم فهي حاضرتُكم. وقيل: ﴿فَرَجَعُوا﴾ عنه فيما ادَّعوا عليه من كسرهن إلى أنفسهم فيما بينهم فقالوا: لقد ظلمناه، وما نراه إلا كما قال، وقيل: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ فلاموها، فقال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ إبراهيمَ حين تزعمون أنه كسرها والفأسُ على عنق الصنم الأكبر، فهو أولى أن يكون كسَرها، ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ ظاهره: ثم قلبوا على رؤوسهم فصارت رؤوسهم سفلًا وأرجلهم عُلْوًا، وله معانٍ: أحدها: القهر والغلبة والذلُّ حيث لزمتهم الحجة. والثاني: انعكاس الأمر عليهم، أرادوا أن يحتجوا لأنفسهم فصار ذلك حجةَ إبراهيم عليهم، قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ وهذا على قصدهم ردَّ كلامه وأمرِه بالسؤال، فصار ذلك اعترافًا بعجزها، فصارت حجةَ إبراهيم عليهم. والثالث: التحيُّر والتكلُّم بالهذيان، يقال: هذا كلام منكوس.

(٦٦ - ٦٧) - ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا

(١) جامع البيان (١٦/ ٢٩٩)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٤٠٩).

﴿يَضُرُّكُمْ﴾: أي: جمادًا لا ينطق ولا ينفع ولا يضر ﴿أُفٍّ لَكُمْ﴾ كلمة توبيخٍ واستثقال وكراهية. وقيل: معناه: قذرًا لكم. ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: أنتم وهم مكروهون عند العقلاء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن عبادةَ مَن هذا وصفُه لا تجوز.

(٦٨ -٦٩) - ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾: ولـمَّا لم يجدوا عليه حجةً قالوا: حرِّقوه بالنار. ﴿وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾: بإهلاك مَن يسبُّها ويَعيبُها ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: ناصرين آلهتكم. ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: كوِّنها بردًا وسلامةً على إبراهيم، وقيل: خاطبها وركَّب فيها تمييزًا وأمرها أن تسلِّم على إبراهيم. وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لو لم يقل: ﴿وَسَلَامًا﴾ لأهلكته النار ببردها.

(٧٠ - ٧١) - ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾: أي: قوم نمرود أرادوا أن يكيدوا بإبراهيم؛ أي: يحتالوا لإهلاكه ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾؛ أي: الأخيَبين؛ لأنَّه إذا سعى ولم يدرِك ما طلبه فقد خَسر سعيُه. ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾: أي: خلَّصنا إبراهيم وابنَ عمه لوطًا من نمرود وقومه وأرضهم، وأخرجناهما منها إلى أرض الشام.

(٧٢ -٧٣) - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾: ولدًا ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾؛ أي: زائدة على ما دعا، فإنه قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، وهو سؤال الولد. ﴿وَكُلًّا﴾: أي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ في الدِّين. وقيل: ﴿صَالِحِينَ﴾ للنبوة والسفارة. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾: في الأرض يؤتمُّ بهم ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾؛ أي: يَهدون عبادنا إلى الحق بأمرنا إياهم به. ﴿وَأَوْحَيْنَا

﴿إِلَيْهِمْ﴾: أي: أمرناهم ﴿فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾؛ أي: الطاعات ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ لا للأصنام، فأنتم يا معاشر العرب أولادُ إبراهيم فاتَّبعوه في ذلك كلِّه[(١)].

(٧٤ - ٧٥) - ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾: على الناس في الخصومات ﴿وَعِلْمًا﴾: معرفةً بأمور الدين. وقيل: ﴿حُكْمًا﴾ على العباد ﴿وَعِلْمًا﴾ بالحُكم.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾: أي: من أهلها، وهي سَدُوم، وهي مدينة ويدخل فيها ما حولها من القرى، والخبائث: الكفرُ، وإتيانُ الذُّكران، والمنكرُ الذي كانوا يأتونه في ناديهم من التضارُط وحذفِ المارة بالحصى ونحوِ ذلك. وهذه خبائثُ لنفور القلوب عنها وقبحِها في العقول السليمة، ونجاتُه منها: هي خروجه منها حتى لم يُصِبْه عذاب أهلها. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾: أي: قومُ لوط ﴿قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾: أي: خارجينَ عن طاعة الله تعالى. ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾: أي: لوطًا ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾؛ أي: نعمتنا، وهي جمع: من التوفيق للإيمان، والإكرامِ بالنبوة، وإهلاكِ مَن كذَّبه، وتخليصِه، وتخليصِ مَن اتَّبعه. ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي: ثوابًا له على صلاحه كما أهلكنا قومه عقابًا لهم على فسادهم. وقيل: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾ في النبوة ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من الصالحين لها.

(٧٦ - ٧٧) - ﴿وَنُوحًا﴾: قيل: واذكر نوحًا، وقيل: أي: ونجَّينا نوحًا، وقيل: ورَحِمْنا نوحًا. والأصح: وآتينا نوحًا رشدَه، عطفًا على قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾. وقوله: ﴿إِذْ نَادَى﴾؛ أي: دعا ربَّه، كما قال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٣٠٦)، والدر المنثور (٥/ ٦٤٠).

﴿مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[القمر: ١٠]وسائرِ ما ذكر من دعائه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: كان هو قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوطٍ. ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾: أي: دعاءَه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾؛ أي: المؤمنين به من ولده وقومه. ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: أي: الغمِّ الذي يأخذ بالنَّفَس. وقيل: الغرق، وهو هاهنا الطوفان. وقيل: هو أذى قومه. ﴿وَنَصَرْنَاهُ﴾: أي: منعناه ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وهم كفار قومه؛ أي: من شرِّهم، وكذلك قولُه: ﴿مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾[هود: ٣٠]: مَن ينصرنا من بأس اللَّه. وقيل: أي: فانتقمنا له ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: وفي هذا كلِّه تسليةٌ للنبي ﷺ، وتبشيرٌ له بالخلاص، وتثبيتٌ على الصبر.

(٧٨) - ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾: عطف على ما مر ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ روي: أن رجلًا أدخل ماشيتَه في زرع رجل فأفسدته، والنُّفوش: الرعيُ ليلًا، فارتفعا إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع، فانصرفا فمرَّا على سليمان، وكان سليمان يومئذ ابنَ إحدى عشرةَ سنة، فقال: بماذا قضى بينكما نبيُّ اللَّه؟، فقال: قضى بالغنم لصاحب الزرع، فقال: إن الحُكم غيرُ هذا فانصرِفا معي، فأتى أباه فقال: يا نبيَّ اللَّه، أقضيتَ على هذا بغنمه لصاحب الزرع؟ قال: نعم، قال: يا نبيَّ اللَّه، إن الحكم على غير هذا، قال: وكيف يا بني؟ قال: يُدفع الغنم إلى صاحب الزرع فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها، ويُدفع الزرع إلى صاحب الغنم ليقوم عليه، فإذا عاد الزرع إلى الحالة التي أصابته الغنم عليها رُدَّت الغنم إلى صاحب الغنم ورُدَّ الزرع إلى صاحب الزرع، فقال داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا يَقطع اللَّه

فهمَك، وقضى بما قضى به سليمان. ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: أي: دخلت فيه ليلًا فرعَتْه وأكلته وأفسدته، والإبل النَّوافشُ: التي تتردَّد بالليل في المراعي بلا راعٍ، وهي كالهوامل بالنهار. وقيل: ﴿نَفَشَتْ﴾: إذا تفرَّقت بلا راعٍ، ومنه: (العِهْن المنفوش)؛ أي: المتفرِّق. ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾: أي: الحكمِ الذي جرى بين داود وسليمان والقوم ﴿شَاهِدِينَ﴾: حاضرين عالمين به[١].

(٧٩) - ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾: أي: القصةَ ﴿سُلَيْمَانَ﴾ دون داود. وقيل: الحكومةَ؛ لدلالةِ ﴿يحكمان﴾ عليها. ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا﴾: أي: وكلًّا من داود وسليمان أعطينا ﴿حُكْمًا﴾ أي: النبوة التي يُنفَّذ بها الحكمُ على الأمة. ﴿وَعِلْمًا﴾: أي: ومعرفةً بمُوجِبِ الحكم. ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾: كان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا سبَّح سبَّحت الجبال والطير معه فيَسمع تسبيحهن، وكان ذلك معجزة له، ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾: قيل: كنا قد قضينا أنَّا فاعلو ذلك، وقيل: كنَّا فاعلين ذلك به كما نفعله بأنبيائنا الذين نخصُّهم بالمعجزات.

(٨٠) - ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾: أي: اتِّخاذَ الدروع بإلَانة الحديد له؛ كما قال: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١]، واللبوس: ما يلبس من ثوب أو درع، ﴿لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾: أي: ليُحرزكم، والبأس: الحرب؛ أي: تقيكم في الحروب من القتل والجراح، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ للّه تعالى على ما أنعم اللّه تعالى عليكم من هذا

(١) جامع البيان (١٦/ ٣٢٧)، والعين (٦/ ٢٦٨)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٤٢٠).

وغيره، وهو استفهام بمعنى الأمر(١).

(٨١) - ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾: أي: وسخرنا لسليمان الريح، ﴿عَاصِفَةً﴾: أي: شديدةَ الهبوب، نصبٌ على الحال، وقال في آية أخرى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ [ص: ٣٦]؛ أي: ليِّنةً، والتوفيقُ بينهما: أنها كانت مذلَّلةً له فتجري على ما يريد عاصفةً أو رُخاءً. وقيل: كانت تسير سيرًا ليِّنًا في سرعةٍ، فيجتمع الوصفان في حالٍ واحدة. ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾: وهي الشام؛ لأن منزله كان بها، وكانت الريح تحملُه من نواحي الأرض إليها. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾: أي: فعلنا ذلك له، وكنَّا عالمين بأنه أهلٌ له، وعالِمين بكلِّ شيء.

(٨٢ - ٨٣) - ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾: أي: وسخرنا من الشياطين مَن يغوصون له في البحار بأمره، لاستخراج الدُّرر وما يكون فيها، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾: أي: سوى ذلك، وقال في آية أخرى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: ١٣]. وقيل: كانوا يعملون له من أمور الصناعات والأبنية. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾: قيل: أي: كنا لهؤلاء الشياطين وأعدادِهم وأعمالهم حافظين لا يَؤُودنا حفظُ ذلك. وقيل: حفظناهم عليه لئلا يذهبوا ويتركوه(٢).

﴿وَأَيُّوبَ﴾: عطفٌ على ما تقدم ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾؛ أي: دعاه. ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ

---

(١) البسيط (١٥/ ١٤٢).

(٢) التيسير في التفسير (١٠/ ٤٢٤)، البسيط (١٥/ ١٥٠)، معاني القرآن (٢/ ٢٠٩).

﴿الضُّرُّ﴾: أي: نالني في بدني ضرٌّ، وهو ما أصابه من المرض والداء والمصيبة في ماله وأهله. ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: أي: لا أحد أرحمُ منك؛ أي: فارحمني واكشِفْ عني الضرَّ الذي مسني.

(٨٤) - ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾: أجبنا دعاءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾؛ أي: وكشفنا ضرَّه إنعامًا عليه. ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ آتاه الله أهله وولده بأعيانهم ومثلَهم معهم مِن نسلهم في الدنيا، وقيل: آتاه الله ذلك في الآخرة. ﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ أي: موعظة للمطيعين(١).

(٨٥ - ٨٦) - ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾: عطف على ما تقدم. ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾: مدَحهم بالصبر، وذو الكفل اختُلف فيه؛ فقيل: هو اسم نبيٍّ، بدليلِ أنه ذُكر في عداد الأنبياء. وقيل: اسمه عويذ.بن آزر، وقيل: هو إلياس، وقيل: هو زكريا كفيل مريم، وقيل: كان خليفةَ نبيٍّ في قومه بعد وفاته، ولم يكن نبيًّا، وإنما كان رجلًا صالحًا كَفَلَ بأمورِ خيرٍ.﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾: أي: النبوة ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لذلك. وقيل: أي: في رحمتنا في الآخرة إنهم من العاملين بطاعتنا(٢).

(٨٧) - ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾: عطفٌ على ما مر، والنون: الحوت، وهو كقوله تعالى: ﴿كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، وهو يونس بن متَّى، والمعنى: إذ ذهب يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ مغاضبًا لقومه. ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾:

---

(١) معالم التنزيل (٥/ ٣٤٧)، وزاد المسير (٥/ ٣٧٩)، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٢٧).
(٢) لطائف الإشارات (٢/ ٥١٤)، والنكت والعيون (٣/ ٤٦٤)، والبسيط (١٥/ ١٥٣).

أي: أنْ لن نضيِّقَ عليه، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾: والظلمات ثلاثٌ يعني: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت. ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾: وهذا توحيدٌ وتنزيه. ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: هذا القول من يونس اعتراف بذنبه، وتوبة من خطيئة، تاب إلى ربه في بطن الحوت وراجع نفسه، فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وهي فعلُ الفاضل وترك الأفضل، وكان الأفضل أن يرجع شفقةً على قومه وإن كان ذهابه فاضلًا لأنه غاضَبهم في ربه.

(٨٨-٨٩) - ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾: دعاءه، وهو ما ثبت في ضمن هذا الثناء. ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾: قيل: غمِّ الحبس، وقيل: غمِّ الزلة. ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين يدعونني إذا ابتُلوا. ﴿وَزَكَرِيَّا﴾: عطفٌ على ما تقدم. ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾: أي: دعا ربه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾؛ أي: بلا ولدٍ يعينني على إقامة دِينك. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾: أي: أعلمُ أنك لا تضيِّع دينك، ولا تُخْلي الدنيا بعدي عن قائمٍ بحقِّك، وهذا على وراثة النبوة، وقيل: معناه: إن تفضَّلت بهبةِ وارثٍ لي فهو منّتُك وإنعامُك، وإلا فكفى بك وارثًا، والله أعلم بما أراد.

(٩٠-٩١) - ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾: قيل: عن العُقم، وقيل: أصلحنا أخلاقها. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: الكناية عن زكريا وامرأته وأهل بيته. ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: أي: في الشدة والرخاء ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾: خاضعين خائفين. ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: عطف على ما تقدم، وهي مريم، و﴿أَحْصَنَتْ﴾؛ أي: أحرزت فرجَها من السِّفاح. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾؛ أي: جبريلُ في جيبها ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾: من روحٍ

خلقناها نحن بعيسى على الخصوص، وهي إضافة تخصيصٍ كبيتِ اللَّه وناقةِ اللَّه. ذكَر مريم -وهي ليست من الأنبياء- بعد ذكر الأنبياء ليَتِمَّ ما أُريد من ذكر عيسى، ألا تَراه قال: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ فجعلهما معًا آيةً واحدة؛ لأن الآية كانت باجتماعهما، وهي الأعجوبة للخلق والدلالةُ على نفاذِ قدرة اللَّه تعالى على ما يشاء، إذ وُلد عيسى من غيرِ أبٍ ووَلَدت هي من غيرِ زوج.

(٩٢ - ٩٣) - ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: قيل: هو خطابُ هؤلاء الأنبياء: إن هذا دينُكم دينًا واحدًا، نُصب على القطع، وكان الأنبياء كلُّهم على دينٍ واحدٍ في التوحيد والطاعة، وإنما اختلفت شرائعُهم وأحكامهم، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾؛ أي: وحِّدوني وأطيعوني؛ أي: اثبُتوا على هذا. ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: أي: تقسَّموا وتوزَّعوا أمرهم في أديانهم، يعني: بعضُ أممهم فعلوا ذلك فدانوا بأديانٍ مختلفة يهوديةٍ ونصرانيةٍ ومجوسيةٍ وإشراك. ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾: فنجازي كلًّا جزاءَ مثله. وقيل: هذا خطابٌ للمشركين، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾؛ أي: أنتم على دينٍ واحد وهو الكفر ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ آمِنوا بي ووحِّدوني وأطيعون ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ فاختلفوا يهودًا ونصارى ومجوسًا ومشركين ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ فنجازيهم[١].

(٩٤ - ٩٥) - ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾: أي: فإن سعيه مشكورٌ مقبول ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾؛ أي: نحفظ عليه أعماله فنجزيه بها. وقيل: تكتبها ملائكتنا بأمرنا فنُخرجُ لهم الكتبَ يوم القيامة فنحاسبُهم

(١) التيسير في التفسير (١٠/ ٤٣٩).

بها. ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: الحرام هاهنا بمعنى الواجب. والمعنى: واجب عليها ألا ترجع إلى دنياها إذا هلكت، ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: أي: كلُّ قرية أهلكناها بكفرها -أي: أهل قرية- فحرامٌ عليهم -أي: هم ممنوعون منه- أن يرجعوا إلى قريتهم أو إلى الدنيا فيتلافَوا ما فَرَط منهم؛ أي: فلْيجتهدوا قبل الهلاك إذًا فلا تدارُك بعد الهلاك(١).

(٩٦-٩٧) - ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: أي: لا يرجعون، بل يبقَون في قبورهم معذَّبين إلى أن تُفتح جهةُ يأجوج ومأجوج وهو السد. ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾: أي: من كلِّ مرتفعٍ من الأرض يُسرعون، ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾: قيل: الواو زائدة، معناه: اقترب، جوابًا لقوله: ﴿حَتَّى إِذَا﴾، و﴿الْوَعْدُ﴾ بمعنى: الموعود، و﴿الْحَقُّ﴾: الصِّدق. ﴿فَإِذَا هِيَ﴾: قيل: ﴿هِيَ﴾ إشارةٌ إلى الأبصار المذكورةِ بعدها؛ ابتدأ بالكناية ثم صرَّح بعدها للبيان. ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: ارتفعت خوفًا لما ينالهم من الوعيد وتوقُّعًا لذلك ﴿يا ويلنا﴾؛ أي: يقولون: يا ويلنا ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ذكروا أولًا ما يشبه العذرَ: كنَّا في غفلةٍ كمَن لا يعلم بالشيء فيستعدَّ له، ثم يقولون: بل أَنذرَنا الرسل لكنَّا ظلمنا أنفسنا بالتكذيب وتركِ استعدادنا لهذا(٢).

(٩٨) - ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: أي: مرميٌّ به في النار، يقال: حصَبْتُه بالحصى؛ أي: رميتُه بها؛ أي: تُرمون أنتم والأوثانُ في النار

---

(١) البسيط (١٥/١٩١)، والكشاف (٢/٥٨٢)، والتفسير الكبير (٢٢/٢٢٠).

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٢)، وجامع البيان (١٦/ ٤١٠)، والبسيط (١٥/ ٢٠٤).

كالحطب يرمَى فيها. ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾: الأوثان والعبَّاد فيها داخلون، وقِرانُ الأصنام بهم لزيادة عذابهم، لأنها حجارة فتَحمى فيعذَّبون بها، ولزيادة حسرتهم، فإنهم عبدوها راجين نفعَها فحُرموه ونالهم بها زيادة ضرٍّ.

(٩٩ - ١٠٠) - ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾: أي: لأَمْكنَها دفعُ النار عن أنفسها فلم توقَع فيها. ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: العابدون والمعبودون. ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: أي: للكفار ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: صوتًا لصممهم، وفي السماع نوعُ تفرُّج فلم يعطَوا ذلك. وقيل: لا يسمعون ما يسرُّهم.

(١٠١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ أي: الجنة، كما قال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ومعناه: سبق لهم الوعدُ بها لإيمانهم وطاعتهم. ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾؛ أي: عن النار مبعَدون لا يعذَّبون فيها.

(١٠٢ - ١٠٣) - ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: أي: صوتها، وهو قوله: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ [الملك: ٧]. ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾: وذاك في الجنة، ولهم فيها ما يشتهون. ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: أي: فزعُ القيامة، فهو أكبر الأفزاع. ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: أي: تستقبلهم ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ﴾؛ أي: يقولون لهم: هذا يومكم ﴿الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾؛ أي: توعدون فيه الكرامةَ من اللَّه تعالى(١).

(١٠٤) - ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾: أي: لا يَحزنهم الفزع الأكبر يوم نطوي السماء؛ أي: السماوات؛ كما قال: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وهو

(١) معالم التنزيل (٥/ ٣٥٦)، وجامع البيان (١٦/ ٤١١)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٤٤٣).

عبارةٌ عن نقض تركيبها. ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ﴾: السجل هو الكتاب، ومعناه: كما يطوي الكاتبُ الصحيفة فيصغِّرها بالطَّيِّ بعد طولها وعرضها، فكذلك نجعل السماوات على طولها وعرضها، وقيل: السجلُّ: الصحيفة، ومعناه: كما تطوى الصحيفة، ويكون هذا إضافةَ المصدر إلى المفعول، والأولُ كان إضافةً إلى الفاعل، وكلُّ ذلك جائز، ثم قوله: ﴿لِلْكِتَابِ﴾ له ثلاثةُ معان: للكتابة: فيكون مصدرًا. وللمكتوب؛ أي: لأجْل ما كُتب فيه. والثالث: على ما كُتب فيه، واللام بمعنى (على)، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾: أي: كما ابتدأناها أولَ ما خلقناها نُعيد خلقَها في القيامة. ﴿وَعْدًا عَلَيْنَا﴾: أي: وعدًا كائنًا لا محالةَ، و(على) كلمة تحقيق. ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾: أي: محقِّقين هذا الوعدَ فاستعِدُّوا له وقدِّموا صالح الأعمال للخلاص من الفزع الأكبر(١).

(١٠٥) - ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾: بضم الزاي، وهي جمع (زِبْرٍ) بكسر الزاي وهو الكتاب، فيكون جمعًا، وبفتحها، فكان واحدًا وهو الكتاب، يقول: أثبتنا في الكتب المنزلة على الأنبياء، أو في زبور داودَ إذا كان على الواحد، أو في كتاب آخر مما أنزل. ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: أي: بعد الكتابة في اللوح المحفوظ. ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾: أي: أرضَ الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ وينصرف إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾. وقيل: الصالحون هم أمة محمد ﷺ.

(١٠٦ - ١٠٧) - ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا﴾: يعني: إن فيما قصَصْناه عليكم لوُصولًا إلى الحق والصواب وإحرازًا للثواب ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾؛ أي: للَّذين همُّهم

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٣)، ولطائف الإشارات (٢/ ٥٢٥).

عبادة اللَّه والتذلُّل له، والبلاغ يعني البلوغ، كالصلاح والصلوح، والثبات والثبوت. وقيل: ﴿لَبَلَاغًا﴾؛ أي: لكفايةً، وقيل: ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾؛ أي: في هذا القرآن. وقيل: ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾؛ أي: موحِّدين. وقيل: مطيعين.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾: ذكَر بعد إنزال القرآن إرسالَ الرسول ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنَّه بُعث داعيًا إلى اللَّه، ومرشدًا إلى دينه، ومنقذًا من الضلالة، ومنبِّهًا على ما فيه الفوزُ بالنعيم المقيم والنجاةُ من العذاب الأليم، وذلك رحمةٌ عامة للمؤمنين والكافرين، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، فالتبشير والإنذار رحمةٌ أجراها اللَّه تعالى على يديه (١).

(١٠٨ -١٠٩) - ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: وهو أصلُ ما أُرسل به إليهم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وهو كلمةُ استبطاءٍ، وفيه أبلغُ تلطُّفٍ في الدعوة إلى الإسلام، وهو كقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، وتحقيقه: فانتهُوا، وكذلك هاهنا: فأسلِموا. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أي: أعرضوا فلم يُسلموا ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾؛ أي: لا مسالمة بيني وبينكم، فقد أعلمتُكم ذلك ظاهرًا مكشوفًا صرتُ أنا وأنتم في علمه سواءً، ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾: قيل: وما أعلم أقريبٌ ما توعدون به من العذاب على تولِّيكم عن الإسلام أم بعيدٌ؟ وذلك إلى اللَّه وعلمُه عنده؛ أي: آذنتكم بالحرب على السواء وما أدري أقريب ذلك أم بعيد. وقيل: ما توعدون من الساعة؛ أي: آذنتكم بالحرب في الدنيا، وما أدري متى تكون الساعة فتعذَّبون في الآخرة

(١) جامع البيان (١٦/ ٤٣٨)، والدر المنثور (٥/ ٦٨٨).

زيادةً على عذاب القتل في الدنيا.

(١١٠ - ١١٢) - ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾: ما تجهرون به من القول بشرككم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ من ذلك، فليس تأخير العذاب عنكم لخفاءِ حالكم، بل هو معذِّبكم في الوقت الذي قدَّره لذلك. ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾: أي: لعل إمهالَكم وتأخيرَ العذاب عنكم تشديدٌ للمحنة عليكم بزيادة المعاصي الموجِبة لزيادة العقوبات فلا تظنُّوه خيرًا. ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾: أي: تمتيعٌ إلى مدةٍ، وهي وقتُ نزول العذاب في الدنيا، فإن كان هذا تخويفًا بعذابِ الآخرة فالحينُ هو الموت. ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾: أي: فوِّضِ الأمر إلى اللَّه وقل: يا ربِّ احكم بالحق بيني وبين هؤلاء بنُصرتي عليهم، وإظهارِ حقِّي على باطلهم، وإنزال نقمتك عليهم، ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ﴾أي: قل للمؤمنين مبشرًا لهم ومطيِّبًا قلوبَهم: ربُّنا الرحمن يرحمكم وينصركم، المستعان على ما يصف الكفار من الكذب والباطل، ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾أي: وما تصدر به أقوالكم من الأذى لنا.

(انتهى تفسير سورة الأنبياء).

(٢٢) سورة الحج مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة الحج مكيةٌ إلا ستَّ آيات منها يقال: إنها نزلت بالمدينة يومَ بدر في اليوم الذي اقتتلوا فيه: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] إلى قوله: ﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]، وسميت هذه السورة بسورة «الحج» في زمن النبي ﷺ، وليس لهذه السورة اسم غير هذا، ووجه تسميتها سورة الحج أن الله ذكر فيها كيف أمر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالدعوة إلى حج البيت الحرام، وذكر ما شرع للناس يومئذ من النسك تنويهًا بالحج وما فيه من فضائل ومنافع، وتقريعًا للذين يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام، نزلت بعد سورة النور وقبل سورة المنافقين، وقد عدت السورة الخامسة والمائة في عداد نزول سور القرآن(١)، وآياتها أربع وسبعون، وقيل: خمسٌ، وقيل: ستٌّ، وقيل: سبعٌ، وقيل: ثمانٍ، وكلماتها ألف ومئتان وأربع وسبعون، وحروفها خمسة آلاف ومئتان وتسعة وثلاثون.

من أغراض هذه السورة:

- خطاب الناس بأمرهم أن يتقوا الله ويخشوا يوم الجزاء وأهواله.

- والاستدلال على نفي الشرك وخطاب المشركين بأن يقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله تعالى بالإلهية وعن المجادلة في ذلك اتباعًا لوساوس الشياطين، وأن الشياطين لا تغني عنهم شيئًا ولا ينصرونهم في الدنيا وفي الآخرة.

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ١٨٣).

وتفظيع جدال المشركين في الوحدانية بأنهم لا يستندون إلى علم وأنهم يعرضون عن الحجة ليضلوا الناس.

- وأنهم يرتابون في البعث وهو ثابت لا ريبة فيه وكيف يرتابون فيه بعلة استحالة الإحياء بعد الإماتة ولا ينظرون أن الله أوجد الإنسان من تراب ثم من نطفة ثم طوره أطوارًا.

- وأن الله ينزل الماء على الأرض الهامدة فتحيا وتخرج من أصناف النبات، فالله هو القادر على كل ذلك، فهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير.

- وأن مجادلتهم بإنكار البعث صادرة عن جهالة وتكبر عن الامتثال لقول الرسول عليه الصلاة والسلام.

- ووصف المشركين بأنهم في تردد من أمرهم في اتباع دين الإسلام.

- والتعريض بالمشركين بتكبرهم عن سنة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي يتمون إليه ويحسبون أنهم حماة دينه وأمناء بيته وهم يخالفونه في أصل الدين.

- وتذكير لهم بما من الله عليهم في مشروعية الحج من المنافع فكفروا نعمته.

- وتنظيرهم في تلقي دعوة الإسلام بالأمم البائدة الذين تلقوا دعوة الرسل بالإعراض والكفر فحل بهم العذاب.

- وأنه يوشك أن يحل بهؤلاء مثله فلا يغرهم تأخير العذاب فإنه إملاء من الله لهم كما أملى للأمم من قبلهم، وفي ذلك تأنيس للرسول عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا، وبشارة لهم بعاقبة النصر على الذين فتنوهم وأخرجوهم من ديارهم بغير حق، وأن اختلاف الأمم بين أهل هدى وأهل ضلال أمر به افترق الناس إلى

ملل كثيرة.

- وأن يوم القيامة هو يوم الفصل بينهم لمشاهدة جزاء أهل الهدى وجزاء أهل الضلال، وأن المهتدين والضالين خصمان اختصموا في أمر الله فكان لكل فريق جزاؤه.

- وسلى الله رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بأن الشيطان يفسد في قلوب أهل الضلالة آثار دعوة الرسل ولكن الله يحكم دينه ويبطل ما يلقي الشيطان فلذلك ترى الكافرين يعرضون وينكرون آيات القرآن.

- وفيها التنويه بالقرآن والمتلقين له بخشية وصبر، ووصف الكفار بكراهيتهم القرآن وبغض المرسل به، والثناء على المؤمنين وأن الله يسر لهم اتباع الحنيفية وسماهم المسلمين.

- والإذن للمسلمين بالقتال وضمان النصر والتمكين في الأرض لهم.

- وختمت السورة بتذكير الناس بنعم الله عليهم وأن الله اصطفى خلقًا من الملائكة ومن الناس فأقبل على المؤمنين بالإرشاد إلى ما يقربهم إلى الله زلفى وأن الله هو مولاهم وناصرهم [١]، وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال: ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٤] وهي الساعة، وذكرها في أول هذه السورة، وانتظام السورتين: أن تلك السورةَ في ذكر الإيمان والطاعة وثوابها، وفي ذكر الكفر والمعصية وعقابها، وهذه السورة كذلك [٢].

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ١٨٥).

(٢) الكشف والبيان (١٨/ ٢٨٩ - ٢٩٠)، والبيان في عد آي القرآن للداني (١/ ١٨٩).

(١) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا﴾: أي: فلا تخالفوه فيما أَمر ونهى، واذكروا جزاء ذلك في الآخرة يوم القيامة. ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾: الزلزلة: شدةُ الحركة على الحالة الهائلة، وهي تضعيف الزَّلَل. وقيل: أراد بها شدائدها وأهوالها؛ كما قال: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾[البقرة: ٢١٤]. وقيل: هي زلزلة الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾؛ أي: إن حركة الأرض بأهلها للبعث شيء عظيم. وقيل: هي الزلزلة قبلَ يوم القيامة، وهي من أشراط الساعة.

(٢) - ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾: أي: تنسى ولدَها وتَسْلو عنه. وقيل: الذهول عن الشيء: هو الذهاب عنه وتركُه دَهَشًا وحيرة، والمرضعة: التي تُرْضِع، والمرضع: لها ولد رضيع. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: أي: تُسقط الحبالَى أولادها من الفزع، والحمل بالفتح: ما كان في البطن، وبالكسر: ما كان على رأسٍ أو ظهر. قالوا: وهذا يدل على أن هذه الزلزلة في الدنيا؛ لأنَّه لا حملَ ولا إرضاع بعد البعث. وقيل: بل هو يومَ القيامة، وإن ماتت حاملًا تبعث حاملًا فتضع حملها للهول. وقيل: هو مَثَلٌ؛ أي: هول ذلك اليوم على وجهٍ لو كان مثلُه في الدنيا لوضعت الحوامل وذَهَلت المراضع من شدته. ﴿وَتَرَى النَّاسَ﴾: خطاب لغيرِ معيَّنٍ؛ أي: أيها الناظر ﴿سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾، أي: تراهم من الدَّهش على حالٍ يُشاكلُ السُّكْرَ وما هم بسكارى على الحقيقة، لا أنه من الشراب. ثم هذا ليس بتناقضٍ؛ لأنَّه لم يقل: هم سكارى وما هم بسكارى، بل قال: ﴿وَتَرَى النَّاسَ﴾، وهو كقولك في السراب: ترى هناك ماءً وليس بماءٍ، وهو معنى قول

الحسن: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ من الخوف ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ من الشراب.

﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾: أي: تراهم دَهْشَى وما هم بسكارى، ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فأزال عقولهم وحيَّر قلوبهم.

(٣) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ﴾: ومن الناس المأمورين بالتقوى في أول هذه السورة مَن يخاصم خصومةً شديدة ﴿فِي اللَّهِ﴾؛ أي: في دين اللَّه. وقيل: أي: يجادل رسولَ اللَّه ﷺ فيما يُخبِر به عن اللَّه أنه يَبعث العبادَ ويجازيهم، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي بغير حجةٍ ولا شيءٍ يصح من جهة العلم. ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾: أي: يأخذ هذا الإنكارَ وهذا الجدلَ من الشيطان بوسوسته، أو من شياطين الإنس بدعواهم[(١)].

(٤) - ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ﴾: أي: حُكم على هذا الشيطان لتمرُّده أنَّ ﴿مَنْ تَوَلَّاهُ﴾؛ أي: اتَّبعه ووالاه. ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾: أي: الشيطان يُضلُّ هذا المتولِّي ﴿وَيَهْدِيهِ﴾؛ أي: يَدلُّه ﴿إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾؛ أي: النارِ الموقَدة.

(٥) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾: خاطب المجادِلين في الساعة وحاجَّهم بوجهين من الحجة: أما أحدهما: فقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾؛ أي: شكٍّ في أن اللَّه يبعث الموتى ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾؛ أي: ابتدأنا خلقَ أبيكم منه. ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: ثم خلقناكم في بطون أمهاتكم من النطفة، وهي ماء مَهِين جارٍ. ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: ثم جعلنا النطفة علقة، وهي الدم الجامد. ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾: ثم جعلنا العلقة مضغةً، وهي لحمة قَدْرَ ما يمضغ.

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٤٥٨)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٤٦٦).

﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾: ما كان حيًّا ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ ما كان سَقطًا. وهي نعتُ المضغة، فما نُفخ فيه الروح فهو مخلَّقٌ، وما سقط بغيرِ روحٍ فهو ليس بمخلَّقٍ. ﴿لنبين لكم﴾ أي: هذا الخلقَ. وقيل: لنبين لكم قدرتَنا على ما نشاء. وقيل: أخبرناكم بما يزول به الرَّيب في أمر البعث. ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي: مَن قضينا له حياةً إلى مدةٍ أقررناه في رحِم أمه إلى وقتٍ معلوم وهو وقت الولادة، وإنما قال: ﴿مَا نَشَاءُ﴾ ولم يقل: مَن نشاء؛ لأنَّه أراد به الحمل. ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾: أي: صغارًا لا تقومون بأمورِ أنفسكم، ولا تَعْقلون شيئًا، وإنما وحَّد لأنه على صيغة المصدر فصلح للجمع. وقيل: أي: نخرج كلَّ واحد منكم طفلًا. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾: أي: ننقلكم من حالةٍ إلى حالةٍ إلى أن تبلغوا كمالَ القوى بالبلوغ. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾: أي: يَتوفَّاه اللَّه تعالى بالموت شابًّا أو طفلًا. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: أي: أخسِّه، وهو الهرمُ والخرَف. ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: أي: يزولُ عقله فلا يَعقل شيئًا وإن كان عاقلًا عالمًا قبل ذلك. هذا أحد وجهي الحجة. والثاني: قوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: قيل: دارسةً باليةً. وقيل: يابسةً لا نبات فيها؛ أي: في الشتاء. ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾: أي: المطر ﴿اهْتَزَّتْ﴾؛ أي: تحرَّكت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾؛ أي: انتفخت. وقيل: أضعفت النبات بالمطر. ﴿وَأَنْبَتَتْ﴾: أي: أخرجت النبات ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾؛ أي: من كلِّ صنفٍ حسن. وقيل: فيه تقديم وتأخير: رَبَتْ واهتزَّت، تربو أولًا ثم تهتزُّ(١).

(١) المحرر الوجيز (٤/ ١٠٨)، والبحر المحيط (١٥/ ٣١٣)، والدر المنثور (٦/ ١٠).

(٦ - ٧) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: أي: يصرِّف الأحوال بالإنسان وبالأرض ليَدلَّ على أن لهما صانعًا خالقًا لا صانعَ غيرُه، يقدر على ما يشاء. ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾: أي: الذي قدر على إنشاء البشر مما ذكر، وإحياء الأرض الهامدة بالمطر، قادر على البعث بعد الموت، وإقامةِ القيامة، ومجازاةِ الخلق على ما عملوا في الدنيا يومَ المحشر والمنشر.

(٨) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾: وهؤلاء طائفةٌ أخرى من المجادِلِين بظاهر حرف العطف. وقيل: هي في النضر بن الحارث أيضًا، والتكريرُ للمبالغة في الذم والتقريعِ، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، قيل: بغير علمٍ بصحةِ ما يقول، وقيل: بغيرِ علمٍ بعاقبة ما يقول. ﴿وَلَا هُدًى﴾: ولا دليلٍ يكون معتقِده مهتديًا من جهةِ دلائل النظر. ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾: ومِن غير أن يَشهد له على قوله كتابٌ منزلٌ بنور الدعوى.

(٩ - ١٠) - ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ معناه: مُعْرِضًا متكبِّرًا، وترجمتُه: صارِفَ ناحيته وجنبه. ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يجادل ليستزلَّ عباد اللَّه عن دين اللَّه. ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: عقوبةٌ مُهينةٌ فاضحةٌ، وقد قتل صبرًا يوم بدر. ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: بنار جهنم ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾؛ أي: يقال له ذلك في النار. وقيل له هذا حين هدّد به في الدنيا؛ أي: ذلك الوعيدُ لك بكَسْبك الذي قدَّمْته. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: أي: وبأنَّ اللَّه ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾؛ أي: بواضعٍ الثوابَ والعقابَ في غير موضعهما.

(١١) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾: أي: على وجه، وأصله: الطَّرَف والجانب؛ لانحرافه. ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾: سكن على الإيمان ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: محنة ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ ارتد عن الإسلام. ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾: وخسرانُ الدنيا: أنه ارتدَّ لشدةٍ لَحِقَته، وبالكفر لا تزول تلك الشدة المقدَّرة بل تزداد، لو أُخذ فإنه يُقتل لردته، ثم عذابُ الآخرة من ورائه، فيخسرهما جميعًا. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾: الظاهر الذي لا يَخفى على أحد.

(١٢) - ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: وهو الصنم، فإنه بعد الردة يَفعل كذلك. ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ قيل: أي: في الدنيا إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾؛ أي: في الآخرة إن كان عبَدَه. وقيل: لا يضره في الدارين ولا ينفعه في الدارين. ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾: أي: في أقصى درجات البُعد والضلال، فإنه يَتعب ولا يُثمر تعبُه قط.

(١٣) - ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ﴾: اللام لام القسم، تقديره: يدعو واللَّه مَن ضرُّه ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ وهذا في القيامة؛ أي: مَن ضرُّه بإدخال النار أقربُ من نفعه بالشفاعة التي كان يرجوها، ولم يُرِدْ به أن الشفاعة موجودةٌ لكنها بعيدةٌ، بل أراد أنها معدومةٌ أصلًا، وهذا خارجٌ مخرجَ كلام الناس في الشيء يرجوه الإنسان وذلك مما لا يكون، فيقال له: عدمُ هذا أقربُ من وجوده، ولا قربَ للعدم. ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾: أي: يرجو الإنسان النصرَ والعون من مولاه وهو ابنُ عمه، ومن العشير وهو صاحبه ومُعاشره، فالوثنُ بئس موضعُ رجاءِ النصرةِ والعون، فإنه مما لا يكون[١].

---

(١) معالم التنزيل (٧/ ٣٤٩).

(١٤ - ١٥) - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: وهذا وعدٌ من عند الله على التحقيق بكلِّ حال، لا لمن عبده على حرف. ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: قال ابن عباس وقتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾؛ أي: محمدًا ﷺ؛ أي: مَن ظنَّ من هؤلاء الذين يعبدون الله على حرفٍ أن الله تعالى لا ينصر محمدًا على أعدائه وأحبَّ أن لا ينصره ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾؛ أي: فليعلِّق حبلًا إلى السماء العالية وليصعد ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ نصر الله عن محمد ﷺ الذي يَنزل من السماء. ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾: أي: غيظه؛ أي: لا يقدر على ذلك فلْيَصبِرْ ولْيَرْضَ به[١].

(١٦ - ١٧) - ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي: كالذي أنزلناه عليك في الوضوح والبيان والحجة على مَن دعا من دون الله شيئًا أنزلنا القرآن كلَّه ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛ أي: علامات يُهتدَى بها إلى الحق. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾؛ أي: وأنزلنا أن الله يهدي من يريد، ولذلك فتح (أنَّ) في قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ لوقوع (أنزلنا) عليه؛ أي: لا اهتداء إلا بإرادته. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ﴾ والمجوس معرب، أصله: منْج كُوش، وكان رجلاً صغير الأذنين، هو أول من دان بدين المجوس، ودعاهم إلى المجوسية، فعربته العرب[٢] ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم مشركو العرب ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) جامع البيان (١٦/ ٤٧٨ - ٤٨٠).

(٢) البسيط (١٥٣١٩)، والجلالين (١/ ٤٣٥).

﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: يقضي بينهم يوم القيامة فيما هم فيه مختلفون، فيَمِيز المحقَّ منهم من المُبْطِل، ويجزي كل واحد على وَفق عمله. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: عالمٌ به حاضرٌ له لا يَعْزُب عنه شيءٌ، فهو حافظٌ لذلك كلِّه حتى يوصِل إلى كلِّ واحد منهم يوم الحساب جزاءه؛ أي: فلينظر كلُّ امرئ ما يعتقِد وما يقول وما يفعل، وهو أبلغ وعيد.

(١٨) - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أي: ألم تعلم يا محمد العلمَ الذي يقوم مقام العِيَان؟ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الخلائق ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ منهم ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ﴾؛ أي: الأشجار، جمع شجرة بحذف الهاء ﴿وَالدَّوَابُّ﴾. سجود هذه الأشياء: ما فيها من أمارات الحدث، وأمارات الحاجة إلى ممسِكٍ يمسكها ومقيمٍ يقيمُها لولاه لبَطلت ولم تَثْبت طرفةَ عين، وقيل: سجودها: خضوعها، فمَن كان من أهل السماوات وهم الملائكة ومن أهل الأرض من المؤمنين فخضوعهم بالصلاة وسائرِ وجوه التذلُّل، ومن كان كافرًا فبسجود ظلِّه، وهكذا سجود الشمس والقمر والنجوم جريانها بتسخير اللَّه تعالى، وأما الجبال والشجر والدوابُّ فسجودها سجود ظلها. ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾: المؤمنون بوجوههم اختيارًا، وهو خصوصٌ من عمومِ قولِه تعالى ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ وذاك عمومُ سجود الظلال في المؤمنين والكفار جميعًا اعتبارًا، فيجتمع في المؤمنين النوعان. ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾: هم الكفار، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ﴾: أي: ومَن يُهنه اللَّه بالإضلال ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾؛ أي: من أحدٍ يُكرمه في الدنيا بالإيمان ولا في الآخرة بنوعِ كرامة. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: من إكرام وإهانةٍ وكلِّ شيء.

(١٩) - ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾: المذكورون في هذه الآية وفي الآيات التي قبلها، فالحاصل فريقان: مؤمنون وكافرون، فهذان الفريقان خصمان كلُّ فريق خصم للآخر يخاصمه في دينه. ﴿اخْتَصَمُوا﴾: جُمع لأن كلَّ فريق منهم جمعٌ، فهما جمعان، أي: يختصمون في الله تعالى ويتحاربون فيه، ويدَّعي كلُّ فريق أنهم هم المحِقُّون ومخالفوهم هم المبطلون، ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾: ففريق يُقرُّون به ويوحِّدونه ويصِفونه بصفاته وينزِّهونه، وفريق يكذِّبونه ويصفونه بما لا يليق به، ثم بيَّن جزاء كلِّ فريق فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾: أي: تُقطَّع، وذكر بصيغة الماضي لأنه كائن لا محالة، فهو كالثابت المتحقق. وتقطيعُ الثياب استعارةٌ عن اتخاذ الملابس لهم في النار. وقيل: هي من نحاس وتصيرُ نارًا باشتعالها بالنار، وثيابُ الدنيا تقطعُ وتُخاط فذكر لهم ذلك، ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾: أي: الماء الحارُّ المغليُّ بالنار.

(٢٠ - ٢١) - ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾: أي: يُذاب بالحميم ما في بطونهم من الشحوم والأكباد والأمعاء والأفئدة ونحوِها، وهو وصف الحميم بغاية شدة الحرارة تُصب على الرأس ويذوب به ما في البطون، ﴿وَالْجُلُودُ﴾: ظاهرُه عطف على الأول، ومعناه: وتُحرَق الجلود، بإضمار فعل يشاكلُها -لأنها مما لا تذوب- ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾: جمع مقمعة وهي المِدقَّة يُقمع بها؛ أي: يضرب بها ردعًا وزجرًا وإذلالًا، يَضرب بها الزبانيةُ رؤوسَ الكفار، ﴿وَلَهُمْ﴾ بمعنى: أُعدَّ لهم ذلك يُضربون بها[1].

(١) جامع البيان (١٦/ ٤٩١)، والنكت والعيون (٤/ ١٣).

(٢٢) - ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي: من النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يلحقهم فيها ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ أي: ردوا إليها بالمقامع، ورويَ: أن جهنم تَجِيش فتُلقي مَن فيها إلى أعلى أبوابها، فيريدون الخروج منها فتعيدهم الزبانيةُ فيها بضربِ المقامع. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: البالغ نهاية الإحراق، ويقال لهم ذلك في النار[١].

(٢٣) - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: وهو بيان جزاء الفريق الآخر ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾: هو جمعُ جمعٍ: سوارٌ وأسورةٌ وأساورُ. وقيل: يجمع لهم الذهب والفضة جميعًا، وهو أجمل. وقيل: بعضهم يحلَّى بالذهب وبعضُهم بالفضة. وقيل: الفضةُ للرجال والذهبُ للنساء. ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ أي: ويحلَّون لؤلؤًا. ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: وهو من حرير الجنة لا يوجد من معناه في الدنيا إلا الاسم، ثم هو على ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلبِ بشر.

(٢٤) - ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: وهُدي هؤلاء في الدنيا إلى كلمة التوحيد، وقيل: هو القرآن. ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾: أي: صراطِ اللَّهِ المحمود وهو دينُ الإسلام، هو الطريق الموصل إلى ثواب اللَّه. وقيل: هدوا في الآخرة إلى الطيب من القول في الجنة[٢].

(٢٥) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: عاد الكلام إلى ذكر مشركي العرب.

---

(١) تفسير الجلالين(١/٤٣٦)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٤)، وجامع البيان (١/ ٢٦٤)، والكشاف (٢/ ١٠٨).

(٢) جامع البيان (١٦/ ٤٩٨)، وتفسير مقاتل (٣/ ١٢٠)، والدر المنثور (٦/ ١٥).

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يمنعون عن دين اللَّه. ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي: ويصدون عن المسجد الحرام. ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾: يصلُّون فيه ويطوفون به، ويقيمون فيه سائر القُرب. ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ﴾: المقيمُ بمكةَ ﴿وَالْبَادِ﴾؛ أي: الساكنُ في البدو والآتي إليه؛ أي ليس لأحد أن يمنع أحدًا عنه. ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ قيل: الإرادة بمعنى الهم؛ أي: مَن همَّ بإلحادٍ. قيل: هو الشرك. وقيل: هو توبيخ لمشركي العرب. والإلحاد في اللغة هو الميل، وفي الشرع: الميل عن الحق إلى الباطل، فكان عامًا للشرك ولكلِّ معصية. ﴿بِظُلْمٍ﴾: أي: على وجهِ الظلم. ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: جزاءُ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾، وهذا وعيدٌ على الإرادة فكيف بالتحقيق[(١)]؟

(٢٦) - ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾: وهو المسجد الحرام المذكورُ في الآية الأولى، يقول: واذكر يا محمد إذ مكنَّا لإبراهيم مكان هذا البيت؛ أي: موضعَه، حتى بناه على ما أَريناه منه، وهو البيت الذي تعبَّد قومك فيه غيري، ويصدونك وأصحابَك عن عبادتي فيه. ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾: أي: قلتُ له: لا تشرك بي شيئًا، وقد بينَّا في سورة البقرة أصلَ البيت وكيفيةَ بناء إبراهيم ذلك. ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾: قيل: طهِّره عن الأنجاس. وقيل: عن الأوثان؛ أي: أخرجها عنه ونحِّها عنه. وقيل: عن عبادة الأوثان. وقيل: هو عام يتناول كلَّ ذلك. ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: أي: لأجلهم. ﴿وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: هم المصلُّون، وهذه أركان الصلاة.

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٥٣٦)، وتفسر مقاتل (٣/ ١٢١ - ١٢٢)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢١).

(٢٧) - ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾: أي: نادِ فيهم، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لمَّا فرغ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من بناء الكعبة قال: ربِّ قد فرغتُ من بناء الكعبة، قال: فأذِّن في الناس بالحج، قال: ربِّ وهل يبلغ صوتي ذاك؟ قال: أذِّن وعليَّ البلاغ، فصعد أبا قبيس وقال: يا أيها الناس، إني بنيتُ لله تعالى بيتًا فحُجُّوه[1]. ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ أي: مشاه، والرجال: جمع راجلٍ. ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾: أي: ركبانٌ على الإبل وغيرها من الدواب، وقد ضَمِرت لطول السفر. ﴿يَأۡتِينَ﴾: أي: الضوامرُ ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾؛ أي: طريقٍ واسعٍ ﴿عَمِيقٖ﴾؛ أي: بعيدٍ، وقدَّم الرجال على الركبان إظهارًا لفضلهم.

(٢٨) - ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾: يقول: وأذِّن في الناس بالحج ليشهدوا منافع ينتفعون بها في دينهم ودنياهم؛ كعرفاتٍ ومنًى والمشعرِ الحرام وغيرِها، وفيها الثواب في الآخرة والثناءُ والقبول في الناس، وسعةُ الرزق ببركته، وحصول الأرباح بالتجارة فيها، ولذلك اختلفت عبارات المفسرين فيها: قال بعضهم: هي منافعُ التجارة. وقال بعضهم: هي الأجر في الآخرة. وقال بعضهم: هي مناسك الحج. ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾: هي أيام العشر، والأيام المعدودات هي أيام التشريق، وعليه أكثر المفسرين. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ وهي الإبل والغنم والبقر؛ أي: وليتقرَّبوا إلى الله بالذبائح والنحائر ويذكروا اسم الله عليها: بسم الله، والله أكبر، اللهم منك ولك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، ونحو ذلك، ويحتمل الشكر لله تعالى على هذه النعم. ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾: أنتم

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٥١٤).

﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾: الذي به بؤسٌ؛ أي: شدة، والبائس: الذي نزلت به بليةٌ أو فاقةٌ، فيُرحم لما به، وقيل: البائس: الذي به ضرُّ الجوع، والفقير: الذي لا مال له(١).

(٢٩) - ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: التَّفَث: الوسَخ والدَّرَن في اللغة. أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر ونحوه. ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾: أي: ومَن كان عليه نذرٌ بهديٍ فلْيَفِ به، وليس كلُّ أحد يلزمُه هديٌ، فلذلك ذكر النذر. ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: وهذا أمرٌ بالطواف يوم النحر، وهو ركنٌ فيه، والطواف الأول طوافُ التحية وهو سنَّةٌ، والطوافُ الأخير طوافُ الصَّدَر وهو واجبٌ، وهذا الطواف طوافُ الزيارة وهو ركنٌ لا حجَّ بدونه. والبيت العتيق: الكعبة، ﴿الْعَتِيقِ﴾: القديم، وهو أول بيت وضع للناس في الأرض. وقيل: العتيق: أي: الكريم، وسمي به لأنه كريمٌ على اللَّه تعالى(٢).

(٣٠) - ﴿ذَلِكَ﴾: أي: ما قدَّمتُ ذكرَه من أمر الحج فهو كما قدَّمْتُه فالتزِموه ولا تخالفوه، مبتدأ حُذف خبره اختصارًا. ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾: أي: أمورَ الحج والعمرة والبيت، فراعاها ولم يتعدَّ حدودها. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾: أي: أنفع له من أنْ لا يعظِّمها؛ لأنَّه يثاب على فعله ويعاقب على تركه، وهذا ترغيب وترهيب، وعمومُه يشمل الحج وغيرَه. والحرمات حقيقتُها: ما حرُم انتهاكُها ومُنع عن ارتكابها. ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ أي: أكلًا بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٥٣٩)، التيسير في التفسير (١٠/ ٤٩٢)، وجامع البيان(١٦/ ٥٢٣).

(٢) العين (٧/ ٣١٦)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٩٢)، ومعاني القرآن" للفراء (٢/ ٢٢٤).

عَلَيْكُمْ﴾أي: تحريمه: وهو ذُكر في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾الآية [المائدة: ٣]. ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾: أي: النَّجَس ﴿مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ ﴿مِنَ﴾ أي: اجتنبوا هذا النوع من الرجس فكلُّه خبيث؛ أي: اجتنبوا الأوثان أنْ تعظِّموها فتذبحوا لها وتذكُروا على ذبائحكم أسماءها. ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾: أي: الكذب، وهو ما يقال على الذبائح من ذكر الأصنام، وما يتصل بها من كلمات هي شركٌ.

(٣١) - ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾: نصبٌ على الحال؛ أي: مستقيمين في تلك الحال على الدِّين الحق. ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾: أي: باللَّه، ختم الآية بوعيد الشرك، يقول: أمركم بالحج لتتقرَّبوا فيه بالقرابين إلى اللَّه تعالى، لا أن تذبحوا للأصنام وتتكلموا بالشرك. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾: قيل: أي: فمَثَلُه في بُعده من الهدى والحق وهلاكِه كمَن خرَّ من السماء ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾: أي: تستَلِبه بسرعة ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾؛ أي: تُسقطه ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾؛ أي: بعيد(١).

(٣٢) - ﴿ذَلِكَ﴾: أي: ذلك الذي عرَّفْتكم من أمرِ الشرك، وهو كما عرَّفتكم ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: جمع شَعِيرة، والشعائر: هي أمور الحج؛ ومنها: رميُ الجمار، والسعيُ بين الصفا والمروة، ونحوُها. وقيل: هي البُدْن، وتعظيمُها: استسمانُها واستحسانُها، قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾. ودليل القول الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[البقرة: ١٥٨]. ﴿فَإِنَّهَا﴾: أي: هذه الفعلة، وهي تعظيمها ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾: هي

---

(١) الدر المنثور (٦/ ٤٥)، وتفسير مقاتل (٣/ ١٢٤).

تصحيحُ النية وتجريدها للتقرُّب إلى اللَّه تعالى.

(٣٣) - ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: فالمنافع: ركوب ظهورها عند الحاجة، وشرب ألبانها عند الضرورة، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي: إلى وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: ثم مَحِلُّ الشعائر إلى البيت العتيق؛ أي: نحرُها يكون في الحرم، فالبيت العتيق عبارة عن كل الحرم.

(٣٤) - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾: أي: لكلِّ أهل دين سَلَفوا قبلكم شَرَعْنا قرابين. ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: أي: ليتقرَّبوا بها ويذبحوها على اسم اللَّه دون أسماء الأصنام. ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: أي: إلٰهكم وإلٰهُ الأمم كلِّها واحدٌ، والواجب أن يُتقرب إليه ويُذكر على الذبائح اسمُه دون اسم غيره. ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾: أي: انقادوا بالعبودية. ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾؛ أي: المطمئِّنين إلى وعد اللَّه، الخاشعين له، والخبت في اللغة هو المطمئن من الأرض[١].

(٣٥) - ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي: خافت من عظمته، فعظَّمت شعائر اللَّه وحَذِرت مخالفته. ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ أي: من البلايا، ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ أي: في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي: يتصدقون، يقول: وبشِّر هؤلاء بكلِّ خير، وكلُّه تفسير المخبِت، إذ لا يقدر على هذه الأشياء إلا الخاضع للَّه تعالى بالعبودية.

(٣٦) - ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: هي جمع بَدَنةٍ؛ وهي

---

(١) العين (٤/ ٢٤١)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٥٠١).

الإبل التي تُهدى، سميت بها لبدانتها؛ أي: ضِخَمِها، ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾؛ أي: من أعلام دين اللَّه. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: وهو نفعُ الدِّين والدنيا، والخيرات فيها كثيرة: الركوب، والحمل، وشرب الألبان، والانتفاع بالأوبار، ثم بالاعتبار بخلقها كيف سُخِّرت للناس على قوَّتها وصُورتها، ثم كيف تنقاد للصبيان في البروك للحمل والركوب والنزول، وصبرِها على العطش في الأسفار، واكتفائها بقليل العلَف، ثم بما في طبعها من اللَّطافة حتى تستريحُ بالحُداء مع كثافةِ صورتها، إلى غير ذلك[١]. ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾: جمع صافَّةٍ، وهي القائمة؛ أي: اذكروا اسمَ اللَّه عليها عند نحرِها وهي قائمةٌ شرطًا للذَّكاة وتسميةً للَّه تعالى، دون جعلِها للأصنام كفعلِ الكفار. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: أي: سقطت على الأرض بعد نحرها قائمة. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾: قيل: القانع: الذي يَرْضَى بما يُعْطَى وبما عنده ولا يَسأل، والمعترُّ: الذي يتعرَّض لك أن تُطعمه. وقيل: القانع: الذي لا يَسأل، والمعترُّ: الذي يَسأل. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ إباحة، ولو لم يأكل منها جاز. ﴿وَأَطْعِمُوا﴾ ندبٌ، ولو صَرف كلَّه إلى نفسه لم يَضمن شيئًا، وهذا في كلِّ هدي، هو نُسك لا كفارةٌ، وكذا الأضحية، فأما هديٌ هو كفارةٌ فعليه التصدُّق بجميعه، وما أَكَله ضمِنه، وكذا ما أَطعمه الأغنياءَ، وإنما مصرفُه الفقراءُ، فأما هديُ النُّسك والأضحية فيَحِلُّ لصاحبه والأغنياءِ، والمستحَبُّ في ذلك أن يكون نصفُه لأَكْله وإطعامِ أهله، ونصفُه للصرف إلى غيره. ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾: أي: كالذي أمرتُكم بنحرها ذلَّلتُها لكم مع عِظَم أجسامها فلا تمتنعُ عليكم، ولو أعطيتُها

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٥٤٥).

ما أعطيتُ السباع لصعب عليكم نحرُها. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي: فعلتُ ذلك بكم لتشكروا نِعمي بذلك.

(٣٧) - ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾: أي: لا تبلغ رضاه ولا يكون مقبولًا عنده أعيانها ﴿وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾: وهو قصدُ الائتمار، وطلبُ الرضا، والاحتياطُ في ذلك، والتحرُّزُ عن الحرام والشبهة.

وقيل: لمَّا أمرهم بأكلها ظنُّوا أنها ردَّت إليهم أو صارت لهم لا للَّه تعالى، فأَخبر أن للَّه مِن عبده ما أَخلص له من النية والعمل، دون أعيان ما يَتقرب بها. ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾: أي: كالذي ذكر ذلَّل هذه البُدن. ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾: أي: لتعظِّموا اللَّه ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾؛ أي: أرشدكم إليه من دِينه، وأعاد ذكر التسخير لمعنًى غيرِ الأول، فإن الأول للشكر والثاني للتعظيم. ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾: في أمور الحج والشعائر وسائر الشرائع (١).

(٣٨) - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: وعاد الكلام إلى ذكر المؤمنين والكفار، وبشارةِ المؤمنين بالفتح والنصر والعودِ إلى مكة التي صدَّهم المشركون عنها، وهذه الآيات في ذكرها وما يقام من الحج والقرابينِ بها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بشارةٌ بدفع ضرر الكفار عنهم، وهو كما قال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [آل عمران: ١١١]، وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقيل: كان هذا قبل الهجرة، فدفع عنهم بأنْ أَذِن لهم في الهجرة إلى المدينة، وأعانهم وقوَّاهم بالأنصار، وأذِن

(١) جامع البيان (١٦/ ٥٦٣ - ٥٦٥).

بالقتال وجهاد الكفار، وقيل: يدفع عنهم بتوفيقه وتثبيته إياهم على الحق عن فتنة الكفار بإعادتهم إلى الكفر.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ أي: لا يريد بهم الخير، ولا يجعل لهم العاقبةَ المحمودة، بل يكون ذلك للمؤمنين بالدفع عنهم، فالعبادات أمانات، فمَن خالفها فقد خان، وقيل: المشركون كانوا يقرُّون بالصانع ثم يعبدون غيره وهذا خيانةٌ. وقيل: كل إنسان يُظهر الشفقة على نفسه وإرادةَ الخير بها، فإذا فعل بها ما يُهلكها فقد خانها، ﴿كُلَّ خَوَّانٍ﴾ أي: كل الكافر ﴿كَفُورٍ﴾ أي: الذي يكفر نِعَمَ اللَّه عليه.

(٣٩) - ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ ﴿أُذِنَ﴾ بالضم على ما لم يسمَّ فاعله ﴿يُقَاتَلُونَ﴾ بفتح التاء على ما لم يسم فاعلُه، وهم المؤمنون أيضًا لأن الكفار يقاتلونهم، و﴿أَذِنَ﴾ بفتح الألف و﴿يُقاتِلون﴾ بكسر التاء، ومعناه: أَذِن اللَّه للمؤمنين الذين يقاتِلون الكفار -أي: يحرِّضون على قتالهم- بالقتال. ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾: أي: بسببِ أن المشركين ظلموهم في صدِّهم عن المسجد الحرام وإظهارِ دينهم. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾: يُورثهم ديارَ عدوِّهم، ويَشفي به صدورهم، وهو إشارة إلى البشارة بذلك، وهذه الآية أول آية أُنزلت في الأمر بالقتال[1].

(٤٠) - ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: أي: من غير أن يستحقوا ذلك ويحقَّ عليهم ذلك، ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾ أي: بقولهم ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وحده لا شريك له، وهذا القول حق فالإخراج به إخراج بغير حق.

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٥٤٧)، والسبعة (١/ ٤٣٧)، والتيسير (١/ ١٥٧).

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾: أي: لولا شرعُ اللّه للأنبياء والأممِ من الجهاد، وقيل: معناه: ولولا دفعُ اللّهِ بأهل هذا الدِّين عن الأديان كلِّها؛ أي: لولا إقماعُ عبدة الأوثان وأهلِ التعطيل بخوف سيوف المسلمين لتغلَّبوا على أهل الأديان كلِّها، وفيه تعريفُ منَّةِ اللّه تعالى بما عاد على أهل الأديان كلِّها من النَّفع بدِين الإسلام، ﴿لَهُدِّمَتْ﴾: أي: لغَلب أهلُ الشرك أهلَ الإيمان؛ أي: وعطَّلوا ما بَنَتْه أهل الديانات من مواضع عبادة اللّه تعالى. ﴿صَوَامِعُ﴾أي: صوامع الرهبان. ﴿وَبِيَعٌ﴾ للنَّصارى ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ كنائسُ اليهودِ بالعبرانية، ﴿وَمَسَاجِدُ﴾ أي: مساجدُ المسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ أي: في المساجد، هو الصحيح، فإن الذكر في البيع ونحوها محرَّفٌ غيرُ معتبَر. ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾: أي: ينصر دينه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ﴾:منيع في سلطانه وقدرته.

(٤١) - ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: هو نعتُ ﴿الذين يقاتلون﴾ أي: أُذِنَ بالقتال لهؤلاء الذين إنْ أعطيناهم المكنة والمكانة في الأرض ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وأقاموا الدِّين بألسنتهم وأيديهم، وألزَموا الناس ما هو مستحسَن عند العقل والشرع، ومنعوهم عما هو مستقبَحُ العقل والشرع. ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: أي: خاتمتُها؛ أي: النصر والعلوُّ والغلَبة خاتمةُ مَن نصَر دِين اللّه، وهي للّه، وإن تأخَّرت مدةً لحكمةٍ فهي موعودةٌ لهم، وهذا تطييبٌ لقلوبهم، وتثبيتٌ على الصبر (١).

(٤٢ - ٤٤) - ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾

(١) الكشف والبيان (٧/ ٢٦)، والوسيط (٣/ ٢٧٤).

﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى﴾: وهذا بيانُ قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾، وتسليةٌ للنبي ﷺ بما ينالُه من جهة الكفار من المكروه والمحذور، يقول: إنْ نَسَبك هؤلاء إلى الكذب فقد فعلَتْ قوم نوحٍ بنوحٍ كذلك، والتأنيث في ﴿كَذَّبَتْ﴾ لإرادةِ القبيلة أو الأمَّة أو الجماعة، وكذلك ما ذُكر بعده كذَّبتْ كلُّ أمةٍ نبيَّها ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾ على ما لم يسمَّ فاعله، ولم يقل: وكذبت قوم موسى لأن قومه بنو إسرائيل وهم صدَّقوه، وإنما كذَّبه فرعونُ وقومه. ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾: أي: طوَّلتُ لهم الزمانَ للحجة عليهم. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: أي: عاقبتُهم على كفرهم وتكذيبهم ومعاصيهم. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: أي: إنكاري وتغييري عليهم، ألـمْ أبدِّلْهم بالنعمة نقمةً، وبالكثرة قِلةً، وبالحياة هلاكًا، وبالعمارة خرابًا، وكذلك حالُ قومك.

(٤٥) - ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾: أي: وكم من أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾؛ أي: أهلكناهم وهم ظالمون أنفسَهم بالكفر، واضعون العبادةَ غيرَ موضعها، ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: فالقريةُ ساقطةٌ سُقوفُها أولًا ثم ساقطةٌ حيطانها على سقوفها، ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾: أي: وكم من بئرٍ معطَّلة بفِناء أهلها اندَفنتْ وصارت لا واردةَ لها ولا شاربةَ منها باندِفانها وغورِ مائها. ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾: وكم قصرٍ مشيد أي: مبنيٍّ بالجصِّ، والشِّيد: الجص، وقيل: أي: مرفوع، وقد شاد البناء؛ أي: رفعه وطوَّله. وقيل: أي: مزيَّنٍ، وقد شاده؛ أي: زيَّنه؛ أي: خلا عن سكانه وتداعَى للخراب بذهاب أهله، فهذا تنبيهٌ لهم ووعظ بمن كان قبلهم ممن كان أطولَ منهم أعمارًا وأقوى آثارًا، فأهلكهم الله تعالى لعتوِّهم وتمرُّدهم.

(٤٦) - ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أفلم يسافر هؤلاء في الأرض فيشاهدوا هذه القرى وآثار وقائع اللَّه تعالى بها، ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: أي: فيَحْضرَهم عقولٌ يتفكرون بها فيها فيَعتبِرون ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾؛ أي: يدعوهم ما شاهدوا إلى سماع وعظ الواعظ، وهذا استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: قد سافروا إليها وشاهَدوها ثم لا يعتبرون بها بإعراضهم عن التدبُّر، فهم متعامُون متصامُّون. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾: أي: لا تعمى الأبصار أبصارُ رؤوسهم عن رؤية هذه الآثار عِيانًا ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ عن التفكر فيها والاعتبار بها، وقيل: معناه: وإنَّ العمى ليس بعمى البصر وإنما العمى في الحقيقة عمَى القلوبِ؛ لأن منفعةَ بصر العين لا يَهْلِكُ بعدمها صاحبُها، وعدمَ بصر القلب يهلكُ صاحبه.

(٤٧) - ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: أي: يقولون: متى هذا العذاب الذي تُوْعِدُنا به وتَذكُرُ أنه كان للأمم السالفة؟ ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ فإنه يتعالى عن الخُلف والكذب، وهو آت لا محالة لكنْ لوقته الذي جعله له. ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: من أيام الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا؛ أي: فلا معنى لاستعجالهم وهم يصيرون إلى الآخرة ويعذَّبون فيها هذه المدةَ الطويلة[(١)].

(٤٨ - ٥٠) - ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾: أي: في الدنيا ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجعُ في عذاب الآخرة؛ أي: فما ينبغي لهؤلاء أن يغترُّوا بإمهالي. ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: أي: جعل اللَّه إليَّ

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٥٩٣)، والكشف والبيان (٧/ ٢٧)، التيسير في التفسير (١٠/ ٥١٦).

الإنذار دون إنزالِ العذاب، فلا يستعجلوا به. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ للذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: حسن في الجنة، هذا لمن خاف بإنذاري فاتَّبَعني.

(٥١) - ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾: أي: اجتهَدوا في أعلام الحقِّ للإبطال والتكذيب وصدُّوا الناس عنها ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ أي: مسابقين لنا أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب، وفي قراءة ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ يكون المعنى: من اتبع النبي ﷺ أي ينسبونهم إلى العجز ويثبطونهم عن الإيمان أو مقدرين عجزنا عنهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: أي: الدائمون في النار الموقَدة.

(٥٢) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾: قيل: الرسول: صاحب الشريعة، والنبي: هو الذي يتَّبع الرسول في الشريعة؛ كهارونَ لموسى، ولوطٍ لإبراهيم، عليهم السلام، وقيل: الرسول: المرسَل بالوحي، والنبي: هو المخبِر عن اللَّه بالوحي إليه، أو بالوحي إلى رسولٍ أُمر أن يأمره بالتبليغ أو بالرؤيا، وقيل: هما واحد، وفي الآية جمَع بينهما في الإرسال،﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾؛ أي: تلا، ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾؛ أي: في تلاوته.

وروي في ذلك: أن النبيَّ ﷺ كان يقرأ سورة: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ في الكعبة أو في المسجد الحرام بحضرة المؤمنين والمشركين، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]؛ ألقى الشيطان في قراءته بغير علمه ﷺ: تلك الغَرَانيقُ العُلا وإنَّ شفاعَتَهنَّ لتُرتَجى، ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن فسلي بهذه الآية

ليطمئن(١). ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾؛ أي: فيُبْطِلُ اللَّه تعالى ما تكلَّم به الشيطان؛ أي: يُظهِرُ بطلانَه بالوحي بعده، ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ فيُثْبِتها ويحفظها عن لحوق الزيادة من الشيطان بها. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: بوقت إنزال العذاب وبقصد الشيطان ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يدعُه حتى يكشفَه ويزيلَه.

(٥٣) - ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: أي: نِفاقٌ. ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: أي: وللقاسيةِ قلوبُهم وهم الكفار، صار ذلك فتنةً لهم؛ اعتقَدوا كلام الشيطان كلامَ اللَّه وحقَّقوا شفاعتَها ونفعها. ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: أي: وإن المشركين لفي خلافٍ للحق بعيد عنه.

(٥٤) - ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: أي: أُعطوا العلمَ باللَّه وبدِينه وبالآيات ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾؛ أي: أنَّ نسخَ ما يُلقي الشيطان. وقيل: أنَّ القرآنَ الحقُّ من ربك. ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾: أي: فيصدِّقوا به ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي:

---

(١) قصة الغرانيق معروفة، ولا يصح فيها شيء، فقد رويت فيها مرسلات عن قتادة والضحاك وأبي العالية وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وغيرهم، وروي فيها خبر من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، لكن إسناده ضعيف جدًا. جامع البيان (١٦/ ٦٠٤ - ٦١٢)، ويكفي في ردها ما قاله القاضي عياض: فيكفيك أنّ هذا حديث لم يُخَرِّجه أحد من أهل الصحَّة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أُولِع به وبمِثْله المفسرون والمؤرخون المُولَعون بكلِّ غريب، المتلقِّفون من الصحف كلّ صحيح وسَقيم، وصَدَق القاضي بكرُ بن العلاء المالكيّ حيث قال: لقد بُلِي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلَّق بذلك المُلحِدون مع ضَعْف نَقَلَتِه واضطراب رواياتِه وانقطاع إسنادِه واختلاف كلماتِه...) الشفا (٢/ ١٢٥).

تلينَ وتطمئنَّ. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: لمثبِّتُهم على الهدى ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: دينِ الإسلام.

(٥٥) - ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾: أي: في شكٍّ من إلقاء الشيطان، وقيل: من الحق. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾: أي القيامةُ ﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: قيل: يومٌ لا خيرَ فيه ولا فرحَ كالريح العقيم التي لا مطر معها، وهو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير أو هو يوم القيامة لا ليل بعده.

(٥٦ - ٥٧) - ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾: أي: يوم القيامة، إذا قامت القيامة فزالت غلبةُ المتغلِّبين ومعارضةُ المعاندين، وهو كقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وقولِه تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[غافر: ١٦]. ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: يُنزل كلَّ واحد من هذين الفريقين منزلة: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، فضلًا منه -سبحانه وتعالى- هذا هو حكم أحد الفريقين ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: شديد بسبب كفرهم، وهذا حكم الفريق الآخر.

(٥٨ - ٥٩) - ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في طاعته من مكة إلى المدينة، ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو رزق في الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي: وهو خير المعطين؛ لأنه لا يعطي أحدٌ عطاءه في الكثرة والجلالة والدوام وزوالِ الشوائب. ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾: الجنة، وهذا وصف لها بكلِّ جميل؛ لأن ما وقع موقع الرضا فقد كمل. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾:

بأحوال المهاجرين ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العذاب عن المشركين[١].

(٦٠) - ﴿ذَلِكَ﴾: الذي قصصناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمنين ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ظلمًا من المشركين أي قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ منهم أي ظلم بإخراجه من منزله ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عن المؤمنين ﴿غَفُورٌ﴾ لهم عن قتالهم في الشهر الحرام[٢].

(٦١) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: أي: ذلك الذي أخبرتُكم أني فاعلُه هو بأني قادر على ما أشاء؛ أُدخل الليلَ في النهار وأُدخل النهار في الليل بنقصان أحدهما وزيادة في الآخر، وبأني أنا السميع للأصوات والبصير للمبصَرات لا يخفى عليَّ شيء، ولا يخفى عليَّ المطيع من العاصي، والمؤمنُ من الكافر، والمهاجر من القاعد، ومتبع الشيطان من المخالِف، فلكلِّ واحد جزاءٌ مني على وَفْق عمله لا أعجز عنه[٣].

(٦٢) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: أي: ما ذكرتُه من آيات قدرتي بأني أنا اللَّه المستحِقُّ للإلهية، ومَن كان إلهًا حقًّا كان قادرًا على كلِّ شيء، مصرِّفًا كلَّ شيء على ما أراد. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾: أي: الأصنامُ خاليةٌ عن هذه

---

(١) الوسيط (٣/ ٢٧٧)، زاد المسير (٥/ ٤٤٥)، وجامع البيان (١٦/ ٦١٦)، والهداية (٧/ ٤٩٢١)، والكشف والبيان (٧/ ٣١)، ومعالم التنزيل (٥/ ٣٩٦)، والدر المنثور (٦/ ٧٠)، النكت والعيون (٤/ ٣٧)، وتفسير الجلالين(١/ ٤٤١).

(٢) تفسير الجلالين(١/ ٤٤٢).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ١٣٥)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٥٢٩).

الصفات، فبطَل وصفُها بالإلهية. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾: أي: العالي على كلِّ شيء بالقهر والسلطان، ﴿الْكَبِيرُ﴾: بالجلال والقدرة والكمال.

(٦٣) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: أي: ألم تعلم -استفهام بمعنى التقرير- أن الله أنزل من السماء ماء وهو المطر؟. ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: أي: فتصيرُ بالنبات خضراءَ، فمَن قدر على هذا قدر على إنشاء الأجسام وعلى إحياء الموتى وعلى كلِّ شيء. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾: عالم ببواطن الأشياء ﴿خَبِيرٌ﴾ بظواهرها. ﴿لَطِيفٌ﴾: بارٌّ بخلقه ﴿خَبِيرٌ﴾ عالمٌ بمصالحهم.

(٦٤) - ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ملكًا وخلقًا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾: المستغني عن ذلك كلِّه ﴿الْحَمِيدُ﴾: المحمودُ على جميع الأفعال، المنزَّهُ عن صفات الذم. وقيل: أي: المستحِقُّ للحمد وإنْ ضلَّ عن حمده الضالُّون.

(٦٥) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾: وهذا بيانُ مِنَّتِهِ بتسخير ما في الأرض من الحيوان وغيرِه لنا مما بنا حاجةٌ إليه في معاشنا، فلا أصلب من الحجارة والحديد، وقد ذلَّلها لنا نتخِذُ منها ما نريد. ﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي﴾: أي: وأنَّ الفلك، أو يكونُ عطفًا على قوله: ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾، أي: سخَّرها لكم تجري. ﴿فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾: أي: بتسخيره وتصييره إياها كذلك علَّمكم صنعتها لتقطعوا بها المسافات البعيدةَ في المدة القريبة. ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ﴾: أي: يمنعها عن الوقوع ﴿عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾؛ أي: بإرادته وتَخْلِيَته، فتقعُ إذا لم يمسكها. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: فلِرَأْفته ورحمته هيَّأ لهم هذا كلَّه.

(٦٦) - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾: وكنتُم مُضَغًا وعَلَقًا وعظامًا، ولولا

إحياؤه لكنتُم جمادًا، فعل بكم ذلك وسخر لكم هذا كلَّه ليمتحنكم بالشكر. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: لآجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للحساب والجزاء. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾: للنعم في الغالب ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

(٦٧) - ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: أي: عيدًا، وقيل: أي: متعبَّدًا في إراقة الدم بمنًى وغيره، وقيل المعنى: شَرَعْنا لكلِّ أمة خلت ضربًا من العبادة هم متنسِّكون به مأخوذون عليه، وهو كما قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾: أي: فليس لأحد من بقايا تلك الأمم منازعتُك ﴿فِي الْأَمْرِ﴾؛ أي: فيما تَأمر به أمتَك من الشرائع؛ إذ قد كانت لهم شرائع يخالفُ بعضها بعضًا، فكذا هذه الشريعة، فإنْ خالفْتَ تلك الشرائع فليس لهم منازعتُك فيها. ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾: أي: إلى دينِ ربك ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: دلالةٍ على سبيلِ رشدٍ(١).

(٦٨ - ٦٩) - ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾: ليُدْحِضوا بباطلهم حقَّك فلا تمارِهم، ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من الكفر، والجدال بالباطل، والتعنُّتِ بعد ظهور الحجة. ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: فيجزي المحِقَّ على حقِّه والمبطِلَ على باطله.

(٧٠) - ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: فلا يخفَى على اللَّه شيء من حالِ المجادِلين وتجرُّئهم على ذلك يوم الدين. ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾: أي: كلُّ ما في السماء والأرض فهو مكتوب في أمِّ الكتاب عنده قبل خَلْقها. ﴿إِنَّ

(١) جامع البيان (١٦/ ٦٢٦ - ٦٢٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٣٧).

﴿ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: إثباتُه في الكتاب سهلٌ عليه لا يَلحقُه فيه مؤنةٌ، وقيل: أي: الحكمُ بينهم يوم القيامة يسيرٌ لا يَلحقه ما يَلحق قضاةَ الخلق من الحاجة إلى استنباطِ وجه الحكم ونحوِ ذلك[١].

(٧١) - ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: أي: حجةً؛ لأنَّهم يعبدون ما لا يَضرُّ ولا ينفع، ولا يبصرُ ولا يسمع، وهذا ما لا حجةَ لأحد في عبادته، ولو كانت في ذلك حجةٌ لأنزلها اللَّه تعالى في كتابه. ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: أي: يعبدون ذلك مقلِّدين آباءهم من غيرِ علم بذلك. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾: وهذا وعيد لهم؛ أي: وإذا نزل بهم عذابُ اللَّه في الدنيا والآخرة لم يكن لهم منه مانعٌ.

(٧٢) - ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: أي: وإذا قرئ على هؤلاء الذين يعبدون الأوثان كتابُنا الذي جعلنا آياته أعلامًا للناس إلى ما بهم إليه حاجةٌ، ووجدوها واضحاتٍ لا لَبْس فيها ولا موضعَ اعتراضٍ، وعجزوا عن معارضته ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾؛ أي: التغيُّرَ لسماعه والكراهةَ والاغتياظَ لتاليه. ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾: أي: يبطشون بهم ويَثِبُون عليهم. ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ﴾: أي: بأكرهَ من سماع القرآن عندكم. وقيل: ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ﴾؛ أي: بأشرَّ وأغلظ. ﴿النَّارُ﴾: أي: ذلك هو النار ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وأنتم منهم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾؛ أي: وبئس المرجعُ النارُ.

(٧٣) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾: يأيها الناس جُعل لي مَثَلٌ؛ أي: مِثْلٌ،

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٣٣)، ومعالم التنزيل (٣/ ١٨١).

وهو كالشَّبَه والشِّبْه؛ أي: جَعَل الكفار لي الصنمَ مِثْلًا، ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾: أي: استمعوا له حالَ ما شبَّهوه بي؛ لتَقِفوا على جهلهم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أيها المشركون؛ أي: تَدَّعونهم آلهة، وقيل: أي: تعبدونها. ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾: أي: لن يقدروا على خلقِ ذبابٍ مع صغره وذلِّه ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ مع كثرتهم. ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾: أي: ولو استَلَب الذباب من هذه الأصنام شيئًا ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾؛ أي: لا يقدروا على أن يخلِّصوه منه، ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾: ضعفَ الصنمُ الذي سلبه الذباب شيئًا فصار طالبًا عند الذباب ما أخذه منه، والمطلوب الذبابُ ثبت عليه ما سلب، وتوجَّه إليه الطلب. وقيل: معناه على هذا: ضَعُفَ كلُّ واحد منهما، فلا فرقَ بين مَن عبد هذا أو ذاك، بل الذباب أقرب إلى القوة والعزة من الصنم الذي لا يَدفع سلبَ الذباب عنه[(١)].

(٧٤-٧٥) - ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: أي: ما عظَّموه حقَّ عظمته، وقيل: ما وصفوه حقَّ صِفَته. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾: على خَلْق ما يشاء من صغيرٍ وكبيرٍ ﴿عَزِيزٌ﴾؛ أي: منيع لا يقدر أحدٌ أن يسلب من ملكه شيئًا. ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾: أي: يختار منهم رسلًا يُوحي على ألسنتهم كجبريل وميكائيل ونحوهما. ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أيضًا رسلًا، منهم محمد ﷺ لتبليغ ما في هذه السورة وسائر رسالاته. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: عالِمٌ بكلِّ شيء، فهو يعلم مواضع الاختيار والاصطفاء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

---

(١) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٥٢)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (١٠/ ٥٣٠)، التيسير في التفسير (١٠/ ٥٣٧).

[الدخان: ٣٢].

(٧٦) - ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: قبل خلقهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: بعد أنْ خلَقهم. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: أي: إلى علمه وتدبيره. وقيل: إلى اللَّه ترجع الأمور في الآخرة فيَجزي كلًّا بما عمِله، وهو تحريضٌ على طاعة الرسل وقبولِ ما يؤدُّون.

(٧٧) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾: أي: صلُّوا ودُوموا عليها، وخصَّ الركوع والسجود بالذكر من بين أفعالها لأنهما هما المقصودان والأصلان في التذلُّل والخشوع الذي لذلك شُرِعت. ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: يقول: اقصدوا بالخدمة وأفرِدوا بالعبادة ربَّكم، لا كما يفعلُه هؤلاء المشركون من عبادة الأصنام الذين جُعِلوا للَّه شبيهًا. ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: أي: ما هو محمودٌ في عقولكم: من العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ونحوها. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: على رجاء الفلاح، والتعليقُ بالرجاء لاحتمالِ الخلل الذي يقع فيها[(١)].

(٧٨) - ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾: أي: استفرِغوا جهدكم في إحياء دين اللَّه تعالى. وقيل: جاهدوا أنفسَكم وردُّوها عن الهوى واتِّباعِ الشهوة. وقيل: وجاهدوا الشيطان في رد وساوسه. وقيل: وجاهدوا الكفار. ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ وهو بلوغ أقصاه. ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾: أي: اختاركم للذب عن دينه والجهادِ مع أعدائه. ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾: أي: ضِيق، وإن كان أمَر بالجهاد فلا تضييق

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٣٤)، البسيط (١٥/ ٥٠١)، ومعالم التنزيل (٥/ ٤٠٠)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٠).

فيه، ولذلك أزال الحرج في الجهاد عن الأعمى والأعرج، وعادمِ النفقة والراحلةِ، والذي لا يأذن له أبواه، ثم هكذا كلُّ أمور الدين. ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾: نصب على الإغراء؛ أي: الْزَموا ملة أبيكم إبراهيم. ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾: أي: اللَّهُ شرَّفكم بهذا الاسم. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي: من قبل أن يبعث محمدًا ﷺ؛ لأنه كان سمَّى مَن اتَّبع ملة إبراهيم حنيفًا مسلمًا، وقيل: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: في اللوح المحفوظ ﴿وَفِي هَذَا﴾؛ أي: القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾: أي: في القيامة بأنكم قبِلتُم ما أتى به، وظهرت بذلك عدالتكم، وصرتُم شهداءَ ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ للأنبياء على أممهم بتبليغهم إليهم الرسالة. ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: دُوموا على ذلك، والصلاة تذلُّل للَّه تعالى، والزكاة مواساةٌ لضعفاء عباد اللَّه. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾: أي: تقوَّوا بالتوكُّل على اللَّه. وقيل: تعلَّقوا بدين اللَّه. وقيل: امتنِعوا عن أعدائكم باللَّه. ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾: أي: متولِّي أموركم ومصالحِ دينكم ودنياكم، وقيل: وليُّكُم، وقيل: ناصركم. ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾: لأن مَن تولَّاه لم يَضِعْ بحال، ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾: فإن مَن نصَره لم يُخذل بحال[1].

(انتهى تفسير سورة الحج).

(١) لكشف والبيان (٧/ ٣٦)، والتيسير في التفسير (١٠/ ٥٤٣).

(٢٣) سورة المؤمنون مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكيةٌ، تسمى سورة المؤمنين، ويقال: سورة المؤمنون، فالأول على اعتبار إضافة السورة إلى المؤمنين لافتتاحها بالإخبار عنهم بأنهم أفلحوا، والثاني على حكاية لفظ المؤمنون الواقع أولها، فجعل ذلك اللفظ تعريفًا للسورة، ويسمونها أيضًا سورة الفلاح، نزلت بعد سورة الطور وقبل سورة الملك، وهي السورة السادسة والسبعون في عداد نزول سور القرآن، وهي مئة وثماني عشرةَ آيةً، وقيل: تسعٌ، الاختلاف في قوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٥]، وكلماتها ألفٌ وثماني مئة وأربعون، وحروفُها أربعةُ آلاف وثلاثُ مئة وسبعةٌ وتسعون.

أغراض السورة:

هذه السورة تدور آيها حول محور تحقيق الوحدانية وإبطال الشرك ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه، فكان افتتاحها بالبشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم على ما تحلوا به من أصول الفضائل الروحية والعلمية التي بها تزكية النفس واستقامة السلوك، وأعقب ذلك بوصف خلق الإنسان أصله ونسله الدال على تفرد الله تعالى بالإلهية لتفرده بخلق الإنسان ونشأته ليبتدئ الناظر بالاعتبار في تكوين ذاته ثم بعدمه بعد الحياة، ودلالة ذلك الخلق على إثبات البعث بعد المات وأن الله لم يخلق الخلق سدى ولعبا، وانتقل إلى الاعتبار بخلق السماوات ودلالته على حكمة

الله تعالى، وإلى الاعتبار والامتنان بمصنوعات الله تعالى التي أصلها الماء الذي به حياة ما في هذا العالم من الحيوان والنبات وما في ذلك من دقائق الصنع، وما في الأنعام من المنافع ومنها الحمل، ومن تسخير المنافع للناس وما أوتيه الإنسان من آلات الفكر والنظر. وورد ذكر الحمل على الفلك فكان منه تخلص إلى بعثة نوح وحدث الطوفان، وانتقل إلى التذكير ببعثة الرسل للهدى والإرشاد إلى التوحيد والعمل الصالح، وما تلقاها به أقوامهم من الإعراض والطعن والتفرق، وما كان من عقاب المكذبين، وتلك أمثال لموعظة المعرضين عن دعوة محمد ﷺ فأعقب ذلك بالثناء على الذين آمنوا واتقوا، وبتنبيه المشركين على أن حالهم مماثل لأحوال الأمم الغابرة وكلمتهم واحدة فهم عرضة لأن يحل بهم ما حل بالأمم الماضية المكذبة. وقد أراهم الله مخائل العذاب لعلهم يقلعون عن العناد فأصروا على إشراكهم بما ألقى الشيطان في عقولهم، وذكروا بأنهم يقرون إذا سئلوا بأن الله مفرد بالربوبية ولا يجرون على مقتضى إقرارهم وأنهم سيندمون على الكفر عند ما يحضرهم الموت وفي يوم القيامة، وبأنهم عرفوا الرسول وخبروا صدقه وأمانته ونصحه المجرد عن طلب المنفعة لنفسه إلا ثواب الله فلا عذر لهم بحال في إشراكهم وتكذيبهم الرسالة، ولكنهم متبعون أهواءهم معرضون عن الحق. وما تخلل ذلك من جوامع الكلم، وختمت بأمر النبي ﷺ أن يغض عن سوء معاملتهم ويدفعها بالتي هي أحسن، ويسأل المغفرة للمؤمنين، وذلك هو الفلاح الذي ابتدئت به السورة[1].

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٧).

وانتظام أول هذه السورة بآخر سورة الحج: أنه قال: ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] وقرَّر ذلك ببقيَّة السورة حيث أمَر بالمجاهَدة فيها حقَّ المجاهدة، ومدحهم، وافتتح هذه السورة بذكر ذلك الفلاحِ وتفاصيلِ العبادة ومدحهم بها، وانتظامُ السورتين: أن هذه السورة مشتمِلة على ذكر صفات المؤمنين، ومُحاجَّةِ الكافرين، والترغيبِ والترهيب للغافلين، وكذلك تلك السورة[(١)].

(١ - ٢) - ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: قد فاز بما رجا وأمن مما يخاف المؤمنون. ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾: قيل: متذلِّلون، وقيل: خائفون، وقيل: ساكنون. وقيل: الخشوع في الصلاة: سكونُ الأطراف، وتركُ الالتفات، والاشتغال بها عما يَشغل عنها[(٢)].

(٣ - ٤) - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾: هو الحَلِف الكاذب، وقيل: هو الشتم والأذى، وقيل: هو ما لا يُجدي خيرًا. ﴿مُعْرِضُونَ﴾: أي: لا يشغلون أنفسهم به. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾: أي: مؤدُّون.

(٥ - ٦) - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: إلا من أزواجهم؛ أي: زوجاتهم. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: أي: إماؤهم. ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: أي: لا لومَ عليهم إن لم يحفظوا فروجهم من نسائهم وإمائهم، فهذا حلالٌ وما وراء هذا حرام[(٣)].

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٣٧)، والبيان في عد آي القرآن" للداني (١/ ١٩١).

(٢) النكت والعيون (٤/ ٤٥).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ١٥٢)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣١).

(٧ - ٨) - ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾: أي: طلب قضاء شهوةٍ من غير هاتين ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾: أي: المتعدُّون حدودَ اللَّه. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾: والمراد بها الجنس، وهذا يشتمِل على حقوق اللَّه تعالى وحقوقِ عباده، وقيل: هي العبادات وما ائتمن اللَّه عباده عليه من فرائضه وشرائعه، وأماناتُ الخلق ظاهرةٌ وهي داخلةٌ فيها، فالعهدُ يقع على ما يوثِّق اللَّه تعالى فيه على عباده بأن يقوموا به، ﴿رَاعُونَ﴾؛ أي: حافظون جميع ذلك.

(٩ - ١١) - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: أي: يداومون في أوقاتها على شرائطها ومراعاةِ حدودها وحقوقها ومعانيها. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾: أي: الواجدون ثمراتِ أعمالهم. والفردوس: الجنة بلسان الحَبَش. وقيل: هو البساتين عليها الحيطانُ بلسان الروم. وقيل: فردوس جبل في الجنة من أصله تتفجَّر أنهارها. ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا يموتون فيها ولا يخرجون عنها.

(١٢ - ١٣) - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: بيَّن في هذه الآية ابتداءَ خلقِ الإنسان، وذكر أن آخرَه الموت ثم البعثُ للجزاء، وهو تحريكٌ على الإيمان والطاعات التي بها ينالون الفردوس. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الآدميَّ ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾: أي: من طينةٍ مستلَّةٍ من كلِّ تربةٍ؛ لأن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خُلق منها فكان أصلًا لأولاده، فجاز أن يضاف خلقُهم إليها إذا كان أصلهم مخلوقًا منها.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾: أي: الإنسانَ، وهو ولدُ آدم بعد أن كان أصله الطين ﴿نُطْفَةً﴾ في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، فقذفه من الصُّلب حالة الالتقاء إلى رحم المرأة.

﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾: هو الرَّحِم؛ أي: في مقرٍّ مكينٍ لذلك؛ أي: هُيِّئ له(١).

(١٤) - ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: أي: نقلنا النطفةَ فجعلناها علقةً؛ أي: دمًا غليظًا. ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: أي: نقلنا العلقة فجعلناها قطعةَ لحم. ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ أخبر أنه تعالى خلق الإنسان درجةً فدرجةً، إلى أن صارت النطفة التي هي كالماء عظمًا بما أَبْدع فيها عَرَضًا بعد عَرَضٍ. ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾: أي: نفَخْنا فيه الروح فصار روحانيًا حيوانًا بعد أن كان جمادًا. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: قيل: تَعظَّم. وقيل: دامت نعمُه وبركاته على خلقه. وقيل: تعالى.

(١٥-١٦) - ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾: أي: بعد نفخ الروح فيكم ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾؛ أي: للجزاء بالأعمال، إذ خلقتكم للتعبُّد فاعلموا أنكم لم تُخلقوا عبثًا؛ كما قال في آخر السورة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

(١٧) - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: ثم بيَّن أنه خلَق ما به قِوَام معايشهم، وما يتوصلون به إلى أداء ما عليهم. ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: سبعَ سماوات كلُّ سماءٍ طريقةٌ، سميت بها لأن بعضها فوق بعضٍ، من قولهم: طارَقَ بين الشيئين: جعل أحدهما فوق الآخر. وقيل: سميت بها لأنها طرائق ملائكته للنزول والصعود. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾: أي: عما يحتاجون إليه في إقامة مصالحهم.

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٤٠)، وجامع البيان(١٧/ ١٦)، والدر المنثور (٥/ ٤٦٨)، ولطائف الإشارات (٢/ ٥٦٩).

(١٨) - ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾: أي: بمقدارٍ ما علمناه كافيًا لهم، مُصلحًا لغلَّاتهم، عائدًا بمنافع معايشهم. ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾: في العيون ونحوها ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾؛ أي: على إذهابه ورفعه عن الأرض وتغويرِ العيون، فلا يبقى لكم ما تشربونه وتسقونه دوابَّكم وزروعَكم وجناتِكم، تهلكون عطشًا ﴿لَقَادِرُونَ﴾ لأن القادر على إنشاء الشيء قادر على إفنائه، يعرِّفهم منَّته في إنشائه وإبقائه(١).

(١٩) - ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾: أي: بهذا الماء ﴿جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾: قيل: أي: من الرُّطَب والعنب. وقيل: ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ من الجنات سوى هذين. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: قيل: من الفواكه. وقيل: من الجنات؛ من حبوبها قُوتًا، وتتفكَّهون من فواكهها، وجَمَعَ الأطعمة والفاكهة في الذكر.

(٢٠) - ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾: عطفٌ على ﴿جَنَّاتٍ﴾؛ أي: وأنشأنا بهذا الماء شجرةَ الزيتون من طور سيناء: أي: من جبل البَرَكة، وقيل: أي: جبلٌ حسن، وقيل: هو الجبل الذي نودي منه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾: ومعنى إنباتِ الدهن: إنباتُ ثمرِ الدُّهن، وهو كعصر الخمر: عصرُ ما يصير من خارجه الخمرُ. وقيل: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾؛ أي: تنبتُ هي ومعها الدُّهن، ﴿وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾: أي: إدامٍ يُصْطَبَغ به، والصبغ: هو الدُّهن، وإنما أدخل الواو لاجتماع

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٤٤)، والكشف والبيان (٤/ ١٧٠)، والنكت والعيون (٢/ ١٤٤)، ومعالم التنزيل (٣/ ١٦٩)، زاد المسير (٣/ ٨٦)، الكشاف (٢/ ٤٥).

معنيين في الزيت: معنى الادِّهان، ومعنى الاصطباغ، وتقديره: تَنبت بها يُنتفع به انتفاعَ الدُّهن من الاستصباح والتداوي والادِّهان، ويُنتَفع به انتفاعَ الإدام بالضم إلى الطعام(١).

(٢١) - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: أي: ما تعتبِرون به؛ أي: تستدلُّون به على قدرة اللّه تعالى وعجيب صُنعه. ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: من الإسقاء، يقول: نخرج لكم من بطونها لبنًا سائغًا خالصًا من بينِ فرثٍ ودم. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾: سوى الألبان، وهي منافع الأصواف والأوبار والأشعار والجلود وغيرها. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: وهي لحوم الأزواج الثمانية وشحومُها ونحوها.

(٢٢ -٢٣) - ﴿وَعَلَيْهَا﴾: أي: وعلى الأنعام في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾؛ أي: وعلى السفن في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾ في أسفاركم، كما قال: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ الآية [النحل: ٧]. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾: ذكر بعد بيان بدءِ الخلق أنه هيَّأ لهم أسباب القيام بها لأجْله خلقَهم؛ من إتمام ما يقوم به المعاش، ومواترةِ الرسل لبيان ما به تُعُبِّدوا، وبدأ بقصة شيخ الأنبياء نوحٍ صلوات اللّه عليه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أي: وحِّدوه وأطيعوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أي: اتَّقوا.

(٢٤) - ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: أي: الأشراف فمن دونهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أنكروا كونَ الرسول من البشر، واختصاصَه بالرسالة من بينهم مع تساويهم في البشرية، وقالوا: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾:

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٢٦).

أي: يريد أن يكون ذا فضلٍ وعلوٍّ في المنزلة عليكم. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: أي: أن لا يُعبد غيره ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ للدعاء إلى ذلك، لا بشرًا مثلنا. ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾: أي: بما يدعونا إليه نوحٌ من التوحيد وتركِ الشرك ﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ أي: المتقدمين.

(٢٥ - ٢٦) - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾: أي: جنون، ولو كان عاقلًا ما ادَّعى الرسالة؛ لأن من المحال عندنا بعثُ البشر رسولًا. ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾: أي: هو مجنون فلا تعجِّلوا بعقوبته، بل دعوه إلى مدةٍ، فإما أن يموت أو يرجعَ عن هذا أو تفعلوا به ما شئتم. ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾: أي: انتقِمْ لي منهم واحفظني من شرهم. وقيل: ﴿انْصُرْنِي﴾ بتحقيق قولي لهم في العذاب أنه نازل بهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ من العذاب الذي أنذرتهم به إن لم يؤمنوا.

(٢٧) - ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: أي: أجبنا دعاءه وأرسلنا إليه رسولًا من السماء: ﴿أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾؛ أي: اتخِذِ السفينة بمرأًى منا وبما نوحي إليك من صفتها، وبعث إليه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى علمه ذلك. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: أي: عذابنا بأمرنا. ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: أي: فأدخل في الفلك ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾؛ أي: من كلِّ ذكرٍ وأنثى من الحيوانات ذكرًا وأنثى، أراد أن لا ينقطع نسلها. ﴿وَأَهْلَكَ﴾: أي: وأدخل أهلك أيضًا وهم نساؤه وأولاده ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: بالهلاك، فلا تُدخله الفلك. ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾: أي: ولا تسألني نجاةَ الذين كفروا والإذنَ بالإدخال في السفينة

فإني أغرقُهم في الطوفان.

(٢٨) - ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ أي: في الفلك؛ أي: تمكَّنْتُم عليها راكبين. ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: من عذابهم. وقيل: هو أمرٌ بالحمد على إهلاكهم، ففي هلاكهم نجاة المؤمنين.

(٢٩) - ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا﴾: بالفتح: النزول، وموضعُ النزول، وبالضم: الإنزال، وموضع الإنزال، ويَصلح كلُّ واحد منهما مرادًا. ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي﴾: تكفي مَن أنزلتَه كلَّ ما به إليه حاجةٌ؛ وغيرُك لا يتهيَّأ له ذلك. وقيل: أُمر بهذا الدعاء أن يقوله إذا نزل. وقيل: أُمر بأن يدعو به وهو في السفينة يلتمس وجود ذلك إذا نزل. ومعنى ﴿أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا﴾: اجعله نزولًا تُتابعُ به الخيراتِ عليَّ وعلى مَن معي حتى يَكثر أتباعُنا في الدين ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ يريد من السفينة، مثل قوله: ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ [هود: ٤٨]، وقيل: إن المنزل المبارك هو السفينة؛ لأنها كانت سبب النجاة(١).

(٣٠) - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: أي: في ذلك الاقتصاص لعلاماتٍ على الحق يُعرف بها وجوبُ متابعة الأنبياء واستحقاقِ العقوبة على مخالفتهم، وأن اللَّه تعالى لا يعذِّب إلا بعد انتهاء الحجة، وأنَّ مَن فعل فعْلَهم جُوزي جزاءَهم. ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: أي: وما كنا إلا مُبْتلين، أو وقد كنا مُبْتلين، والمعنى: لم يزل اللَّه يبتلي الأمم، ويختبرهم؛ ليظهر المطيع من العاصي، فمَن أطاع نجا ومَن عصى هلك.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٥٧)، السبعة (١/ ٤٤٥)، والتيسير (١/ ١٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٢٠)، والنكت والعيون (٤/ ٥٣)، وزاد المسير (٥/ ٤٧)، والبسيط (١٥/ ٥٦٣).

(٣١ -٣٣) - ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۝ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾: ولم يسمه. قيل: هو صالح، وقيل: هو هود، عليهما السلام. ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أي: أرسلناه إليهم بهذا. ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾: أي: البعثِ ولقاءِ ما وَعد اللَّه في الآخرة. ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: ووسَّعنا عليهم ونعَّمناهم. ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾: أي: يحتاج إلى غذاءٍ يقيمه كما تحتاجون أنتم، ولو كان نبيًّا لكان ملكًا مستغنيًا عن هذا.

(٣٤ -٣٥) - ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾: أي: الانقيادُ للمِثْل والرضا بأنْ نكون دونه خسرانٌ. ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ هذا المدَّعي للنبوة ﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ بعد أن تصيروا ترابًا وعظامًا باليةً لا لحومَ عليها ولا جلود تُخرَجون من قبوركم أحياءً؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار.

(٣٦ -٣٧) - ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾: أي: بعيد بعيد هذا الموعودُ؛ أي: هو مما لا يكون. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: أي: ما الحياةُ إلا هذه الحياةُ القربى التي نحن فيها. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: قيل: هذا على التقديم والتأخير: نحيا مدةً ونموت بعد ذلك وقيل: معناه: يموت بعضنا ويحيا بعضنا. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت.

(٣٨ -٤٠) - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: ما هذا الذي يدَّعي الرسالة إلا رجل كذَب على اللَّه ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمصدقين. ﴿قَالَ

﴿رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾؛ أي: فأوحى الله إليه: عن قريب - وهو القليل من الزمان، و(ما) صلةٌ ﴿لَيُصْبِحُنَّ﴾ قومك؛ أي: ليصيرُنَّ ﴿نَادِمِينَ﴾ على تكذيبهم إياك إذا أخذهم العذاب، ولا تنفعُهم الندامة.

(٤١ - ٤٢) - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: العقوبةُ الهائلة، أو حقيقةُ الصيحة من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: باستحقاقهم ذلك. وقيل: بالأمر من الله وهو الحق. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾: أي: موتى باليِنَ كالغُثاء، وهو ما يأتي على وجه السيل من القصب والحشيش، شبِّهوا بالغُثاء في البِلَى وتفرُّقِ الأوصال، وفي أنهم صاروا لا يُنتفَع بهم بوجهٍ. ﴿فَبُعْدًا﴾: أي: فهلاكًا، وقيل: فبُعْدًا من كلِّ خير. ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: المشركين. ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾: أي: أممًا في أزمنةٍ شتَّى، وهاهنا إضمار: كذَّبوا أنبياءهم فأهلكناهم.

(٤٣ - ٤٤) - ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: أي: ما كان يتقدَّم أمةً من هؤلاء القرون الوقتُ المؤقَّت لعذابهم ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: لا يتأخَّرون عنه. ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾: أي: تِبَاعًا متَّصلِين ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ جهلًا منهم وتقليدًا لأسلافهم واستثقالًا للشرائع. ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾: في الإهلاك. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: أي: صيَّرناهم إلى حالٍ يتحدث الناس بعدهم بذكرهم ويتعجَّبون منهم ﴿فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله ولا بالآخرة.

(٤٥ - ٤٦) - ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾: بالأعلام الدالة على صحة نبوتهما ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾؛ أي: حجةٍ ظاهرة. وقيل: الآيات: المعجزات، والسلطان: القدرة والقوة والملك. وقيل: السلطان: إيجاب الانقياد لهما.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾: أي: تعظَّموا عن الانقياد لهما ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: قاهرين؛ أي: كانوا قد قهروا مَن في ناحيتهم من الناس واستعبدوهم[(١)].

(٤٧ -٤٨) - ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾: أي: أنصدِّق آدميَّينِ مثلَنا في ادِّعاءِ الرسالة من اللَّه في وجوب الانقيادِ لهما علينا ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾؛ أي: وبنو إسرائيل لنا مطيعون يَرون أنفسهم لنا عبيدًا فكيف نكون نحن مطيعين لهما؟! وقيل: ﴿عَابِدُونَ﴾: دائنون. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾:أي: فصاروا من المغرقين في اليم.

(٤٩ - ٥٠) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾؛ أي: ليهتدوا بها إلى الحق. ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ﴾: أي: عيسى ﴿وَأُمَّهُ﴾؛ أي: مريم ﴿آيَةً﴾: ولم يقل: آيتين؛ لأنهما باجتماعهما صارا آيةً واحدة، وهي ولادتُها إياه من غيرِ أب، ومعنى هذه الآية: وجعلناهما ﴿آيَةً﴾؛ أي: علامةً يُستدل بها على قدرتي على اختراع الأجسام من غيرِ أصل كما خلقتُ عيسى من غيرِ أبٍ، وعلى أنِّي المتفرِّدُ بالخلق والاختراع لا خالقَ غيري، وعلى صدقِ عيسى في دعوى النبوة، فلم أُخْلِ الناس في كلِّ وقتٍ من رسولٍ يدعوهم إلى الحق. ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾: أي: وجعلنا مأواهما مكانًا مرتفعًا، واختُلف فيها أين كانت؟ هي الرَّملة من فلسطين، وقيل: هي دمشقُ، وقيل: هي بمصر، وقراها على الرُّبى، وقيل: هي بيت المقدس، ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: أي: ذاتِ استواءٍ يُستقرُّ عليها. وقيل: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: ذاتِ ثمار؛

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٣٦)، وتفسير الجلالين(١/ ٤٥٠).

أي: لأجلها يَستقرُّ فيها ساكنوها. ﴿وَمَعِينٍ﴾: ماءٍ جارٍ ظاهرٍ للعيون[١].

(٥١) - ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ أي: كنَّا نقول لكلِّ هؤلاء: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ وإضمار القول في القرآن كثير. وقيل: كان هذا خطابًا لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على إضمار القول، وتسميةُ الواحد بالجماعة تشريفٌ له. وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ بذلك بغير إضمار القول، وتسميتُه بالرسل لكونه أفضل الرسل وسيدَ الرسل. ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليَّ ما تعملونه فأنا مجازيكم عليه، فاجتهِدوا في الطاعات، وهي الصالحاتُ، وتجنُّبُ الحرام، وأكلُ الحلال وهو الطيبات، وإذا كان الأمر للأنبياء ولنبينا على الخصوص بهذا فمَن سواهم أولى به.

(٥٢) - ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: يقول: هذا الذي تقدم ذكرُه من وصية الله لرسله بالتوحيد والطاعة، ووصيةِ الرسل لأممهم، هو دينكم وملَّتكم، وهي واحدة لا تختلف في الأصل فالْزَموها وتمسَّكوا بها وقيل: الأمة: الجماعة والفريق؛ أي: هؤلاء الذين ذكرتُهم جماعتكم وفريقكم الذين ينبغي أدن تقتدوا بهم وتكونوا من جملتهم، ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ معناه: هم فرقة مجتمِعة على التوحيد. ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾: وحدي ﴿فَاتَّقُونِ﴾؛ أي: فخافوا عقابي في مخالفتكم أمري[٢].

(٥٣ - ٥٤) - ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: أخبر عن تفرُّق أهل الكتاب في دينهم، يقول: فصار هؤلاء الذين أُمروا بالاجتماع على الدِّين الحقِّ فِرقًا في أمرهم؛

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٥٥).

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٧)، والتيسير في التفسير (١١/ ٤٠).

أي: في أمر دينهم. ﴿زُبُرًا﴾: بضم الباء؛ أي: كتبًا، جمعُ زبور، وقيل: توزَّعوا وتقسَّموا كتبًا دانوا بها وكفروا بما سواها؛ كاليهود في قبول التوراة وكفروا بالإنجيل والقرآن، وكالنصارى في قبول الإنجيل وكفرِهم بالقرآن. ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾أي: عندهم من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾: مسرورون﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: أي: فدَعْ يا محمد هؤلاء الضَّلالَ المتقطِّعين أمرهم بينهم في ضلالتهم وغفلتهم، والغمرة: ما يغمر القلب ويغطي عليه، فيغفل صاحبه عن النظر لنفسه، ومنه: الرجل الغمر، ومنه: غمرةُ الماء، ومنه قولهم: دخل في غُمَار الناس؛ أي: في زحمتهم بحيث يستَتِر عن الأبصار. ﴿حَتَّى حِينٍ﴾: أي: إلى وقت نزول العذاب بهم، ولا يَضيقنَّ قلبُك بتأخير نزول العذاب عنهم، وذلك الوقت قد يكون بالموت فيعرفون ذلك، وقد يكون بنزول العذاب ولا ينفعهم الندم؛ كما وقع بفرعون حين أدركه الغرق.

(٥٥ - ٥٦) - ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾: استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: أيظنُّون أنما نزيدهم ونعطيهم على الترادف من الأموال والأبناء؟ ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾أي: نعجل لهم ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾؛ أي: نجعله ثوابًا وكرامة معجَّلًا لهم على حسن صنيعهم عندنا، ﴿بَلْ﴾: هو ردٌّ ما قبله؛ أي: ليس كذلك ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: لا يعلمون أن ذلك لتعبُّدهم بالشكر والتوحيد والطاعة. وقيل: نفعله استدراجًا لهم.

(٥٧ - ٥٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾: أي: من خوفهم ربَّهم ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون من عذابه. وقيل: يخافون أن يُنزع منهم الإيمان. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: بكتبِ الله كلِّها، لا يفرِّقون بين كتبه

كالذين تقطَّعوا أمرَهم بينهم، وهم أهل الكتاب. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ معه غيره، كشرك العرب.

(٦٠-٦٢) - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾: أي: يُعطون ما أَعطوا من أموالهم في حقوق اللَّه. ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾: أي: خائفة أن لا تقبلَ ولا ينفعَهم ذلك إذا رجعوا إلى جزاء اللَّه يوم القيامة. ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: أي: هؤلاء هم الذين يسارعون فيها لا الذين تقطَّعوا أمرهم بينهم. ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾: أي: إلى الخيرات، واللام بمعنى (إلى)، وقيل ﴿لَهَا﴾؛ أي: لأجلها؛ أي: من جهة خيراتهم هم سابقون إلى الجنة. ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أي: لا نحمِّل من الخيرات أحدًا شيئًا إلا ما في وسعه وهو دون طاقته. ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾: أي: كتبُ الملائكة فيها أعمالُ العباد. ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾: أي: يبيِّن جميعَ ما عمله العبد على الصدق، فهذا الكتاب محفوظٌ عند ملائكة اللَّه، وأضافه إلى نفسه لأنهم يحفظونها بأمره، ويُخرَج يوم القيامة ويُحاسب عليه ويجازى به. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أي: لا يُنقص من ثوابهم ولا يعذَّبون بغير ذنب[1].

(٦٣) - ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: ﴿بَلْ﴾ ردٌّ لكلام مضمَر، وكأنه: ليس تركُهم الإيمان لقصور في البيان؛ لكن قلوبهم في غطاء وغمرة؛ أي: غفلةٍ؛ للحَميَّة الجاهلية، وإلْفِ التقليد، وترك التدبر. ﴿مِنْ هَذَا﴾ أي: العذاب. وقيل: من الكتاب الذي عندنا. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾: قيل: أي: سوى ذلك، يعني: هم عاملون أعمالًا ينضم ذلك إلى غمرتهم فيعاقبون على الكل.

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٤٦).

وقيل: أي: أدنى من ذلك وهو المعاصي، والأول هو الكفر؛ أي: يعملون ذلك فيعاقبون على الكل. وقيل معناه: ولهؤلاء المشركين أعمال أُخر أقبح من هذه الأعمال التي ذكرناها عنهم هم يعملونها للحال لم نذكرها لكم. وقيل: بل هذا إخبار عما يعملون بعد هذا، فلهم مدة يبقَون إليها ثم يأخذهم إذا جاء وقتُهم. وقيل: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾؛ أي: قلوبهم في غفلة عن طلب الحق، ولهم أشغالٌ سوى الحقِّ هم بها مشتغلون منصرفون عن الحق.

(٦٤ - ٦٥) - ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾: أي: منعَّميهم ﴿بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾؛ أي: يستغيثون ويضجون ضجيج مَن نزل به ما لا يقدر على دفعه، ونزل هذا بهم يوم بدر، أخذ اللَّه رؤساء مكة بالسيف فجأر أهل مكة لذلك. ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾: أي: لا تضجُّوا بالاستغاثة إلى غيرنا، فلا مانع لكم من عذابنا.

(٦٦ - ٦٧) - ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾: أي: القرآن ﴿فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾؛ أي: ترجعون القَهْقَرى. ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ قال أكثر المفسرين: ﴿بِهِ﴾؛ أي: بالبيت، أو بالحرم، وكانوا ينكرون على كل الناس بكونهم أهل الحرم وأهل البيت. ﴿سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾: أي: متكلِّمين بالسَّمَر ليلًا حول الكعبة تقولون الهَجْر، وهو الهذَيان الذي في حقه أن يُهجَر ويُرفض، ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أي: تهجرون الحق بالإعراض عنه، أو: تهجرون النبي ﷺ أو القرآن[١].

(٦٨) - ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾: أي: أفلم يتدبَّر هؤلاء القرآن؟ ﴿أَمْ جَاءَهُمْ

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٥٨٠)، والتيسير في التفسير (١١/ ٤٨).

﴿مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: وهذا توبيخٌ لهم بلفظ الاستفهام؛ كأنه قال: ما عذرُهم في الإعراض عن استماع القرآن من الرسول والنكوصِ على الأعقاب، أهو أنهم لا يتدبرون القرآن الذي يخاطَبون به فالتقصيرُ منهم، أم يقولون: لو كان لله رسولٌ إلى العرب لأتى ذلك آباءنا الأولين، وإذا لم يأتهم لا يأتينا؟، وهذا ليس بحجة أيضًا؛ لأنَّه قد أتى غيرَهم من الأمم رسلٌ كثيرة قد سمعوا ذلك، وتناهت به الأخبار المتواترة إليهم، وهي أخبار صالحٍ وشعيبٍ وهودٍ، وهم رسل اللَّه إلى العرب(١).

(٦٩) - ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾: أم يحتجُّون في ترك سماعه من محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه مجهول فيهم، فلم يعرفوه بالصدق والعقل وشرفِ الأصل، وليس كذلك، بل قد عرَفوا مولده ومنشأه، وصدقه وأمانته، وخلالَه المحمودةَ، فما الذي ينفِّرهم عنه؟ وهو إشارة إلى ما وهبه اللَّه تعالى له عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل أن يبعثه من أسباب القبول، من حسن التربية وتمام العصمة من أول حاله إلى مبعثه، لم يَعْلق به أمر شائن؛ ليكون ذلك أدعى إلى الركون إليه والقبول منه.

(٧٠) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾: أي: جنون، فليس من حقِّه أن يُسمع كلامه. وليس كذلك ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾: أي: ليس به شيء من هذا، لكن ﴿جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ والانقيادُ للحق تَنفر عنه طباعهم الجاهليةُ ميلًا منهم إلى الرئاسة في الدنيا والانهماكِ في لذاتها، وذلك قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ أي: الحق والتوحيد.

(٧١) - ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾: أي: لو كان الحق أي: القرآن تابعًا لأهواء الناس

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٥١)، والبسيط (١٦/ ١٩).

لبطل نظام العالم؛ لأن الأهواء مختلفةٌ وطبائعَ الناس شتَّى متضادَّةٌ، فشهواتهم تتضادُّ وتتنافَى، واجتماع المتضادَّات محال ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ فيما يعتقدون من الآلهة ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾، خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم كما قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾: أي: بما فيه شرفُهم وعزُّهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ بسوء اختيارهم.

(٧٢) - ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾: هو الأجر على العمل، يقول: أهم يتَّهمونك فيما تدعوهم إليه أنك تسألهم عليه أجرًا فيظنون بك أنك تطمع في أموالهم؟، وهو كقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠]، ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: فما يؤتيك اللَّه من الأجر على طاعتك له في الدعاء إليه خيرٌ لك من عرَض الدنيا. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: أي: خيرُ مَن أعطى عوضًا على عمل؛ لأن ما يعطيه لا ينقطع ولا يتكرر وقد علمت ذلك ورضيت به، فما معنى اتهامهم لك بالطمع في أموالهم وهذا كله إخبارٌ أنهم متعنِّتون محجوجون من كلِّ وجهٍ في ترك الاستماع إليك والتدبر بما جئتهم به.

(٧٣ -٧٥) - ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:أي: دين الإسلام، فحقيقٌ أن يستجيبوا لك. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾: أي: عن هذا الطريق المستقيم لعادلون مُجانبون[(١)]. ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ أي جوع أصابهم بمكة سبع سنين، ﴿لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: أي:

(١) جامع البيان (١٧/ ٩٠)، وتفسير الجلالين (١/ ٤٥٢).

لتمادوا في عتوِّهم يتردَّدون؛ أي: لعادوا إلى الطغيان الذي به أخذناهم بالعذاب، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

(٧٦ - ٧٧) - ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾: أي: لقد أخذنا مترفيهم بضربٍ من العذاب فما تذلَّلوا لربهم استكبارًا منهم على اللَّه تعالى وجراءةً. ثم أخبر عن عنادهم فقال: ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾؛ أي: في الشدائد فلا يُظهرون تذلُّلًا وانكسارًا. ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو عذابُ الآخرة في النار. ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: أي: متحيِّرون لا يدرون ما يصنعون. وقيل: آيسون من الفرج.

(٧٨) - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: عدَّد نعمه، وبيَّن قدرته؛ تنبيهًا على استغنائه عن طاعة خلقه، وأن إرساله الرسل والامتحانَ لم يكن للحاجة فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾؛ أي: وربكم اللَّه الذي خلق الأسماع ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ لإدراك الأصوات والألوان ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ للتمييز بين الحق والباطل. ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾: أي: لا تشكرون إلا قليلًا بقولكم: هو الصانع، ثم تشركون به غيره. وقيل: أي: لا تشكرون له أصلًا[(١)].

(٧٩ - ٨٠) - ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: خلقكم في الأرض وبثَّكم فيها ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ أي: تبعثون وتُجمعون للجزاء. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: أي: هو المالك والفاعل بمجيء الليل والنهار أحدِهما بعد الآخر، كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾

---

(١) الدر المنثور (٦/ ١١١)، التيسير في التفسير (١١/ ٥٦).

[الفرقان: ٦٢]، وقيل: الاختلاف هو التفاوت بالزيادة والنقصان، وهو الفاعل ذلك بهما. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أن اختلافهما دليل حدوثهما، وأن لهما محدِثًا لا شريك له عالمًا قادرًا مريدًا.

(٨١ -٨٣) - ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ وهو قوله: ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾: أي: لم يعقلوا ذلك ولم يتدبروا فيه ليَعلموا أنَّ مَن قدر على هذه الأشياء قدر على بعث الموتى فلا تستبعِدوا ذلك. ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾؛ أي: سلَفُهم ﴿أَإِذَا مِتْنَا﴾ وصرنا ترابًا وعظامًا بالية، أنبعث؟! وهذا محال. ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: قبل مجيء محمد ﷺ. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: ما هذا إلا ما سطَّرتْه الأوائل من الأحاديث الأكاذيب(١).

(٨٤ -٨٥) - ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فأَجيبوا. ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: وإقرارهم أنها لله إقرارًا به أنشأها فهو مالكها. ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: كأنه شيء كانوا عالمين به لوضوحه فنسُوه فذكَروه بالتنبيه عليه، فقيل: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا بذلك أن مَن قدر عليها قدر على إحياء الموتى. وقيل: أفلا تتَّعظون فتعملوا بذلك فتتركوا الإشراك بالله تعالى؛ إذ هو القادر على هذا والأصنامُ غير قادرة عليه. وقيل: أفلا تتَّعظون بذلك فتتركوا جحود البعث؛ إذ خالقُ هذه الأشياء لم يخلقها عبثًا بل ليَستأدِيَكم شكرَه عليها ثم يميزَ بين المطيع منكم وبين العاصي، وفي ذلك إثباتُ البعث والثواب والعقاب.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٦٣)، ولطائف الإشارات (٢/ ٥٨٤).

(٨٦ -٨٧) - ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: قيل: ﴿الْعَرْشِ﴾: المُلك هاهنا، وقيل: الكرسي، وكانت العرب تُقِرُّ بالملائكة وسكانِ السماوات فقرّروا على ذلك، وأما العرش الذي هو سرير فثبوته عند أهل الكتب.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: أي: لله هذه الأشياء، ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أي: عذابَ الله في اتخاذكم غيرَ الله إلهًا معه وأنتم مقرُّون أنه خالقُ هذه الأشياء ومالكُها، والأصنامُ لا تملك شيئًا منها ولا تخلقه. وقيل: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ في جحودكم قدرتَه على إحياء الموتى مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الأشياء[١].

(٨٨) - ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: يملك هذه الأشياء كلها. وقيل: ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خزائنُ كلِّ شيء، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾: أي: يمنع مَن يشاء مِن عباده ممن قصَد الإضرار به. ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: أي: ولا يُمنع ولا يمكن منعه مَن أراده الله تعالى بسوء. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فأجيبوا. وقيل: وهو يؤمِنُ مَن أخافه غيرُه ومَن أخافه هو لم يؤمِنه غيره.

(٨٩ -٩٠) - ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: أي: لله قدرةُ ذلك ومُلك ذلك فاجتنبوا، ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾: أي: فمِن أيِّ وجهٍ يخيَّل لكم الباطلُ حقًّا حتى تشركوا به غيره. وقيل: فكيف تُخْدعون عن الحق. ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾: أي: ليس كذبهم على الله بنسبة الولد إليه لقصورِ البيان، فقد ﴿أَتَيْنَاهُمْ﴾ بالكتاب المبينِ ذلك، وأعطيناهم العقل الذي به يُتوصل إلى بطلان ذلك. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في قولهم:

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤١)، والكشف والبيان (٧/ ٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٨٠)، وتفسير النسفي (٢/ ٤٧٩)، وروح المعاني (١٨/ ١٣٠).

﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾[البقرة: ١١٦].

(٩١) - ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾: أي: لم يتَّخذ اللَّه الملائكة بناتٍ له ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾؛ أي: ليس معه شريك في الألوهية. ﴿إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾: أي: ولو كان معه آلهةٌ لميَّز كلُّ إله ما خلَقه هو وحده، ولم يتركه مختلِطًا بمخلوقِ غيرِه، وظهرت المنازعة، وإذ لا منازع في شيء من المخلوقات للتمييز بطل قول المشركين. ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: أي: لغَلَب ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي: تنزيهًا للَّه عمَّا يصفه به هؤلاء. وقيل هو بمعنى الأمر؛ أي: فنزِّهوه.

(٩٢) - ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي: هو عالمُ الغيب والشهادة فلن يخفى عليه شيءٌ، فخبرُه هو الحق دون قول هؤلاء. ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تقدَّس عن الشركاء الذين يقولون.

(٩٣ - ٩٤) - ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي﴾: (إنْ) شرطٌ و(ما) صلة والنونُ المشدَّدة تأكيد وكأنه قسم. ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾: أي: من العذاب، ويجوز من أَوْعَد، ويجوز من وَعَد؛ كما قال: ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾[المؤمنون: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾[الزخرف: ٤٢].

(٩٥) - ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: معهم وفي جملتهم في العذاب. أَخبر أنه يعذِّبهم، وأمره أن يدعو بهذا، ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾: أي: على أن نعذبهم قبل أن نقبضك فتراه.

(٩٦) - ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي: بالمعاشرة التي هي أجمل ﴿السَّيِّئَةَ﴾؛ أي: معاملتَهم القبيحة؛ أي: فأحسِن معاملتَهم إلى أن تؤمرَ بقتالهم

لتَسْلَم بذلك من أذاهم. ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: من الشرك، فسنجازيهم عليه ونأمرك بقتالهم لوقته[١].

(٩٧ - ٩٨) - ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾: قيل: أي: نَزَغاته ووساوسه، وأصله: الطعن، وهو طعنٌ في القلب، وقد يكون في النفس فيقع به الصَّرع ونحوُه. وقيل: هو ما يوقعه الشيطان في القلب من ترك دفع السيئة بالأحسن واستعجالِ العذاب. ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾: أي: يأتوني.

(٩٩ - ١٠٠) - ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن: فيقول: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ ثم يقول للملائكة الذين حضروه لقبض الروح: ﴿ارْجِعُونِ﴾؛ أي: ردُّوني إلى الدنيا ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾؛ أي: لأعمل صالحًا، و(لعل) أصله للشك، وهاهنا لليقين؛ لأنَّه حالة اليقين، وهو كإطلاقِ لفظة الظن في معنى اليقين. ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾: أي: في تركتي أؤدِّي حقوق اللَّه فيها وأتقرَّب بها؛ كما قال: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ [المنافقون: ١٠]، وقيل: ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾: في الموضع الذي تركت؛ أي: الدنيا، تركتُ فيها التوحيدَ والطاعة، فالآن ﴿أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ في الدنيا: التوحيد والطاعة.

وقيل: ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾؛ أي: فيما تركت العملَ به من الصالحات. ﴿كَلَّا﴾: ردٌّ لِمَا سأل؛ أي: لا ترجع. وقيل: أي: ردٌّ لِمَا بعدُ؛ أي: لو رُدَّ إليها لا يَفي بها؛ كما قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾: قيل: ﴿إِنَّهَا﴾؛ أي: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ كلمةٌ يقولها الكافر عند الموت. ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٥٨٧)، والتيسير في التفسير (١١/ ٦٥).

﴿بَرْزَخٌ﴾: أي: وأمامَهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع. ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ من قبورهم للحساب والجزاء(١).

(١٠١) - ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: للبعث ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾؛ أي: إذا سِيقوا إلى موقف الحساب شغلهم الحزن والخوف عن أن يتناسبوا في ذلك الموضع ليَعرف بعضُهم بعضًا بالنسب، ولا يتفاخروا أيضًا بالأنساب كما فعلوا في الدنيا، ولا يَسأل بعضهم بعضًا عن حاله كما يتساءلون في الدنيا على سبيل التعاطف.

(١٠٢-١٠٤) - ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: بالحسنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسيئات ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾: وقوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾: أي: تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ الكُلوح: تقلُّص الشفتين من العُبوس حتى تبدوَ الأسنان؛ أي: إذا لفَحت النار وجوههم تقلَّصت شفاههم وبدت أسنانهم، وتغيَّرت بذلك مناظرهم وقبحت صورهم.

(١٠٥-١٠٦) - ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾: أي: يقال لهم في النار: ألم يكن كتابي المنزلُ على رسولي يُقرأ عليكم. ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: وتزعمون أنها ليست من الله تعالى. ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: معناه: قال أهل النار: غلب علينا ما سبق لنا في سابق علمك، وكُتب في أمِّ الكتاب من الشقاوة. ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾: في الدنيا عن طريق الهدى.

---

(١) جامع البيان (١٧/ ١١٠ - ١١١).

(١٠٧ -١٠٨) - ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾: أي: من جهنم ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾؛ أي: في الكفر والمعصية ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ بالعود؛ أي: فلا نعود. ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا﴾: أي: ابْعُدوا في النار ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ وهو أبلغُ ما يكون من الإذلال، وهو آخِرُ كلام أهل النار، فلا يقدرون على الكلام بعده، فلا يبقى لهم إلا زفيرٌ وشهيق[(١)].

(١٠٩ -١١٠) - ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي﴾: وهم المؤمنون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾: أي: قصدتُم يا معاشر الكفار هؤلاء المؤمنين بالاستهزاء والقهر ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾: أي: أنساكم ولوغُكم بذلك ذكرَ اللَّه، وأضاف إليهم بطريق التسبيب، ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾: مستخِفِّين بهم.

(١١١ -١١٢) - ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم وقيل: جزيتُهم الفوز من العذاب والنَّيلَ للثواب. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم: ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بمطلوبهم. ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾: إلى أن بُعثتم، يخاطبهم توبيخًا لهم على إنكار البعث واستبعاده.

(١١٣ -١١٤) - ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: تقليلًا لمدة الدنيا، كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]. وقيل: نسيانًا له لعِظَم ما هم فيه. ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾: أي: العارفين عددَ ذلك فإنَّا قد نسيناه، وعلى تأويل التقليل: لا نتيقَّن بمبلغ عدد السنين فاسأل مَن يعرف ذلك. وقيل: المراد من العادِّين هم الملائكة؛ لأنَّهم كانوا يَعُدُّون الأنفاس والأوقات.

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٥٨)، والدر المنثور (٦/ ١٢٠)، والتيسير في التفسير (١١/ ٧١).

وقيل: المراد به المنجِّمون لأنهم كانوا يحفظون ذلك ﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مقدار لبثكم من الطول كان قليلًا بالنسبة إلى لبثكم في النار[١].

(١١٥ - ١١٦) - ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾: أي: أفظننتُم في إنكاركم البعثَ أنا خلقناكم لعبًا بغيرِ فائدة، ولا نكلِّفكم في الدنيا ولا نبعثكم للجزاء في العقبى. ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾: أي: جلَّ عن الأولاد والشركاء والأنداد ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾: الذي يحق له الملك دون غيره. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾: الجليلِ في نفسه الخطيرِ في ذاته بجَعل اللَّه له ذلك الوصفَ.

(١١٧) - ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾: أي: لا حجةَ له عليه ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾: وهو جزاء هذا الشرط؛ أي: قد علم اللَّه ذلك منه وأعدَّ له جزاءه، ثم هو لا يفلح أبدًا ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾. ذكر عدم فلاح الكافرين في آخر السورة، ووعد الفلاح للمؤمنين المطيعين في أول السورة.

(١١٨) - ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾: نفى: الفلاح للكافر مطلقًا، ووعد الفلاح للمؤمن المطيع مطلقًا، ولما كان المؤمن العاصي على خوف التعذيب مدةً، أمر نبيَّه عليه الصلاة والسلام بهذا الدعاء تعليمًا لأمته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يقولوه ليغفر اللَّه تعالى لهم ذنوبهم فيَصِلوا إلى الفلاح، وهو أمرٌ له أن

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٥٨)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٣)، والكشاف (٣/ ٢٠٥)، وتفسير الجلالين (١/ ٤٥٦)

يقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ﴾؛ أي: للمؤمنين والمؤمنات ﴿وَارْحَمْ﴾؛ أي: وارحمهم، فيكون الدعاء منه ولكن لهم. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي: أفضل راحم[١].

(انتهى تفسير سورة المؤمنون).

(١) تفسير الجلالين(١/٤٥٦)، وجامع البيان (٢٠/ ١٣١)، وبحر العلوم (٢/ ٤٩٢).

(٢٤) سورة النور مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مدنية، سميت هذه السورة «سورة النور» من عهد النبي ﷺ، وهذه تسميتها في المصاحف وكتب التفسير والسنة، ولا يعرف لها اسم آخر، ووجه التسمية أن فيها ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥]، نزلت بعد سورة إذا جاء نصر الله وقبل سورة الحج وقد عدت هذه السورة المائة في ترتيب نزول سور القرآن[(١)]، وهي اثنتان وستُّون آية، وقيل: أربع، وكلماتها ألف وثلاثُ مئةٍ وست عشرة، وحروفُها خمسةُ آلافٍ وستُّ مئة وستةٌ وثلاثون.

أغراض هذه السورة:

شملت من الأغراض كثيرا من أحكام معاشرة الرجال للنساء. ومن آداب الخلطة والزيارة.

- وأول ما نزلت بسببه قضية التزوج بامرأة اشتهرت بالزنا وصدر ذلك ببيان حد الزنى.

- وعقاب الذين يقذفون المحصنات.

- وحكم اللعان.

- والتعرض إلى براءة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مما أرجفه عليها أهل النفاق، وعقابهم، والذين شاركوهم في التحدث به.

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ١٤١).

- والزجر عن حب إشاعة الفواحش بين المؤمنين والمؤمنات.

- والأمر بالصفح عن الأذى مع الإشارة إلى قضية مسطح بن أثاثة.

- وأحكام الاستئذان في الدخول إلى بيوت الناس المسكونة، ودخول البيوت غير المسكونة. وآداب المسلمين والمسلمات في المخالطة.

- وإفشاء السلام.

- والتحريض على تزويج العبيد والإماء.

- والتحريض على مكاتبتهم، أي إعتاقهم على عوض يدفعونه لمالكيهم.

- وتحريم البغاء الذي كان شائعًا في الجاهلية.

- والأمر بالعفاف.

- وذم أحوال أهل النفاق والإشارة إلى سوء طويتهم مع النبي ﷺ.

- والتحذير من الوقوع في حبائل الشيطان.

- وضرب المثل لهدي الإيمان وضلال الكفر.

- والتنويه ببيوت العبادة والقائمين فيها.

- وتخلل ذلك وصف عظمة الله تعالى وبدائع مصنوعاته وما فيها من منن على الناس (١).

- وقد أردف ذلك بوصف ما أعد الله للمؤمنين، وأن الله علم بما يضمره كل أحد وأن المرجع إليه والجزاء بيده، وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه أُمر في آخر تلك السورة بسؤال الرحمة، ونيلُ الرحمة بأداء الطاعة دون فعل المعصية،

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ١٤١).

فقد قال في أول هذه السورة في حقِّ مَن عصَى اللَّه: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾، وانتظام السورتين: أنه بدأ تلك السورة بخلقِ الإنسان، ثم بما أنعم عليه، ثم بالأمر بالتوحيد وعاقبةِ أهله وذكرِ الشرك وعاقبةِ أهله، وختم بالأمر بالدعاء، وبيَّن في هذه السورة المعاملاتِ والجزاءَ على الموافقات والمخالفات، وهو ترتيبٌ معقول يشهد بحُسنه الأصول(١).

(١) - ﴿سُورَةٌ﴾: أي: هذه سورة؛ أي: قطعةٌ ودرجةٌ من الكتاب الذي وعدْتُ أن أُنزله عليك. ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾: أي: أنزلناها إليك من السَّماء. ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾: بالتخفيف أي: فرضُ العمل بها، فأضاف الفرض إليها اختصارًا لوضوح المراد، وقيل: أوجَبْناها، ومعنى التشديد: أنزلنا فيها فرائض مختلفةً وفرضناها عليكم وعلى مَن بعدَكم إلى يوم القيامة، والتفعيلُ في الفعل الثلاثي المتعدِّي يكون للتكثير والتذكير. وقيل: بيَّنَّاها، وقيل: بينَّا حلالها وحرامها. ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: أي: واضحات ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: لتتَّعظوا بها، وأكثرُ هذه السورة ترجع أحكامها إلى التستُّر والتعفُّف وما تَخلَّلها فهو من مقتضياتها.

(٢) - ﴿الزَّانِيَةُ﴾: أي: المرأة التي مكَّنتْ من الزنا، وهو الوطءُ الحرام الخالي عن النكاح وشبهته، ومِلك اليمين وشبهته، ﴿وَالزَّانِي﴾؛ أي: الرجل الذي زنى. ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾: أي: اضربوا كلَّ واحد منهما مئة ضربةٍ بالسوط ونحوِه، مأخوذ من الجِلْد فإن الضرب يلاقيه، وفيه إشارة إلى أنه لا يبالغ

(١) الكشف والبيان (٧/ ٦٢)، والتيسير في التفسير (١١/ ٨٢).

حتى يصل إلى اللحم بالجَرح، والخطابُ لجميع الأمة؛ لأن إقامة الحد من الدِّين وهو على الكلِّ، ثم يقيمون إمامًا ينوب عنهم؛ لأنه لا يمكنهم الاجتماع عليه. ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾: أي: رقَّةٌ تمنعكم عن إقامة الحد عليهما. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾: أي: طاعته. وقيل: أي: في حكمه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: فإن الإيمان يوجب الائتمارَ بأمر اللَّه. ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾: أي: حدَّهما ﴿طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أقلُّه واحدٌ. وقيل: اثنان. وقيل: ثلاثة وقيل: أربعة، وهو عدد شهود الزنا، وقيل: عشرة. أمر اللَّه تعالى أن يشهد ﴿عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليكون ذلك عبرة وموعظةً ونكالًا[١].

(٣) - ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾: روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: إن المهاجرين أتوا المدينة فضاقت عليهم معيشتُهم في ذات أيديهم لغلاء الأسعار بها، وكان في المدينة نساءٌ فواجرُ زوانٍ غيرُ محصنات متَّسعاتٌ في ذات أيديهن، فقال المهاجرون: لو تزوَّجناهن فأحصناهنَّ، فإذا استغنينا عنهنَّ طلقناهنَّ، فسألوا رسول اللَّه ﷺ عن ذلك، فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية[٢]، والآية ترهيب في نكاح البغايا، ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: حرم الزنا، وقيل: الشركُ، وقيل: نكاحُ البغايا قصدَ التكسب بما يأخذون من الزنا.

(٤-٥) - ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: أي: يقذفون بالزنا العفائفَ ﴿ثُمَّ

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٩٣)، والكشف والبيان (٧/ ٦٣)، والبسيط (١٦/ ٦٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٨/ ٢٥٢٢).

﴿لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾على زنا المقذوفة ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾: فأقيموا حد القذف عليهم بهذا، وهو خطاب للأمة، ويتولى الإمام عنهم، ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾: أي: لا تقبلوا شهادتهم أبدًا، وهو الحكم في الحد أيضًا، وهو مشروع على التأبيد عندنا لا يُقبل بحال وإن تاب. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: خارجون عن الطاعة بقذف المحصَنة. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾: أي: بعد الرمي وهو القذف ﴿وَأَصْلَحُوا﴾؛ أي: أصلحوا أحوالهم بعد التوبة وأظهروا الأعمال الحسنة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر ذنوبهم ويرحمهم فلا يعذبهم.

(٦-٧) - ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾: أي: يقذفون زوجاتهم بالزنا، ذكر هذا بعد ذكر حكم قذف الأجنبيات. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾: أي: لم يكن لهم شهود أربعة يقيمونهم على دعواهم، واستثنى ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن عليهم اللعان، واللعان شهاداتٌ مؤكَّدة بالأيمان، فكانوا شهودًا باللعان. ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾: أي: فيشهد أحدهم أربعَ شهادات بالله ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يحلف أربع مرات أنه صادق فيما رماها به من الزنا بعد التكلُّم بلفظة الشهادة: أشهد أني صادق فيما رميتها به من الزنا. ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: يقول في المرة الخامسة: لعنة الله عليَّ إن كنت كاذبًا فيما رميتُها به من الزنا.

(٨-٩) - ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾: أي: يدفع عن المرأة الحبسَ والجبرَ على اللعان، فإنها إذا امتنعت عن اللعان حُبست وأجبرت عليه حقًّا للزوج ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾؛ أي: هذا يدفع عنها الحبس والجبر. ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ

بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: تقول عند القاضي بعدما لاعن الزوج عند القاضي: أشهد باللَّه أن زوجي هذا كاذب فيما رماني به من الزنا. ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: أي: تقول في المرة الخامسة: غَضِبَ اللَّه عليَّ إن كان هو صادقًا فيما رماني به من الزنا.

(١٠) - ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: بالستر في ذلك. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ بقبوله التوبة في ذلك وغيره ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما حكم به في ذلك وغيره ليبين الحق في ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها.

(١١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ الآيةَ: ويتصل بما تقدم من إيجاب حد القذف ونزولِ هذه الآيات في حقِّ عائشةَ الصدِّيقةِ زوجِ النبي ﷺ ورضي عنها. ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أسوأ الكذب على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم المؤمنين بقذفها ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾؛ أي: طائفة منكم معشرَ المسلمين، وهذا تعجيبٌ من استزلال الشيطان أهلَ الإيمان بمثل هذا من العصيان. ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾: أي: لا تظنُّوه شرًّا أصابكم ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾؛ أي: بل هو لكم خيرٌ ولهم شرٌّ؛ لأن في ذلك أجرًا لكم وتكفيرًا لخطاياكم. قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعد ما أنزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة وآذن بالرحيل ليلة فمشيت وقضيت شأني وأقبلت إلى الرحل فإذا عقدي - القلادة- فرجعت ألتمسه وحملوا هودجي هو ما يركب فيه على بعيري يحسبونني فيه وكانت النساء خفافًا إنما يأكلن العلقة هو بضم المهملة وسكون اللام من الطعام أي القليل ووجدت عقدي وجئت بعد ما ساروا فجلست في المنزل الذي كنت فيه

وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلي فغلبتني عيناي فنمت وكان صفوان قد عرَّس من وراء الجيش أي نزل من آخر الليل للاستراحة فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان نائم أي شخصه فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني أي قوله إنا لله وإنا إليه راجعون فخمرت وجهي بجلبابي أي غطيته بالملاءة والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة أي من أوغر واقفين في مكان وغر من شدة الحر فهلك من هلك وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي ابن سلول(١). ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾: أي: على كلِّ واحد منهم عقوبةُ ما اكتسب من الوِزر على قَدْر سعيه في إشاعةِ ذلك والقولِ به. ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: أي: أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبد الله بن أبي ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من العصبة ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أعظم من عذابِ مَن هو دونه، وهو عذاب النار في الآخرة.

(١٢-١٤) - ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾: أي: هلَّا إذ سمعتُموه ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾؛ أي: بأمثالهم كما قال: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾؛ أي: كذب ظاهرٌ ولا يليق بهما، وعائشةُ هي زوجة رسول الله وأحبُّ الناس إليه. ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ﴾: اي: العُصْبة

(١) ذكره البخاري (٤٧٥٧) معلقًا، ومسلم (٢٧٧٠/ ٥٨) متصلًا، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: إن كانوا صادقين فهلا أقاموا أربعة شهود، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: في حكم الله؛ وقيل: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: في علم الله، وهذا يكون في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على الخصوص؛ لأن الله تعالى علِم كذبَ قذفِها، وتأويل الآية على هذا القول: لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فيكونَ لهم حجةٌ في الظاهر على صدقهم، فإذ لم يأتوا بالشهداء فاعلموا أنهم عنده كاذبون في الباطن كما هم كاذبون عندكم في الظاهر. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: أي: ولولا فضله عليكم ورحمته بأنْ لا يعاجلَكم بالعقوبة وبسَطَ لكم مدةَ التوبة ويقبلُ توبتكم، وهو فضلُه ورحمته في الدنيا، ثم يغفر لكم ويرحمكم يوم القيامة إذا أتيتم تائبين، ولا يعذبُكم ويتفضَّل عليكم فيدخلكم الجنة، وهو فضل ورحمة في الآخرة. ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: أي: لنالكم فيما خُضتم فيه من الإفك عذابٌ عظيم تعاجَلون به.

(١٥-١٦) - ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: يرويه بعضُكم عن بعض. وقيل: أي: تأخذونه؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، ومعنى التلقي بالألسنة: أن التلقِّيَ قد يكون بغيرِ الكلام، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧]، وذلك أخذ وكتابة من غير اختصاصٍ بالقول. وكان تلقيهم بالألسنة: أن بعضهم كان يقول لبعض: هل بلغك حديث عائشة؟ حتى فاض ذلك فيما بينهم. ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: والتقييد بالأفواه أيضًا: أنه لا حقيقة له فهو مقتصِر على وجودها بالأفواه لا غير[(١)]، وهو كقوله تعالى

(١) التيسير في التفسير (١١/ ١٠٦).

في الظهار: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾[الأحزاب: ٤]. ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾: يسيرًا لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ تستحقُّون به العقوبة لإيذائكم رسول الله ﷺ وزوجةَ رسوله، وإشاعةِ الفاحشة في المنزَّهة عنها، ﴿عَظِيمٌ﴾: منكَرٌ شنيع، وإطلاقه في ذلك متعارفٌ. ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾: أي: هلا إذ سمعتُم هذا الأفك قلتُم: ما يحلُّ لنا في دين الله أن نتكلَّم بهذا الإفك. ﴿سُبْحَانَكَ﴾ كلمة تعجُّبٍ؛ أي: العجب ممن يتكلم بهذا، وقيل: أي: ننزِّهك عن أن نعصيَك نحن بالقذف. ﴿هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ أي: كذبٌ شنيع، وذكر في الآية المتقدمة: ﴿وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ فيجوز أن يكونوا أُمروا بأن يتكلَّموا بالكلامين جميعًا مبالغةً في التبرُّؤ عن قبوله واعتقاده. ويجوز أن يكون الثاني تكلُّمًا باللسان، فقد ذكره بعد التصريح بالكلام: ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ والأول في القول في النفس، فقد ذكره في الظن: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ فلا يكون تكرارًا، ويكون مجموعها: يقولون في أنفسهم: لا نعتقد هذا، ويقولون بألسنتهم: نتبرأ من تجويز هذا.

(١٧-٢٠) - ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾: أي: يحذركم الله أن تعودوا إلى مثل ما فعلتُم من القول به وسماعه وتلقِّيه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن الإيمان يوجب الاتِّعاظ بوعظِ الله تعالى. ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: أي: علاماتِ الدِّين التي يجب أن يُتديَّنَ بها. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بكم وبأعمالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ يجزي على وَفْق العمل. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: تُنشَر المقالة السيئة الشنيعة القبيحة في المؤمنين كهذا الإفكِ من غيرِ

صحةٍ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ العذاب في الدنيا: حدُّ القذف، وذاك بالقذف، وعذاب الآخرة: النار وسائرُ العقوبات إن لم يتوبوا. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي: مقاديرَ الجنايات والعقوبات، وقيل: واللَّه يعلم مَن الذي يحب أن تشيع الفاحشة، قالوا: وكان ذلك عبدَ اللَّه بن أبيٍّ ابنَ سلولَ لعنه اللَّه. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: أي: أيها المؤمنون لعاجلكم بالعقوبة على ما فعلتُم.

(٢١) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: أي: لا تسلكوا مسالكه، ولا تتَّبعوا أثاره -وهي وساوسُه- بالإصغاء إلى الإفك والقولِ به. ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾: أي: مَن اتَّبع ذلك ارتكب الفحشاء والمنكر، فإن الشيطان لا يأمر إلا بهما، وهذا بيانٌ أنه إذا كان كذلك لم يجز طاعتُه ولم يَصلح اتِّباعه، والفحشاء: ما فيه حدٌّ، والمنكر: ما لا حدَّ فيه، وقيل: الفحشاء: القبيح، والمنكر: ما هو في نهاية القبح، ومعنى الفحشاء لغةً: الفعلة المفرِطةُ القبحِ، ومعنى المنكر: ما لا يعرفه العقل والشرع. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: أي: ولولا توفيقُ اللَّه وعصمتُه ﴿مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾؛ أي: ما طهُر أحد منكم من دنَس الذنوب أبدًا، بل وقعتم فيها لأهواء النفوس وإغواء الشيطان. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: يطهِّر، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: أي: للأصوات ﴿عَلِيمٌ﴾؛ أي: بالأسرار، لا يَخْفَى عليه متبِّعُ الشيطان من غيره، والزكيُّ مِن غيره، وهو ترغيبٌ وترهيب(١).

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ١١٠).

(٢٢) - ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: قيل: أي: لا يحلفْ، ﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾؛ أي: أولو الفضيلة في الدين والسَّعة؛ أي: الغنى في المال، والواسع: الغني. وقيل: ﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾؛ أي: أولو لإفضال؛ أي: المشهورون بذلك. ثم المنكرون فضلَ أبي بكر يحملون هذا الفضلَ على فضل المال، لكن لا معنى له لأنه مستفاد من قوله: ﴿وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يعطوا أقرباءهم المساكين المهاجرين، والآية نزلت في أبي بكر حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدري لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك(١).

﴿وَلْيَعْفُوا﴾: أي: وليتجاوزوا عن الجفاء ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾؛ أي: وليُعْرِضوا عن العقوبة، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: وهذا غايةُ تلطُّفٍ في الخطاب؛ أي: فإذ أحببتُم مغفرة الله لكم فاغفروا لغيركم.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي: فتأدَّبوا بإذن الله واغفروا وارحموا.

(٢٣) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: أي: يقذفون العفائف ﴿الْغَافِلَاتِ﴾؛ أي: عن الفواحش؛ أي: لا يفكِّرن فيها ولا يتعرَّضن لها ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بكلِّ ما يجب الإيمان به، وفيه إثبات هذه الصفات لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا﴾: أي هؤلاء القذَفةُ أُبعدوا في الدنيا عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين ﴿وَالْآخِرَةِ﴾؛ أي: وفي الآخرة عن رحمة الله، ويتكلَّم المؤمنون في الدنيا

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٤٦٠)، ومجاز القرآن (٢/ ٦٥)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٠٢).

بلعنهم، والملائكةُ في الآخرة، وكذلك أهل الموقف، وكذلك أهل النار، والآية في عبد اللَّه بن أبيٍّ المنافقِ وأصحابه، وكان اللَّه تعالى علِم منهم الموتَ على النفاق فألزمهم اللعنة في الدارين. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في حقِّهم أيضًا[١].

(٢٤) - ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾: أي: ولهم عذابٌ عظيم يومَ تشهد عليهم ألسنتهم بالإفك الذي جاؤوا به، فتعترِف، فيُقذفون بذلك في النار. ﴿وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: ثم تشهد الأيدي والأرجلُ بسائر المعاصي التي عملوا بها.

(٢٥) - ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾: أي: حسابَهم؛ وقيل: الدِّين هو الجزاء؛ يقال: كما تَدِين تُدَان[٢]؛ أي: كما تفعل تجازَى به. و﴿الْحَقُّ﴾ صفة له؛ أي: هو حقٌّ مستحَقٌّ ولا جورَ فيه بزيادةِ عذاب على غيرِ ذنب ونقصانِ ثوابٍ على طاعةٍ. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: على الحقيقة ﴿الْمُبِينُ﴾ ذلك بالبراهين.

(٢٦) - ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾: أي: الكلمات الخبيثات للرجال الخبيثين؛ أي: كلمات القذف إنما تليق بالفسَّاق. ﴿وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾: أي: الفساق هم الذين يليق بهم الكلام الخبيث. وقيل: الخبيثات من الكلام إنما تُلصق بالخبيثين لا بالطيبين، وعائشة طيبةٌ اختارها اللَّه لصحبة نبيِّه فلا يُلصق بها هذا. ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾: أي: الكلمات الطيِّبة للرجال الطيبين ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ كذلك. ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وقال: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤]،

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٢٢٥)، ولطائف الإشارات (٢/ ٦٠١ - ٦٠٢).

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٩) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فدلَّ أن الكلمة توصف بالخبيث والطيب، ﴿أُولَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: قال بعض المفسرين: هي عائشة. وقيل: عائشةُ وصفوانُ. وهو جمعٌ أريد به الواحد أو الاثنان. وقيل: أي: الطيباتُ والطيبون مبرَّؤون مما يقول الخبيثاتُ والخبيثون، واندرج في ذلك عائشة وصفوان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وقيل: هذا يعم الصِّنفين؛ أي: الطيبات والطيبون مبرَّؤون عن كلام خبيثٍ يقال فيهم، والخبيثات والخبيثون مبرَّؤون عن كلامٍ طيب يقال فيهم. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: أي: في الجنة، وهذا لعائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وصفوانَ، أو لكلِّ الطيبين والطيبات. وقيل: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ في المآل ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الحال، وهو ما ينالون من غيرِ استشرافٍ وطمعٍ وتعب.

(٢٧) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾: وهو تأديبٌ بما يرجع إلى السَّتر والتحرُّز عن الاطِّلاع على عورة. يقول: لا يدخلنَّ أحدُكم بيتَ غيره حتى يستأنس؛ أي: يبصرَ هل في البيت إنسان؟ فإن كان، قال: السلام عليكم أأدخل؟ فإنْ أُذن فليدخل، وأضمر في آخره: وتسلموا على أهلها مستأذِنين فيؤذن لكم، وصحَّ هذا الإضمار لأن الكلام سيق له فعرف ذلك فيه، وبما بعده أيضًا وهو قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الآية، والاستئناس: النظر، يقال: اذهب فاستأنِسْ: هل ترى أحدًا؟ وقيل: الاستئناس: الاستئذان والاستعلام، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦]؛ أي: علمتُم. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: أنفعُ لكم في دينكم ودنياكم، أما في الدِّين فإحرازُ الثواب بالائتمار، وأما في الدنيا فلأن مَن دخل بغيرِ إذنٍ فلعله يهجم على ما يسوءه أو يسوء المدخولَ عليه. ﴿لَعَلَّكُمْ

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: تتَّعظون بمواعظ اللَّه فتُؤْجَروا به، فذلك هو الخير[١].

(٢٨) - ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾: أي: إن قيل لكم بعد الاستئذان: ﴿ارْجِعُوا﴾ فلا تدخلوا بغير إذن، ولا تقعدوا على الباب أيضًا، بل ارجعوا ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾؛ أي: الرجوع أطهر لكم وأبعدُ عن التدنُّس بالإثم. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: من طاعة ومعصية في هذا الأمر وغيره، لا يخفى عليه ذلك ولا يعجز عن جزائه، وهو ترغيب وترهيب[٢].

(٢٩) - ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾. لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول اللَّه، أرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن؟، فأنزل اللَّه تعالى قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾[٣]: وهي الخانات الموقوفة والرِّبَاطات، والخَرِبات التي يدخلها الإنسان لقضاء الحاجة، وهي كالأسواق وُضعت لمنافع العامة، والحاجةُ إلى الأذن كانت لحقِّ المالك أو الساكن فيه بحقِّ مِلكٍ أو إجارةٍ، فإذا انعدم ذلك سقط الاستئذان.

﴿أَنْ تَدْخُلُوا﴾؛ أي: في أن تدخلوا. ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾: أي: منفعةٌ وتمتُّع،

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٦٠٤)، ومعاني القرآن" للفراء (٢/ ٢٤٩).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٣٠٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٦٥)، والكشف والبيان (٧/ ٨٤)

(٣) رواه ابن أبي حاتم في "تفسيره (٨/ ٢٥٧٠)، وتفسير مقاتل (٣/ ١٩٥).

وقيل: أي: ثوبٌ ونحوُه. قال مجاهد: وكانت الطرق والمساكن إذ ذاك آمنةً، فكان الرجل يضع حرَّ متاعه في رباطٍ أو بيتٍ ويغلق بابه ويمرُّ، فإذا جاء وجد متاعه بعينه، فذلك قوله: ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: من قولٍ وعملٍ، وهو عامٌّ، وقيل: ﴿مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ في الاستئذان: هل تقصدون به الطاعة أو غيرَ ذلك؟ وفيه تنبيهٌ على إصلاح النية في كلِّ شيء.

(٣٠) - ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾: وهذا يتَّصل بالستر أيضًا كالذي سبق؛ أي: قل يا محمد ﷺ للرجال المؤمنين يغضُّوا أبصارهم عما لا يحلُّ النظر إليه ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾؛ أي: يستروها عن أن يراها مَن لا يحلُّ له رؤيتُها. وقيل: أي: يحفظوها عن أن يواقعوا بها محرَّمًا. ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾: أي: أطهرُ وأبعدُ عن دَنَس الإثم و﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه، وفيه ترغيبٌ وترهيب[١].

(٣١) - ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾عما لا يحل لهن نظره، ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل لهن فعله بها، ولعِظَم هذا الأمر خصَّ النساء وأفردَهن بهذين الأمرين. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: أي: ولا يُظهِرْن مواضعَ الزينة، فهذا مضمر، وهذا لأن إظهار عينِ الزينة -وهي الحليُّ وغيرُها- غيرُ منهيٍّ عنه، بل أريد بها مواضعُها، أو إظهارُها وهي في مواضعها؛ لإظهار مواضعها لا لإظهار أعيانها. ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: وشَقَّ سَترُه، واختُلف

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٢٤٩)، وتفسير ابن أبي حاتم في (٨/ ٢٥٦٩)، والتيسير في التفسير (١١/ ١٢٢).

في تفسير هذا المستثنى الذي لا يَحرُم كشفُه على المحارم والأجانب جميعًا: قيل: الزينة: الثياب؛ كما في قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف: ٣١]؛ أي: لباسكم، فقد كانوا يتعرَّون، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ هو الملاءة والبُرقع والخفاف، فعلى قول القائلين بهذا: لا يحل النظر إلى شيء منها ومن ثيابها إلا إلى ملاءتها وبرقعها وخُفِّها الظاهرةِ عليها، ولا يحل لها إظهارُ شيء منها إلا هذا، وهو قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقيل: الزينة: الحليُّ، ومواضعها: الأعضاء المخصوصة بها، وأما مواضع الزينة الظاهرة التي يحلُّ النظر إليها للأجانب إذا لم يكن بهذا الاستثناء شهوةٌ -وهو قوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾- فالوجه والكفان عند عامة العلماء.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾: أي: ولْيُلْقينَ أغطية رؤوسهن على مواضع جيوب دُروعهن؛ أي: قُمُصِهن. وكنَّ في الجاهلية يَسْدُلنَ خُمرهنَّ من خلفهنَّ، فكانت تنكشف صدورهنَّ وآذانُهنَّ، فأمرن أن يُلقين أطراف خمرهنَّ على جيوبهنَّ، وهي في مواضع صدورهنَّ؛ لتغطي بذلك أعناقَهنَّ وشعورهنَّ وآذانهنَّ وصدورهنَّ. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: أي: مواضعَ الزينة الباطنة ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾؛ أي: أزواجهن ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم الأجداد ﴿أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ فقد صاروا محارمَ أيضًا ﴿أَوْ أَبْنَائِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم النوافل. ﴿أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾: فقد صاروا محارم أيضًا. ﴿أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾: ويدخل فيهم نوافل الإخوة والأخوات أيضًا، وإذا ثبت في هؤلاء المحارمِ ثبت في سائر المحارم من الأعمام والأخوال، وفي المحارم بالرضاع؛ لأن

ذكر بعضهم تنبيهٌ على سائرهم. ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾: أي: الحرائرِ المسلمات. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: أي: إمائهن، ولا يحلُّ لعبدها أن ينظر إلى هذه المواضع، ومِن الناس مَن أحلَّ ذلك بهذه الآية، وقال: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يتناول الغلامَ والجارية جميعًا. ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ أي: أصحاب الحاجة إلى النساء والإربةُ: الحاجة، ومعناه: الرجال الذين هم أتباعُ هذا البيت ممن لا يشتهِي النساء ولا يَحتاج إليهن، وليس هذا بواقعٍ على الخصيِّ والمجبوبِ والمخنَّث لأنهم يَشْتَهُون ويُشْتَهَون. ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾: أي: الأطفال؛ لأنه جنسٌ فصلح للجمع. ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾: أي: لم يَفهموا ذلك ولم يقفوا عليه، وقيل: أي: لم يَبلغوا أن يُطيقوا النساء، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾؛ أي: على الأرض بشدة. ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾: وهي الخلاخيل، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: التزموا هذه الأوامر والنواهيَ، ثم توبوا إلى اللَّه؛ لأنكم لا تخلُون من سهوٍ وإغفال وتقصير فيها فلا تتركوا التوبة في كل حال. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: تنجون من ذلك لقبول التوبة منه(١).

(٣٢) - ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾: وهو تحصيلُ التَّستُّر والعفَّة أيضًا، والأيِّم: كلُّ ذكر لا أنثى معه، وكلُّ أنثى لا ذكر معها، ولهذا سُميت الحية أيِّما بالتشديد والتخفيف كالميِّت والميْت؛ لأنَّها لا تكاد تكون في جُحرها إلا وحدها. ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾؛ أي: زوِّجوا مَن لا زوج له منكم، ويدخل فيه

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٢٧٣)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٠٤)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٠)، والتيسير في التفسير (١١/ ١٢٧).

الرجال والنساء، فيزوِّج الرجل وليَّته بالولاية، ويزوِّج مَن خطبها إليه من الرجال. ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾: بولاية المِلك، وهو أمرٌ بتحصين المماليك، وذكرُ الصلاح للترغيب في تحصين مَن همتُه التحصُّن، وليس بشرط لصحة العقد، ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي: لا تنظروا إلى فقر الخاطب أو فقرِ المخطوبة، ففي فضل اللَّه ما يغنيهم، والمال غادٍ ورائحٌ، وقد يقع الغنى، فليس الفقرُ بمانع من الرغبة في الإنكاح. ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: أي: غنيٌّ قادر على إغنائكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده فيُغني إذا رأى الصلاح في الغنى[١].

(٣٣) - ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي: لا يقدرون عليه؛ يقول: ومَن لم يجد سعةً للنكاح فليَصبر وليَصُن فرجَه عن الحرام، فإن نيَّته إذا حسُنت في الكف عن الحرام أغناه اللَّه تعالى من فضله بأنْ يرزقه اللَّه مالًا يتزوَّج به، أو يقيضَ له امرأة ترغب فيه مع فقره باليسير من الصَّداق، أو بأن يعصمه ويزيل عنه شدة الشهوة، وما عند اللَّه خيرٌ، ومَن ترَك شيئًا للَّه عوَّضه اللَّه ما هو خير منه. ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: أي: والمماليكُ الذين يطلبون الكتابَة، وهي العَقد للعِتق على مالٍ منجَّم على العبد يؤدِّيه على النجوم فيَعْتِقُ إذا أدَّى الجميع. ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾: أي: أجيبوهم إلى ذلك ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: إن علمتُم فيهم قوةً على اكتسابٍ وأمانةٍ بحفظِ ما يكتسبون فيؤدُّونه فيَعْتِقون، ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾: أي: أعطوهم ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم وفي معنى الإيتاء

---

(١) الوسيط (٣/ ٣١٨)، والتيسير في التفسير (١١/ ١٣٠).

حط شيء مما التزموه. ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: أي: لا تُجبروا إماءكم على الزنا بالأجرة إن أردن تعفُّفًا. ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يعني: أجرهن وأولادهن. وقيل: إن الزاني كان يفدي ولده من المزنيِّ بها بمئةٍ من الإبل يدفعُها إلى سيدها. ﴿وَمَنْ يُكْرِهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ أي: لهنَّ ﴿رَحِيمٌ﴾ بهن، وقال عكرمة وغيره: كان هذا الإكراهُ بالضرب والتعذيب، ودلَّ أن الإكراه يتحقَّق في الزنا، والانتشار لا يدلُّ على الطواعية.

(٣٤) - ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾: بالكسر؛ أي: مرشداتٍ هاديات، وبالفتح؛ أي: قد بينَّاها. ﴿وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أي: ما أحلَلْنا بالماضين فجعلناه مثلًا أي: خبرًا عجيبًا، لمن بعدَهم يعلمون أنهم إذا فعلوا فعلَهم عُوقبوا عقوبتَهم. ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾: وتخصيصها بالمتقين لأنهم المتفعون بها هم، وإن كانت الموعظةُ للكل[1].

(٣٥) - ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: منورهما بالشمس والقمر، وقيل: اللَّه هادي أهلِ السماوات وأهلِ الأرض إلى ما بهم الحاجةُ إليه في مصالح دينهم ودنياهم، وهي كلمة مطلقة في هذا المعنى، يقال: فلانٌ نورُ بلده؛ أي: به يهتدون إلى أمورهم، وعن رأيه يصدرون إلى مصالحهم. ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾: أي: صفةُ دلائله التي يَهدي بها عباده، فسمَّى دلائله نورًا؛ لأن الناس يسلكون بها طريق النجاة. ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: أي: صفةُ نوره ككوَّةٍ غيرِ

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٩٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٨٩)، والسبعة (١/ ٢٢٩)، والتيسير (١/ ١٦٢)، والتيسير في التفسير (١١/ ١٣٤).

نافذة وُضع فيها مصباحٌ في قنديلٍ مِن أصفَى زجاجٍ يكون، قد أُوقد بأصفَى زيتٍ يكون، فاجتمع في المشكاة ضوءُ المصباح إلى ضوء الزجاجة إلى ضوء الزيت، فصار ذلك نورًا على نور، فاجتمعت في المشكاة هذه الأنوارُ فصارت كأنوَرِ ما يكون، وكذلك براهينُ اللَّه تعالى في وضوحها ومنافعها هي على غاية ما يكون عليه مثلُها، فليس ظلام الضلالِ من جهةِ قصور البيان وضعفِ البرهان، بل بتعاميهم وتماديهم في معاصيهم. ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: بضم الدال وتشديد الياء، وهو منسوب إلى الدر، شبِّه به في صفائه وبياضه. وبكسر الدال والمدِّ والهمز، وهو فِعِّيلٌ من الدَّرء؛ أي: يُدفع به الشيطان، والنجومُ التي يُرجم بها الشياطين هي دراريُّ. ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾بضم التاء والدال، وهو فعلٌ مستقبَل لم يسمَّ فاعله من الاتقاد، وتاء التأنيث راجعة إلى الزجاجة، وبفتح التاء والدال على أنه فعلٌ ماضٍ من التوقُّد وهو التلهُّب، والفعل للمصباح،[(١)]، ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدلٌ من ﴿شَجَرَةٍ﴾ وترجمةٌ لها، هي مباركةٌ لكثرتها وكثرةِ انتفاعِ أهل الشام بها، ولكونها في أرض الأنبياء والأولياء. ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: ليست شرقيةً وحدها ولا غربيةً وحدها، بل هي شرقيةٌ غربيةٌ، وقال الحسن: هذه ليست من شجر الدنيا بل هي من شجر الجنة، فلا تكون شرقية ولا غربية. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لصفائه؛ أي: أن حُجج اللَّه في وضوحها بحيث تتجلَّى لمن أعرض عنها وإن لم ينبِّهْ عليها منبِّهٌ ولم ينزل بها كتاب[(٢)]، ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: أي: برهانٌ بعد برهانٍ،

---

(١) السبعة (١/ ٤٥٦)، والتيسير (١/ ١٦٢).

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٣)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٦٦)، والبسيط (١٦/ ٢٦٠).

ودلالةٌ على أثر دلالةٍ، يريد به تضاعُفَ الأنوار وكثرتَها لا الاقتصارَ على نورين، كما يقال: فلان يضعُ درهمًا على درهم، لا يراد به درهمان، وكما يقال: فعلتُ هذا مرةً بعد مرةٍ، لا يراد به مرتين. ﴿يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾: أي: يوفِّق اللَّه ﷻ لاتِّباع دلائله وإصابةِ الحق بالتدبُّر لها ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾: مَن عَلِم منه اختيارَ ذلك. ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾: كما ضربها لكم في هذه الآية، يعرِّف بذلك مواقع حججه، ويحركهم على تأمُّلها. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: بما به يهتدي الخلق إلى مراشدهم، وبكل شيء.

(٣٦) - ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ هذا في صفة الصحابة رضوان اللَّه عليهم وعبادتِهم وتلاوتهم في المساجد، وكذا مَن بعدهم من العلماء وأهل القرآن في كل عصر. ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾؛ أي: أمَر اللَّه أن تعظَّم، ويجوز أن يراد به رفعُ البناء وإعلاؤه تعظيمًا له، ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾: قيل: هو التوحيد، وقيل: هو الثناء والدعاء. ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾: أي: في المساجد رجالٌ صفاتهم كذا، والتسبيح هو الصلاة. وقيل: هو تنزيهُ اللَّه تعالى عن كلِّ سوء بذكر كلمات التسبيح. ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: قيل: هو الذكر بعد الفجر وبعد العصر، وقيل: هي الصلوات الخمس بالنهار والليل، والغدوُّ عبارةٌ عن كلِّ النهار، والآصال عبارة عن كلِّ الليل. وقيل: هو الذكرُ على الدوام، يقال: مَبارُّ فلان متصلةٌ لنا بالغدو والآصال؛ أي: على الدوام.

(٣٧) - ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾: وصَف بالرجولية ثلاثَ فرق: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨]، و﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا

﴿اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، و﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾؛ أي: لا تَشغلُهم تجارة؛ أي: بالأسفار في الأمصار ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾؛ أي: في الأسواق في الحوانيت، ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: أي: خارج الصلاة ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾؛ أي: وعن إقامة الصلاة في وقت الصلاة، ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾: أي: وعن إيتاء الزكاة، بيَّن أنهم ليسوا بزَمْنَى لا أبدانَ لهم، ولا فقراءَ لا أموالَ لهم؛ ليكون لهجُهم بالذكر لعجزهم وفقرهم، بل قال: لهم أبدان يقيمون الصلاة بها، وأموال يؤدون الزكاة عنها، ثم لا يشغلُهم ذلك عن خدمة اللَّه تعالى وذكره. وقيل: معناه: لا يشتغلون بتجارةٍ وبيعٍ فيَشغلهم ذلك عن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأكثرهم على أنهم يتَّجرون ويبيعون ولا يشغلهم ذلك عن خدمة اللَّه تعالى. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾: أي: الحاملُ لهم على إقامة هذه الأشياء وإدامتِها خوفُ القيامة. ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾: أي: لهيبة ذلك اليوم وقيل: تتقلَّب يمنةً ويسرةً: من أين يُؤتى كتابَه؟، وأين يُذهب به؟(١).

(٣٨) - ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾: وهاهنا مضمرٌ: يقيم ذلك اليومَ ليجزيهم أحسنَ ما عملوا. قيل: معناه: أي: يجزيهم بكلِّ عملٍ من أعمالهم جزاءَ أحسن أعمالهم؛ أي: يجزي على الأدنى جزاء الأعلى. ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: على الجزاء الموعود على العمل. ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: يُثيب مَن يشاء ثوابًا لا يدخل في حساب الخلق. هذه صفات المهتدين بنور اللَّه تعالى، وأما الذين ضلوا عنه فالمذكورون بعده، وهو قوله:

(٣٩) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾: السراب: شعاعٌ

---

(١) بحر العلوم (٢/ ٥١٥). وجامع البيان (١٧/ ٣٢١)، والتيسير في التفسير (١١/ ١٤٨).

يُتخيَّل ماءً يجري على الأرض في المفازة نصفَ النهار عند شدة الحر. وسمي سرابًا لأنه ينسرب؛ أي: يجري جريان الماء. والقِيعة: جمع قاع، وهو المنبسط الواسع من الأرض، والقيعان جمعه أيضًا، يقال: قاع، وجمعه قيعة وقيعان، كما يقال: جار وجِيرةٌ وجيران. ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾: أي: يظنُّه العطشان ماء ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾؛ أي: إذا تكلَّف المسير إليه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾؛ أي: شيئًا نافعًا؛ كما يقال: ما علمتُ شيئًا، وهذا ليس بشيء، يراد به نفيُ نَفْعِه، وهذا إذا حُمل قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ على أنه جاء السراب، وقولُه: ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾؛ أي: لم يجد السراب شيئًا؛ أي: شيئًا نافعًا. وإنْ حُمل قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾؛ أي: جاء الموضع الذي تراءى له فيه السراب، فمعنى: ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾؛ أي: لم يجد في ذلك الموضع شيئًا كان يتراءى له؛ لأنه لا يرى ذلك إذا حضَره. كذلك الكافرُ إذا قدِم على أعماله التي هي خيراتٌ عنده يومَ القيامة لم يجد لها نفعًا ولا يراها فقد صارت هباءً منثورًا ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾: أي: ووجد عقابَ اللَّه لكفره وسيئاته عنده؛ أي: يُبطل حسناته ويُبقي عقابَ سيئاته معدًّا له عند قدومه. ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾: أي: أتمَّ حسابه على ما عمله، وأعطاه جزاءه على وَفق ما فعله. ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: أي: لا يَطول الزمانُ في حسابه، وقيل: هو وعيدٌ بقرب وقته(١).

(٤٠) - ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾: وهو مَثَلٌ آخر لأعمال الكفار، وللتخيير في ضرب المثَل بأيِّهما شئتَ؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]، ﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾: أي: عميق واسعِ اللجَّة، وهو معظمُ الماء ووسطُه وموضع العمق منه، وتكون

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٥)، الكشف والبيان (٧/ ١١١)، والتيسير في التفسير (١١/ ١٥٤).

الظلمة فيه أكثر. ﴿يَغْشَاهُ﴾: أي: يغطِّي هذا البحرَ ﴿مَوْجٌ﴾ وهو ماءٌ يضطرب من معظم الماء. ﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾: أي: موجٌ آخرُ أعلى منه وأهولُ. ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾: أي: من فوق الموج غمامٌ. ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾: أي: هذه الظلمات. أي: ظلمةِ الليل، وظلمةِ عمقِ البحر، وظلمةِ الموجين، وظلمةِ السحاب، فلا يُرى فيها شيء، فكذا الكافر في تحيُّره وخَبْطه في كفره كالخابط في هذه الظلمات، وهو مَثَل الكافر في الدنيا في عمَهه في طغيانه، وكذلك في الآخرة في حيرته وخسرانه. ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾: أي: لا يكاد يرى يدَه إذا أخرجها من شدة هذه الظلمات، فيضيق صدره وتشتدُّ حيرته. وقيل: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾؛ أي: لم يطمع في أنْ يراها. وقيل: كاد يفعلُ كذا؛ أي: قارَبَ أن يفعل كذا، فقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾؛ أي: لم يقارِبْ ذلك، وهو أبلغ من النفي أصلًا؛ أي: لم يرها ولم يقارِبْ رؤيتها. ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾: أي: فمَن لم يجعل له نورًا يهتدي به إلى الإيمان لم يهتدِ إليه، ومَن لم يجعل اللَّه له يومَ القيامة نورًا يمشي به إلى الجنة لم يَصل إليها.

(٤١) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ألم تعلم يا محمد العلمَ الذي يقوم مقامَ العِيَان في الإيقان أنه يسبح مَن في السموات والأرض لَمن هو هادي أهلِ السماوات والأرض، و﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ هم الملائكة والجنُّ، وتسبيحهم: تنزيه اللَّه جَلَّجَلَالُهُ عما لا يليق به نطقًا. ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾: هي عطفٌ على الأول، و﴿صَافَّاتٍ﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: في حال بسطِها أجنحتَها؛ أي: وهي تسبح اللَّه؛ أي: تنزِّهه بأصواتها. وقيل: بما فيها من أمارات

الحدوث الشاهدةِ على حاجتها إلى مُحْدِث أحدَثها وخلقها على ما هي عليه. ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾: أي: كلُّ واحدٍ من هؤلاء ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ اللَّه ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾؛ أي: عبادته فعلًا وتنزيهَه قولًا، وقيل: أي: كلُّ جنسٍ قد علم عبادةَ اللَّه وتنزيهَه. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: أي: لا يَعْزُب عنه شيءٌ منهم، وجُمع بالواو والنون وإن كان فيهم الطيور وهي لا تعقل؛ لأنَّه جَمَع بينها وبين ما يَعقل، ولأنه وصفَها بوصف العقلاء: وهو التسبيح والصلاة.

(٤٢ -٤٣) - ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: له خزائن المطر والرزق والنبات ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾: وهذه دلالةٌ أخرى يهدي اللَّه بها مَن في السماوات والأرض، ﴿يُزْجِي سَحَابًا﴾؛ أي: يسوقه إلى حيث يريده ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾؛ أي: بين بعضه ببعضٍ، ويجمَع متفرِّقَه. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾: أي: متراكمًا بعضُه على بعضٍ، وقد ركمَه، وهو سحابٌ مركوم. ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: أي: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: أي: من بينه، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: بَرَدًا ﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا﴾؛ أي: في السماء ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾؛ أي: الجبال مجموعةٌ من برد. ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾: فيعذِّب بالبرَد ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من الناس في نفسه أو زرعه فيُهلك ذلك. ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: يدفع ضررَه عمَّن يشاء فلا يصيبُه. وقيل: فيصيب بالوَدْقِ مَن يشاء فينفعُه، ويَصرفُه عمَّن يشاء فلا ينفعُه. ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾: أي: ضوءُ برق السحاب ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ أي: يقارِبُ البرق أن يزيلَ أبصار العيون[1].

(١) الكشف والبيان (٧/ ١١٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩٠).

(٤٤) - ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: قيل: يذهب بهذا ويجيء بهذا. وقيل: يقلب أحوال الناس بالظُّلمة والضياء فيهما، فجعل ذلك تقليبًا لهما توسُّعًا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: أي: إن في إزجاء السحاب وإنزالِ الودْق والبرَد وتقليب الليل والنهار ﴿لَعِبْرَةً﴾؛ أي: دليلًا يُستدلُّ بها على وحدانية اللَّه تعالى وقدرته وعظمته وعلمه. ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾: أي: لذوي البصائر والعقول.

(٤٥) - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾: أي: كلَّ حيوانٍ يَدِبُّ على وجه الأرض، قال الحسن: ﴿مِنْ مَاءٍ﴾؛ أي: من ماء الذكر والأنثى. وقيل: أي: من الطين، والطينُ من الماء؛ لأن أصلَ الأرض ماءٌ. ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾: كالحيات والحيتان والديدان. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾: كالإنسان والطير ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾: كالبهائم والأنعام والسباع، ولم يذكر مَن يمشي على أكثرَ من أربعٍ في الحيوانات، ذلك لأن الأكثر ما ذكر، ولأنه ليس فيه نفيُ الزيادة، ولأن ما يمشي على أكثرَ من أربعٍ إذا مشى اعتمد على أربع جهاتٍ لا أكثر، فكأنه يمشي على أربع. ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: وهو قادرٌ على ما يشاء، وعالمٌ بما يشاء، لا يتعذَّر عليه شيء. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من هذا وغيرِه.

(٤٦) - ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾: أي: نورًا للناس وبيانًا ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فهو هادي أهلِ السماوات والأرض، وهو إعادةُ ما قدَّمه مرة: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا﴾ الآية [النور: ٣٤] ليتنظِم هذا بذاك.

(٤٧) - ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾: ذكرَ إنزال الآيات، وبعد

نزولها صار الناس ثلاثَ فرقٍ: فرقةً صدَّقتْ ظاهرًا وكذبت باطنًا وهم المنافقون. وفرقة صدَّقت ظاهرًا وباطنًا وهم المخلصون. وفرقة كذَّبت ظاهرًا وباطنًا وهم الكافرون، فذكرهم جميعًا هاهنا على الترتيب، وبدأ بالمنافقين فقال: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ﴾؛ أي: بألسنتهم ﴿وَأَطَعْنَا﴾ كذلك. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾: أي: يُعرض عن الانقياد لحكم اللَّه وحكمِ رسوله ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ كان الإعراض من بعضهم والرضا بإعراضه من كلِّهم، فصاروا جميعًا مذمومين. ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: وما المعرِضون بالمؤمنين. وقيل: وما كلُّهم بمؤمنين؛ لاعتقادهم جميعًا ما يعتقد هؤلاء. والآية نزلت في المنافق واليهودي اللَّذين اختصما إلى كعب بن الأشرف[١].

(٤٨) - ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: الرسول، وذكر الدعاءَ إلى اللَّه ورسوله لأن الدعاء إلى الرسول دعاءٌ إلى اللَّه؛ لأنَّه يحكم بينهم بأمره. ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: أي: ممتنِعون من المحاكمة إلى رسوله.

(٤٩) - ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾: أي: إنْ علموا أن الحق يكون لهم دائمًا إذا تحاكموا ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى الرسول ﴿مُذْعِنِينَ﴾؛ أي: مسرعين منقادِين طلبًا منهم لحقِّهم، لا رضًا بحكم رسول اللَّه ﷺ.

(٥٠) - ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: أي: نفاقٌ ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾؛ أي: شكُّوا، وهو استفهام بمعنى التقرير ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾؛ أي: يجورَ،

---

(١) أسباب النزول للواحدي (١/ ٣٢٧)، والكشاف (٣/ ٢٤٨). وجامع البيان (٧/ ١٩٣ - ١٩٤).

وهاهنا مضمر: أفي قلوبهم مرض أو ريبة أو ليسوا كذلك بل هم مخلصون غير أنهم يخافون أن يجور عليهم رسول اللَّه ﷺ، وهذا لا يكون لأنه معصوم بعصمة اللَّه. ﴿بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: أي: أولئك المتولُّون هم الكافرون. وقيل: هو محاجَّةٌ لهم، وكأنه أُمر أن يقول لهم: أفي قلوبكم نفاقٌ فلا ترضوا بحكمي، أم تشكُّون في صحة حكمي فلا تقبلوه، أم تخافون جَوري فتَحْذَروني؟ فإذا قالوا: لا شيء من ذلك، قيل لهم: فأنتم الظالمون خصومَكم بترك التحاكُم إليَّ من غير مانعٍ.

(٥١) - ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن هؤلاء لو كانوا مؤمنين كما يزعمون لكان قولَهم ﴿إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: أي: سمعنا قولك وأطَعْنا أمرك ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون.

(٥٢ -٥٣) - ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ﴾: أي: يخاف أن يخالفه حذرًا من عقابه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾؛ أي: يتحرَّز عن معصيته ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾؛ أي: الناجون. ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾: أي: هؤلاء المنافقون ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾؛ أي: مبالِغينَ في تأكيد حَلِفهم ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾؛ أي: تخلَّفوا عنك في غزوة تبوك ويحلفون: لو كنتَ أمرتَهم بالخروج لخرجوا معك، وبعد هذا إذا أمرتهم خرجوا. ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا﴾: أي: لا تحلفوا كاذبين منافقين ففي قلوبكم غيرُ ما على ألسنتكم. ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾: أي: وليكن منكم طاعة معروفة؛ أي: عرَفها الشرع والعقل طاعةً.﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: أي: عالمٌ بأعمالكم.

(٥٤) - ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾: أي: أخلِصوا طاعة اللَّه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾:

واتركوا هذا النفاق ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾؛ أي: فإن تتولَّوا، حُذفت إحدى التاءين تخفيفًا؛ أي: فإن تُعْرِضوا عن طاعة الرسول فيما أمركم به ونهاكم عنه. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾: أي: على الرسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾؛ أي: ما أُلزم -أي: الرسول - من تبليغ الرسالة ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾؛ أي: أُلزمتم من طاعته؛ أي: لا ضرر عليه في خلافكم فإنه لا يُؤخذ بذنوبكم. ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾: ترشُدوا ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أي: التبليغ الظاهر، ليس إليه الهداية والإضلال(١).

(٥٥) - ثم ذكر المخلصين فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: ليجعلنهم خلفاءَ الأرض؛ أي: سكانَها والمسلَّطين عليها. ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: بني إسرائيل، قال لهم: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩]؛ أي: أرضِ الشام، وفعَل كذلك. ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾: أي: وليُعِزَّنَّهم وليُعْلينَّهم على أعدائهم فيُظهرون دينَهم الإسلام الذي ارتضاه لهم؛ أي: متمكِّنين في الأرض مستولينَ عليها. ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾: أي: وليجعلنَّ لهم بدلَ خوفهم أمنًا، وهو الخوف من الأعداء، والأمنُ منهم بغلبتهم عليهم. ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾: أي: بعد أمنهم يُظهِرون دينهم. ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: أي: بعد تحقيق هذا الوعد ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾؛ أي: الخارجون عن الطاعة، وعن هذه الأسماء الصالحة. وقيل: أي: الخارجون إلى أفحش الكفر.

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ١١٦)، وتأويلات أهل السنة (٧/ ٥٨٨)، والكشاف (٣/ ٢٥٣)، والتفسير الكبير (٢٤/ ٤١٦)، وأنوار التنزيل (٤/ ١١٣).

(٥٦ -٥٨) - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: أي: لتُرحموا. ثم ذكر الكافرين وذلك قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: فائتين حتى يعجزونني عن أخذهم، وهاهنا مضمر تقديره: بل هم مقدورٌ عليهم ومحاسبون ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾؛ أي: ولبئس المرجعُ النار. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: عاد الكلام إلى ذكر أسباب التستُّر والتعفُّف، يقول: الْزَموا ومُرُوا عبيدكم وإماءكم. ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾: أي: والصبيان الذين لم يحتلِموا ولم يُنزلوا ﴿مِنْكُمْ﴾؛ أي: من الأحرار. أي: ليستأذنوكم للدخول عليكم فلا يدخلوا عليكم من غير إذنٍ منكم ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾؛ أي: في ثلاثة أوقات من الليل والنهار ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ هذا واحد ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾؛ أي: حين تتجرَّدون فتنزعون ثيابكم في وقت شدة الحر وهو وقت القيلولة، وهذا ثان ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾؛ أي: العتمة، وهذا ثالث. ثم نبَّه على المعنى فقال تعالى: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾: أي: هذه أوقاتُ التجرُّد وظهور العورة؛ لأن ما قبل صلاة الفجر وقتُ انتهاء النوم في الأغلب والأكثر، ووقتُ الخروج من ثياب النوم ولبسِ ثياب النهار، ووقتَ الظهيرة وقتُ التجرد للقائلة، وبعد صلاة العشاء وقتَ ابتداء النوم والتجرُّد من ثياب النهار والتغشِّي بثياب النوم، ولأن اللَّه تعالى جعل الليل سكنًا ولباسًا(١)، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾: أي: لا إثم عليكم ولا عليهم بعد هذه الأوقات الثلاثة في الدخول عليكم بغير إذنٍ.

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٠٦)، التيسير في التفسير (١١/ ١٦٨).

﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾: أي: هم خدمُكم؛ أي: المماليك والصبيان ومَن يَشُقُّ الاحتراز عن التبذُّل عندهم؛ فالحرج مدفوع عنكم وعنهم في دخولهم بغير إذن في غير هذه الأوقات الثلاثة؛ لارتفاع الحشمة، ولأن الغالب في ذلك التغطِّي. ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي: يطوف بعضكم على بعضٍ للخدمة، والخادمُ قد يحتاج إلى الطواف في الجهات. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: أي: كالذي يبيِّن الله لكم من حُكم الاستئذان يبيِّن لكم غيره من الآيات التي بكم إلى بيانها حاجةٌ. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأمور مواضعها.

(٥٩) - ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ﴾: أي: من الأحرار ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ في كل الأوقات للدخول ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: الكبار الأحرار. وقيل: هم الداخلون في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾. وقيل: يرجع هذا إلى أول هذه الآية؛ أي: ليستأذنكم الأطفال إذا بلغوا في كلِّ الأوقات كما استأذن المماليك والأطفال في الأوقات الثلاثة. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾: أي: كالذي يبيِّن الله لكم من حُكم الاستئذان يبيِّن لكم غيره من الآيات التي بكم إلى بيانها حاجةٌ. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأمور مواضعها.

(٦٠) - ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾: أي: العجائزُ اللاتي قعدْنَ عن الْتِماس النكاح لكِبَرهن، جمع قاعِدٍ لأنها من صفات النساء على الخصوص كطالقٍ وحائض. وقيل: قعَدن عن الحيض والولد. ﴿اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: أي: لا مَطمع لهن في الأزواج. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: أي: جلابيبَهن

وأَرْدِيَتَهن ومَقانِعَهن التي فوق رؤوسهنَّ وفوق الدروع والخُمُر عند الأجانب؛ كما يحل ذلك للشوابِّ عند المحارم. ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾: أي: من غيرِ أن يُرِدْنَ بوضع ذلك عنهنَّ أن يُبْدِينَ ما عليهن من الزينة للرجال ويتكشَّفْنَ لهم، وإنما يفعَلْنَ ذلك للتخفيف عن أنفسهنَّ. والمتبرِّجات: المتكشِّفات. ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾: أي: يستَتِرْن فلا يَضَعْنَ جلابيبَهن وأردِيَتَهن ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ وأفضلُ لهن، وأَدْفعُ للرِّيبة عنهنَّ. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: لا يخفَى عليه ما يَقُلْن بألسنتهنَّ ويفعلن بأنفسهنَّ، وهو أبلغُ تحذير.

(٦١) - ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ كان المسلمون يخرجون مع رسول اللَّه ﷺ فيعطون مفاتحهم الأعمى والأعرجَ والأقارب، ويقولون لهم: أحلَلْنا لكم ما تأكلون مما في بيوتنا، فيقولون: واللَّه لا يحلُّ لنا مما في بيوتهم شيءٌ وإنْ أحلُّوه لنا حتى يرجعوا إلينا، وإنها لأمانةٌ اؤتُمِنَّا عليها، فلم يزالوا على ذلك حتى أنزل اللَّه تعالى هذه الآية، فطابت أنفسهم لِمَا أحل اللَّه لهم[(١)]. ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في أكلهم من بيوت الذين أَذنوا لهم بذلك بالمعروف من غير إسرافٍ. ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾: قيل: هو على ظاهره، ومعناه: أنه لا بأس بأكله من بيوت أقربائه هؤلاء كما لو أكل من بيتِ نفسه من مالِ نفسه. ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

---

(١) أسباب النزول للواحدي (١/ ٣٣٠).

﴿خَالَاتِكُمْ﴾: والإذن ثابتٌ من هؤلاء دلالةً. ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾: قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: هو الوكيل يدفع الرجل إليه ضيعتَه، فله أن يأكل من طعامها ويشربَ من ألبانها. وقيل: بيوت العبيد والإماء، والعبد وما في يده لمولاه. ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: أي: أصدقائكم(١). ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾أي: مجتمعين أو متفرقين، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾: قيل: بيوت هؤلاء للأكل. وقيل: كلّ بيت. وقيل: هي المساجد. ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: أي: على جنسكم ممن كان فيها، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، فإن لم يكن في البيت أحد ولا في المسجد فليقل: السلام علينا من ربنا، أو ليقل: السلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين، أو ليقل: السلام على مَن اتَّبع الهدى. ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾يثاب عليها: قيل: يتكلَّم بهذا متصلًا بالسلام، وعن بعض السلف: أنه كان إذا دخل المسجد ولا إنسانَ فيه يقول: السلام علينا من ربِّنا تحيةً من عند اللَّه مباركة طيبة. ﴿مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾: أي: كثيرةَ الخيرِ طيبةً؛ أي: يستطيبه المحيَّى. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: أي يفصل لكم معالم دينكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي: لتعقلوا أمره ونهيَه فتعملوا بذلك فتؤجَروا عليه(٢).

(٦٢) - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: وينتظِم هذا بما قبله من الاستئذان ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾؛ أي: مع الرسول ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾؛ أي: على شأنٍ جَمَعهم كالغزو والجمعة والعيد ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ من عنده ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾

---

(١) النكت والعيون (٤/ ١٢٤). تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٨).

(٢) الكشف والبيان (٧/ ١١٨)، ومعالم التنزيل (٦/ ٦٣)، وتفسير السمعاني (٣/ ٥٥٠).

فيأذنَ لهم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾: رجع من المغايَبة إلى المخاطبة، وهو من وجوه الكلام ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فيأتمِرون بأمر الشرع. ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي: لبعض أمورهم التي وراءهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ أي: فأذن لمن رأيتَ المصلحةَ في ذلك فلا يكون في رجوعه ضررٌ على الناس. ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾ أي: وادْعُ لهم بالمغفرة لسالفِ ذنوبهم وتقصيرهم جزاءً لهم على إجابتهم لك، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لمن استغفرتَ له ويرحمُه.

(٦٣) - ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾: أي: لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء واحدٍ منكم غيرَه إلى أمرٍ، فتستجيزوا التخلُّفَ عنه أو الانصرافَ بعد المجيء بغيرِ إذن، فإنه أمرٌ حَتْمٌ ولا يجوز خلافُه. وقيل: لا تجعلوا دعاءكم الرسولَ كدعاء بعضِكم بعضًا، فتدعوه باسمه: يا محمد، أو ترفعوا عليه الصوت، بل ادْعُوه بتعظيمٍ وخفضِ صوتٍ ولِينٍ، ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾: أي: ينتزِعون ويُخرجون أنفسهم ﴿مِنكُمْ﴾؛ أي: من بينكم أيها المؤمنون. ﴿لِوَاذًا﴾: أي: مُلاوَذةً، وهي التستُّر بشيءٍ مخافة أن يراه أحد، وقيل: نفارًا، وقيل: تباعُدًا، وقيل: رَوَغانا. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾: أي: يُعْرِضون عن أمره. وقيل: أي: يخالفونه بعد أمره، ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: قيل عقوبةٌ في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

(٦٤) - ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ملكًا وخَلْقًا وتصرُّفًا، لا يَمتنِعُ أحد عن عقابه. ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: من المعصية والطاعة. ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾: أي: ويعلمُ يوم تردُّون إلى جزائه وثوابه وهو يومُ القيامة،

﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾: يعدِّدُ عليهم ذنوبهم تقريعًا، ويعذِّبهم عليها عذابًا وجيعًا.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: من أعمالهم وأعمالِ غيرهم جميعًا[١].

(انتهى تفسير سورة النور).

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢١٠)، والنكت والعيون (٤/ ٢٧)، والبسيط (١٦/ ٣٨٦)، التيسير في التفسير (١١/ ١٨١)، والتفسير الكبير (٣١/ ١٠٣).

(٢٥) سورة الفرقان مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة الفرقان مكية، سميت هذه السورة «سورة الفرقان» في عهد النبي ﷺ، ولا يعرف لهذه السورة اسم غير هذا، ووجه تسميتها «سورة الفرقان» لوقوع لفظ الفرقان فيها. ثلاث مرات في أولها ووسطها وآخرها، نزلت بعد سورة يس وقبل سورة فاطر، وهي السورة الثانية والأربعون في ترتيب النزول، وهي سبعٌ وسبعون آية، وثماني مئة وثلاثٌ وتسعون كلمة، وثلاثة آلاف وسبع مئة وستة وسبعون حرفًا.

أغراض هذه السورة:

واشتملت هذه السورة على الابتداء بتمجيد الله تعالى وإنشاء الثناء عليه، ووصفه بصفات الإلهية والوحدانية فيها، وأدمج في ذلك التنويه بالقرآن، وجلال منزله، وما فيه من الهدى، والتعريض بالامتنان على الناس بهديه وإرشاده إلى اتقاء المهالك، والتنويه بشأن النبي ﷺ.

وأقيمت هذه السورة على ثلاث دعائم:

الأولى: إثبات أن القرآن منزل من عند الله، والتنويه بالرسول المنزل عليه ﷺ، ودلائل صدقه، ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدنيا، وأنه على طريقة غيره من الرسل، ومن ذلك تلقي قومه دعوته بالتكذيب.

الدعامة الثانية: إثبات البعث والجزاء، والإنذار بالجزاء في الآخرة، والتبشير

بالثواب فيها للصالحين، وإنذار المشركين بسوء حظهم يومئذ، وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول وعلى إشراكهم واتباع أيمة كفرهم.

الدعامة الثالثة: الاستدلال على وحدانية الله، وتفرده بالخلق، وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو شريك، وإبطال إلهية الأصنام، وإبطال ما زعموه من بنوة الملائكة لله تعالى، وافتتحت في آيات كل دعامة من هذه الثلاث بجملة «تبارك الذي» إلخ، مدار هذه السورة على كونه ﷺ مبعوثا إلى الناس كافة ينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم ولهذا جعل براعة استهلالها ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وذكر بدائع من صنعه تعالى جمعًا بين الاستدلال والتذكير، وأعقب ذلك بتثبيت الرسول ﷺ على دعوته ومقاومته الكافرين، وضرب الأمثال للحالين ببعثة الرسل السابقين وما لقوا من أقوامهم مثل قوم موسى وقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط، والتوكل على الله، والثناء على المؤمنين به، ومدح خصالهم ومزايا أخلاقهم، والإشارة إلى عذاب قريب يحل بالمكذبين(١)، وانتظامُ أولِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال في ختم تلك السورة: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقال في افتتاح هذه السورة: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وانتظام السورتين: أن تلك السورةَ في معرفة اللَّه وصفاته، وذكرِ الكفر وبطلانه، وبيان العبادة والمعاملة والوعدِ والوعيد، وهذه السورة كذلك، إلا أن تلك ذكرُ المعاملة فيها أكثرُ لأنها مدنية، وبيان التوحيد في هذه السورة أكثر لأنها مكية(٢).

(١) - ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾: قيل: عَظُم، وقيل: تعالى، وقيل: كَثُر

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٣١٥).

(٢) الكشف والبيان (٧/ ١٢٢)، والبيان في عد آي القرآن (١/ ١٩٤).

خيرُه، وقيل: دام بِرُّه، وقيل: تبارك اسمُه. الذي أوحَى القرآن ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: أي: إلى عبده المصطفى محمدٍ ﷺ. ﴿لِيَكُونَ﴾ الله، وقيل: ليكون عبده، وقيل: ليكون الفرقان. ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: لأهل الدنيا كلها، وقيل: للقرون كلها إلى يوم القيامة ﴿نَذِيرًا﴾ مخوِّفًا بالقيامة وما فيها لمن خالفه.

(٢) - ﴿الَّذِى لَهُۥ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: على الخُلوص، هو الذي خلقهما فلا شريكَ له فيهما. ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: كما تقول اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، والنصارى: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ومشركو العرب: الملائكة بنات الله. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ﴾: كما يقوله المشركون: إن الأصنام آلهة. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾: وحده، لا كما تقوله المجوس والثَّنويةُ: من النور والظلمة، والمعتزلةُ: أن الأفعال مخلوقة العباد. ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾: أي: هيَّأه على ما أراد، لم يمتنِع عليه شيءٌ، ولم يتغير إلى زيادة ونقصان. أي: فوحِّدوه وأطيعوه، فهو المنفرد بالألوهية والربوبية، والملك والخلق، والتقدير والتدبير، ولا تكونوا كالمشركين، وهم الذين ذكرهم من بعدُ، وهو قوله:

(٣) - ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾: أي: وجعل المشركون لأنفسهم سوى اللهِ آلهةً من الأصنام يعظِّمونها ويحبونها وهي جمادٌ لا قدرة لها، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أنْ يدفعوه عن أنفسهم ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ يجرُّونه إليها ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ إماتة أحدٍ، ولا إبقاءَه حيًّا، ولا إنشاءه بعد موته، والله تعالى يقدر على ذلك كلِّه.

(٤) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾: أي: ما هذا الذي جاء به محمد الذي يزعُم أنه من عند اللَّه إلا كذبٌ اختلَقه واخترعه من عند نفسه.

﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾: أي: اليهود. وقيل: أي: عبدٌ حبشيٌّ كان لابن الحضرمي، وكان كاهنًا في الجاهلية. وقيل: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على اختلاقه ﴿قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ قرؤوا الكتب المتقدِّمة وأقاصيصَ الأولين. وقال اللَّه تعالى في ردِّهم: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾: أي: أتَوا جَورًا وكذبًا، ووضعوا التكذيب غيرَ موضعه. وقيل: هو من كلام المشركين في صفة النبيِّ ﷺ والقومِ الآخرين؛ أي: جاؤوا بكلامٍ هو ظلمٌ وزورٌ، والزُّور: القول المائل عن القصد.

(٥) - ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: هو أقاصيصُ المتقدِّمين وما سطَروه.

﴿اكْتَتَبَهَا فَهِيَ﴾: أي: كتبها محمد عن اليهود وغيرهم. ويقال: ﴿اكْتَتَبَهَا﴾؛ أي: كتبها من ذاته. وقيل: معناه: طلب كتابتها من غيره. ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أي: طرفي النهار، فيحفظ ما يُملى عليه ثم يَتلُوه علينا.

(٦) - ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يعني: أن القرآن لَمَّا كان مشتمِلًا على علمِ كثيرٍ من الغيوب التي يستحيل في مجرى العادات أن يعلَمها محمد ﷺ من غيرِ تعليم، دلَّ ذلك على أنه مِن عندِ مَن يَعلم الغيوب وهو اللَّه تعالى، ولو كان مأخوذًا من اليهود لم يزد على ما في كتبهم، ولو اختلقه من عند نفسه لأَمْكَنهم مثلُه. ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: يستر على عباده ذنوبَهم، ويرحمُهم فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويُعْذِر إليهم بإقامة البراهين ومواتَرة المرسَلين[١].

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٤٠٠)، التيسير في التفسير (١١/ ١٩٢).

(٧) - ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾: أي: وقال هؤلاء المشركون: ما لهذا الذي يزعم أنه رسول؟، أطلقوا له الاسم إما استهزاء أو بناءً على زعمه ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ كما تأكل البشر، ويخرج منه كما يخرج من البشر، أنكروا أن يكون البشر رسولًا؛ كما قالوا: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]. ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ كما يمشي الناس، فأي فضل له علينا؟! ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾: أي: هلَّا أنزل على محمد ملكٌ ﴿فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾؛ أي: نبيًّا معه ينذر كما ينذر هو، فيكونَ إنذار الملك معه تصديقًا له وشهادةً على نبوته.

(٨) - ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾: أي: ينزل عليه من السماء كنزٌ فيقسمه بيننا. وقيل: ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ من الأرض فيستغنيَ به، فإنه إنما يَفعل ما يفعل طلبًا للدنيا والرياسة. ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾: أي: بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ ويَتمتَّع بنعيمها؛ أي: لا ينبغي أن يكون الفقير نبيًّا. ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾: أي: هؤلاء المشركون ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾؛ أي ما تتَّبعون أيها المؤمنون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ سحرته الشياطين فهو لا يعقل ما يقول[1].

(٩) - ﴿انْظُرْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾؛ أي: وصفوا لك الأشباه من المفترِي والمملَى عليه والمسحورِ ﴿فَضَلُّوا﴾؛ أي: تحيَّروا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾؛ أي: فلا يجدون لقولهم نفاذًا إلى شيء يَستقرُّ عليه. وقيل: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾؛ أي: إلى إبانة ما يكون قدحًا فيك.

(١٠) - ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾: أي: تعالى

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٧)، وتفسير السمعاني (٣/ ٢٠٢)، ومعالم التنزيل (٥/ ٤٤).

وتقدَّس اللَّه الذي إن شاء جعلَ لك خيرًا من الجنة الواحدة التي قالوها، والكنزِ الذي ذكروه: ﴿جَنَّاتٍ﴾: أي بساتين في الدنيا كثيرةً ﴿تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ أي: تمر في أصول أشجارها المياه في أنهارها. ﴿وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾: تسكنها، وهي المساكن الكبار العالية كما قد آتى سليمانَ وغيرَه، وهو قادر على ذلك لكنْ لا موضعَ للتعظيم بالدنيا والتكثيرِ بزهرتها، والتقلُّلُ منها أَلْيَقُ برتبة النبوة.

(١١) - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾: في أوله إضمار؛ أي: ما كذَّبوك لأنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وليس لك كنز ولا جنةٌ ولم ينزل معك ملكٌ، لكنهم يكذِّبون بالقيامة وما فيها من الجزاء، فركَنوا إلى الدنيا واستثقلوا ما جئتَهم به من الشرائع لتكذيبهم بالثواب والعقاب. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾: أي: وقد أعدَدْنا لمن جحد بها نارًا تستعِر فيهم.

(١٢) - ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: قيل: من مسيرةِ مئة سنة، وقيل: خمسِ مئة سنة. ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾: قيل: أي: إذا ظهرت لهم. ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾؛ أي: للنار ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ عليهم؛ أي: صوتَ غليانٍ وفورانٍ والتهابٍ كالتهاب الرجل المغتاظ، وهي كما قال: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]؛ أي: تتقطَّعُ غيظًا عليهم.

(١٣-١٤) - ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ﴾: قُرِنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. وقيل: أي: قُرِن كلُّ رجلٍ بشيطانه. ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: أي: نادوا: واويلاه واثُبوراه واهلاكاه. ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾: أي: يقول لهم الملائكة ذلك، وليس هذا أمرًا لهم به لكنْ بيان أنهم وإن

أكثَروا من ذلك لم يتخلصوا[١].

(١٥) - ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ﴾: أي: قل يا محمد ﷺ: أمَا سلف من ذكر النار خيرٌ ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾؟: وعَدها الله الذين يتقون الشرك والمعاصي. ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً﴾: على أعمالهم بوعد الله ﴿وَمَصِيرًا﴾؛ أي: مرجِعًا يرجعون إليه.

(١٦) - ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾: أي: ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ به الأعين ﴿خَالِدِينَ﴾ فيها لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها. ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا﴾: أي: كان خلودهم فيها ومصيرُهم إليها وعدًا على ربك؛ أي: وعدًا حقًّا، كما قال: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [التوبة: ١١١]. ﴿مَسْئُولًا﴾: اي: كانوا يَسألونه في الدنيا بقولهم: ﴿وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]. وقيل: هو سؤال الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غافر: ٨]. وقيل: هو أمر بالسؤال؛ أي: وعدتكم ذلك وأنا منجزُه لا محالة، فسلوني ذلك[٢].

(١٧) - ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: أي: واذكر يا محمد ﷺ يومَ نحشرهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأنبياء والملائكة، و﴿وَمَا﴾ بمعنى (من)، وهو كقوله: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]. ﴿فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ أي: المشركين حتى عبدوكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾؛

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٤١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٦٦٩).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٦٦٨) والكشف والبيان (٧/ ١٢٦)، والتيسير في التفسير (١١/١٩٩).

أي: أأنتم زينتُم لهم ذلك بإدخال الشُّبَه؟، وهو استفهام بمعنى التقريع.

(١٨) - ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: أي: أنت منزه عن الشركاء ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا﴾؛ أي: لا يجوز لنا ولا يصلح ﴿أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: إنَّا لم نأمر هؤلاء بعبادتنا فنكونَ بذلك قد اتخذناهم لنا أولياء؛ لأنَّهم إذا والَونا بأمرنا فقد واليناهم نحن وصار بعضُنا أولياءَ بعض. ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾: تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن، وقيل: ما عبدونا بأمرنا، لكنْ لمَّا طال عمرهم وعمرُ آبائهم في الدنيا ممتَّعين بالجاه والمال والصحة نسُوا ذكرك فأشركوا بك وعبدوا غيرك. ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾: أي: صاروا قومًا هلكَى، وقيل: كانوا في سابق القضاء كذلك. والبور: قيل: هو جمع بائرٍ، من البَوَار وهو الهلاك، وهو كقولهم: هائدٌ وهُود، وحائلٌ وحُول.

(١٩) - ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾: أي: كذب المعبودون العابدين ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: الكفار ﴿صَرْفًا﴾ للعذاب عن أنفسهم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾: ولا منعًا لمن يعذِّبهم، وقد أَيِسوا من شفاعة معبودهم ونصرتهم، ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ أي: يشرك بعد إيمانه ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ في الآخرة لا يجد له ناصرًا فاستديموا على إيمانكم فإنهم لا يستطيعون صرفكم عن الحق الذي أوضحه اللّه تعالى لكم.

(٢٠) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾: وهذا ردٌّ لقولهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾. يقول: وما أرسلنا قبلك أحدًا من المرسلين إلى الأمم إلا وهم كانوا بشرًا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وذلك

أَدْعى إلى الموافقة، وأسمعُ لِمَا يُلقى إليه للمناسبة. ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾: فتُؤْجَروا، أو لا تصبرون فتعاقَبوا؛ أي: محنةً؛ أي: الدنيا دارُ ابتلاء وامتحان، فلا بد من المخالفة بين أحوال أهلها، وإحواجِ بعضهم إلى بعضٍ، وتفضيل بعضهم على بعضٍ؛ ليشكر الفاضل ويَصبر المفضول، فمِن غنيٍّ وفقير، ورئيس ومرؤوس، ثم كلُّ بشرٌ، فكذلك رسولٌ ومرسَلٌ إليه وكلٌّ بشرٌ، والرسول ممتحَنٌ بالشكر على ما أُوتي من الرتبة، وبالصبر على تحمُّل أعباء الرسالة، والمرسَل إليه ممتحَنٌ بالانقياد له والطاعةِ لأمره. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾: بصيرِ مَن صبَرَ وجَزَع مَن جَزِع، وقيل: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يَصلُح للرسالة، وبما ينبغي أن يُدبَّر كلٌّ منهم من غني وفقير[1].

(٢١) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: أي: الذين لا يؤمنون بالبعث ولقاءِ اللّه في الآخرة، فلم يَعملوا خيرًا يرجوننا به إذا لَقُونا يوم القيامة. وقيل: لا يخافون عذابنا، وقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: لا تخافون للّه عظَمةً. ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾: أي: هلَّا أَنزل اللّه علينا الملائكة. ويحتمل أن يكون معناه: هلا جُعلَ الرسولُ من الملائكة دون البشر، ويحتمل: هلا أنزلهم علينا فيَشهدوا أن محمدًا محقٌّ في دعوى الرسالة ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ عِيانًا فيخبرَنا هو برسالته. ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: لقد تعظَّموا في نفوسهم حتى تحكَّموا على اللّه تعالى هذا التحكُّمَ ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾؛ أي: وتمرَّدوا غايةَ التمرُّد في ردِّ حُجج اللّه تعالى. والعتوُّ: بلوغ النهاية في تركِ قبول

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ١٢٨)، ومعالم التنزيل (٦/ ٧٧).

الوعظ والحجة حتى يقعَ اليأس عن صلاحه[(١)].

(٢٢-٢٣) - ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾: أي: إنهم لا يرون الملائكة في الدنيا، وإنما يرونهم في الآخرة حين يبشِّرونهم بالعذاب. ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: لا خبر يبشِّرهم ويظهر استبشارهم في بشرة وجوههم ﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ أي: تقول الملائكة لهم: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾؛ أي: حرامًا محرَّمًا عليكم أن تكون لكم البشرى، إنما البشرى للمؤمنين. وقيل: ﴿حِجْرًا﴾ كلامُ المجرمين و﴿مَحْجُورًا﴾ كلام الله تعالى؛ أي: مُنِع هذا الكلام أن ينفعهم. ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ﴾: أي: أبطَلْنا جميعَ أعمالهم لكفرهم، ﴿هَبَاءً﴾؛ أي: غبارًا، ﴿مَنْثُورًا﴾: مفرَّقًا لا يمكن جمعُه.

(٢٤) - ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا: أي: يستقرُّون في الجنة بعد الفراغ من العرض والحساب ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ظاهره: موضع القيلولة، ولا نومَ في الجنة، ويراد به الاستراحةُ في ذلك الوقت، وليس في الجنة بكرةٌ وعشيٌّ وظَهيرةٌ لكن يؤتَون بالأرزاق على مقادير الأوقات المعهودة في الدنيا، ويستريحون في مثل أوقات الدنيا[(٢)].

(٢٥) - ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾: هو يومُ القيامة، و﴿تَشَقَّقُ﴾ أصله: تتشقَّق، حُذفت إحدى التاءَين تخفيفًا، و﴿السَّمَاءُ﴾؛ أي: السماوات

---

(١) معاني القرآن للأخفش (١/ ١١٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٦٢)، وجامع البيان (١٧/ ٤٢٦).

(٢) التيسير في التفسير (١١/ ٢٠٧).

﴿بِالْغَمَامِ﴾ هو فوق السماوات السبع، وهو سحابٌ أبيضُ غِلَظُه كغِلَظ السماوات السبع، ويمسكه اللَّه تعالى اليوم، وثقلُه أثقلُ من ثقل السماوات. فإذا أراد اللَّه ﷻ أن تَشَقَّقَ السماوات ألقى ثقلَه عليها فانشقَّت، فذلك قوله: ﴿بِالْغَمَامِ﴾؛ أي: بثقل الغمام فظهر الغمام. ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ في الغمام بنزوله، وذلك قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]؛ أي: بظللٍ من الغمام فيه الملائكةُ، ونزولُهم لمحاسبة الخلق.

(٢٦-٢٨) - ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾: أي: المُلْكُ الحقُّ يوم القيامة ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾: لِما ينالهم من الأهوال والتشديدِ في السؤال، ثم الخزيِ والنكال، ثم النارِ والأغلال. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾: قيل: هو في حقِّ كلِّ مشرك، يَعَضُّ على يديه تحسُّرًا، ﴿يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾: أي: مع محمدٍ ﷺ، وُصْلةً بالإيمان به وسلوك طريقه. ﴿يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾: أي: أحدًا خالَف الرسول ﴿خَلِيلًا﴾؛ أي: صديقًا، و(فلان) عندهم كنايةٌ عن واحدٍ مجهول، وهو مستعمل في كلامهم، يقول الرجل لآخر: ما تصنعُ بصحبة فلانٍ وفلانٍ.

(٢٩) - ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾: أي: الإيمانِ بالقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ من اللَّه بإنزاله على رسوله وتبليغه إلينا. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾: أي: يَخذلُ أولياءه يوم القيامة ويتبرَّأ منهم[(١)]، قال تعالى: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ [الحشر: ١٦]، وقال تعالى:

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٤٤٢)، ومعالم التنزيل (٦/ ٨١).

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ الآية [إبراهيم: ٢٢].

(٣٠-٣١) - ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾: أي: متروكًا لا يسمعونه ولا يتدبَّرونه ولا يعملون بما فيه، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾: أي: كما يُعاديك هؤلاء المشركون ويقولون فيك ما يقولون، فكذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ قبلك عدوًّا من المجرمين مثلَ أعدائك من الكافرين، فصبروا ففازوا، فاصبر أنت تَفُزْ أيضًا. ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾: أي: حسبُك اللَّه موفِّقًا لك للحق، كافيك به وناصرًا لك على أعدائك[١].

(٣٢-٣٣) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾: وهذا طعنٌ آخرُ منهم، قالوا: هلا نزِّل على محمد ﷺ هذا القرآن دفعةً واحدةً مجتمعًا كلُّه. ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: أي: كذلك أنزلناه متفرقًا، وكذلك نُنزله لنُحْكِمه حفظًا في قلبك، فيكون فؤادُك ثابتًا به غيرَ مضطربٍ. ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾: أي: أتينا به شيئًا بعد شيء بتمهل وتؤدة لتيسير فهمه وحفظه[٢]. ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾: أي: لا يأتيك هؤلاء المشركون بمثَلٍ؛ أي: شيءٍ يماثل ما كان من الأمم السالفة من محاجَّةِ أنبيائهم وتعنُّتِ رسلهم ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: أي: أتيناك بما يحقُّ أن يُؤتى به، دون الباطل الذي لا حقيقة له. ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: أي: أحسن بيانًا مما عند هؤلاء السائلين؛ لأنهم لم يكونوا فيما يسألونه يعرفون من تلك الأمور مثلَ الذي كان اللَّه يُعرِّفه نبيَّه ﷺ، وكان التحريف قد غلب على أهل الكتاب،

---

(١) والكشف والبيان (٧/ ١٣٠)، والوسيط (٣/ ٣٣٩).

(٢) تفسير الجلالين(١/ ٤٧٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٤).

فكان المشركون يرجعون إليهم ويأخذون منهم ثم يسألون النبيَّ ﷺ، وهو يخبرهم على الوجه الذي أخبره الله تعالى به، فكان أحسنَ تفسيرًا مما هم يذكرونه.

(٣٤) - ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾: أي: هؤلاء المشركون الذين يعادُونك ويتعنَّتونكَ يمشُّون يومَ القيامة على وجوههم خزيًا ونكالًا لهم، وسئل النبي ﷺ: كيف يمشُّون على وجوههم؟ فقال: "إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشِيَهم على وجوههم"(١)، وقيل: يُسحبون على وجوههم إلى النار؛ كما ورد ذلك في آية أخرى. ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ في الآخرة فإنهم في النار ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ عن الجنة، وقيل: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾: منزلةً في الدنيا، وأضلُّ عن طريق الحق، كما قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾ [يوسف: ٧٧].

(٣٥ -٣٦) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: يقول: لستَ أولَ نبيٍّ كذِّب، بل قد أعطينا موسى التوراةَ ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ أي: معينًا. ﴿فَقُلْنَا﴾: أي: لهما: ﴿اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: فرعونَ وقومِه. ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾: أي: قد ذهبا إليهم فدعَواهم فعصَوهما فأهلكناهم إهلاكًا بالغرق في اليم.

(٣٧) - ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا﴾: أي: ودمَّرنا قوم نوح لما كذَّبوا ﴿الرُّسُلَ﴾؛ أي: نوحًا ومَن قبله، ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾: أي: بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾؛ أي: لمن بعدهم علامةً على قدرتنا وربوبيَّتنا وانتقامنا ممن كذَّب الرسل؛ لأن الطوفان عمَّ الدنيا كلَّها، فصار عبرةً للكل. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا

---

(١) روى نحوه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿أَلِيمًا﴾: أي: وكذلك هيَّأنا لكلِّ ظالمٍ نفسَه بالكفر بي وبرسلي عذابًا شديدًا مؤلمًا.

(٣٨) - ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ﴾: أي: ودمَّرنا عادًا قومَ هود وثمودَ قومَ صالح. ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ اسم بئر ونبيهم قيل شعيب وقيل غيره كانوا قعودًا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم، وقيل: هم الذين بُعث إليهم صاحبُ (يس) حبيبٌ النجارُ، المذكورُ في قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤]، فقذفوه في بئرٍ بأنطاكيةَ ورسُّوه بالحجارة؛ أي: أثبتوه فيها بها، وقيل: هم قرية من ثمود. وقيل: الرسُّ: البئر غيرُ المطويَّة. ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: أقوامًا وأممًا كثيرة بين عاد وأصحاب الرس(١).

(٣٩) - ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾: أي: وصفنا له الأشباهَ من الأمم التي كانت قبلهم فأُهلكت بتكذيب الأنبياء، فحذَّرنا كلَّ أمةٍ أن ينزل بها ما نزل بمن كان قبلها. ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾: أي: أهلكنا إهلاكًا. وهذا كلُّه تعريفٌ للنبي ﷺ أن الأنبياء قبله قد لقُوا من أممهم نحوَ ما تَلْقاه، وأن اللَّه تعالى جاعلٌ العاقبةَ المحمودة له على مَن كذبه؛ تطييبًا لنفسه وتثبيتًا لقلبه(٢).

(٤٠) - ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾: أي: هؤلاء المشركون قد أتوا في أسفارهم على قريةِ قوم لوط وهي سَدُومُ، أُمطر أهلُها الحجارة عقوبةً لهم على معصيتهم نبيَّهم لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وارتكابهم الفاحشةَ بإتيان الذُّكران، وغيرِ ذلك. ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾: يَعتبِروا بها؛ أي: فكان ينبغي لهم أن يؤمنوا

---

(١) الدر المنثور (٦/ ٢٥٧)، وجامع البيان(١٧/ ٤٥٢)

(٢) جامع البيان (١٧/ ٤٥٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٩٥)، ومجاز القرآن (٢/٢٢٣).

عند مشاهدةِ تلك الآيات. ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾: أي: قد رأوا هذه القرية وسمعوا بخبرها، ولكنهم كانوا لا يخافون الآخرة، ولا يرون ثوابًا ولا عقابًا، فلِكفرهم بالبعث أصرُّوا على تكذيب محمد ﷺ ولم يعتبروا بأولئك.

(٤١) - ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: أي: ما يتَّخذونك إلا سخريةً لا يَرَونك أهلًا للتعظيم، ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾؛ أي: بعثه اللَّه رسولًا إلى خلقه. نزلت في أبي جهل لعنه اللَّه تعالى، كان إذا مرَّ بالنبي ﷺ يقول: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾[١].

(٤٢) - ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾: أي: قد كاد يضلُّنا، وقيل: ما كاد إلا ليُضِلَّنا. ﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾: أي: قارَبَ أن يصرفنا عنها وعن عبادتها بالسحر الذي أتى به، والخدع الذي يزعم أنها آيات من عند اللَّه تعالى ﴿لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾؛ أي: لولا حبسُنا أنفسَنا على عبادتها وتركُنا الإصغاءَ إلى ما يدعونا إليه محمدٌ لقارَبَ محمد أن يصرفنا عنها إلى إلهه. عدُّوا عبادتَهم الأصنام رشادًا، واعتقدوا صرفهم عنها ضلالًا، فأوعدهم اللَّه تعالى فقال: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أي: عن قريبٍ يعلمون إذا رأوا العذاب في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما، مَن أضلُّ سبيلًا أهم أم مَن كان يدعوهم إلى تركها؟

(٤٣) - ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾: أي: ما يهواه، نزلت في الحارث بن قيس السَّهْميِّ كان تَبُوعًا لهواه يتَّخذ صنمًا يعبدُه ثم يرمي به فيتخذُ سواه، فهذا كان دأبَه[٢].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٣٥)، التيسير في التفسير (١١/ ٢٢٠).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٣٥)، والنكت والعيون (٤/ ١٤٦) والبسيط (١٦/ ٥١٢).

﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: أي: أرأيتَ مَن عبَد ما يهواه من غيرِ حجةٍ ولا دليل، أفأنت تكون عليه موكَّلًا فتصرفَه عن الهوى إلى الهدى؟ عرَّفه أنه ليس بمقدورٍ للنبيِّ ﷺ، بل هو المنفرد به، إذا شاء فعله بمن شاء، وأنه ليس عليه إكراههم على الإسلام بل عليه التبليغ لا غير.

(٤٤) - ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾: أي: أم تتوهَّم أن أكثر هؤلاء المشركين يعملون عمل مَن يسمع، أو يعقلون عقلَ مَن يَعقل، و(أم) لا تكون إلا بعدَ ألف الاستفهام، وهو ثابت هاهنا تقديرًا: أتعلم أنهم يسمعون أو يعقلون أم تحسبُ ذلك منهم؟. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾: أي: لا تحسبْ ذلك منهم فما هم إلا كالبهائم ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ منها؛ لأن البهائم إن لم تعتقِد صحةَ التوحيد والنبوَّة لم تعتقِد بطلانها، وهؤلاء يعتقدون بطلانها.

(٤٥) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾: أي: ألم تعلم؟، وهو استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: قد علمتَ أن ربك مد الظل؛ أي: قد شاهدتَ الظلَّ كيف مدَّه اللَّه تعالى؛ أي: بسطه فعمَّ الأرض، وذلك من حين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإن الظلَّ مُطْبِقٌ للأرض من غير شمسٍ ولا ليل، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾: أي: مستقِرًّا دائمًا لا تَعقبه الشمس فتَنسخَه. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾: أي: نسخناه بالشمس، ثم جعلنا زوال الظل بالشمس دليلًا على أنه مِن خَلْقنا نوجدُه إذا شئنا ونُعدمه إذا شئنا.

(٤٦) - ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾: أي: قبضنا ذلك الظلَّ الممدود؛ أي: أخذناه إلينا؛ أي: إلى حيث أردنا قبضه من الأرض. ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾: أي: قليلًا قليلًا شيئًا

بعد شيء، بطلوع الشمس شيئًا فشيئًا. وقيل: قبضه بغروب الشمس؛ لأنَّها ما لم تَغرب فالظلُّ فيه بقية، وإنما يَتمُّ زواله بمجيء الليل، وعلى هذا قولُه: ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾؛ أي: سهلًا علينا لا مؤنةَ فيه علينا وقيل: ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾؛ أي: سريعًا.

(٤٧) - ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: أي: سترًا وغطاءً للأشياء كلها بظلامه، فتسكن الأشياء فيه ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾؛ أي: راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال، والسَّبْت: القطع. ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾: أي: حياةً من موت المنام لتنتشر الناس فيه لمعاشهم؛ كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١]، وكان النبيُّ ﷺ إذا أصبح قال: "الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور"(١).

(٤٨) - ﴿وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾: بالباء مضمومةً من البشارة، ﴿نُشُرًا﴾ بضم النون والشين وهي جمعُ نَشُورٍ؛ أي: ناشراتٍ للغيم تَنْشرُه وتَبسطُه في السماء بحركتها كما يُنشر الشيء المطويُّ(٢). ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾: أي: مطرِه، وهو من بيان قدرته ونعمته أيضًا. ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾: نقل الكلام من المغايبة إلى الإخبار عن نفسه بخطاب الملوك جمعًا، وهو من وجوه تصريف الكلام. والطهور مبالغةٌ في الطهارة، وقيل: هو ما يُتطهَّر به؛ كالوَضوء ما يُتوضأ به، والسَّحور والفَطور والوَقود كذلك.

(٤٩ - ٥٠) - ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾: بإنبات النبات وإخراج الثمار.

---

(١) رواه البخاري (٦٣١٢) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه أيضًا (٦٣٢٥) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٢٧١١)، من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) السبعة (١/ ٤٦٥)، والتيسير (١/ ١١٠)، والتيسير في التفسير (١١/ ٢٢٤).

﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾: جمع إنسيٍّ؛ أي: نمكِّنهم من أن يشربوه ويَسقوا به دوابَّهم. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾: قيل: أي: صرَّفنا الماء الطهور وهو المطر؛ أي: قسَّمناه بين العباد فجعلناه سنَةً لهؤلاء وسنَةً لهؤلاء، ينقصر حولًا لقوم ويزاد لقوم. ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: بالتشديد والتخفيف، ؛ أي: ليتذكَّروا نعمتي فيشكروا لي، ومعناهما الذِّكر والتذكُّر بالقلب، وقيل: الذكر: الشكر باللسان، والتذكُّر: تكلُّف إحضار القلب بالذكر. ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: كفرًا بالبعث، وعلى هذا تصريفُه أمطارَه في كلِّ البلاد مرةً هاهنا ومرةً هاهنا ليَشترك الكلُّ في التذكُّر به، وقيل: ولقد صرَّفنا الذكرَ في القرآن في السور كلِّها بين الناس ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾؛ أي: ليتَّعظوا وينتهوا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ بالنعم وكفرًا بالمنعم.

(٥١-٥٢) - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾: أي: ولو شئنا لأرسلنا في كلِّ مصرٍ نبيًّا، ولكن لم نفعل فجعلناك نذيرًا للجميع، فاشكر نِعَم الله عليك. ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾: أي: بالقرآن؛ أي: حاجَّهم وجادِلْهم به وقرِّعهم بالعجز عنه. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ تكثيرًا للآيات، ولكنَّا أقمنا بك وحدك الدلالات، فلا تُطِعْ مَن كذَّبك، بل جاهدهم بالقرآن فقد لزمتْهم الحجةُ؛ ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾: أي: بليغًا؛ وقيل: ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾؛ أي: عظيمًا موقعُه عند الله.

(٥٣) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: وهو بيانُ نعمته وقدرته أيضًا؛ أي: أجراهما وأرسلهما في الأرض ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾؛ أي: أحد

البحرين عذبٌ؛ أي: طيبٌ فرات؛ أي: شديد العذوبة، والآخر ﴿مِلْحٌ﴾: فيه ملوحةٌ ﴿أُجَاجٌ﴾: مرٌّ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: أي: حاجزًا ﴿وَحِجْرًا﴾؛ أي: سترًا مانعًا ﴿مَّحْجُورًا﴾؛ أي: مستورًا ممنوعًا.

(٥٤) - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾: وهذا أيضًا بيانُ قدرته ونعمته. ﴿مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ قيل: خلق آدم من الطين وأصله الماء ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ آدمَ ﴿وَصِهْرًا﴾ حواء، وقيل: ﴿خَلَقَ مِنَ﴾ النطفة ولدَ آدم ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾؛ أي: قرابةً ﴿وَصِهْرًا﴾؛ أي: مصاهرةً، وهي الوصلة بالنكاح، مَنَّ بالأنساب لأن التقارب والتواصُل يقع بها، ومنَّ بالمصاهرة لأن التوادَّ والتوالُدَ يكون بها. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: على كلِّ شيء.

(٥٥) - ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾: أي: اللَّه تعالى مالكُ النفع والضر، وهؤلاء المشركون بجهلهم يعبدون مِن دونه جمادًا لا ينفعهم إنْ عبدوه ولا يضرُّهم إن تركوا عبادته. ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾: أي: مُعينًا للشيطان، والمظاهرة: المعاونة، ومعنى ﴿عَلَىٰ رَبِّهِ﴾: على معصية ربه ومخالفةِ أمره، يعني: إن الكافر إذا أتى بالكفر والمعاصي كان مُعينًا للشيطان على الإصرار على الكفر والاستكبار[١].

(٥٦ - ٥٧) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾: أي: للموافق ﴿وَنَذِيرًا﴾ للمخالفين. ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: أي: على التبليغ، وقيل: على التبشير. ﴿إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: أي: إلا مَن شاء أن يتخذ إلى

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦١١)، وجامع البيان(١٧/ ٤٧٨).

ربِّه قربةً بإجابته فليَفعلْ والاستثناء منقطِع بمعنى (لكن)، وقيل: اتخاذُ السبيل إلى اللَّه تعالى هو الإيمانُ به.

(٥٨) - ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ﴾: بالتبليغ، فإنه يعصمك ويحرسك. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾: أي: نزِّه اللَّه تعالى عما يصفُه به هؤلاء واحمده؛ أي: صِفْه بصفاته الحميدة. وقيل: أي: صلِّ للَّه تعالى حامدًا له فيها. ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾: أي: عالمًا بمعاصي هؤلاء المشركين، فهو يجزيهم عليها.

(٥٩) - ﴿الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن في لمحة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة سرير الملك: وهذا كلُّه صفة قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ﴾. وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾: أي: هو الرحمن، أو: ثم استوى الرحمن على العرش، أو: كان ربُّك الرحمن قديرًا، وهو بدل من ضمير استوى أي استواء يليق به ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾: قيل: فاسأل يا محمدُ الرحمنَ عن ذلك، فإنك تسألُ خبيرًا بما خلَق، و﴿خَبِيرًا﴾ مفعولُ (سل)، و﴿بِهِ﴾ بمعنى: عنه؛ كما قال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾؛ أي: عن عذابٍ، والخبير صفةُ اللَّه تعالى(١).

(٦٠) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾: أي: صلُّوا للَّه تعالى واخضَعوا لأمره. ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾: أي: لا نعرف الرحمنَ فنسجدَ له ﴿أنسجدُ لِمَا تَأْمُرنا﴾ بالتاء؛ أي: لما تَأمرنا به يا محمد؟ استفهام بمعنى الاستنكار. وبالياء أي:

---

(١) روح المعاني (١٩/ ٨٦)، والتيسير في التفسير (١١/ ٢٣٢).

يأمرنا به محمد من غير أن نعرفه[١]. ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾: أي: زادهم هذا الأمرُ شرودًا عن الإسلام.

(٦١) - ﴿تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾: قيل: قصورًا. وقيل: هي البروج الاثنا عشرَ المعروفةُ: الحَمَل، والثَّور، والجَوْزاءُ، والسَّرَطان، والأسدُ، والسُّنبلةُ، والميزانُ، والعَقْربُ، والقَوْس، والجَدْيُ، والدَّلْو، والحُوت. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾: أي: في جملتها شمسًا، فهي من البروج؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[نوح: ١٦] ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ بالليل. ومَن قرأ: ﴿سُرُجًا﴾ فهي النجوم التي يُهتدَى بها، فهي كالمصابيح[٢].

(٦٢) - ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾: قيل: أي: مختلفَين؛ يجيء هذا ويذهب ذلك، ويجيءُ ذاك ويذهب هذا، ولم يجعل منهما واحدًا سرمدًا نهارًا لا ليلَ له، وليلًا لا نهار له، ليَعلم الناسُ عددَ السنينَ والحسابَ، وليكون للانتشار في المعاش وقت معلوم، وللقرار والاستراحة وقتٌ معلوم، وفيه تنبيه على قدرته ونعمته، وذلك قوله: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾: أي: يتذكر بذلك ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾؛ أي: أراد شكر الله تعالى بما أنعم عليه.

(٦٣) - ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾: ثم وصف أولياءه بعدما ذكر في كلِّ السورة أعداءه، فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾؛ أي: وعباد الله الذين رضي الله بهم عبادًا، وخصَّهم بإضافتهم إليه بالعبودية تشريفًا لهم ورفعًا لأقدارهم؛ كما يقال: بيت الله،

---

(١) السبعة (١/ ٤٦٦)، والتيسير (١/ ١٦٤).

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي. السبعة (١/ ٤٦٦).

وناقة اللَّه، وشهر اللَّه. ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾: إذا خرجوا يمشون بين الناس بما لا بد لهم من معاشٍ وقضاءِ حقٍّ وحضورِ جماعة يمشون في لِينٍ ووقارٍ وسكونٍ وتواضعٍ، لا بمرحٍ، ولا تحريكِ أعطافٍ ودقِّ أقدام على الأرض، فهذا مشيٌ ممدوح، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾: الجاهلون: الكفار والعصاة، و﴿سَلَامًا﴾؛ أي: سَدادًا من القول؛ أي: إذا خُوطبوا بما يكرهونه لم يجيبوهم بمسافهةٍ ومشاتمةٍ، بل صانوا أنفسَهم عن ذلك وأجابوهم بالذي يسلَمون به من أذاهم ومن معصية اللَّه تعالى.

(٦٤ - ٦٥) - ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾: أي: يُمضون لياليهم متهجِّدين للَّه تعالى قيامًا على أرجلهم في موضعِ القيام، وسجَّدًا في موضع السجود، ومع ذلك يخافون اللَّه تعالى، وذلك قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾: قيل: هلاكًا، وقيل: دائمًا لازمًا، وقيل: شديدًا(١).

(٦٦ - ٦٧) - ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾: أي: إنَّ جهنم بئسَ موضعُ قرارٍ وموضعُ إقامةٍ، والاستقرار أقل من الإقامة، وجهنم مستقرٌّ للعصاة ومقامٌ للكفار. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: السَّرَف: مجاوزةُ الحد في النفقة، والإقتار: التقصيرُ عما لا بد منه وهذا من صفات عباد الرحمن أيضًا. ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾: أي: بين ذَينك ﴿قَوَامًا﴾؛ أي: عدلًا، والقَوَام بالفتح: العدل، والقِوَام بالكسر: العماد يقال: هذا قِوَامُ الأمر ونظامُه ومِلاكُه، وهذا في المطعم والمشرب

(١) النكت والعيون (٤/ ١٥٥)، والتيسير في التفسير (١١/ ٢٣٦).

والملبس وكلِّ شيء. وقيل: أي: لم يتكلَّفوا فوق الطاقة، ولم يقصِّروا عن الحاجة.[١]

(٦٨) - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾؛ أي: لا يُشركون ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: وهي النفس المسلمة والذِّمِّية ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بقِصاصٍ أو رجمٍ أو قتلٍ على رِدَّة. ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾: قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال رجل: يا رسول الله! أيُّ الذنب أكبر؟ قال: "أنْ تجعل لله نِدًّا وهو خلَقك"، قال: ثم أيّ؟ قال: "أن تقتل ولدك خشيةَ أنْ يأكل معك"، قال: ثم أيّ؟ قال: "أن تُزانيَ حليلةَ جارك"، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية[٢].

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: أي: هذه الأشياء الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾؛ أي: بجزاء إثمه، وقيل: الأثام: العقاب، وقيل: الأثام: النَّكال.

(٦٩) - ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: يُعذَّب على مرور الأيام في الآخرة عذابًا على عذابٍ. وقيل: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ لاجتماع هذه المعاصي الثلاثة، فيكون لكل معصيةٍ قسطٌ ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾؛ أي: يبقى في العذاب ﴿مُهَانًا﴾؛ أي: مذَلًّا مستخَفًّا به.

(٧٠) - ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾: أي: رجع عن ذلك ﴿وَآمَنَ﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾؛ أي: أتى بالطاعات. ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾: أي: في الدنيا يبدِّل الله العمل السيِّئ بالعمل الصالح: الشركَ إخلاصًا، والكفر إيمانًا، والزنا عفافًا وإحصانًا. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: لمن تاب وإليه أناب.

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٤٩٩).

(٢) رواه البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦).

(٧١) - ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾: الأول -وهو قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ - في حق المشرك، وهذا في حق المؤمن المذنب، يقول: ومَن تاب من ذنوبه وأتبعه عملًا صالحًا فإنه أيضًا قد تاب إلى اللَّه، فله ما للأول من المغفرة والرحمة وتبديل السيئات حسنات. ﴿وَمَنْ تَابَ﴾؛ أي: منكم ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فإن له مثل ما لهؤلاء ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ لم تحظر التوبة عنكم.

وقيل: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: يرجع إلى اللَّه يوم القيامة وإلى ثوابه.

(٧٢) - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكذبَ، وقيل: الشرك. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾: اللغو: الفعل الذي لا فائدة فيه؛ أي: إذا مروا بقوم يفعلون أو يقولون ما لا يفيد مرُّوا مرَّ الكرام الذين لا يرضَون به، ويكرمون أنفسهم أن يدخلوا فيه أو يختلطوا بأهله. وقيل: أي: إذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه مروا كرامًا[١].

(٧٣) - ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾:

قال الفراء: أي: والذين إذا قرئ عليهم القرآن لم يقعدوا على حالتهم الأولى كأنهم لم يستمعوا ولم يروا قارئه، فذلك الخرور. وقيل: ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾؛ أي: لم يلبثوا ولم يبقوا. وقيل: أي: لم يتغافلوا عنها كأنهم صمٌّ وعميٌ. وقيل: خرُّوا سجَّدًا وبكيًّا، ولم يخروا عليها صمًّا وعميانًا[٢].

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٥٢٦).

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٤)، وغريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٣١٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٧٧).

(٧٤) - ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾: أي: نسائنا ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ أي: أولادنا. ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لنا بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾: هو سؤالُ الرياسة في الدِّين على وَفق السؤال الأول، والإمام واحدٌ لكنه جنسٌ يصلح للجمع، وهذه درجةٌ عَلِيَّة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] وقال تعالى لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤](١).

(٧٥) - ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾: أي: هؤلاء يُجزون بأقوالهم وأفعالهم الغرفَ في الجنة بما صبروا على هذه الأخلاق، والغرفةُ جنسٌ يصلح للجمع، وقد قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] وقال تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر: ٢٠]، ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾: بضم الياء وتشديد القاف؛ أي: تلقِّيهم الملائكة ذلك؛ وقيل: يلقِّي بعضُهم بعضًا، وبفتح الياء وتخفيف القاف، أي: يَرَوْن فيها ويجِدُون فيها(٢).

(٧٦ - ٧٧) - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: أي: في الغرفة ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾؛ أي ما أحسنَها موضعَ قرارٍ وإقامة! كما قال في صفة أهل النار: ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]. ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾ أي: ما يصنع بكم، ختَم السورة بأن عرَّف المشركين حكمةَ خَلْقهم، وقيل ما يريد بكم. ﴿لَوْلَا

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٢٤٤)، وتفسير الجلالين(١/ ٤٧٩).

(٢) السبعة (١/ ٤٦٨)، والتيسير (١/ ١٦٥).

دُعَاؤُكُمْ﴾: أي: دعاؤه إياكم؛ أي: إلى التوحيد والطاعة، وقد دعاكم إليه على لسانِ محمد ﷺ، وقيل: لولا عبادتُكم إياه؛ أي: لو لم يكن هذا مما يلزمُكم. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾: رسولي الذي دعاكم فسوف يكون تكذيبكم عذابًا لازمًا لكم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي، فسوف يكون العذاب ملازمًا لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا فقتل منهم يوم بدر سبعون (١).

(انتهى تفسير سورة الفرقان).

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٢٥٠)، وجامع البيان (١٧/ ٥٣٨ - ٥٣٩)، الكشف والبيان (٧/ ١٥٤).

(٢٦) سورة الشعراء مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكيةٌ إلا أربعَ آيات نزلت بالمدينة: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ إلى آخر السورة، نزلت في حسان وكعب وابنِ رواحة[(١)]، اشتهرت عند السلف بسورة الشعراء لأنها تفردت من بين سورة القرآن بذكر كلمة الشعراء. وكذلك جاءت تسميتها في كتب السنة، وهي السورة السابعة والأربعون في عداد نزول السور نزلت بعد سورة الواقعة وقبل سورة النمل، وهي مئتا آيةٍ وستٌّ وعشرون، وقيل: سبعٌ وعشرون، وكلماتُها ألف وثلاثُ مئة وتسعَ عشرَةَ، وحروفُها خمسة آلاف وخمس مئة وسبعة وعشرون.

الأغراض التي اشتملت عليها:

التنويه بالقرآن، والتعريض بعجزهم عن معارضته، وتسلية النبي ﷺ على ما يلاقيه من إعراض قومه عن التوحيد الذي دعاهم إليه القرآن، وفي ضمنه تهديدهم على تعرضهم لغضب الله تعالى، وضرب المثل لهم بما حل بالأمم المكذبة رسلها والمعرضة عن آيات الله، نزلت إثر طلب المشركين أن يأتيهم الرسول بخوارق، فافتتحت بتسلية النبي ﷺ وتثبيت له وربطة لجأشه بأن ما يلاقيه من قومه هو سنة الرسل من قبله مع أقوامهم مثل موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ولذلك ختم كل استدلال جيء به على المشركين المكذبين بتذييل واحد،

---

(١) البيان في عد آي القرآن للداني (ص: ١٩٦)، والكشف والبيان (٧/ ١٥٥).

ثم التنويه بالقرآن، وشهادة أهل الكتاب له، والرد على مطاعنهم في القرآن وجعله عضين، وأنه منزه عن أن يكون شعرًا ومن أقوال الشياطين، وأمر الرسول ﷺ بإنذار عشيرته، وأن الرسول ما عليه إلا البلاغ، وما تخلل ذلك من دلائل(١)، وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ وكان الدعاء بآيات الكتاب المبين، وعلى لسان المصطفى الأمين، فلم يستجيبوا فشقَّ عليه، فقال له: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. وقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾، وقال هاهنا: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾. وقال ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ وقال هاهنا: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، وانتظام السورتين: أن تلك السورة في بيان إنزال آيات الكتاب، وإرسالِ الرسول، والدعاءِ إلى التوحيد، ووعدِ الموحدين ووعيدِ الجاحدين، وكذلك هذه السورةُ، وفيها بسطُ القول بإرسال الرسول، وتكذيبِ الأمم، وعاقبةِ الفريقين.

(١-٤)- ﴿طسم﴾. هو قسمٌ أقسم اللَّه تعالى به، وقيل: هي فاتحة السورة، وقيل: هي اسم هذه السورة، وقيل: هي أسماءُ اللَّه مقطَّعة الحروف، والصحيح أن الحروف المقطعة في بداية السور من الغيب الذي استأثر الله به، فهو أعلم ﴿تِلْكَ﴾ الآيات التي تقدَّم نزولُها ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾؛ أي: القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾: المظْهِرِ دلائلَ وحدانيتنا، وصدقَ رسالتك، وما بالناس إليه حاجة. ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ٩١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٧)، وجامع البيان (١/ ٢٠٥)، والنكت والعيون (٤/ ١٦٤)، والبسيط (١٧/ ٨)، ومعالم التنزيل (٦/ ١٠٢).

﴿نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾: أي: قاتلٌ نفسَك، وهو مثَلٌ لحرصه على إيمانهم.
﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾: أي: صارت رقابهم لنا خاضعةً منقادةً.

(٥ - ٦) - ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾: من وعظٍ في القرآن ﴿مُحْدَثٍ﴾ في النزول والوصول. وقيل: ﴿مِنْ ذِكْرٍ﴾: من شرف يحصل لهم؛ لأنَّهم إذا قبِلوه وعملوا به صار به لهم ذكرٌ في الناس. ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾: مولِّين على عادتهم. ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾: أي: أقاموا على التكذيب ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾؛ أي: أخبارُ ما استهزَؤوا به وهو القرآن، وإتيانُ الخبر عبارةٌ عن حلول العقوبة، وقيل: فسيأتيهم وهم في النار أخبارُ الذين آمنوا بما كانوا هم به يستهزؤون؛ أي: خبرُ كرامتهم في الجنة.

(٧ - ٨) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: أي: صنفٍ حسنٍ ولونٍ حسنٍ نفيسٍ مما يأكله الناس والأنعام، أفلا يعلم هؤلاء المكذبون بهذا الذكر أن ذلك لم يُخلق عبثًا وإنما خُلق لصلاح معاشهم قِوامًا لهم مدةَ مقامهم في دار الامتحان؟. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: أي: إن في إنبات كلِّ زوجٍ كريم لعلامةً لوجوب شكره عليكم وإقراركم له بالوحدانية وإخلاصِ العبادة. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: وقد سبق في علمي وإرادتي أنَّ أكثر هؤلاء المشركين لا يؤمنون.

(٩ - ١١) - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا يغالَب، فليس بعَجْزِه وضَعْفِه طالت مدةُ هؤلاء في الشرك والعُتوِّ. ﴿الرَّحِيمُ﴾: فلا يعجِّل بعقوبتهم إذ لا

يَخاف الفَوْت، ويَقبل توبةَ مَن تاب منهم قبل الموت، ومن رحمته أيضًا إرسالُ الرسل وإنزالُ الكتب لإرشادهم، وتنبيههم على صلاحهم وفسادهم. وقيل: ﴿الْعَزِيزُ﴾: المنتقِمُ من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾: المنعِم على أوليائه.

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾: أي: واذكُر يا محمد لقومك إذ دعا ربُّك موسى، يعرِّفه بقصة موسى وما بعدها من قصص سائر الأنبياء، وأن اللّه واصَلَ الحجج لعباده ودعاهم إلى توحيده وطاعته، والأنبياءُ صبروا على أذى الأمم، فكان النصرُ والفرج للموافِقين والهلاكُ والعقوبة على المخالفين، فكذلك أنت وقومك. ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: قال له ذلك ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدلٌ وترجمةٌ عن الأول، ذكَر في بعض الآيات الإرسال إلى فرعون لعنه اللّه، وفي بعضها إلى فرعون وملئه، وبيَّن هاهنا أنه كان مبعوثًا إلى كلِّ قومه. ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى التوبيخ، وهي كلمة استبطاءٍ وحثٍّ(١).

(١٢ - ١٤) - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾: أي: لا يصدِّقوني فيَردُّوا أمرك. ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾: أي: بتكذيبهم، وقيل: يضيق صدري غضبًا لك، وإذا اشتدَّ الغضب ضاق الصدر ولم ينطلق اللسان. ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ بضيقِ صدري. ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾: أي: اجعله رسولًا معي، وعونًا لي، وشرحًا لصدري، وإطلاقًا للساني، وتقويةً لي على القيام بأمرك على الوجه. ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾: أي: دعوَى ذنبٍ بقتلِ القِبْطيِّ بالوكزة دفعًا عن السِّبطي. ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾: بذلك فاكْفِني فلا كافي إلا أنت.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٥٨)، والتيسير في التفسير (١١/ ٢٥٨).

(١٥) - ﴿قَالَ كَلَّا﴾: أي: قال الله تعالى: لا يقدرون على قتلك. ﴿فَاذْهَبَا﴾: أي: اذهب أنت وأخوك فقد أجبتُك إلى ما سألتَ مِن ضمِّه إليك. ﴿بِآيَاتِنَا﴾: أي: ببراهيننا، وهي اليد والعصا وغيرُ ذلك و﴿بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: مع آياتنا، كقولك: دخل بسيفه؛ أي: مع سيفه. وقيل: أي: فاذهبا وأنا أُمِدُّكما بآياتي؛ أي: حُججي عند المحاجَّة. ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾: أي: أنا معك ومع هارون ومع فرعون وملئه سامعٌ لِمَا يجري عليكم وبينكم، لا يخفى عليَّ شيءٌ من ذلك.

(١٦ -١٧) - ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: إنما وحَّد لأنه في معنى الرسالة، وهي مصدرٌ فلا تثنَّى، قال الشاعر:

لقد كذَب الواشون ما بُحتُ عندهمُ * بسرٍّ ولا أرسلتُهم برسولِ**[١]

أي: برسالة. ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي: بأنْ أطلق بني إسرائيل عن الاستعباد، وخلِّهم يذهبوا حيث شاؤوا.

(١٨ -١٩) - ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾: أضمر هاهنا: فأَتياه فقالا له ذلك، فقال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾؛ أي: أليس قد أخذناك من اليمِّ فاسترضعنا لك وغذوناك؟ ﴿فِينَا﴾؛ أي: بيننا وفي منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾: طفلًا مولودًا. ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾: كنايةٌ عن قتلِ القِبْطي. ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: من أهل كفران نعمتي؛ إذ قتلت رجلًا من شيعتي. وقيل: أي: وأنت الآن تكفر نعمتي، وتدعوني إلى طاعتك، وتدَّعي أن لك إلهًا غيري، وتأمرني أن أُفسد عليَّ مملكتي بإرسال بني إسرائيل معك.

---

(١) البيت لكثيِّر. انظر: ديوانه (ص: ٢٧٨)، وجامع البيان (١٧/ ٥٥٤).

(٢٠ - ٢١) - ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾: أي: ضربتُه وأنا من الجاهلين بما يَؤُول إليه الضرب، لم أعلم أنه يصير قتلًا، والضالُّ عن الشيء هو الذاهب عن معرفته. ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾: أن تقتلوني، وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ الآية [القصص: ٢٠]، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

وقوله: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾: أي: نبوَّةً؛ لأن صاحبها يَحكم على الناس بشرائع الدِّين فيَلزمُهم طاعتُه. ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: أرسلني إليك وإلى قومك.

(٢٢-٢٤) - ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ هذا إقرارٌ من موسى لفرعون بمنَّته بما ربَّاه[(١)]. ﴿أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي: استعبَدْتهم ولم تستعبِدْني، بل ربَّيتني في دارك وأدخلتَني في جملةِ أهلك، وقيل: هو استفهام، وتقديره: أوتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ أن اتَّخذتَ بني إسرائيل عبيدًا وهم أهلي ورَهْطي، ولو لم تفعل ذلك ولم تعبِّدهم لكفلني أهلي ولم يُلقوني في اليمِّ؟ فليس هذا موضعَ امتنانٍ منك، ولا موضعَ اعتقادٍ مني لك به منة[(٢)]. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي قلت إنك رسوله أيُّ شيء هو؟ ومن أيِّ الأجناس هو؟ كأنه ظن أن الذي يذكُره موسى من أحد أجناس الأجسام، فأعرض موسى عن الجواب من هذا الوجه وسار إلى الدلالة على الله تعالى بأفعاله التي تشهدُ لذوي العقول على الصانع العالم القادر: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: مدبِّر ذلك ومصرِّفه،

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٩).

(٢) التيسير في التفسير (١١/ ٢٦٣).

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: أي: إن كان قصدكم أن تعرفوا ربَّ السماوات حتى تُفيضوا إلى اليقين، وقيل: إن كنتم موقنين بما تعاينونه، فربُّ العالمين ربُّها.

(٢٥ -٢٦) - ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾. فوقع عند فرعون أنه لم يجبه عما سأله، وأنه أخبره بشيء آخر لم يعرف حقيقته: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾: معجِّبًا لهم من جواب موسى؛ أي: ألا تستمعون ما أسأله عنه وما يجيبني به؟. فعاد موسى إلى مثل قوله الأول فـ ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: هو خالقُكم ومصرِّفكم ومدبِّركم على ما يريد، وخالقُ آبائكم الأولين ومدبِّرهم ومصرِّفهم؛ أي: ليس الطريق إلى معرفته ما سألتَني عنه من المائية، إنما الطريق إلى معرفته الاستدلال عليه بما قلتُ.

(٢٧ -٢٨) - ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾. فلما رآه فرعون ثابتًا على مثل جوابه الأول لا يجيبه عن الماهية ﴿قَالَ﴾ لمن حوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾: يستهزئ به؛ يقول: إن هذا الذي يزعم أنه رسول اللَّه أرسله إليكم لمجنونٌ لا يعقل ما يقال له، فهو يُسأل عن شيء ويجيب عن غيره. فعاد موسى ثالثةً إلى مثل كلامه الأول بالدلالة على اللَّه تعالى بأفعاله ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: ربُّ العالمين هو الذي يُطلع الشمس ويُغربها، وهو خالقهما ومصرِّفهما على هذا الانتظام والاتِّساق الذي ترونه وتشاهدونه. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما يقال لكم، وكانت لكم عقولٌ تقفون بها على الكلام والمقصود، فرَبُّ العالمين هو المدلولُ عليه بهذه الأشياء؛ لظهور آثار

الصَّنعة فيها، وشهادتِها أن لها صانعًا عالمًا قادرًا لا يُشبهها[١].

(٢٩) - ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾. فلما أوضح موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عمَّا أراد، ترَك مساءلة موسى إذ لم يتهيَّأ له أن يدفع ظهور آثار الصنعة مما ذكر، فاشتغل بتوعُّده بالحبس: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾: أي: لأسجُنَنَّك مع مَن سجَنْتُهم لسعيهم في فساد مملكتي وتفريقِ شمل رعيتي.

(٣٠ - ٣٢) - ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ﴾: أي: أرأيت لو جئتُك بشيء يُبين لك صدقَ دعواي الرسالةَ وأنه ملك الملوك، أتجعلني من المسجونين إن عبدتُ هذا الإله؟ فلم يتهيأ له دفعه فـ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك. ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾: أي: فتحوَّلت عصاه ثعبانًا أبانَ عن نفسه أنه ثعبان، وقال في آية أخرى ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [النمل: ١٠] والجان إلى الصغر ما هي، فالتوفيق بينهما: أنه صار ثعبانًا في خلقته جانًّا في خفَّته.

(٣٣ - ٣٥) - ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ من كمِّه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ﴾ كالثلج ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾: لمن نظر إليه. ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ﴾؛ أي: للأشراف ﴿حَوْلَهُ﴾ ليلبِّس عليهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: في السحر. ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾؛ أي: يُلقيَ العداوةَ والفُرقة بينكم ويستميلَ بعضكم ليحارب به بعضكم فيُخرجَكم من بلادكم. ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: أي: تشيرون به في أمره من حبسٍ أو قتلٍ أو غيرِ ذلك؟.

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٢٦٦).

(٣٦ - ٣٩) - ﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾: أي: أخِّره، وقيل: احبِسْه ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارونَ كذلك ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ﴾: أي: أمصارِ ملكك ﴿حَاشِرِينَ﴾: رجالًا يَحشرون السحرة؛ أي: يَجمعون ويُحضِرون ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾: وها هنا مضمر: فأرسل فرعونُ في المدائن حاشرين فجمعوا لميقات يوم معلوم، وهو يومُ الزينة: يوم عيد أو يوم نيروز، ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾: أي: أن أصحاب فرعون قالوا للناس: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾؛ أي: اجتمِعوا في هذا اليوم.

(٤٠ - ٤٢) - ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾: أي: إنَّ الغلَبة تكون لهم فاجتمِعوا لنتَّبعهم؛ أي: لنكون من جملتهم وعلى دينهم وهو دينُ فرعون، و(لعل) للتحقيق هاهنا، ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾: أي: جاءوا فرعون ﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾؛ أي: جزاءَنا بالخير ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ لموسى وهارون. ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿نَعَمْ﴾ لكم جزاء عندي ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾؛ أي: وتكونون مع ذلك مقرَّبين عندي في المنزلة والجاه، فتكونون أولَ مَن دخل عليَّ وآخِرَ مَن خرج. وقيل: تدخلون عليَّ من غيرِ إذنٍ. وقيل: تُقبل شفاعتكم فيمَن تشفعون لهم(١).

(٤٣ - ٤٥) - ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾: أي: ما تريدون أن تُلقوه من الحبال والعصيِّ فستعلمون بطلانها وغلبةَ الحق. ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ يروى أنهم: كانوا سبعين ألفَ ساحرٍ، وألقَوا سبعين ألفَ حبلٍ وسبعين ألفَ عصًا، فجعلت تسعى، فتعاظم ذلك

---

(١) جامع البيان (١٠/ ٣٥٨) و(١٦/ ١٠٦)، والكشف والبيان (٦/ ٢٥٣).

عندهم وتوهَّموا أنهم غلبوا موسى بكثرتها، فقالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾: أي: بأمر اللَّه تعالى ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾؛ أي: فصارت ثعبانًا فجعلت تلتقِم ما أَلقَوه يوهمون به الانقلابَ زورًا وبطلانًا.

(٤٦-٤٩) - ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾: أي: لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم أُلقوا. ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: وكانوا حفظوا الاسم حين قال: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فقال فرعون: تعنوني؟ فقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ وفيه إقرارٌ برسالتهما، ولعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر، فلما رأى فرعون ذلك تحيَّر ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ﴾: أي: أصدقتم بذلك موسى؟ ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ بذلك ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾؛ أي: لأُستاذكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وهذا تلبيسٌ منه على العامة، ثم قال: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ما ينالكم مني، وهذا تهديد. ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ أي: يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أراد به ترهيبَ العامة لئلا يتَّبعوهم في الإيمان.

(٥٠ - ٥١) - ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾: أي: لا نَعُدُّ ذلك ضررًا علينا، فإنه تعبُ ساعة ثم نصير إلى كرامة اللَّه تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾. أي: منقلبون إلى ربِّنا فيجزي كلًّا على عمله. وقيل: هل هو إلا أن تقتلَنا فتقلبنا إلى ربنا؟ ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ أي: نرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾: المتقدمةَ ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: في زماننا به وبرسوله في هذا المحفل[١].

(٥٢ -٥٣) - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾: أَخبر بما آلَ إليه أمرُ فرعون وقومه من الهلاك بالغرق، وأمرُ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقومه من العلوِّ والنصر، فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾؛ أي: سِرْ ببني إسرائيل ليلًا، وسماهم عبادَه لإيمانهم بنبيِّه ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾؛ أي: يتبعكم فرعون وقومه ليردُّوكم ويحاربوكم إن لم تنصرفوا، وكان هذا بعد سنين من أمر السحرة. ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾: أي: ففعل ذلك موسى وخرجوا، فأُخبر فرعون بذلك فأرسل فرعونُ ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾؛ أي: أمصارِ عمله ﴿حَاشِرِينَ﴾؛ أي: شُرطًا يحشرون الأجناد إليه.

(٥٤ - ٥٦) - ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾: قال فرعون حيث تبعهم بجنوده ونظر إليهم فاستقلَّهم، وكانوا ستَّ مئة ألفٍ وسبعين ألفًا، قاله عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفرعون في ألفِ ألفِ فارسٍ[٢]، والشرذمة: العُصْبة الباقية من عُصَبٍ كثيرة، وقيل: الطائفة، وشرذمة كل شيء: بقيتُه القليلة. ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾: فعلوا ما يَغيظنا ويُسخطنا، وهو خروجهم من مِصْرنا. وقيل: بحَمْلهم الحليَّ التي استعاروها منَّا للعيد. ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ أي: مجتمعون متفقو الآراء، ﴿حَاذِرُونَ﴾ تامُّو السلاح، متيقِّظون متأهِّبون، وقوم موسى لا سلاح معهم، ولم يتأهَّبوا لمقاومتنا، شجَّع بذلك قومه، وقيل: حَذِرون: عالمون بالحرب[٣].

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٢٧١)، وتفسير الجلالين (١/ ٤٨٣).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم في (٧/ ١٩٦٢).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٨٧)، وجامع البيان (١٧/ ٥٧٢).

(٥٧ -٥٨) - ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾: أي: فأخرجناهم من مصر فلم يرجعوا إليها ﴿مِنْ جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ كثيرة المياه ﴿وَكُنُوزٍ﴾ من ذهب وفضة. ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: قيل: هو جمع مَقامةٍ، وهي مقاماتٌ كانت تقوم بها أشرافهم ورؤساؤهم في المحافل التي يجتمعون فيها لجلائل الأمور كما كانت العرب تفتخِر بذلك(١).

(٥٩ -٦٠) - ﴿كَذَلِكَ﴾: أي: كذلك كان الأمرُ أخرجناهم منها ولم نُعِدْهم إليها. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي: وملَّكناها بعدهم قوم موسى، قيل: ردَّ بني إسرائيل إلى أرض مصر فسكنوها. وقيل: ملَكوها فنقلوا ما فيها وذهبوا به إلى الشام وسكنوا الشام، وقيل: ملكوا بعد ذلك بلادَ مصر وكنوزَهم ومدائنَ فرعون، بعد ذلك بزمانٍ في عصر داود وغيره. ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ﴾: أي: فلحقوهم؛ أي: لحق فرعون وقومُه قوم موسى. وقد تَبِعه؛ أي: قفا أثره، واتَّبعه؛ أي: لحقه. ﴿مُشْرِقِينَ﴾: أي: حالَ شروق الشمس وهو طلوعُها، وقيل في معناه: كان قوم فرعون في الضباب والظُّلمة وقومُ موسى في ضياءِ الشمس، فلحقوهم فوجدوهم في ضياء الشمس.

(٦١ - ٦٢) - ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾: أي: تلاقى فصار كلُّ جمع يرى الجمع الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾؛ أي: قرُب قوم فرعون منَّا بحيث يدركوننا، خافوا ذلك. ﴿قَالَ كَلَّا﴾: أي: قال موسى: ليس كذلك، ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾: أي: ناصري على عدوِّي ﴿سَيَهْدِينِ﴾؛ أي: سيعرِّفني الطريق الذي في سلوكه نجاتي ونجاةُ مَن معي.

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٨٢)، والهداية (٤/ ٢٥٢٥)، وتفسير السمعاني (١٣/ ١٠٥).

(٦٣-٦٤) - ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾: هو بحر القُلْزُم[(١)]. ﴿فَانْفَلَقَ﴾ وهاهنا مضمر؛ أي: فضرب فانفلق؛ أي: فانشقَّ فصارت فيه طرقٌ ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ من الماء ﴿كَالطَّوْدِ﴾ كالجبل ﴿الْعَظِيمِ﴾، والمعنى: أي: ارتفع ماءُ كلِّ طريقٍ في الهواء فصار كجبلٍ، وكانوا اثني عشر سِبطًا، فصار اثني عشر فِرقًا، فسلك كلُّ سبطٍ فِرقًا فجاوزوه حتى أصحروا. ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: أي: قرَّبنا ﴿ثَمَّ﴾؛ أي: هناك من البحر ﴿الْآخَرِينَ﴾؛ أي: قومَ فرعون، فدخلوه على أن يسلكوا فيه كما سلك موسى وقومُه، فانطمَّ عليهم البحر وصارت الأفراق كلُّها شيئًا واحدًا[(٢)].

(٦٥-٦٨) - ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾: أي: قومَه كلهم ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ أي: فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي: إغراق فرعون وقومه ﴿لَآيَةً﴾ أي: لعبرة لمن بعدهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموصي التي دلت على عظام يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين فأنجاهم من الغرق[(٣)].

---

(١) وهو المعروف اليوم بخليج السويس من البحر الأحمر. انظر: "معجم متن اللغة" (مادة: قلزم).

(٢) جامع البيان (١٧/ ٥٨٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٨٧)، وغريب القرآن (ص: ٣١٧)، وتأويلات أهل السنة (٨/ ٦١)، معاني القرآن للنحاس (٥/ ٨٥).

(٣) تفسير الجلالين (١/ ٤٨٥).

(٦٩-٧٢) ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾: كان في عصر النبيِّ ﷺ أهلُ كتاب ومشركون، فحاجَّ أهلَ الكتاب بقصة نبيِّهم موسى، وحاجَّ المشركين بقصةِ أبيهم إبراهيم، فلذلك جمع بين القصتين. ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: واقرأ عليهم خبر إبراهيم. ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾: آزر ﴿وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: أيَّ شيء تعبدون؟ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾: تماثيلَ ممثَّلةً ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾؛ أي: نقيم على عبادتها وخدمتها طول النهار، فـ﴿قَالَ﴾ إبراهيم منبِّهًا لهم على ضلالتهم وجهالتهم: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾؛ أي: هل يجيبونكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾؟ أي: هل تجيبكم آلهتكم إذا دعوتُموهم؟، وقيل: هل يسمعون أصواتكم؟.

(٧٣-٧٤) - ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾: يرزقونكم على عبادتهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾: يعاقبونكم على ترك العبادة، ﴿قَالُوا بَلْ﴾: أي: لا تسمع ولا تُبصر، ولا تنفع ولا تَضُر، ولسنا نعبدها لشيء من ذلك، ولكن ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: يعبدون هذه الأصنام فقلَّدناهم.

(٧٥-٧٧) - ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾: أي: كلُّ ما عبدتُموهم أنتم وعبدَه آباؤكم الأقدمون في سالف الدهر -و(الأقدم) تفضيل القديم، وهو الأجداد وآباء الأجداد- فإني أعاديهم؛ أي: أجتنبُ عبادتهم وتعظيمَهم. ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾: فإني أعبده وأعظِّمه، لا أعبد غيرَه ولا أعظِّم سواه.

(٧٨-٧٩) - ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾: أي: أَوْجدني ولم أكُ شيئًا ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾؛ أي: يرشدني ويوفِّقني لصواب القول والعمل. ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾:

أي: يرزقني ما أتغذَّى به وأقيمُ به بدني مدةَ حياتي.

(٨٠ -٨٢) - ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾: أضاف المرض إلى نفسه؛ لأنه في موضعِ عدِّ نعم اللَّه ومنَّته عليهم، فكان الأدبُ في ألا يضيف المكروه إلى المنعِم. ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾: ليس معناه أنه يشفيني لا محالةَ، لكن معناه: إذا مرضتُ ثم شُفيت فاللَّه هو الذي شفاني دون غيره. ﴿وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾: أي: هو مالكُ إماتتي وإحيائي بعد موتي. ﴿وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ﴾: تلطَّف في سؤال المغفرة، وأَحسنَ في الثناء على اللَّه، ونبَّه المشركين على ضلالتهم في عبادة الأصنام، وقال: معبودي هو الذي إن أخطأتُ كان هو الذي أرجو منه المغفرة لسَعة رحمته، فلا حاجة لي إلى عبادة شيء من دونه أرجو أن يشفع لي عنده يومَ الدين؛ أي: يوم الحساب والجزاء.

(٨٣ - ٨٤) - ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾: وهو دوامُ العلم والفهم، فقد كان أعطاه الحكمَ وهو العلمُ والفهم، فكان هذا سؤالَ الإدامة ﴿وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ﴾: أي: الأنبياء؛ أي: توفَّني على ما توفَّيْتَهم. ﴿وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ﴾: أي: وأَبْقِ لي الثناء الحسن على ألسنةِ عبادك إلى آخِر الدهر، ففعل اللَّه تعالى له ذلك، فكلُّ أهل الأديان يتولَّونه وينتسبون إليه. وقيل: معناه: أي: اجعل في آخر الزمان من ذريتي مَن يقولُ بالحق، ويقومُ بالدِّين، ويدعو الناس إليه، وذلك راجعٌ إلى نبيِّنا محمد ﷺ؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨].

(٨٥ -٨٧) - ﴿وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾: أي: من الباقين فيها.

﴿وَاغْفِرْ لِأَبِى﴾: أي: اجعله أهل المغفرة بإعطاء الإسلام. ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾: للحال، رجا إسلامه فسأل اللَّه تعالى أن يعطيَه ذلك، وكان وعَدَه مِن نفسه ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ الآية [التوبة: ١١٤]. ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾: أي: لا تخجلني بتقصيري يوم القيامة. وقيل: أي: لا تطالبني بصدق الخلة[١].

(٨٨ -٨٩) - ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾: كما ينفع في الدنيا ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ استثناء منقطع بمعنى لكنْ، يعني لكنْ مَن أتى كذلك نَفَعه. ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ أي: سالم عن الشرك والنفاق، فالسليم: المخلِص، والميت: الكافر، والمريض: المنافق؛ تشبيهًا بسلامة البدن ومرضه وموته. وقيل: ﴿سَلِيمٍ﴾؛ أي: خالص من حب الدنيا.

(٩٠ - ٩١) - ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي: قرِّبت لهم ليدخلوها. ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾: أي: ظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾؛ أي: للضالين. وقيل: للخائبين من رحمة اللَّه، تظهر لهم قبل أن يدخلوها تعجيلًا لإفزاعهم وإقراعهم كما قربت الجنة للمتقين تعجيلًا لإفراحهم وإمتاعهم.

(٩٢ -٩٦) - ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: أي: للغاوين: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهذا تعيير لهم وتوبيخ ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾؛ أي: هل يمنعونكم عن العذاب؟، وهل يمتنعون بأنفسهم؟، وهو استفهام لمعنى النفي؛ أي: يدخلون النار معكم تشديدًا لعذابكم. ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾: أي: كُبُّوا وأُلقوا على

(١) الدر المنثور (٦/ ٣٠٥)، ومجاز القرآن (٢/ ٨٧)، والتيسير في التفسير ١١/ ٢٧٩).

رؤوسهم فيها؛ أي: في الجحيم ﴿هُمْ﴾؛ أي: المعبودون ﴿وَالْغَاوُونَ﴾؛ أي: عابدوهم الضالون ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾؛ أي: أعوانُه كلُّهم سوى هؤلاء. وقيل: ﴿وَالْغَاوُونَ﴾: الشياطين، ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾؛ أي: أتباعه من الإنس. وقيل: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ الذين عصوا اللَّه ودعَوا إلى معصيته. ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾: أي: الأتباعُ والمتبوعون، فهو كقوله: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧].

(٩٧ - ١٠٢) - ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي: قال عبَدةُ الأصنام: واللَّه ما كنا إلا في غوايةٍ ظاهرة ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ﴾ أيها الأصنام ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في العبادة واعتقادِ الربوبية. ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾: الذين دعَونا إلى ذلك ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ من الأباعد ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ من الأقارب فيخلِّصَنا ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ فيا ليت لنا رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ باللَّه ورسوله.

(١٠٣ - ١٠٧) - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ المذكور من قصة إبراهيم وقومه، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: باللَّه ورسوله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ مر تفسيره. ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: كذَّبت جماعةُ قوم نوح، فلذلك أنِّث، وقوله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: نوحًا في دعوى الرسالة والدعاءِ إلى توحيد اللَّه تعالى وطاعته، وإلى ذلك دعا مَن قبله من الرسل ومَن بعده، فكان تكذيبه في ذلك تكذيبًا للكل. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾: أي: كذَّبوا إذ قال لهم ﴿أَخُوهُمْ﴾؛ أي: نبيُّهم ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللَّه فتتركوا عبادة الأصنام، استفهام بمعنى الأمر. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ

﴿أَمِينٌ﴾: أي: أمين عليكم غيرُ خائن لكم. وقيل: أمينُ اللَّه على وحيه.

(١٠٨ -١١١) - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: لأني رسولٌ أمين فيما أمرتُكم به ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: جزاءٍ منكم على تبليغ الوحي ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾؛ أي: ثوابي على تبليغي ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: من ربِّ العالمين بوعده. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: كرَّر لتكرار الداعي: الأول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ لأني لكم رسول أمين. والثاني: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ لأني لا أسالكم عليه من أجر. وكلُّ واحد منهما يقوِّي الصدق ويدعو إلى التصديق[١].

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾: أي: السَّفِلة وقيل: ناقصو العقول. أي: أنصدِّقك فيما تدعونا وننقادُ لك وإنما اتَّبعك الأخسَّاء منا والفقراء والضعفاء فنكونَ أمثالَهم إذا آمنَّا بك، بل يكونُ لهم الفضل علينا بالسَّبق؟، وهذا مما تنفر منه النفوس، توهَّموا لجهلهم أن اتِّباع هؤلاء الضعفاء مما يُضعف أمره، ولم يعلموا أن الفضل لمن فضَّله اللَّه تعالى بالدِّين لا لمن له المالُ والرفعةُ في الدنيا.

(١١٢ -١١٦) - ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾أي: ولا حاجة لي إلى علم ما كان هؤلاء يعملونه من الأعمال التي استرذَلْتُموها. ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾: أي: ما حسابهم ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾: لو تعلمون أنه كذلك. ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: فإذا قبلوا ما أنذرتُهم لم يكن لي أن أطردهم.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ﴾: أي: عن ادِّعاء الرسالة وعن سبِّ آلهتنا ﴿لَتَكُونَنَّ

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٢٨٨).

﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: قيل: أي: من المشتومين، وقيل: أي: من المقتولين بالحجارة[١].

(١١٧ - ١١٩) - ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۝١١٧ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾: أي: فاقضِ بيني وبينهم قضاءً؛ أي: أهلِكْهم ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: هو حكمُك فاحكم بهذا الحكم الحقِّ وهو استنجازُ الموعود.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: أي: السفينة المملوءة[٢].

(١٢٠ - ١٢٧) - ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾: أي: بعدَ إنجائنا نوحًا والمؤمنين ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه بالطُّوفان. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ مر تفسيره. ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: هودًا ومَن قبله ومَن بعده من الرسل. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٢٤ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٢٥ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٢٦ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: مر تفسيره.

(١٢٨ - ١٢٩) - ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: أي: بكلِّ طريق. وقيل: بكلِّ سوق. وقيل: بكل مكانٍ مرتفعٍ. ﴿آيَةً﴾: أي: علامة، قيل: هي البناء العالي. ﴿تَعْبَثُونَ﴾: أي: تلعبون، ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ أي: حصونًا مشيَّدة، وقيل: معناه: أتجعلون بكلِّ موضع عالٍ مشرفٍ علامةً تبنونها لا تحتاجون إليها لسكناكم إنما تريدون بها المباهاة والمراءاة، وذلك عبث؟[٣]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾: أي:

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٧٢)، والكشف والبيان (٧/ ١٧٣).

(٢) جامع البيان (١٧/ ٦٠٥).

(٣) معالم التنزيل (٦/ ١٢٣).

تتخذون دُورًا وقصورًا اتخاذَ مَن يؤمِّل الخلود في الدنيا فيُحكِم ويُبرِم ذلك ويُحسِن ويُتْقن.

(١٣٠ - ١٣٦) - ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ﴾: أي: أَخذتُم أخذَ العقوبة ﴿جَبَّارِينَ﴾: قهَّارين بالسيف والسوط ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ﴾؛ أي: أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إن دمتُم على هذا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا، وهو يومُ إهلاككم، وتَلِجون عذاب النار يومَ القيامة، وهو يومٌ عظيم. ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أي: مستوٍ عندنا لا نُصغي إليك، ولا نرعوي لوعظك ولا نقبل منك.

(١٣٧ - ١٤٠) - ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ بضم الخاء واللام، ومعناه: إلا عادةُ الأوَّلين؛ أي: اتخاذُ البنيان والبطشُ ونحو ذلك؛ أي: نفعله كما فعلَ الأولون، وبفتح الخاء وسكون اللام ومعناه أي: اختلاق الأولين؛ أي: كذبهم[(١)]. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: في الدنيا ولا بعد البعث، فلا بعثَ. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: أي: هودًا ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ سُخِّرت عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾: مر تفسيره.

(١٤١ -١٤٨) - ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: صالحًا وسائرَ الأنبياء.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٦١٦)، والسبعة (١/ ٤٧٢)، والتيسير (١/ ١٦٦).

فسرت هذه الآيات. ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾: أي: أتظنُّون أنكم تبقَون في الدنيا في دياركم هذه آمنين لا تخافون عذابًا ولا موتًا؟. ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾: في بساتينَ نزهةٍ وعيون جارية ﴿وَزُرُوعٍ﴾؛ أي: وحروث ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: أي: قد نَضِجَ وأَيْنَعَ وبَلَغَ. وقيل: ﴿هَضِيمٌ﴾؛ أي: هشيمٌ متهشِّمٌ يتفتَّت إذا مُسَّ، وقيل: أي لينٌ رَطْبٌ[(١)].

(١٤٩) - ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾: الفَرِهُ والفارِهُ: الماهر في الصنعة، الحاذق في الأمر، وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا هكذا قال: ﴿فَارِهِينَ﴾: حاذقين[(٢)].

(١٥٠ -١٥٣) - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تُعْرِضوا عن هذه السنَّة ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الذين أسرفوا على أنفسهم في تمردهم على اللَّه وهم تسعةُ رهط. ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالكفر والمعاصي والظلم ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بالإيمان والعدل. ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾: أي: المسحورين، سحروك ففسَد عقلك فلا تدري ما تقول.

(١٥٤ -١٥٧) - ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ﴾: أي: بعلامةٍ على صدق دعواك الرسالةَ، وعلى أنك داعٍ إلى الحق ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما تدَّعي. ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ﴾: أخرجها اللَّه تعالى لا من ناقةٍ، وهي آية عظيمة ﴿لَهَا

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٦١٩)، والكشف والبيان (٧/ ١٧٦)

(٢) جامع البيان (١٧/ ٦٢٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٠١)، النكت والعيون (٤/ ١٨٣)، والبسيط (١٧/ ١٠٦).

﴿شِرْبٌ﴾؛ أي: حظٌّ من الماء فلا تزاحموها فيه ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ لا تزاحمكم هي فيه. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾: بقتل ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يوم نزول الهلاك بكم. ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: عقرها بعضهم برضاهم، وقد عَقرها قُدَار - وهم مُعِيْنون له راضون به فأضيف إليهم. ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾: أي: فصاروا نادمين على عَقرها(١).

(١٥٨ - ١٦٤) - ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾: أي: الصيحة بعدما تمتَّعوا ثلاثة أيام. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قد مر تفسيره. ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: جماعةَ المرسَلين لوطًا وسائر الأنبياء. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾: أي: نبيُّهم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مرَّ تفسيرها.

(١٦٥ - ١٦٧) - ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: استفهام بمعنى التوبيخ؛ أي: أتُواقِعون الذُّكران من الناس، وهي كنايةٌ عن الفاحشة. ﴿وَتَذَرُونَ﴾: أي: وتتركون ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾؛ أي: زوجاتكم، جمع زوجٍ وهي الزوجة، وهذا يحتمِل ثلاثة أوجه: أحدهما: وتتركون النساء اللاتي خُلقن للتزوُّج ولا تتزوَّجونهنَّ. والثاني: وتتركون زوجاتكم اللاتي عقَدتم عليهن وتأتون غيرهنَّ. ويحتمل والثالث: وتتركون القُبُل من زوجاتكم إلى أدبار الرجال والنساء. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾: أي: ليس لكم قضاءُ وطرٍ للتلذُّذ

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٨٢)، التيسير في التفسير (١١/ ٢٩٨).

فذلك حاصل بالنساء، بل أنتم مجاوِزون حدودَ اللَّه متعدُّون أمرَه. ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ﴾: أي: لئن لم تمتنِعْ عن هذا القول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾؛ أي: لننفينَّك من أرضنا؛ كما قالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل: ٥٦](١).

(١٦٨ - ١٧٠) - ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ﴾: أي لإتيانكم الذُّكران وسائرَ المعاصي ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾؛ أي: المبغِضين، وقد قَلَاه يقليه؛ أي: أبغضه، ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾: من عقاب ما يعملون. وقيل: نجِّني وأهلي من أن نكون على دينهم وعملهم؛ أي: اعصِمني عن ذلك. ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾: إجابةً لدعوته، فأخرجناهم من جملتهم.

(١٧١ -١٧٥) - ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾: وهي امرأته ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾؛ أي: الباقين في العذاب فلم تنجُ منه. ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾: أي: بعد إخراجهم أهلكنا مَن سوى لوطٍ ومَن نجا من أهله؛ أي: عياله وأولاده وأهل بيته، فجعلنا قريتهم عاليَها سافلَها بمن فيها. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: حجارة من سجِّيل. ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾: أي: فبئس المطر الذي أصاب المخوَّفين بالعذاب إنْ أصروا على تكذيبهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ مر تفسيره.

(١٧٦) - ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: سكانُ الغيضةِ وهم أهل مدين، وقيل: الأيكة: غيضةٌ تُنبت السِّدر والأراك وناعمَ الشجر. وقيل: بُعث شعيب صلوات اللَّه عليه إلى قومٍ هم أصحاب بادية وأصحاب قرًى، وأصحاب

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٣٠٠).

البادية هم أصحاب الأيكة، وأهل مدين هم أهل القرية.

(١٧٧ -١٨٣) - ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: بيَّن سبحانه أن جميع الأنبياء كانوا على طريق واحدةٍ في الدعوة إلى الله تعالى وطاعته ومعاملةِ الخلق. ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾: أي: أتمُّوا الكيل في قضاء حقوق الناس ولا تَنقصوهم حقوقهم. ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: الميزان. وقيل: أي: العدل والسَّواء. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: أي: لا تنقصوا الناس في معاملتكم في مالهم. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: أي: لا تبالغوا فيها بالإفساد وهو بالكفر والظلم(١).

(١٨٤ - ١٨٧) - ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: الخليقةَ الماضينَ، وإذا كان هو خالقَ أنفسكم وأعمالكم كان هو عالمًا بكم قادرًا عليكم فسيجازيكم على وَفق عملكم. وقيل: معناه: إن الذي خلقكم هو الذي خلق الأولين، وقد رأيتم عقوباته للأولين حين عصوا رسله وظلموا عباده، فاتَّقوه فإنه خالقكم وقادرٌ عليكم أيضًا. ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾: مر تفسيره. ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: ما نظنُّك إلا من الكاذبين في دعوى الرسالة. ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: جمع كِسْفةٍ؛ أي: قطعة. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعوى الرسالة(٢).

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٦٣٣)، العين (٥/ ٤٢٣)، وتأويلات أهل السنة (٨/ ٨٢).

(٢) جامع البيان (١٤/ ٥٩١)، وتفسير ابن أبي حاتم في (٩/ ٢٨١٢)، ومجاز القرآن (٢/ ٩٠).

(١٨٨ - ١٩١) - ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي فهو مُجازيكم عليه. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾: وهو العذاب الذي أهلكهم اللَّه به من ظلةٍ أقامها فوق رؤوسهم فألهبها عليهم فماتوا من حرِّها ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾أي: مؤلم شديد هائل.﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ مر تفسيره.

(١٩٢ -١٩٣) - ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: إن القرآن منزَلٌ من عند ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقد تقدم ذكره في أول السورة: ﴿طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ والسورة كلها في معنًى واحد، فإنه ذكر القرآن وتكذيبَ المشركين الرسولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه، ووصَل به تكذيبَ سائر الأمم رسلَهم، ثم عاد إلى ذكر القرآن فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول -وهو معنى أول السورة وآخرها على التقدير-: وإن هذا القرآن الذي نتلوه على هؤلاء المشركين فيستهزؤون به ويعرضون عنه، هو منزلُ ربِّ العالمين، وما كان منه فحقيقٌ بالإصغاء إليه والتدبُّر فيه، ليس هو مما تقوَّلته علينا، ولا مما تنزَّلت به الشياطين، ولا هو شعرٌ، بل نزل به جبريل من عند اللَّه، وهو قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾: ﴿نَزَّلَ﴾ بالتشديد ﴿الرُّوحَ﴾ بالنصب؛ أي: نزَّل اللَّه جبريلَ مع القرآن. و﴿نَزَلَ﴾ بالتخفيف ﴿الرُّوحُ﴾ بالرفع على أن الفعل لجبريل، يعني: نزل جبريل ومعه القرآن إذ هو أنزل القرآن[١]. و﴿الرُّوحُ﴾: جبريل، سمي به لِمَا يجري على يديه من الوحي الذي فيه الحياةُ من موت الجهالة، و﴿الْأَمِينُ﴾ صفتُه؛ لأنَّه أمين اللَّه على وحيه عَلِم

---

(١) السبعة (١/ ٤٧٣)، والتيسير (١/ ١٦٦).

اللَّه أنه لا يغيِّره ولا يبدِّله[١].

(١٩٤ - ١٩٦) - ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾: أي: لقَّنك حتى تلقَّنْتَه وحَفِظْتَه بقلبك، فصار قلبك وعاءً له، فكأنه ينزل على قلبك. ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾: أي: لتُنذر الناس به فتكونَ من المرسلين الذين كان الإنذار صفتَهم. ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾: أي: بلغةِ العرب، وهو مُبِينٌ ما يراد به لوضوحه، ومبينٌ للناس ما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم. ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: في كتب المرسلين الماضين المنزلةِ من اللَّه عليهم؛ أي: معناه فيها.

(١٩٧) - ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: معناه: ألَا يكفي أنَّ هذا القرآن مِن عند اللَّه أنْ يشهد بذلك علماءُ بني إسرائيل عبدُ اللَّه بن سلَام وسلمانُ ونحوُهما، وكانوا يرجعون في كثير من الأمور الدينية إلى علماء أهل الكتاب، وكان ذلك لازمًا لهم.

(١٩٨ - ١٩٩) - ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ﴾: أي: القرآن ﴿عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ والأعجم: الذي لا يُفصح عربيًّا كان أو غيره. ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على العرب ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم لا يعرفونه. وقيل: معناه: ولو نزلناه على رجلٍ من العَجَم يُحْسِن لسان العرب بالعربية، لكانت العرب لا تؤمن به ولا تتَّبعه لأَنَفتهم من اتِّباع العجم؛ أي: فلم أجعله كذلك، بل جعلتُه من أنفسهم والقرآنَ بلسانهم ليفهموه وليكونوا إليه أسكَنَ وبه أوثَقَ، ومع ذلك يُعرضون عنه فدل على عنادهم.

(٢٠٠-٢٠٣) - ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾: أي: أدخلنا الكفر، ﴿فِي قُلُوبِ

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٣٠٥).

﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: أي: المشركين الذي علِمنا منهم اختيارَ الكفر والإصرارَ عليه. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: أي: الهلاكَ المستأصِلَ الذي ينزل بهم في الدنيا، ويكون ذلك إيمانَ يأسٍ فلا ينفعهم. وقيل: هو عذاب يوم القيامة، ويَسألون الرجعة حينئذ ويندمون ولا ينفعهم. وقيل: هو قيام الساعة، ودليله ما بعده: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأة وهو الساعة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون. ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾: أي: يسألون الرجعة فلا يُجابون إليها.

(٢٠٤ -٢٠٧) – ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: توبيخٌ لهم وإنكارٌ عليهم قولَهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ثم بيَّن سفَهَهُم في هذا الاستعجال فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾أي: أخبرني ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾: قيل: هو سِنُو مدة الدنيا، وقيل: هي سِنُو مدةِ عمر كلِّ واحدٍ منهم. ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب ﴿مَا﴾ استفهامية بمعنى أي شيء ﴿أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه أي لم يغن[1].

(٢٠٨ -٢١١) – ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾: أي: رسلٌ مخوِّفون بعذابنا إنْ لم يؤمنوا. ﴿ذِكْرَى﴾: أي: تذكرةً ووعظاً ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: معذِّبين بغير ذنبٍ، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾: أي: بالقرآن، كما يقول هؤلاء: إنك كاهن، والكاهن يلقي عليه الشيطان، بل هو تنزيل رب العالمين. ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾: أي: للشياطين أن يتنزَّلوا به؛ أي: لم يجعلهم اللّٰه بهذا المحل فإنهم أرجاسٌ، وإنما جعل ذلك للملائكة المطهَّرة، الكرامِ البَرَرة. ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: أي: الشياطين.

(١) تفسير الجلالين(١/ ٤٩٢).

(٢١٢ -٢١٣) - ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾: أي: إن الشياطين قد عزلوا عن الأمكنة التي كانوا يسمعون فيها من الملائكة أخبارَ السماء برجمهم بالكواكب، قال تعالى خبرًا عن الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾[الجن: ٩]. ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾: أي: ينزلُ بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين قصَصْنا خبرهم.

(٢١٤) - ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾: أي: ابدأ بإنذار رهطِك الأدنَيْنَ إنْ لم يؤمنوا بك فتَنْحسِم أطماعهم وأطماعُ الأبعدين في تركهم وما هم عليه، وإن هم أجابوك كانوا عُدة لك على غيرهم، فكان أقوى لأمرك وأهيَبَ لأعدائك فامتثِلْ به(١).

(٢١٥ -٢١٦) - ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: أَلِنْ جانبَك لهم، وأراد به التواضُع والعطف، وقيل: أي: حسِّن خلقَك. ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾: أي: عشيرتُك؛ أو: المؤمنون ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فلم يقل: منكم، بل: إني بريء من أعمالكم لا أرضى بها. وقيل: أي: ليس عليَّ من أعمالكم تبعةٌ أنتم المؤاخَذون بها. وقيل: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ﴾ منها لا أملك لكم فيها شفاعةً عند اللَّه، ولا دفعًا لِمَا يحلُّ بكم من العقوبة.

(٢١٧ - ٢٢٠) - ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ﴾: أي: فوِّض أمرك في مُنابذة عشيرتك وغيرِ ذلك إلى اللَّه تعالى، المنيعِ الذي لا يغالَب ﴿الرَّحِيمِ﴾: الذي لا يخذل أولياءه، وثِقْ به ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾: أي: وحدك من فراشك أو من مجلسك إلى الصلاة لتلاوة كلامه ومناجاته ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾: حين تتقلَّب بين

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٣١١).

المصلين في الجماعة ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: الذي لا تخفى عليه الأصوات ﴿الْعَلِيمُ﴾: الذي لا تَعْزُبُ عنه الطَّويَّات[(١)].

(٢٢١ -٢٢٣) - ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾: أي: هل أخبركم أيها المشركون ﴿عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ﴾؛ أي: كذَّاب ﴿أَثِيمٍ﴾: عاصٍ مرتكبٍ للآثام، وهو الكاهن؛ أي: فكيف تنزل الشياطين بالكتاب على محمد ﷺ وهو يشتم الأفَّاكين الآثمين والشياطين ويذمُّهم ويلعنهم ويلعن مَن اتَّبعهم؟، والكاهن كان كذَّابًا يخلط الأكاذيب بما يلقي إليه الشيطان، ولدعواه علم الغيب. ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾: قال الكلبي: يستمعون القول؛ أي: الشياطينُ يلقون أسماعهم للاستماع من الملائكة، ثم يخلطون به كذبًا كثيرًا فيخبرون به الكهَّان. وقيل: ﴿يُلْقُونَ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهَّان. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾: يخلط الأكاذيب بذلك.

(٢٢٤ -٢٢٦) - ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾: فكيف يكون محمدٌ شاعرًا، وكيف يكون ما أتى به شعرًا، والشعراءُ أهل هَزْلٍ وكذبٍ، وأتباعُهم غواةٌ، ومحمد ﷺ صاحبُ جِدٍّ وصدق، وأصحابه مهتدون هداة؟ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ﴾: أي: الشعراءَ ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾: في كل طريق من الكلام ﴿يَهِيمُونَ﴾: يمضون على وجوههم حائرين عن القصد؛ من مدحٍ بكذبٍ، وهجاءٍ بباطل، وإخبارٍ على غير تثبُّت. ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾: يكذِبون في الوعد والوعيد، والمدحِ والذمِّ، والتفاخُرِ بالقبائل، وهذا في شعراء الجاهلية: عبدِ اللَّه بن الزِّبَعْرَى

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٦٦١ - ٦٦٣)، والبسيط (١٢/ ٦٥٨).

المخزوميِّ، وهبيرةَ بن أبي وَهْبٍ، ومسافعِ بن عبد منافٍ، وعمرِو بن عبد اللَّه أبي عزَّةَ، وأميةَ بن أبي الصلت، كانوا يهجون النبيَّ ﷺ ويذمُّون الإسلامَ، ويحرِّضون على الشرك وعبادة الأصنام.

(٢٢٧) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. قال عبد اللَّه بن رواحة: لما نزلت هذه الآية لقد خشيت أن أموت على هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، فاستثنى شعراء أهل الإسلام، وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد اللَّه بن رواحة وجماعةٌ من الصحابة كانوا ينشدون الأشعار وغيرَ ذلك. ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: في الشعر وغير الشعر ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾؛ أي: أجابوا شعراء الجاهلية الذين هجَوهم بشعرٍ قالوه في هجائهم، فهؤلاء مستثنَون من أولئك الشعراء، فإن أولئك هائمون في كلِّ وادٍ، ذامُّون للدِّين الحق وللرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ وللمؤمنين، وهؤلاء ليسوا بهائمين بل يذمُّون الدِّين الباطلَ والمشركين. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: من الشعراء وغيرهم ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾؛ أي: في الآخرة في منقلب الظلمة وهي النار؛ أي: يعلمون علم العِيان إذ تركوا النظر في الدنيا فلم يعلموا علم الاستدلال، أو علموا علم الاستدلال في الدنيا وعاندوا، فيعلمون علم العيان في الآخرة[١].

(انتهى تفسير سورة الشعراء).

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٤)، وتأويلات أهل السنة (٧/ ٩٢). وجامع البيان (١٧/ ٦٧٤ - ٦٧٥)، والتيسير في التفسير (١١، ٣١٩).

(٢٧) سورة النمل مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة النمل مكية، أشهر أسمائها «سورة النمل»، وتسمى أيضًا «سورة سليمان»، وتسمى «سورة الهدهد»، ووجه الأسماء الثلاثة أن لفظ النمل ولفظ الهدهد لم يذكرا في سورة من القرآن غيرها، وأما تسميتها «سورة سليمان» فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصلًا لم يذكر مثله في غيرها، وهي السورة الثامنة والأربعون في عداد نزول السور، نزلت بعد الشعراء وقبل القصص، وهي ثلاثٌ وتسعون آيةً، وقيل: أربع، وقيل: خمسٌ، والاختلافُ في آيتين: ﴿وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ و﴿مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾، وكلماتها ألفٌ ومئة واثنتان وخمسون، وحروفها أربعة آلاف وستُّ مئة وخمسة وتسعون.

من أغراض هذه السورة:

أول أغراض هذه السورة افتتاحها بما يشير إلى إعجاز القرآن ببلاغة نظمه وعلو معانيه، بما يشير إليه الحرفان المقطعان في أولها والتنويه بشأن القرآن وأنه هدى لمن ييسر الله الاهتداء به دون من جحدوا أنه من عند الله، والتحدي بعلم ما فيه من أخبار الأنبياء، والاعتبار بملك أعظم ملك أوتيه نبيء. وهو ملك داود وملك سليمان -عليهما السلام-، وما بلغه من العلم بأحوال الطير، وما بلغ إليه ملكه من عظمة الحضارة، وأشهر أمة في العرب أوتيت قوة وهي أمة ثمود. والإشارة إلى ملك عظيم من العرب وهو ملك سبأ. وفي ذلك إيماء إلى أن نبوءة محمد ﷺ رسالة تقارنها سياسة الأمة ثم

يعقبها ملك، وهو خلافة النبي ﷺ، وأن الشريعة المحمدية سيقام بها ملك للأمة عتيد كما أقيم لبني إسرائيل ملك سليمان، ومحاجة المشركين في بطلان دينهم وتزييف آلهتهم وإبطال أخبار كهانهم وعرافيهم، وسدنة آلهتهم. وإثبات البعث وما يتقدمه من أهوال القيامة وأشراطها، وأن القرآن مهيمن على الكتب السابقة. ثم موادعة المشركين وإنباؤهم بأن شأن الرسول الاستمرار على إبلاغ القرآن وإنذارهم بأن آيات الصدق سيشاهدونها والله مطلع على أعمالهم[١].

وانتظام أول هذه السورة بآخر السورة التي قبلها: أنهما جميعًا في بيان أن القرآن منزل من عند اللَّه معجزةً لرسول اللَّه هاديًا الخلق إلى اللَّه، وانتظام السورتين: أنهما جميعًا في بيان وحدانية اللَّه تعالى، وإبطالِ الشرك باللَّه، وذكرِ قصص الدعاة إلى اللَّه[٢].

(١) - ﴿طس﴾ الله أعلم بمراده. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾: أي: هذه آياتُ القرآن ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وهو القرآن، وإنما جمع بينهما لاجتماع الوصفين له، فإنه يُقرأ ويُكتب، والواو ليست للمغايرة بل للدلالة على الوصفين.

(٢ - ٣) - ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تلك آيات القرآن الهادي للمؤمنين إلى صراطٍ مستقيم، والمبشر لهم جنات النعيم، خصَّ المؤمنين بالذكر لانتفاعهم به. ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: خصَّهم بإضافة الهدى والبشرى إليهم؛ لحصول نفع ذلك لهم، وإذا أيقنوا بالآخرة كانوا مشفقين من التقصير؛ كما قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ٢١٦).

(٢) الكشف والبيان (٧/ ١٨٨)، والبيان في عد آي القرآن (١/ ١٩٩).

﴿إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وكذلك إذا أيقنوا بالجزاء كانوا أنشطَ في الطاعة وأحرصَ عليها؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

(٤) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: ذكر الذين لا يؤمنون بالآخرة بعدما ذكر المؤمنين بها، وذكر صفتهم فقال: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي: الأعمالَ التي يعملونها بما ركَّبنا فيهم من الشهوات والأماني حتى رأوا ذلك حسنًا، ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾: أي: يترددون في الضلالة متحيِّرين[1].

(٥) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾: بما كان منهم من سوء الأعمال، و﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾: اشتداده وامتداده، وقيل: هو قتلُهم يومَ بدر. ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾: تكرار كلمة ﴿هُمُ﴾ للتحقيق والتأكيد، وكذلك في الآية الأولى: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. و﴿الْأَخْسَرُونَ﴾؛ أي: الخاسرون، وقيل: هو على حقيقته للتفضيل، ومعناه: هم الأخسرون من الخاسرين في الدنيا؛ أي: الأعظمون هلاكًا والأبينون خسرانًا؛ لأنهم خسروا الجنة ومجاورةَ الأنبياء والأولياء واكتسبوا سوء العذاب ومجاورةَ الشياطين والكفار، فمَن أظهر غبنًا منهم؟.

(٦ - ٧) - ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ﴾: أي: لتُلقَّنُه وتُعلَّمُه ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ﴾؛ أي: من عند الله الذي هو مصيب في أفعاله وأقواله ﴿عَلِيمٍ﴾ بكلِّ شيء وأحواله. ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾: أي: واذكر إذ قال موسى ﴿لِأَهْلِهِ﴾: لزوجته وولده ومَن كان معه في سفره إذ خرج من مدينَ يقصد الشام: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾: أي: أبصرتُ؛ أي: امكثوا هاهنا وأنا أذهب إليها. ﴿سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾: أي: بدلالةٍ

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٨٦)، والتيسير في التفسير (١١/ ٣٢٤).

على الطريق؛ كما قال: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، وكان ضلَّ الطريق مع وجود البرد. ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾: والشهاب: الشُّعلة، والقبس: ما اقتُبس من نارٍ كثيرةٍ على طرفِ خشبة، والتنوين على أن الثانيَ بدل وترجمة عن الأول، وتركُ التنوين على الإضافة، وهو قد يكون إضافةَ الشيء إلى نفسه، كـ﴿حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، و﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩]، وقد يكون على أن الشهاب اللهبُ، والقبسَ: النار التي في الخشب، فكان إضافةَ الشيء إلى غيره. ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: أي: تستدفئون بالنار من البرد الذي أصابكم.

(٨) - ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾: أي: النارَ ﴿نُودِيَ﴾؛ أي: جاءه النِّدَاء، وهو الكلام المسموع، والمنادي هو اللَّه تعالى كما قال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]. ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾؛ أي: نودي بهذا الكلام: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾: الملائكةُ الذين أحضرهم اللَّه تعالى ذلك المكان إكرامًا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كالملِك منا إذا أراد إكرام رجل من أوليائه أو إرسالَه في وجهٍ جليلِ الخطر أشهَدَ ذلك الموضعَ خواصَّه وعظماء حشَمه(١)، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: الملائكة أيضًا، بارك اللَّه عليهم؛ أي: تابع لهم الخيرات ليَعلم موسى أنه هُيِّئ في ذلك المقام لأمر عظيم أحضره المقرَّبين من الملائكة، وقيل: يجوز أن يكون أراد بـ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾: مَن دنا منها وإن لم يكن فيها؛ وهم الملائكة أيضًا الذين بقربها وحولها. وقيل: ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾؛ أي: مَن في طلَب النار وهو موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: الملائكة. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: واللَّهُ منزَّهٌ عن أن يكون له شريك أو يوصفَ بما لا يليق به.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٣٦) والكشف والبيان (٧/ ١٩٠)، والبسيط (١٧/ ١٦٤).

(٩ - ١٠) - ﴿يَامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾: أي: المنيع فلا أغالَبُ ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقوالي وأفعالي، فلحكمتي اخترتُك لرسالتي، ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾: أي: اطرح العصا التي بيدك. ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾: أي: فألقاها فرآها تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾؛ أي: حية ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾؛ أي: هرب خوفًا من وثوب الحية عليه ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾؛ أي: لم يرجع ولم يحوِّل عَقِبه متوجِّهًا إلى عصاه. ﴿يَامُوسَى لَا تَخَفْ﴾: أي: قلنا له: يا موسى لا تخف ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾؛ أي: عندي، ومعناه: في حال خطابي إياهم، و﴿لَا تَخَفْ﴾؛ أي: لا يخاف ما دوني.

(١١) - ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾: أي: لكنْ مَن زلَّ من المرسلين فجاء منه غيرُ ما أَذنتُ له به ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾؛ أي: أَتبعَ توبةً وندمًا ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾؛ أي: زلةٍ ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أقبل توبته، وأغفر زلّته، وأرحمه فأحقِّق أمنيتَه. و﴿إِلَّا﴾ بمعنى (لكن) على هذا التأويل. ووجهٌ آخر: ﴿لَا يَخَافُ﴾ عند خطابي أحدٌ من رسلي ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾؛ أي: زلَّ زلةً فإنه يخاف، ثم هاهنا مضمر: ومَن ظلَم ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾؛ أي: تاب بعد زلة ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. أُؤْمنُه من خوفه وأرحمه وأغفر له.

(١٢) - ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: أي: في جيب قميصك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾؛ أي: آفةٍ من برصٍ وغيره. ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾؛ أي: هما معجزتان: عصاك ويداك في جملةِ تسعِ معجزات أُوتِيتَها، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾: أي: مبعوثٍ بهن أنت إلى فرعون وأشرافِ قومه، حُذف ذلك لدلالة الكلام عليه، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا

﴿قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: أي: هم متقادِمو الفسق، وهو الخروج عن طاعة اللَّه[(١)].

(١٣ - ١٤) - ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾: أي: المعجزاتُ التي آتيناها موسى ﴿مُبْصِرَةً﴾؛ أي: واضحةً بينة، و﴿مُبْصِرَةً﴾: ذاتَ إبصارٍ؛ أي: فيها إبصارٌ لمن نظر إليها. ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: أي: قالوا لمعجزته: هذا تخييلٌ لا حقيقةَ له، ظاهرٌ لمن تأمَّله. ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾: أي: أنكروها ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾؛ أي: وقد تيقَّنت بصحتها قلوبُهم ﴿ظُلْمًا﴾ لأنفسهم ولآيات اللَّه بوضعها غيرَ موضعها ﴿وَعُلُوًّا﴾: تكبُّرًا من اتِّباع موسى، وترؤُّسًا على الناس. ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: أي: فانظر يا محمدُ ﷺ نظرَ اعتبارٍ بالقلب كيف كان ختمُ أمرهم في الدنيا الهلاك، ثم لهم في الآخرة أشدُّ العذاب وذلك حال قومك.

(١٥) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾: أَتبَع قصة موسى قصةَ داود وسليمان، وفي الأولى: البلاء والصبر، وفي الثانية: العطاء والشكر؛ تنبيهًا لمحمدٍ ﷺ على فضلهما، ودعاءً له إليهما، واقتداءً منه بهما؛ قال اللَّه تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠]. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾؛ أي: أعطينا ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾؛ أي: بالدِّين والحُكم وغيرِ ذلك، ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بما آتانا.

(١٦) - ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾أي: ملكَه وعلمه ﴿وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾؛ أي: تفضل اللَّه عليَّ بزيادةٍ على ما ورَّثنيه من أبي من النبوة

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٨٨)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (١/ ١٣٨)، وجامع البيان (٥/(١٨/ ٢١).

والملك والعلم، بأنْ علَّمني منطق الطير؛ أي: فهَّمني ما يقول الطير. ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: أعطانا اللَّه الكثير من خيرات الدنيا، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾: مبينٌ عن نفسه ولا يخفى على مَن شاهده جلالةُ قَدْرِه.

(١٧) - ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: أي: جُمع وسِيق في مسير سليمان ما سخَّر له من جنود الإنس والجن والطير، فهو يسير فيهم كما يسير الملِك في عسكره. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: أي: فعليهم وَزَعةٌ يَحبسون أولهم على آخرهم إذا تفرَّقوا حتى يجتمعوا في مسيرهم، وذلك أحسنُ في الهيئة، وأهيَبُ في الرؤية، وقيل: ﴿يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يساقون. وقيل: ﴿يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يُدفعون[(١)]، والوَزْع: الكفُّ والمنع، والوَزَعة: جمع وازعٍ، وهو الذي يكفُّ الجيش من التفرُّق والانتشار، ويكفُّ العامة عن التظالُم والإفساد، وفي الخبر: ما يَزَعُ السلطانُ أكثرُ مما يَزَع القرآن[(٢)].

(١٨) - ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾: أي: على وادٍ فيه نملٌ كثير، وهو كما يقال: هذا بلدُ الإبل؛ أي: الإبلُ فيه كثيرةٌ، وكذا: هذا بلدُ النمل، وكان النمل يكون في غير ذلك الوادي أيضًا، لكن كانت به كثيرةً. ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: أي: سمع سليمان نملةً تقول: ﴿يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾؛ أي لا يَدُقَّنكم ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾؛ أي: خيلُ سليمانَ وجنودِه بأرجلها ولا يكسرنَّكم

---

(١) تأويلات أهل السنة (٨/ ١٠٤)، والتيسير في التفسير (١١/ ٣٣٤).

(٢) رواه ابن شبة في أخبار المدينة (١٧٠٤) من قول عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ١٠٧) من قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بذلك ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون بمكانكم، قالت النملة ذلك على وجه العذر، ووصفت سليمان وجنوده بالعدل.

(١٩) - ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوۡلِهَا﴾: تعجُّبًا منها وسرورًا بما أعطاه اللَّه مِن فَهم كلامها ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾؛ أي: ألهِمْني ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ من النبوة والعلم والمُلك وغير ذلك ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ والإنعامُ على الوالدين إنعامٌ على الولد. ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحًا تَرۡضَىٰهُ﴾ في بقية عمري ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: وأدخلني الجنة برحمتك مع عبادك الصالحين، وهم الأنبياء ومن تبعهم من أهل الجنة، وذلك برحمة اللَّه، وهو دعاءٌ بحُسن العاقبة[(١)] كدعاء يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمًا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

(٢٠-٢١) - ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ﴾: أي: تعرَّف الطير فلم يجد فيها الهدهد، والتفقُّد: طلب ما غاب[(٢)]، ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾: بدأ أولًا بنفسه ثم قال: ﴿أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾أي: بل كان. ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قيل: أي: لأنتفنَّ ريشه ولأطرحنَّه في الشمس، وقيل: لأمنعنَّه من خِدمتي. وقيل: لأفرِّقن بينه وبين إلفه. ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾، ثم جعل لنفسه مخرجًا مما توعَّده به فقال: ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾؛ أي: بحجةٍ ظاهرة له فيها عذرٌ ظاهر في غيبته[(٣)].

---

(١) زاد المسير (٦٨/ ١٦٢)، والكشف والبيان (٧/ ١٩٦)، وجامع البيان (١٨/ ٢٨)، والبسيط (١٧/ ١٨٨)، والمحرر الوجيز" (٤/ ٢٥٣).

(٢) العين (٥/ ١٢١).

(٣) جامع البيان (١٨/ ٣٣)، تفسير مقاتل (٣/ ٣٠٠)، والكشف والبيان (٧/ ١٩٨).

(٢٢) - ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: أي: لبث الهدهد زمانًا قليلًا. وقيل: لبث سليمان وجاء الهدهد ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾: أي: علمت ما لم تعلم، وقيل: رأيتُ ما لم ترَ. وقيل: أدركتُ ما لم تدركْ. وقيل: أي: شهدتُ ما لم تشهدْ. ثم فسره فقال: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾: وهي قرية بلقيس ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾؛ أي: بخبرٍ متيقَّن.

(٢٣) - ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾: أي: تملك أهلَ سبأ ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: مما تحتاج إليه الملوك: من الرجال والأموال والآلات وصنوف النِّعم. ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: أي: سريرٌ عظيم تجلس عليه كما تجلس الملوك على الأسرَّة تعظُّمًا.

(٢٤) - ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾: أي: يعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي: حبَّب إليهم كفرهم ومعاصيهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾؛ أي: فعدل بهم عن الطريقة المستقيمة، وهي التوحيد وإخلاص العبادة لله. ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾: لذلك لسبيل الرشد(١).

(٢٥-٢٦) - ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: بالتخفيف، ومعناه: (ألَا) كلمة تنبيهٍ، و﴿يَسْجُدُوا﴾ بمعنى: يا اسجدوا، (يا) نداء والمنادى مضمر؛ أي: يا هؤلاء اسجدوا لله، وبالتشديد، وله وجوه: أحدها: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ألَّا يسجدوا. والثاني: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أعمالهم لئلا يسجدوا. والثالث: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ لئلا يسجدوا(٢). ﴿لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٣٠١)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ١١٤).

(٢) السبعة (١/ ٤٨٠)، والتيسير (ص: ١٦٧ - ١٦٨)، والنشر (٢/ ٣٣٧).

أي: ينزل المخبوء؛ أي: المستور المكنون الذي في السماوات والأرض، وخَبْءُ السماوات: المطر والريح، وخَبْءُ الأرض: الشجر والنبات. وقيل: يدخل في ذلك معادن الأرض. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: أي: يعلم ما تبدونه وما تكتمونه. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: فهو المستحِقُّ للعبادة دون الشمس.

(٢٧- ٢٨) - ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: قال سليمان للهدهد سنعرف حقيقة ما أخبرتَ به عن سبأ وملكها وأهلها، هل أخبرتَ بالصدق فتُعذرَ في غيبتك، أو أخبرت بالكذب فتؤدَّبَ على فعلتك؟ وذلك قوله تعالى: ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: و﴿كُنْتَ﴾ بمعنى أنت. وقيل: معنى ذلك: أم كذبتَ، على الماضي. ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا﴾: أي: فكتب سليمان كتابًا إلى ملكة سبأ وقال للهدهد: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا﴾ وهو ما ذكر بعده. قوله: ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾: أي: اطرحه إليهم؛ لأن الطائر لا يمنكه تبليغ الكتاب مناولةً. ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي: تنحَّ عنهم لئلا تؤخذ، وكن قريبًا منهم بحيث تسمع كلامهم ماذا يجيبون، وهو قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: أي: يردُّون من الجواب. وقيل: ﴿فَانْظُرْ﴾؛ أي: فانتظر، وقوله: ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: يتراجعون بينهم الكلام.

(٢٩) - ﴿قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾. ثم هاهنا مضمر: فذهب الهدهد بالكتاب فألقاه إليها ﴿قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ﴾: أي: قالت ملكة سبأ لأشراف قومها: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وهو هذا الكتاب، خلت بوزرائها فقالت لهم: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾؛ أي: شريف فاضل. وقيل: الكريم:

الحقيق بأن يؤمَّل فيه كلُّ خير، ورأت آثار ذلك في هذا الكتاب فلذلك قالت ما قالت. وقيل: سمَّته كريمًا لحُسْن ما فيه: من افتتاحه بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، والدعاءِ فيه إلى الإسلام، ومن وَجازة الخطاب فيه مع إتيانه على المراد.

(٣٠ - ٣١) - ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾: قيل: كان هذا عنوانَ الكتاب ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ هذا مضمونه. وقيل: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾ كان في أول السطر في الداخل، وإنما بدأ به لأن ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ كان لا يأمن أن تستخِفَّ به بلقيس، فقال: لو ستخَفَّت به بلقيس كان باسمي لا باسم اللَّه، وكان ذلك تعظيمًا لاسم اللَّه لا تقديمًا لاسمه. ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾؛ أي: لا تتكبَّروا عليَّ ولا تخالفوني ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ خاضعين للَّه منقادين له متديِّنين له بالدِّين الحق. ويحتمل: مستسلِمين منقادين لأمري[1].

(٣٢-٣٤) - ﴿قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾: أي: أشيروا عليَّ فيما حدث لي من هذا الأمر: ماذا أصنع؟ ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾: أي: منفِّذةً عزمًا ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ أنتم؛ أي: تحضرون فأشاوركم وأمضيَه على اتِّفاق منكم، استعطفَتْهم وراعَتْهم فاحترموها، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: قادرون على القتال إن احتيج إليه؛ لوفور عَدَدِنا وعُدَدِنا ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ في الانقياد لصاحب الكتاب أو محاربته ﴿فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ به من الأمرين، فلا نكلِّفك ما لا تريدين ولا نخالفك فيما تأمرين. ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾: أي: استولَوا على مدينةٍ بالقهر ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ وسعَوا فيها بالفساد

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٣٤٨).

والتخريب ليزول تحرُّز أهلها بها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ بسلبِ نعمهم وأموالهم وأعوانهم ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: سليمانُ وقومه بكم إن دخلوا مدينتكم، فكان أولُ الآية على عموم الملوك وآخرُ الآية على خصوص هؤلاء.

وقيل: هذا قول الله ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: كذلك تفعل الملوك كما قالت هي.

(٣٥) - ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾: أي: من رأيي أن لا أعجل بالقتال الذي قد يكون علينا، ولكنْ أتعرفُ الحال، فأُرسل هديةً فأنظرُ ما يكون منهم، وبماذا يرجعون من عندهم رسلي؟ فإن رجعوا بردِّ الهدية فالقوم طالِبو دِينٍ لا يكفُّهم عنا إلا الاتِّباع، ولا طاقةَ لنا بقتالهم. وقال الفراء: ذكروا أنها أرسلت واحدًا، ولذلك قال بعده: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾، وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾. وإنما قالت: ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ تعظيمًا للرسول، أو هذا من متعارَفِ اللسان؛ يقول الملك: أرسلْ إلى فلان رسلًا، وهو يريد الواحد، ويَجمع للتعظيم، أو لأنه يكون معه أتباع، ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ وقال: ﴿ارْجِعْ﴾ خطابًا لرأسهم وإخبارًا عن كبيرهم[1].

(٣٦) - ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾: أي: جاء الرسولُ، وقيل: جاء ما أَهدت.

﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾: استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: أتبعثون إليَّ ما لا تقدرون به الزيادة في مالي ونعمي. ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ﴾: أي: فالذي أعطاني الله من الملك والنبوة وسخَّر لي الطير والوحش والجن والإنس ﴿خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾؛ أي: أفضلُ وأكثر مما أعطاكم، فلا أفرح به ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾. قيل: بل

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٣)، وجامع البيان (١٨/ ٥٤)

أنتم بهذا المال أهدَيْتُموه إليَّ تفرحون إعظامًا منكم له. وقيل: معناه: بل أنتم بما يُهْدَى إليكم تفرحون؛ لأنكم أهلُ تفاخُرٍ وتكاثُرٍ بالدنيا.

(٣٧) - ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾: أيها الرسول بهذه الهدية فلا حاجة لي فيها، ولا أمتنعُ عن دعوتكم إلى الإسلام، فإنْ لم تفعلوا ولم تأتوني طائعين ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾؛ أي: لا طاقة لهم بها؛ أي: ولا يمكنُهم دفعُها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾؛ أي: من قريتهم، وقد سبق ذكر القرية: ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ ﴿أَذِلَّةً﴾؛ أي: قد سلبتُهم العز بالاستيلاء على أموالهم وعيالهم، وقهر أنصارهم. وقيل: مغلولةً أيديهم إلى أعناقهم. ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: مُهَانون.

(٣٨) - ﴿قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ يعني: ملأ الجن ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾؛ أي: قبل أن يرجع إليهم رسلُهم فينذروهم فيأتوني مسلمين، فإذا أسلموا فليس عليهم سبيل، ولا يحلُّ لي حينئذ أن أُجْلِيَهم من بلادهم. قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: قال سليمان هذا حين جاء الهدهد، فامتَحن ذلك، وجاء آصف بالعرش ثم كتب إليه الكتاب، ولولا ذلك لم يَكتب إليها بقول الهدهد من غير ثبوت[(١)]، وقيل: فعل ذلك ليثبتَ عندها أنه رسولٌ وملكه سماويٌّ، فتُضطرَّ هي وقومُها إلى الإسلام.

(٣٩) - ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ أي: داهيةٌ. وقيل: هو القوي النافذ، وقيل: هو الشديد الوثيق. وقيل: هو المارد. ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾: أي: مجلسِ قضائك، سماه مقامًا لأنه يقوم فيه بالقضاء بين الناس؛

---

(١) جامع البيان (١٨/ ٦٠ - ٦١).

كالمقامات التي تكون للخطباء والرؤساء. وقيل: أي: من مجلسك، وسماه مقامًا لأن عاقبته القيامُ عنه. ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾: أي: قادر ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من ذهب وجوهر، لا أخون في ذلك[1].

(٤٠) - ﴿قَالَ الَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾: هو آصفُ بن بَرَخيا، وقيل: آصف بن يوسف، وقيل: ضبَّة والدُ بني ضبة من العرب، وقد ادَّعى ذلك بعض بني ضبَّة، وكان آصفُ وزير سليمان. ﴿عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾؛ أي: من الكتب المنزلة. وقيل: كان يعلم اسمَ اللَّه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وكان مستجابَ الدعوة. ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِۦ﴾بأسرع من ذلك، ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: قيل: قبل أن يرجع إليك طرفك ببصرك، كأنك تفتح بصرك لتنظر إلى شيء، فتنظر إليه ثم تردُّ بصرك عن النظر. وقيل: قبل أن يأتيك الشيء من مدِّ بصرك، ومجازه: من قبل أن يرجع إليك مَن تنظر إليه منتهَى بصرِك. ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾: قيل: فدعا اللَّهَ آصف، فرفع سليمان طَرْفه ثم ردَّه فإذا هو عنده. ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ﴾؛ أي: إن ما فعله ربي من إلقاء الرعب في قلبها حتى أقبلت إليَّ مع قومها في تلك الرواية، ومن إحضار عرشها في هذه المدة من مسيرة شهرين على هذه الرواية ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى﴾؛ أي: من إفضاله عليَّ من غير استحقاقٍ مني ليمتحنني ﴿ءَأَشْكُرُ﴾؛ أي: إنعامَه ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ لم يفعل ذلك بي لأستعين به على معاصيه ولا لأفاخر به. ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾: لأن المزيد يحصل له به، وحقُّ النعمة يقضي به. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّى

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٤)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٢٤).

﴿غَنِيٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ لا يعجِّل بعقوبةِ مَن كفر نعمه[١].

(٤١) - ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾: أي: غيِّروا، والتنكير: التغيير، والتنكُّر: التغيُّر. ﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾: أتعرفُ ذلك وتعقله أم لا تعقله ولا تعرفه؟ وقيل: ﴿أَتَهْتَدِي﴾ إلى الإسلام بهذه الآية وهو حملُها إليَّ في هذه المدة اليسيرة، أم لا تهتدي إليه؟ والتغيير يكون بالزيادة والنقصان أو العكس.

(٤٢) - ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾: لما رأته محمولًا على الريح مقلوبًا وهو في الهواء لا يقع على الأرض، وقد صُنع فيه ما هو أعجب وأفخر ما كان فيه، أنكرته، فعند ذلك ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾. لم تعرف ولم تنكر ذلك لمَّا بَعُدَ عندها أن يكون هو هو؛ لأنَّها خلَّفته في منزلها، ثم وكَّلت به مَن وكَّلت، فلم تقل: هو، ولما رأت فيه من التغيير ولم تقطع أيضًا على أنه ليس هو لِمَا رأت فيه من المشابهة فقالت قولًا بين النفي والإثبات تحرُّزًا عن الكذب بالقطع على أحدهما من غير ثبت. ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾: قيل: أي: قالت: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ بالله ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾: من قبلِ صحبة سليمان ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: أسلمنا قبل أن نجيء. وقيل: هذا قول سليمان على وجه الشكر آتيناه العلم به من قبل هذه المرأة ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ أي: منقادين لله.

(٤٣) - ﴿وَصَدَّهَا﴾: أي: ومنع المرأة ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: عبادتها الشمس من دون الله عبادة الله، وقيل: صدها عن العلم والاهتداء. ﴿إِنَّهَا

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٤)، والكشف والبيان (٧/ ٢١١)، وجامع البيان (١٨/ ٧٢) والبسيط (١٧/ ٢٤٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٦٨).

﴿كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾: أي: فإنها كانت كذلك، قيل: هذه الآية قول سليمان. وقيل: هو قول الله تعالى. وقيل: ﴿وَصَدَّهَا﴾؛ أي: ومنعها سليمان. وقيل: ومنعها الله ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: من عبادة غير الله.

(٤٤) - ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ أي: القصر، وقيل: هو عَرصةُ الدار، وقيل: هو البنيان المرتفع. ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾: هي موضع الماء. ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ قيل لها: إنه ليس بماء، ولكنه: ﴿صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾؛ أي: مملَّسٌ من قوارير، فأسلمت عند ذلك و﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ﴾ بعبادة غيرك[1]. ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: انقادت وأذعنت لرب الوجود، بإسلامها مع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٤٥) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾: وهذه قصةٌ أخرى في معنى ما مضى ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ أي: ليقول لهم: وحِّدوا الله. ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾: فصدَّقه بعضهم وكذَّبه بعضهم فصاروا فريقين. ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ على الجمع لأن الفريقين جمعان، معناه: يخاصم كلُّ فريقٍ الآخرَ في مخالفته ومحاجَّته في إثبات قول نفسه.

(٤٦) - ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: وكان من عادة الأمم المكذِّبة استعجالُ العذاب كقولهم: ﴿ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ [الأعراف: ٧٧] ونحوِ ذلك. وقيل: معناه: لمَ تفعلون ما تستحقُّون به أن تعاجَلوا بالعذاب من الكفر والمعاصي، ولم يُرد به السؤال. ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾: أي: هلا تتوبون إلى الله

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٥٠٠).

من الكفر، فيكونَ ذلك سؤالَ المغفرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: راجين رحمة اللَّه.

(٤٧) - ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾: أي: تشاءمنا بكم فلا نتَّبعكم لئلا تصيبَنا المكارهُ في أنفسنا وأولادنا وأهالينا وأموالنا، آيَسوه عن إيمانهم. وقيل: قُحِطوا فقالوا: هذا بشؤمكم. ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: ما أصابكم من مكروهٍ أو محبوب فمن اللَّه لا مني. وكان الكفار إذا أصابتهم شدة في زمن النبي ﷺ قالوا: هذه من شؤمه، وإذا أصابتهم نعمة قالوا: هذه باستحقاقنا، كما ذكر اللَّه ذلك عن قوم موسى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وقال المشركون لنبينا عَلَيْهِ السَّلَامُ ما ذكر عنهم: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [النساء: ٧٨]. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: أي: تُمتحنون مرةً بالشدة ومرةً بالرخاء. وقيل: أي: بل الكفار يَفتنونكم بالدعوة إلى الثبات على الكفر والتطيُّر فيَّ. وقيل: معناه: بل أنتم قوم تعذَّبون بذلك في الآخرة، قال اللَّه تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]؛ أي: يعذَّبون[١].

(٤٨) - ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كانوا من أولاد الأشراف وكانوا فسَّاقًا، وقيل: هم قُدَار بن سالفٍ، ومِصْدعُ بن دهر، وأسلم، ورهمي ورُهيم، ورعمي ورعيم، وقبال وصداف، عقروا الناقة يوم الأربعاء فأهلكهم اللَّه يوم السبت[٢].

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٣٦٨).

(٢) تأويلات أهل السنة (٨/ ١٢٣)، والنكت والعيون(٤/ ٢١٩)، والكشاف (٣/ ٣٧٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٨٣).

(٤٩) - ﴿قَالُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُوا﴾ أي: احلفوا على الأمر؛ ﴿بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ بالنون والتاء وضم التاء الثانية ﴿وَأَهْلَه﴾ أي: من آمن به أي نقتلهم ليلًا ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ النون والتاء وضم اللام الثانية ﴿لِوَلِيِّهِ﴾أي: لولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ ما حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ بفتح الميم وكسر اللام، ومعناه: الهلاك؛ أي: موضع الهلاك. وبضم الميم وفتح اللام، وهو الإهلاك وموضع الإهلاك. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي: فيما قلنا[١].

(٥٠ - ٥١) - ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾: قصدوا قتلَ صالح وأهله في خفيةٍ ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾: جازيناهم جزاء مكرهم وأهلكناهم في خفيةٍ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم حين قصدوا ذلك أنه يعود قصدهم عليه. ﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾: أي: كان عاقبةُ مكرهم تدميرَهم، ﴿دَمَّرْنَاهُمْ﴾؛ أي: أهلكناهم؛ أي: التسعة ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: سائرَ قوم صالح.

(٥٢ -٥٣) - ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾: أي: خاليةً، وقيل: ساقطةً، ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾: أي: بظلمهم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي: يتأمّلون فيعرفون فيتَّعظون. ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي: الشرك، فميَّزنا بين المحسنين والمسيئين.

(٥٤ - ٥٥) - ﴿وَلُوطًا﴾: عطف على ﴿صَالِحًا﴾؛ أي: وأرسلنا لوطًا إلى قومه. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾: أي: الفعلةَ القبيحةَ، وهي إتيان

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٥٠٠).

الذكران. ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: ترون قبحها بقلوبكم وهو العلم. وقيل: يبصر بعضكم بعضًا على ذلك. وقيل: ﴿تُبْصِرُونَ﴾ آياتي، وتعلمون صدقي، ولا تنتهون بنهيي. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾: استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ، وكذلك الأول وهو قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾. وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: أي: ليس ذلك منكم لوجود الشهوة في الرجال وعدَمِها في النساء، بل لفرط جهالتكم تفعلون ذلك(١).

(٥٦ -٥٧) - ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾: أي: لوطًا ومتَّبِعيه ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أرادوا به الاستهزاء؛ كما في قولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]. وقيل: أي: ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ عند أنفسهم وفي زعمهم. وقيل: أي: يتنزَّهون عن مثلِ عملنا ويخالفوننا. ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: أي: الباقين في الهلاك.

(٥٨ -٥٩) - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: أي حجارةً من سجِّيلٍ من السماء ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: بئس مطر المنذرين بالعذاب مطرهم. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: ﴿قُلِ﴾ يا محمدُ ﷺ: الشكرُ للّه على إهلاك الأعداء وإنجاء الأولياء. وقيل: أي: على بيان آيات الوحدانية وإبطالِ الكُفر والكَفرة. ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾: أي: الأنبياءِ والمؤمنين. وقيل: أصحاب رسول اللّه ﷺ، وعلى هذا أمَرَه بالحمد على إعطاء الرسالة، والسلامِ على الصحابة، ثم علمه محاجة المشركين فقال: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: استفهامٌ للتقرير؛ أي: آللَّه القادر على

(١) الكشف والبيان(٧/ ٢١٧)، والبسيط (١٧/ ٢٦٥)، ومعالم التنزيل (٦/ ١٧٠).

الإهلاك والإنجاء وعلى كلِّ شيء خيرٌ، أم الأصنام التي تشركونها بالله وهي عاجزة جماد؟؛ أي: بل الله هو المستحق للعبادة دونها.

(٦٠-٦١) - ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: له وجهان: أحدهما: ابتداء سؤال على معنى التقرير؛ كما في قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ﴾ فإنهم إذا سئلوا عن هذا اعترفوا فلزمهم وجوب العبادة له دون غيره. والثاني: بإضمار آخر الآية الأولى: أمَا تشركون خير أمَّن خلق السماوات والأرض؟. ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾: صرف الكلام عن المغايبة وهو قوله: ﴿وَأَنْزَلَ﴾ إلى الإخبار عن نفسه، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾، وهو من أقسام البلاغة. ﴿حَدَائِقَ﴾: بساتين ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: أي: حُسن وزينة. ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾: أي: ليس من صفتكم القدرةُ على إنباتها. وقيل: ما يمكنكم أن تنبتوها إلا بالماء، وأنزلنا الماء لقضاء حوائجكم. ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا إله مع الله، وهو المنفرد بالألوهية والربوبية وكمال القدرة. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: أي: الكفار يميلون عن الحق. وقيل: أي: يَعدِلون بالله غيرَه؛ أي: ينسبون الأصنام به بالإشراك.﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾: مستقرًّا للخلق، ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾: أي: أوساطَها ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾؛ أي: جبالًا ثوابت لتسكينها عن الاضطراب ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ العذبِ والمِلْحِ ﴿حَاجِزًا﴾؛ أي مانعًا عن الاختلاط، ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يَفعل كذلك، وهو بمعنى النفي. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الكناية عن قوم النبي ﷺ، وأقلُّهم علموا وآمنوا،

وأكثرهم لم يعلموا بترك التأمُّل في الدلائل فأصرُّوا على الكفر [١].

(٦٢) - ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾أي: المكروب الذي مسه الضر ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ عنه وعن غيره﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾: أي: ساكنيها بعد ذهاب السَّلَف، وكانوا مُقِرِّين بذلك كلِّه، فكانوا إذا اضطُروا وأصابهم سوءٌ لا يفزعون في إزالة ذلك إلا إليه. ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: ما يتَّعظون بمواعظ اللَّه.

(٦٣) - ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾: أي: يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: بالنجوم ليلًا وبعلامات الأرض نهارًا ﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: قدام المطر، ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غيره.

(٦٤) - ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾أي: في الأرحام من نطفة، وكانوا مقرِّين بأن اللَّه تعالى هو الذي يبدأ الخلق، فأما قوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الموت وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها، فهم وإن جحدوه فهم محجوجون بالنشأة الأولى، فلزمهم الأمران، ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾: أي: المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: من الأرض بالنبات. ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: حُجَّتكم على ما تقولون من أن الأصنام شركاءُ للَّه ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في هذه الدعوى، فإنا قد أقمنا البرهان على قدرة اللَّه وربوبيته وإلاهيته ووحدانيته. وقيل: قل لهم إن قالوا: إنه يفعل ذلك معه غيره: هاتوا حجتكم على ذلك، ولا يجدون فيلزمهم الانقياد للحق.

(٦٥ -٦٦) - ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾:

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٣٧٦).

سأل هؤلاء المشركون رسول اللَّه ﷺ عن القيامة: متى هي؟ فكان يُوْعدهم بذلك، فقال اللَّه تعالى له: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ: لا تعلم ملائكة السماء ولا الجنُّ والإنس في الأرض غيبًا، وهو مما استأثر اللَّه بعلمه، وهذا من الغيب. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: أي: ما تعلم أهل السماء والأرض ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ متى يحشرون.

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: بالتشديد ومعناه: تدارَك وتتابع واجتمع، وأُدغمت التاء في الدال وسكِّنت فأُدخلت في أولها الألف ليُبتدأ بها، فمَن قرأ: ﴿أَدْرَكَ﴾ فمعناه عند بعضهم: بَلَغ علمهم في الآخرة؛ أي: خطر على قلوبهم أن البعث كائن ثم الْتَبَس وقته[١]. ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾: أنه يكون أو لا يكون ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾: جاهلون لا يعلمون كونَها ولا يعتقدون ذلك[٢].

(٦٧ - ٧٠) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾: أي: من القبور أحياءً. ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: قبل هذا ﴿إِنْ هَذَا﴾؛ أي: ما هذا ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبُ سطرها الأولون.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: في البلاد ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: المكذِّبين. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يا محمد أن يهلكوا فإنهم مستحِقُّون لذلك ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾؛ أي: لا يَضيقنَّ عليك أمرُك ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾؛ أي: من مكرهم؛ أي: لا تظنَّ ظفرهم بك، فإن اللَّه ناصرُك ومهلكُهم.

(٧١ - ٧٣) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: أي: العذاب الموعود ﴿إِنْ

---

(١) السبعة (١/ ٤٨٥)، والتيسير (/ ١٦٨).

(٢) الكشف والبيان (٧/ ٢٢٠) التيسير في التفسير (١١/ ٣٧٩).

﴿كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في إخباركم عنه، يخاطبون به النبيَّ ﷺ وأصحابَه. ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾؛ أي: دنا منكم، فهو آتيكم من ورائكم، وهذا فعلٌ يُعدَّى باللام وغيرِ اللام، وما رَدِفَ الشيءَ فقد قَرُبَ منه. ﴿بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب في الدنيا: الأسرِ والقتل، وقيل: القحط. وقيل: عذاب القبر وباقيه في الآخرة من عذاب النار. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: على الكفار بتأخير العذاب عنهم، وقيل: ببعث الرسول. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لا يؤدون شكر نعمه بالإيمان.

(٧٤ - ٧٦) - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: أي: ما تُسرُّ وتكتُم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؛ أي: يظهرون بالقول والفعل، فليس تأخيرُ العذاب لخفاءِ ما يُضمرونه ويُظهرونه. ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ﴾: أي: خصلةٍ غائبةٍ عن رؤيتكم أو علمكم ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾؛ أي: مُثْبتةٌ في اللوح المحفوظ. وقيل: معلومةٌ عند الله محفوظة. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اختلفوا فصاروا أحزابًا، فأُنزل القرآن ببيان ذلك[1]، واختلفوا أيضًا في النَّسخ، وفي صفة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي تعيين المبشَّرِ به في الكتاب أنه نبيُّ آخِرِ الزمان، وأشياءَ كثيرةٍ. ﴿أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ لأنَّه بقي اختلافٌ كثير لم يبيِّنه الله تعالى، وإنما بيَّن كثيرًا من ذلك، وهذا تحريكٌ للمشركين على اتِّباع القرآن، فإنه لمَّا كان فيه بيانٌ لأهل الكتاب، وأنتم ترجعون إليهم في كثير من أموركم، فلمَ تركتم أنتم هذا الكتاب وهو منزلٌ على نبيكم بيانًا لكم؟

---

(١) البسيط (١٧/ ٢٩٥)، والتيسير في التفسير (١١/ ٣٨٣).

(٧٧ - ٧٩) - ﴿وَإِنَّهُ﴾: أي: القرآن ﴿لَهُدًى﴾؛ أي: إرشاد ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بما اتَّبعوه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختلفوا فيه ﴿بِحُكْمِهِ﴾ الحقِّ في الآخرة، بمجازاةِ كلِّ أحدٍ على وَفق عمله، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا يُعارَض حكمُه ﴿الْعَلِيمُ﴾ فلا يخفى عليه المطيعُ من العاصي. وقيل: يقضي بينهم في الدنيا بحكمه فيما حرَّفوه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا يردُّ بأسه عمَّن خالف حكمَه ﴿الْعَلِيمُ﴾ فلا يخفى عليه الصواب. ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يا محمد ﷺ فإنه ناصرُك على مَن خالفك ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾؛ أي: الظاهرِ لمن نظرَ إليه بعينِ قلبه.

(٨٠ - ٨١) - ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾: أي: ليس في طاقتك إدخالُ الإيمان في قلبِ من لا يتدبر القرآن، ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾؛ أي: الذين تصامُّوا عن سماع الحق وولَّوا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ﴾: أي: ما تُسمع ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: يصدِّق بها ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون للحق، فالميت هو الكافر، والأصم والأعمى: هو المعرِض عن رؤية الحق وسماعِه، وليس في وسع النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ هدايةُ الكافر، وهو إثبات فعل الاهتداء له، والله تعالى هو معطي الاهتداءِ وموصلُ العبدِ إلى سماع الحق ورؤيته، وإنما يعطيه مَن عَلِم منه اختيارَ الحق، فأما مَن علم منه اختيارَه الباطل فإنه يخذله ويدَعه وما يختاره.

(٨٢) - ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: وجب العقابُ عليهم ونزول العذابِ الموعودِ بهم، ومعناه: قرُب قيامُ الساعة، وظهرت الأيام التي لا يُقبل معها الإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾

[الأنعام: ١٥٨].﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾: علمًا من أعلام الساعة ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾؛ أي: تخبرهم وتقول: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾: أي: الكفار الذين حقَّ عليهم القول كانوا بآياتنا لا يصدِّقون ويشكُّون، فقد أتى ما أزال الشكوك عنهم، وأَشرفوا على العقاب الذي كانوا يُوعدون(١).

(٨٣) - ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾: ثم ذكر قيام الساعة بعد ذكر هذه الأعلام فقال: واذكر يوم نجمعُ من كلِّ أمة من أمم الأنبياء زمرةً ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ المنزلةِ على أنبيائنا، وبالآيات الدالة على وحدانيتنا في الآفاق ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يُحبس أولُهم على آخرهم ليجتمعوا، ثم يساقوا إلى موضع الحساب.

(٨٤) - ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا﴾: أي: اجتمعوا وتلاحَقوا ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي﴾؛ أي: قال الله ﷻ موبخًا: أكذَّبتم بآياتي المنزلةِ على رسلي؟ ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ أي: أكذَّبتم بآياتي؟ ألم تحيطوا بها علمًا أنها من عندي؟، ﴿أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في تكذيب آياتي، وقيل: معناه: لِمَ عملتُم ما عملتُم من الكفر والمعاصي؟.

(٨٥ -٨٦) - ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: حقَّ وعيدُ العذاب عليهم ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: بما أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ ولا يؤذَن لهم في التكلُّم بالعذر؛ إذ لا حجة لهم. ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾؛ أي: ألم يعلموا العلمَ والفهمَ الذي يقوم مقام العِيَان؟ ﴿أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ قِوامًا لمعاشهم في الدنيا ليعلموا أن ذلك لم نجعله عبثًا بل محنة وابتلاء، ولا بد عند ذلك من ثوابٍ وعقاب، فإذا لم

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٣١٧)، وجامع البيان (١٨/ ١٢٦). والكشاف (٣/ ٣٨٤)، والكشف والبيان (٧/ ٢٢٢)، ومعالم التنزيل (٦/ ١٧٧).

يكن في هذه الدار فلا بدَّ من دارٍ أخرى، وفي ذلك صحة البعث. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين[١].

(٨٧) - ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ﴾: قيل: النفخةُ الأولى ﴿فَفَزِعَ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ﴾ فزعًا يموتون منه؛ كما قال: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ﴾[الزمر: ٦٨]. ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾: هم الشهداء لأنهم أحياءٌ عند ربهم يرزقون. وقيل: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل. وقيل: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ﴾: هو يومُ القيامة، وهي النفخة الثانية، وقوله: ﴿فَفَزِعَ﴾ هو من هيبتهم من أهوالها، كما قال: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ الآية [الحج: ٢] ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ هم المؤمنون المطيعون؛ وقيل: هم الشهداء. ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾: أي: صاغرين منقادين.

(٨٨) - ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي: تبصرها وقت النفخة وتظنها واقفة مكانها لعظمها، ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ المطر إذا ضربته الريح أي: تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبثوثة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورًا، ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى﴾: أي: هذا من صنع اللَّه، وهو ما حدَث بالجبال ﴿الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾: أي: أحكم. ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ بالياء والتاء أي: أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة[٢].

---

(١) تفسير الجلالين(١/ ٥٠٤).

(٢) تفسير الجلالين(١/ ٥٠٥).

(٨٩) - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾: أي: مَن جاء يوم القيامة بالحسنة، أكثر المفسرين على أن الحسنة هنا: كلمة الإخلاص، والسيئةَ ضدُّها وهو الشرك؛ لأنَّه قال في حقها: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾.وقوله: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾: أي: له منها نفعٌ وخير؛ أي: ثوابٌ وكرامة، بخلافِ قوله ﷻ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الآية [القصص: ٨٤]، هناك معناه: فله أفضل منها؛ أي: التضعيفُ بالعشر والزيادة؛ كما قال: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وقيل: الحسنة عامة الحسنات، ورأسها كلمةُ الإخلاص؛ أي: مَن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة فله من ثواب اللّه أفضل من عمله، فإن الثواب فعلُ اللّه، والإيمانَ والعملَ الصالح فعلُ العبد، وهو سبحانه يُثيب العبد بأفضل من عمله تفضُّلًا منه. ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ هذا الوعدُ في حقِّ المؤمن المطيع على الإطلاق، وفي حقِّ المؤمن العاصي: هو الأمن من الفزع الأكبر، وهو نداء القطيعة والإخبارُ بالتخليد في النار.

(٩٠ - ٩١) - ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: أي: بالشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى ويقال لهم تبكيتًا، وهو كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨]. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: تقول لهم الملائكة يومئذ هذا. وقيل: هو خطاب اللّه لهم في الدنيا؛ أي: هل تُجزون يومئذ إلا على وَفق عملكم. ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾: أي: قل يا محمد ﷺ: إنما أمرني اللّه ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾؛ أي: مالكَ هذه البلدة، وهي مكةُ التي بها تفخَر العرب على سائر الناس، وبها يسمَّون أهلَ اللّه وسكانَ بيته، فأنتم أولى بموافقته على ذلك. ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي: جعل لها

حرمةً ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾: هو مالك كلِّ شيء غيرِ البلدة، فإنه مالك الدنيا والآخرة وربُّ العالمين. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين له والمتديِّنين بدينه الحقِّ.

(٩٢ - ٩٣) - ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾: لأعرفَ الحلالَ والحرام، وسائرَ الأحكام، وما يقتضيه الإسلام، وأعرِّفكم ذلك. ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾: إلى الحق ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: فله نفعُه ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عن الحق ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾: ما عندي إلا النذارةُ، وليس لي إكراهُه على الحق وإجباره. ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على هدايتنا ونصبِ الدلالات على الحقِّ في حقِّ الكل ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ في المستقبل مع ما أراكم منها في الماضي. وقيل: هي الآيات التي هي أشراط الساعة. وقيل: أي: سيُريكم أعلامَه الدالةَ على سخطه عليكم ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ وتعلمون صدقي فيما كنت أَعِدُكم منها. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بتاء المخاطبة وبياء المغايبة[١]، وهي لأهل مكة، فالله لا يغيب عليه شيء، وهذه الآية وعيدٌ لهم.

(انتهى تفسير سورة النمل).

---

(١) القراءة بتاء المخاطبة هي قراءة نافع وابن عامر وحفص، والباقون بياء المغايبة. انظر: السبعة (١/ ٤٨٨)، والتيسير (١/ ١٢٦).

(٢٨) سورة القصص مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة القصص مكية إلا قوله: ﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] الآيات فإنها جُحْفيَّة ليست بمكيةٍ ولا مدنية، سميت سورة القصص ولا يعرف لها اسم آخر. ووجه التسمية بذلك وقوع لفظ القصص فيها، وهي السورة التاسعة والأربعون في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة النمل وقبل سورة الإسراء، وهي ثمانٍ وثمانون آيةً، وألفٌ وأربعُ مئة وثلاثون كلمة، وخمسة آلاف وثماني مئة حرف.

أغراضها:

اشتملت هذه السورة على التنويه بشأن القرآن والتعريض بأن بلغاء المشركين عاجزون عن الإتيان بسورة مثله. وعلى تفصيل ما أجمل في سورة الشعراء، ففصلت سورة القصص كيف كانت تربية موسى في آل فرعون، وبين فيها سبب زوال ملك فرعون.

وفيها تفصيل ما أجمل في سورة النمل، ففصلت سورة القصص كيف سار موسى وأهله وأين آنس النار ووصف المكان الذي نودي فيه بالوحي إلى أن ذكرت دعوة موسى فرعون فكانت هذه السورة أوعب لأحوال نشأة موسى إلى وقت إبلاغه الدعوة ثم أجملت ما بعد ذلك لأن تفصيله في سورة الأعراف وفي سورة الشعراء. والمقصود من التفصيل ما يتضمنه من زيادة المواعظ والعبر، وإذ قد كان سوق تلك

القصة إنما هو للعبرة والموعظة ليعلم المشركون سنة الله في بعثة الرسل ومعاملته الأمم المكذبة لرسلها، وتحدى المشركين بعلم النبي ﷺ بذلك وهو أمي لم يقرأ ولم يكتب ولا خالط أهل الكتاب، ذيل الله ذلك بتنبيه المشركين إليه وتحذيرهم من سوء عاقبة الشرك وأنذرهم إنذارا بليغًا، وتحداهم بإعجاز القرآن وهديه مع هدي التوراة، وأبطل معاذيرهم ثم أنذرهم بما حل بالأمم المكذبة رسل الله، وساق لهم أدلة على وحدانية الله تعالى وفيها كلها نعم عليهم وذكرهم بما سيحل بهم يوم الجزاء، وأعقبه بضرب المثل لهم بحال قارون في قوم موسى. وتخلص من ذلك إلى التذكير بأن أمثال أولئك لا يحظون بنعيم الآخرة وأن العاقبة للمتقين، وتخلل ذلك إيماء إلى اقتراب مهاجرة المسلمين إلى المدينة، وإيماء إلى أن الله مظهرهم على المشركين(١). وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه بيَّن في آخر تلك السورة استحقاقَه الحمدَ بالقدرة والعلم، وأثنى على نفسه في أول هذه السورة بالطَّول والسَّناء والملك، وانتظامُ السورتين: أنهما جميعًا في الاحتجاج على المشركين، والوعظِ لهم، وبيانِ وحدانية اللَّه تعالى، وحُسن العاقبة للمؤمنين، ووقوعِ الهلاك بالكافرين وإيضاحِ ذلك بقصص الماضين، ثم هذه السورةُ فيها قصصُ موسى وفرعون وقارون.

وقيل: مدارُ هذه السورة على الحثِّ والإصلاح في الأرض وتركِ العلوِّ والفساد فيها، فإنه قال في أولها: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾. وقال في آخرها: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾(٢).

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٦٣).

(٢) كشف والبيان (٧/ ٢٦٧)، والبيان في عدآي القرآن (١/ ٢٠١)، التيسير في التفسير (١١/ ٤٠٠).

(١ - ٣) - ﴿طسم﴾ الله أعلم بمراده ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ المظهر الحق من الباطل كذلك. ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ﴾: أي: يقرأ عليك جبريل بأمرنا ووحينا ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾؛ أي: من خبرهما، و﴿مِن﴾ للتبعيض، فإن المذكور هاهنا بعضُ خبرهما. ﴿بِالْحَقِّ﴾: أي: بالصدق. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: من أجلهم؛ ليَعْلموه وينتفِعوا به، وقيل: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لقوم همَّتُهم الإيمانُ والتصديق بما يتَّضح بيانه ليتدبَّروه فيعلموه.

(٤) - ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: وهذا ابتداء القصة؛ أي: إن فرعون علا في زمانه في أرض مصر لأن ملكه لم يَعْدُ مصر؛ أي: ارتفع وغلب مَن تحتَ يده بكثرة أمواله وأتباعه. ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾: أي: فرقًا. ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾: أي: يستذل، ومضمونه ويكرم طائفةً منهم، وقيل: ﴿طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ هم كلُّ بني إسرائيل، والطائفةُ الأخرى هم القِبْط، وكان الإكرام لهم. ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾: أي: الصغارَ من الذكور. ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾: أي: يستبقي الصغائرَ من إناثهم، وقيل: أي: يسترقُّ. وقيل: أي: يأمر بتفتيش حياء النساء -أي: فروجِهن-: هل بهن ولد. ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: في الأرض: بإظهار الكفر والمعاصي، واستعبادِ الأحرار، وقتل الأبناء والتسخير.

(٥) - ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: كان فرعون يفعل بهم ذلك ونحن نريد أن نتفضَّل على بني إسرائيل الذين استُضعفوا في الأرض؛ أي: في بلاد مصر. ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾: أي: قادةً في الخير، ودعاةً إلى الدِّين يُقتدَى بهم. ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾: ونُوْرِثهم أرض مصر، وقد قال: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا

﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩].

(٦) - ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: ونجعلهم مقتدِرين على الأرض وعلى أهلها حتى يستولوا عليها، وهي أرض الشام. ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾: أي: يخافونه من بني إسرائيل من سلْبهم مُلكَهم واستيلائهم على بلادهم على ما قال كهنتُهم ومنجِّموهم أنه يصير كذلك، حتى دعاهم ذلك إلى قتل أبنائهم واستحياء نسائهم.

(٧) - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾: قيل: كان اسمها نوخابد بنت لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾: أي: ألهمناها وقذفنا في قلبها، وليس هذا وحي رسالةٍ. ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾: أي: اسقيه اللبن. ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾: أن يُعلَمَ به فيقتلَ ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾؛ أي: فاطرحيه في النيل، وهو بحر مصر، ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه الضيعة والهلكة ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾: ولا تهتمِّي لفراقه. ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: فإني أردُّه إليك سالمًا وأبلِّغه مبلغًا يصلح للرسالة، فأجعلُه رسولًا إلى فرعون وقومه فيكون رئيسًا عليهم، وإن لم ينقادوا له أهلكتُهم[(١)].

(٨) - ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾: وهاهنا مضمَر: فأرضعَتْه وخافت عليه فألقَتْه في اليم ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: أخذوه وقد وجدوه من غيرِ طلبٍ، هو معنى الالتقاط، وكذلك أخذُ اللُّقَطة واللقيط. ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾: أي:

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٢٣٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٣٢)، وجامع البيان (١٨/ ١٥٥ - ١٥٦)، والتيسير في التفسير (١١/ ٤٠٢).

صاروا في العاقبة كذلك، وحقيقته كان في علم اللَّه ذلك، فالتقطوه فكان ﴿لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، ﴿عَدُوًّا﴾ لمخالفتهم في الدين ﴿وَحَزَنًا﴾ لِمَا يجري من المكاره بسببه عليهم أجمعين، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾: أي: آثمين بالكفر والمعاصي، فعوقبوا على ذلك بما جرى عليهم بسببه.

(٩) - ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾: أي: هو قرةُ عين لي ولك، رقَّ قلبها له، ولعلها رأت من فرعون ما وقع عندها أن قلبه صار كذلك فقالت ذلك؛ أي: نرجو أن يكون لنا كالولد تقرُّ به أعيننا. ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾: أي: لا تذبحوه كما تذبحون أبناء بني إسرائيل ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ كما ينفعُ الخادم ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾؛ أي: نتبنَّاه، ولم يكن لفرعون ابن. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ما ينالُهم من المكروه من جهة موسى. وقيل: لا يشعرون بكرامته على اللَّه. وقيل: وهم لا يشعرون أنه من بني إسرائيل، فقد قالت آسية: إنما جاء التابوت من غير مصر، فليس هو من بني إسرائيل. وقيل: هو تمام كلام آسية؛ أي: نتخذه ولدًا والناسُ لا يشعرون أنه ملتقَط، بل يظنون أنه مولودنا.

(١٠) - ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾: قيل: خاليًا عن الصبر؛ كما قال: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]. وقيل: فارغًا عن كلِّ شيء إلا همَّ موسى. وقيل: فرغ قلبُها حين علمت أنه حيٌّ في يد آل فرعون لا يقتلونه. ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾: أي: ما كادت إلا تُبدي به؛ أي: قرُبتْ أن تُظهر ذلك، و(تُبدي به) بمعنى: تُبديه؛ وقيل: أي: لتُبدي القولَ به؛ أي: عجزت عن الاحتمال وقاربت من الإظهار. وقيل: لفراغ قلبها وزوالِ خوفها أرادت أن تُظهر. وقيل: كادت تُبدي أنه ابنها

حين أَخذ بثَدْيها. ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾: أي: شدَدْنا قلبَها وثبَّتْناه بالصبر، وحفظناها عن الإظهار، ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: المصدِّقين بوعدنا.

(١١) - ﴿وَقَالَتْ﴾: أي: أمُّ موسى ﴿لِأُخْتِهِ﴾؛ أي: لأخت موسى وهي مريم، وقيل: كلثم. ﴿قُصِّيهِ﴾: أي: اتَّبعي أثره وامشي خلف التابوت على الشط. ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾: أي: رأته ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾؛ أي: بُعْدٍ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: آلُ فرعون لا يعلمون أن أختَه تَقصُّه. وقيل: رأوها ولم يعلموا أنها أختُه وأنها تتعرَّف أمره.

(١٢) - ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾: أي: منعناه من أن يَرضع، وليس هو تحريمَ نهي وتكليفٍ، و﴿الْمَرَاضِعَ﴾ يصلح جمعَ مرضعةٍ ومُرضعٍ بضم الميم: وهي المرأة، ويحتمِل أن يكون جمعَ مَرْضَعٍ بفتح الميم وهو الثديُ. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: من قبلِ أن تأتيَه أمُّه. وقيل: قبل حضور أخته. ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ﴾: أي: هل لكم حاجةٌ إلى أن أُرشِدَكم إلى أهل بيتٍ يكفُلون بموسى يضمنون إمساكَه ويضمُّونه إلى أنفسهم للتربية والإرضاع. ﴿لَكُمْ﴾: أي من أجلكم وبسببكم ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾؛ أي: للصبيِّ ناصحون لا يمنعونه ما ينفعُه في تربيته وغذائه لا يخونونكم فيه[١].

(١٣) - ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: فالمحبُّ لا تَقَرُّ عينه إلا بلقاء المحبوب ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ عِلْمَ عِيَانٍ، فقد كانت علمَتْ ذلك علمَ خبر، وهو ما قال لها: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: الكفار يتوهَّمون خُلفَ الوعد.

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٤٠٩).

(١٤) - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: أي: شدةَ بدنه وقوَّته ﴿وَاسْتَوَى﴾؛ أي: تناهى شبابه وتم خلقه. وقيل: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾؛ أي: بلغ مبلغ الرجال، ﴿وَاسْتَوَى﴾؛ أي: بلغ أربعين سنة. ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي: فقهًا في دينه وعلمًا بشرائع دينه، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: وكذلك نجزي من الأنبياء كلَّ مَن أحسنَ عمله لنا وصبر على طاعتنا؛ كما فعل موسى من مفارقتهم وعَيبِ آلهتهم، لما فعل ذلك فآتيناه ما آتيناه جزاء له على إحسانه.

(١٥ -١٧) - ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾: أي: ودخل موسى مدينة فرعون ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ قال أكثر المفسرين: نصفُ النهار، ووقتُ القائلة وخلوِّ الطريق. ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾: يعني: يتشاجران ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾؛ أي: أحدهما من شيعة موسى؛ أي: مشايعيه، وهم بنو إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾؛ أي: والآخر من أعدائه، وهم قوم فرعون. ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾: أي: سأله الإسرائيليُّ أن يُغيثه بالخلاص من يد القبطيِّ. ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾: أي: وكزه موسى في صدره بجُمْعِ كفِّه وهو غيرُ عامدٍ لقتله ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾: أي: فقتله وفرغ منه. ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾: أي: قال موسى: إنما أغواني بهذا الفعل الشيطانُ وهيَّج غضبي حتى ضربتُ هذا. ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ﴾: أي: إن هذا الشيطان عدوٌّ ﴿مُضِلٌّ﴾: قاصدٌ إلى الإضلال والإفساد ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر، ثم استغفر منه فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بفعل صار قتلًا ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ زلَّتي، فاستجاب له ربه ﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾ زلته ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بالمغفرة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾: معينًا

﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ المذنبين، وإذا لم يكن مُعينًا للمذنب لا يذنب بنفسه. وقيل: ﴿ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: للمشركين، وقيل: هو عام في كل الظالمين (١).

(١٨) - ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا﴾: على نفسه من أن يُعلم بما جرى على يديه. ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: أي: ينتظر ويتوقَّع مكروهًا يقع به. ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ﴾: أي: ذلك الإسرائيلي ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾؛ أي: يستغيثه على قبطيٍّ آخر يشاجره. ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾: أي: ضالٌّ عن الرشد ظاهرُ الغيِّ، تُبين عن نفسك، فقد قاتلت بالأمس رجلًا منهم فتفعل اليوم كذلك، وأوقَعْتَني أنت فيما أوقَعْتَني، وهذا لا يفعله رشيد في تدبيره؛ لأنك بذلك تستدعي البلاء إلى نفسك وإلى مَن يريد نصرتك (٢).

(١٩) - ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ﴾أي: موسى ﴿أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ بالقبطيِّ الذي هو عدوٌّ لموسى وللإسرائيلي، فوثب عليه ليمنعه من أخذ الإسرائيلي وتسخيره. ﴿قَالَ يَامُوسَى﴾: أي: قال القبطي ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾: أي: القبطيَّ ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: ما تريد إلا أن تكون قتَّالًا، وقيل: متجبِّرًا. ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ في الأرض (٣).

(٢٠) - ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ هو حزقيل بن سورا ابن عم

---

(١) جامع البيان (١٨/ ١٨٧)، والتيسير في التفسير (١١/ ٤١٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٣٠٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٥٨)، والبسيط (١٧/ ٣٥٠).

(٣) جامع البيان (١٨/ ١٩٣ - ١٩٦) وتفسير ابن فورك (١/ ٣٣٧).

فرعون، وهو مؤمن آل فرعون. ﴿يَسْعَى﴾: أي: يسرع ﴿قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ﴾: أي: أشرافَ القوم ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾؛ أي: يتشاورون ويرتؤون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ بالقبطي الذي قتلتَه ﴿فَاخْرُجْ﴾ أي: من المدينة، إ﴿نِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج.

(٢١) - ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا﴾: أي خائفًا على نفسه منهم، وقيل: أي: خائفًا أن يضلَّ الطريق. ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: أي: ينتظرُ هل يلحقُه طلب فيؤخَذَ؟ ثم التجأ إلى اللَّه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: احفَظْني فلا يَلحقَني الطلب، فإنهم ظالمون بقتلي [(١)].

(٢٢ -٢٣) - ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أي: أرجو أن يرشدني إلى وسط الطريق، فسار موسى من مصر إلى مدينَ ثماني ليالٍ وقد تفطَّرت قدماه دمًا وقَرِحَ شِدْقاه من أكل ورق الشجر. ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: ولما وصل إلى ماء مدين وهو بئرٌ لهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾: أي: جماعةً يسقون مواشيَهم. ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾: أي: أسفلَ من الجماعة ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي: تَحْبِسان غنمَهما عن الماء، وقيل: أي: تطردان الناس عن شائهما. ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾: أي: ما شأنكما واقفتين لا تسقيان كسائر الناس؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي﴾: أي: نحن لا نسقي غنمنا ﴿حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي: لا قوةَ لنا على الاستقاء، وانما ننتظر فضولَ الماء في الحوض. وقيل: لحيائهما من مزاحمة الناس، ولتجنُّبهما عن مخالطة الناس، ﴿يُصْدِرَ﴾ أي: يصرفوا مواشيهم عن

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٤٢٠).

الماء﴿الرِّعَاءُ﴾ الرعاء: هم الذين يرعَون المواشي، والرعاة: هم الذين يرعَون الناس وهم الولاة. ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: لا يستطيع حضور الماء فيسقيَ غنمه بنفسه، وليس له عون غيرَنا(١).

(٢٤) - ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾: أي: فسقى موسى غنمهما لأجلهما قبل صدور الرعاء ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾؛ أي: توجه إلى ظلِّ شجرة. وقيل: كان ظلَّ حائط. ودلَّ على أن البئر كانت في الشمس، ودلَّ أنه لا بأس بالجلوس تحت الظل. ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾: أي: يا رب إني إلى ما تُنزل إليَّ من رزقٍ محتاج.

(٢٥) - ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾أي: مستترة بكمِّ درعها. ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾: أي: ليعطيَك ثوابَ ما عملتَ لنا، وفيه دليل على أن المكافأة على الصنيعة لازمةٌ، ويُستحب للمصطَنِع أن لا يطلبَ مكافأة وأن لا يقبل؛ ليبقى له الفضل، ولو قبِل عند الحاجة فلا بأس به؛ لأن موسى قبل ذلك لحاجته. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: ليس لفرعون سلطان بأرضنا، وهو إجابةٌ لدعوته: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

(٢٦) - ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾: أي: لرعي أغنامنا وسقيها والقيام بمصالحها. ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾: أي: خيرَ مَن استأجرته، وهذا قويٌّ أمين. روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يا بنية، ما

---

(١) الكشف والبيان (١٠/ ١٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٤).

أمانتُه وما قوته؟ قالت: أما قوتُه فرفَع الحجر ولا يطيقه إلا جماعة، وأما أمانته فإنه قال لي: امشي خلفي وصِفي لي الطريق فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصفَ لي جسدك، قال: فزاده فيه رغبة(١).

(٢٧) - ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾: يعني: على أن تأجُرني نفسَك فتكونَ أجيري ثماني سنين ترعى غنمي، والحجة: السنة؛ لأن في كل سنةٍ حَجةً، فسمَّوها بها لتضمُّنها إياها تعظيمًا لها. ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾: أي: فإن زدت على الثمانية فأتممت السنين عشرًا فذلك تطوُّع من عندك لا يَلزمك ذلك لي بعقد الإجارة. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾: أي: أحملَ عليك ما يشتد عليك. ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي: ممن يَفي بالشرط فلا يتعدَّى ولا يطالب بما وراء الشرط، ومَن فعَل ذلك فهو صالح.

(٢٨) - ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: أي: هذا شرطٌ بيننا على كلِّ واحد منا الوفاءُ به لصاحبه. ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾: أي: أيَّ المدتين وَفَيْتُك العملَ فيها ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾؛ أي: فليس لك أن تُلزمني أكثر منه متعدِّيًا عليَّ. وقيل: ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: أي: ما ذكرتَ من الأجلين فهو أمرٌ بيني وبينك أفعلُ منه ما أحببت لا شرطَ عليَّ فيه. ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: أي: على ما نعقد عليه حفيظ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٨٤٢) من قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه النسائي في السنن الكبرى (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في مسنده (٢٦١٨)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجامع البيان (١٨/ ٢٢٥).

(٢٩) - ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾: قيل: عشر سنين ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾: وخرج بإذن شعيب مع امرأته وأولاده وعبيده يريد مصر وأخاه وأختَه وقرابتَه وهم بها. ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾: أي: أَبصر نارًا ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾؛ أي: اثبتوا مكانكم ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ في الدلالة على الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾؛ أي: قطعةٍ غليظة من الحطب فيها النار، وفيها ثلاث لغات: فتح الجيم وضمها وكسرها، والجذوة: الشعلة من النار. ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: أي: تستدفئون، وكانت ليلةً شاتيةً ذاتَ بردٍ ومطر.

(٣٠ - ٣١) - ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾: أي: جانبه الأيمنِ، نعتٌ للشاطئ، وهو عن يمين المتوجِّه إليه. ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾: أي: في القطعة المفرَدة من ذلك الوادي، و﴿الْمُبَارَكَةِ﴾ صفتُها، والوادي هو الوادي المقدسُ طُوى. ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: أي: ونودي: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا﴾: أي: فألقاها -وهذا مضمر- فلما رآها ﴿تَهْتَزُّ﴾؛ أي: تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾؛ أي: حية خفيفة في سعيها، وهي ثعبانٌ عظيمةٌ في جثَّتها ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾؛ أي: لم يرجع. ﴿يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾: أي: قيل له: يا موسى لا تخَفْ مِن الذي تهرب منه ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ مما تخاف.

(٣٢) - ﴿اسْلُكْ يَدَكَ﴾: أي: أدخلها ﴿فِي جَيْبِكَ﴾؛ أي: في جيب قميصك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾: متلألئةً لها شعاعٌ ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾؛ أي: آفةٍ من البرص ونحوه. ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾: أي: يدك، واليدان للآدمي كالجناحين

للطير. وقيل: كان بسَطَها اتقاءً عن الحية، فقيل له: ضُمَّها ولا تفتحها، وقيل: ﴿جَنَاحَكَ﴾؛ أي: عصاك. ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾: بفتح الراء والهاء، وبضم الراء وجزمِ الهاء، وبفتح الراء وجزمِ الهاء، وهي لغاتٌ في الرَّهب[١]، أي الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأولى وعبر عنها بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر[٢]، ﴿فَذَانِكَ﴾ بالتشديد والتخفيف أي العصا واليد وهما مؤنثان وإنما ذكر المشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره، ﴿بُرْهَانَانِ﴾؛ أي: حجَّتان ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ على صدق نبوتك. ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ﴾: أي: على إرسالك إلى فرعون وأشرافِ قومه. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ متقادِمين في الفسق، وهو الخروج عن طاعة الله[٣].

(٣٣ - ٣٤) - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾: أي: القبطيَّ ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به، وهو خوف الطبع. ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾: أي: أَبيَنُ كلامًا ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ﴾؛ أي: اجعله رسولًا إليهم معي ﴿رِدْءًا﴾؛ أي: عونًا على تبليغ الرسالة. ﴿يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾: فإذا كان معي أخي قمنا بمحاجَّتهم.

(٣٥) - ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: أي: سنقوِّيك به، وهو مجاز. ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾: أي: حجةً، وقيل: قوة وقدرة ومنعة. ﴿فَلَا يَصِلُونَ

---

(١) السبعة (١/ ٤٩٣)، والتيسير (١/ ١٧١).

(٢) تفسير الجلالين(١/٥١٢).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٦).

﴿إِلَيْكُمَا﴾: أي: فلا يصيبونكما بمكروهٍ. ﴿بِآيَاتِنَا﴾ وهي المعجزات ﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ لهم.

(٣٦ -٣٧) - ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾: أي: بمعجزاتنا ﴿بَيِّنَاتٍ﴾؛ أي: واضحاتٍ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾؛ أي: مختلَقٌ لا حقيقةَ له ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾: ما دعَونا إلى التوحيد. ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: أجملَ الكلامَ تلطُّفًا في الخطاب، ومعناه: ما جئتكم به حقٌّ وهدًى وليس بسحرٍ، وربي عالمٌ بذلك، وأنتم ظالمون، وحُسنُ العاقبة لي في الدنيا والآخرة ولمَن اتَّبعني لا لكم.

(٣٨) - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾: فلا تسمعوا قول موسى ولا تجيبوه إلى التوحيد. قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: كان بين قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ وبين قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ أربعون سنة. وقال الحسن: لقد أملى اللَّه لفرعون بعد هاتين الكلمتين أربعين سنة. وقيل في قوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾: أي: الكلمةِ الآخرةِ والكلمةِ الأولى وهما هاتان. ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ﴾: هو وزيرُه ﴿عَلَى الطِّينِ﴾؛ أي: فاطبخه فاجعله آجُرًّا، وهو أولُ مَن طبَخَ الآجرَّ وبنى به، ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾: أي: اتخِذْ لي منه قصرًا عاليًا ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾؛ أي: واجعل لي مراقيَ أَرْقاها فأَرى إلهَ موسى، أو قال: فأصِلَ إلى إله موسى، ظنَّ اللعين أن موسى يقول: إن اللَّه في السماء؛ لإظهاره نزول الوحي عليه من السماء، فقال: أصعدُ فأنظرُ إليه. ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: أظنُّ موسى يكذِبُ في دعواه أن له إلهًا، وأنه

أرسله إلينا رسولًا يدعونا إلى توحيده وعبادته[١].

(٣٩ - ٤٠) - ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ﴾: أي: تعظَّم عن الاستسلام والإسلام ﴿فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: أرضِ مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾؛ أي: بالباطل ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا﴾؛ أي: إلى حسابنا وجزائنا ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة، وليس هذا بعذرٍ لهم، بل ذمٌّ بالجهل وتركِ التأمُّل في الآيات حتى يعلموا. ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ﴾: أي: عاقبناهم ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾؛ أي: فألقيناهم في البحر فأغرقناهم. ﴿فَانْظُرْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ فليَحْذرْ قومك أن يجري عليهم مثلَ ذلك.

(٤١ - ٤٢) - ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾: أي: قادةً في الشر والضلال ليقتديَ بهم فيها أمثالهم ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي: دعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾: أي: لا يَمنع العذابَ عنهم مانعٌ. ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: أي: ألزمناهم طردًا وتبعيدًا عن كلِّ خير، وقيل: هو ما يَلحقهم من لعنِ الناس إياهم بعدهم. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: من المهلكين. وقيل: من المشوَّهين، والتشويه: تقبيحُ الخِلقة.

(٤٣ - ٤٤) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي: التوراةَ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾؛ أي: بعد أممٍ قد مضت أهلكناها بكفرها ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي: حججًا للناس وهم بنو إسرائيل، والتوراةُ جعلت بصائرَ لهم يبصرون بها الرشد. ﴿وَهُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن اتبعها وعمل بها ﴿لَعَلَّهُمْ

(١) جامع البيان (١٨/ ٢٥٥)، والتيسير في التفسير (١١/ ٤٣٨).

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: ليتَّعظوا بها. ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾؛ أي: بجانب الجبل الغربي، وقيل: أي: الوادي الغربي. ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾: أي: كلَّمناه وقرَّبناه نجيًّا، وأتممنا تعريفه وأمره به. ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: أي: من الحاضرين ذلك.

(٤٥) - ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾: أي: لم تكن هناك ولا حضرْتَ ما جرى من الأمر فيكونَ إخبارك قومَك به عن مشاهدةٍ، ولكنَّا أنشأنا قرونًا ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ وفتَرتِ النبوة، وكادت الأخبار تخفى والشرائعُ تَدْرُس، ولحقَ كثيرًا منها التحريف، ثم هاهنا مضمر: فأرسلناك مجدِّدًا لها، مبيِّنًا ما وقع التحريف فيه، رحمةً وهدًى وتبصيرًا لعلهم يتذكَّرون، كما فعلنا ذلك بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾: أي: ولم تكن أيضًا مقيمًا ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾؛ أي: لم تكن أنت الرسول إلى أهلها ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ في كل زمانٍ رسولًا، فأرسلنا فيهم شعيبًا، وأرسلناك في آخر الزمان لتكون خاتم الأنبياء.

(٤٦) - ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾: أي: وما كنتَ أيضًا بجانب الطور إذ نادينا موسى إذ جاء لميقاتنا مع السبعين، فكلَّمناه وأعطيناه الألواح. ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: ولكن عرَّفناك ذلك رحمة منا إظهارًا لنبوتك. ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: وهم العرب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتَّعظون[١].

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٣)، والتيسير في التفسير (١١/ ٤٤٢)، والبسيط (١٧/ ٤٠٨)، والكشف والبيان (٧/ ٢٥٢)، ومعالم التنزيل (٦/ ٢١١).

(٤٧) - ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: لولا أنَّا لو عاجلناهم بالعقوبة بما ارتكبوه من المعاصي لقالوا: هلَّا أرسلت إلينا رسولًا فكنا نؤمنُ به ونتَّبع القرآن الذي أنزلته ونصدِّقُ به، لما أرسلنا إليهم رسولًا.

(٤٨) - ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾: النبيُّ المرسل، وهو محمد ﷺ، والكتاب المنزل وهو القرآن، تحكَّموا على الله ﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ﴾؛ أي: محمد ﷺ ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من الآيات كفَلْق البحر ونحوه. وقيل: هلَّا أنزل عليه القرآن جملةً واحدةً كالتوراة. ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾: أي: أوليس هؤلاء المشركون كافرين بما أوتي موسى من قبلِ محمد ﷺ. وقيل: من قبلِ هذا القول. ﴿قالوا سِحران تظاهَرَا﴾: أي: التوراةُ والقرآن سحران تعاوَنا على خديعة الناس وصَرْفهم عن دين آبائهم. وقرأت ﴿ساحران تظاهرا﴾؛ أي: موسى ومحمدٌ خادعان الناس تعاوَنا على ذلك[١] ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾: أي: بكلٍّ من السِّحرين؛ أو: الساحرين.

(٤٩ - ٥٠) - ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أي: فإذ كذَّبتم يا معشر العرب بهذين الكتابين ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ فيكونَ ذلك عذرًا لكم في الكفر بهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنهما سحران لا هدايةَ فيهما، ويَلزمني بذلك أيضًا اتِّباعُ ذلك الأهدى وتركُ ما أنزله الله عليَّ وعلى موسى، ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾: أي: فإن لم يُجيبوك

---

(١) السبعة (١/ ٤٩٥)، والتيسير (١/ ١٧٢).

إلى الإيمان بالكتابين مع عجزهم عن الإتيان بأهدى منهما. ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: وليس بهم طلبُ الحق وتعرُّفُه واتِّباعُه. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: لا أضلَّ منه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: وهم هؤلاء.

(٥١) - ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: ولقد تابَعْنا، والتوصيل: تكثيرُ الوَصْل وتكريره؛ أي: أَتْبعنا لهم الوعد والوعيد والإخبارَ عن الأمم الماضين بعضَه بعضًا ليتذكَّروا؛ أي: فعلنا ذلك لينفعَهم لا ليزداد شيءٌ في ملكنا. ﴿لَهُمُ﴾؛ أي: لمشركي العرب، وقيل: ﴿وَصَّلْنَا﴾؛ أي: أنزلناه شيئًا بعد شيء ليكون لهم أَدْعَى، وقيل: ﴿وَصَّلْنَا﴾ أي: بيَّنَّا[١].

(٥٢) - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: أي: التوراة من بني إسرائيل ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾؛ أي: من قبل القرآن، وقيل: قبل محمد ﷺ. ﴿هُمْ بِهِ﴾: أي: بالقرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: يصدِّقون، وهم عبد اللَّه بن سلام وأصحابه ومَن آمَن من أهل الكتاب، وهؤلاء حجةٌ على مَن خالفهم ممن كانوا يرجعون إليهم ويعتمدون على قولهم، وفي تكذيبهم إياهم بيانُ أنهم معاندون.

(٥٣ - ٥٤) - ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: أي: القرآن ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾؛ أي: صدَّقناه. ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ﴾: أي: مِن قبلِ مجيء محمدٍ ﷺ ونزولِ القرآن عليه ﴿مُسْلِمِينَ﴾: دائنينَ بدينِ الإسلام منقادِينَ له عالمين بصحته؛ لِمَا كان مِن ذكره في كتابنا. ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾: أي: هؤلاء الذين

---

(١) معالم التنزيل (٦/ ٢١٣)، جامع البيان (١٨/ ٢٧٤).

كانوا آمَنوا بالكتاب الأول والرسولِ الأول ثم آمنوا بك وبكتابك يُعطون ثوابهم مرتين ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾؛ أي: ثبتوا على الحق فلم يبدِّلوه. ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: أي: يدفعون ما ينالُهم ممن يخالفُهم في الدِّين -من مكروهٍ وشتمٍ وسخرية- بالحسنة؛ أي: الاحتمالِ والصبرِ والقولِ الجميل. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: في وجوه الطاعات ولا يبخلون؛ ثقةً بوعدِ الخُلفِ والثواب، لا كالمشركين[(١)].

(٥٥) - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾: أي: الباطل من المشركين. ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾: فلم يُصغوا إليه ولم يجيبوا عنه. ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا﴾: رضينا بما نحن عليه من الدِّين. ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾: التي رضيتُم بها. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: أي: أمانٌ منَّا لكم أن نقابل لغوَكم بمثله. ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾: لا نرضى بمجاورة الجاهلين ومُعاشَرتهم والتخلُّق بأخلاقهم.

(٥٦) - ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: أي: لا يجري اهتداءُ الناس على محبتك. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: يخلُق فعل الاهتداء فيمَن يشاء. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: أي: سبق علمُه بمن يختار الهداية فيهديه، والآيةُ عامةُ الصيغة.

(٥٧) - ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾: أي: وقال المشركون: يا محمد، إنْ نتَّبع الهدى فنكن معك؛ أي: نتَّبع الهدى الذي معك -وهو القرآن- يجتمع العرب على محاربتنا ليُخرجونا من أرضنا. والتخطُّف: الاستلاب بسرعة. وهو تعلُّلٌ فاسد منهم تعلَّقوا به عند عجزهم عن معارضة حقِّه وردِّه.

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٧)، والنكت والعيون (٤/ ٢٥٧).

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾: أولم نجعل مكانهم في حرمٍ آمنٍ؛ أي: مأمونٍ فيه، و(آمِنٌ) في معنى: ذي أمنٍ لا يُسْبَون فيه ولا يُغار عليهم، ولا يُتعرَّض لهم بمكروهٍ، ثم هذا الحرمُ في موضعٍ لا ضرعَ فيه ولا زرع. ﴿يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: يُجمع ويُجلبُ إليه ثمراتُ كلِّ بلدة. وقيل: أي يُحمل إليه من كلِّ شيء أرفعُه وأنفعُه؛ كما يقال: ثمرةُ الكلام. ﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾: أي: عطيةً مِن عندنا؛ أي: تفضُّلًا منا؛ أي: فمَن فعَل ذلك بكم في حالِ كفركم فهو قادرٌ على أن يحفظكم حالَ إسلامكم. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يتأمَّلون فيعلموا هذا[١].

(٥٨) - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾: أي: من أهل بلدةٍ ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾؛ أي: طغَتْ في معيشتها وأغفلت شكرَها. ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: أي: فتلك منازلهم في البلاد باقيةُ الآثار، يشهدونها في الأسفار؛ كبلاد ثمودَ وقومِ شعيبٍ وغيرهم، قد خَربت من بعدهم ولم يسكنها أحدٌ لخرابها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منها لم يخرب. وقيل: لم يسكنها إلا الخُطَّاف والهَوَامُّ. ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾: أي: صار أمر تلك البلاد وأهلها إلينا وزال عنها سلطانهم؛ أي: إني قادر على أن أفعل بكم كذلك ولا ينفعكم تحرُّزكم من أن يتخطَّفوكم[٢].

(٥٩) - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾: أي: لم يكن اللَّه ليُهلِكَ البلادَ التي حول مكة ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ وهي مكةُ؛ لأنَّها أم القرى؛ لأنَّها أصل البلاد فإنها أولُ ما خلق منها. وقيل: لأن الأرض دُحيت من تحتها. ﴿رَسُولًا﴾: وهو محمد

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٤٥١)، وتفسير مقاتل (١/ ٥٥٨).

(٢) الكشف والبيان (٧/ ٢٥٦)، البسيط" (١٧/ ٤٢٩)، ومعالم التنزيل (٦/ ٢١٦).

ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾؛ أي: القرآنَ، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾: أي: وما أهلكناهم بالانتقام إلا وأهلها مستحِقُّون العذابَ بظلمهم، وهو إصرارُهم على كفرهم بعد الإعذار إليهم.

(٦٠) - ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: وما أُعطيتُم في الدنيا من شيءٍ من الأموال ونحوها فتراءَيتم به على الضَّعفَة وتركتُم به الإيمان ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾: أي: فهو شيء يُتتفع به في الحياة القريبة التي تنقضي قريبًا وينقضي المتاع بانقضاء الحياة الدنيا، وهو زينةٌ من زِيَن الدنيا. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: ما أعدَّه للمؤمنين ﴿خَيْرٌ﴾ من متاع الدنيا ﴿وَأَبْقَى﴾. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفليست لكم عقول تعلمون بها الأَوْلى بالاختيار.

(٦١) - ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾: أي: هل مَن وعدناه على الإيمان والطاعة وعدًا حسنًا وهو الجنةُ وما فيها من الثواب؟ ﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾؛ أي رائيه، فوَثِق بوعدنا واجتهد في طاعتنا فصيَّرناه إليها ﴿كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فاغترَّ به واشتغل به عن طاعتنا، واستعان بما أعطيناه على مخالفتنا ثم انقطع ذلك. ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾: للعرض والحساب والعقاب؛ أي: ليسا سواءً، وما ينبغي لمن عقلَ أن يشتغل بمتاع الدنيا ويفارقَ الهدى.

(٦٢ -٦٣) - ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: أي: يخاطبُهم، ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أي: أين الذين كنتم تدَّعون أنهم شركائي فينصروكم ويشفعوا لكم ويجازوكم على عبادتكم إياهم؟. ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: أي: وجب عليهم العذاب الذي أَوعَد اللَّه به: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾؛ أي:

هؤلاء الذين أغويناهم؛ أي: دعوناهم إلى الشرك واتَّبعونا. ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾: إنما دعوناهم إلى ما كنا عليه نحن من الكفر. ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾: من أن يكونوا لنا أولياءَ أو نحن نكون لهم أولياء أو من أن ننصرهم. ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ أي: ما كانوا يعبدوننا(١).

(٦٤) - ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾: أي: قيل للأتباع: ادعوا شركاءكم؛ أي: استنصِروهم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾: أي لم يجيبوهم بالنصرة. ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾: قيل: هاهنا مضمر: فوَدُّوا لو كانوا مهتدين إلى الإسلام في الدنيا. وقيل: الإضمار في آخره: لو أنهم كانوا يهتدون لخرجوا من العذاب الذي رَأَوا. وقيل: بل المضمر في آخره: لو كانوا يهتدون لَمَا رأوا ذلك العذاب.

(٦٥ - ٦٦) - ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: يخاطبهم ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين أُرسلوا إليكم. ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾: أي: خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون؛ إذ لم يكن عندهم جواب يعتذرون به. ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾: أي: فلا يسأل بعضهم بعضًا عن الحجة التي يحتجُّ بها؛ إذ يعلم أنه لا يجد ذلك عند أحد. وقيل: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾؛ أي: لا يسأل بعضُهم بعضًا عن حاله لأنه مشغول بأمر نفسه(٢).

---

(١) جامع البيان (١٨/ ٢٩٤) النكت والعيون (٤/ ٢٦١)، والكشف والبيان (٧/ ٢٥٧)، والبسيط (١٧/ ٤٣٣).

(٢) التيسير في التفسير (١١/ ٤٥٧).

(٦٧ -٦٨) - ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾: أي: مِن شِركه ﴿وَآمَنَ﴾ بربِّه وبما جاء مِن عنده ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ في دينه ﴿فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ و(عسى) من اللَّه إيجابٌ لأنه إطماع، وإطماعُ الكريم إيجابٌ، وهذا ترغيب للكفار في الإسلام، وبشارةٌ للمسلمين على الإسلام.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾: أما قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ فهو على العموم، ودل على خلق الأعيان والأفعال كلِّها، ﴿وَيَخْتَارُ﴾ منهم مَن وقف هاهنا، ووجهه: ويختار ما يشاء، ثم قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾؛ أي: ليس الاختيار إليهم، وهو ردٌّ على الذين قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، وعلى الذين اتخذوا الأصنام شركاء وشفعاء، فيقول: ليس لهم أن يختاروا شيئًا من ذلك للعبادة والشفاعة. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: تَنزَّه اللَّه تعالى وتقدَّس عن إشراك المشركين.

(٦٩ - ٧٠) - ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: أي: تُسِرُّ ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بالقول والفعل، وهو وعد ووعيد. ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾: أي: هو المحمود وحده في الدارين، إليه مرجعُ شكرِ كلِّ شاكرٍ، ومدحِ كلِّ مادحٍ؛ لأن إحسان المحسنين بتوفيقه، فهو المنعِمُ على الحقيقة دون خلقه. ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾: وحده لا شريك له، ولا يشرك في حكمه أحدًا. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: في الآخرة فيجازي كلًّا على وَفْق عمله.

(٧١ -٧٢) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ

﴿سَرۡمَدًا﴾ دائمًا لا نهار بعده ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: هل إلهٌ غير الله ﴿يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾: بنهار مضيء؟، فإذ كنتم مقرِّين أنه لا يقدر على ذلك غيرُه فلمَ تشركون به ﴿أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾: أصمٌّ أنتم، فإن فعلَكم هذا فعلُ مَن لا يسمع. ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: أي: دائمًا. ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا﴾: من تعب أشغالكم بالنهار. ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾: أعُمْيٌ أنتم لا تبصرون الليلَ والنهار وما فيهما فتعتبِروا بذلك؟.

(٧٣ - ٧٤) - ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾: أي: في الليل ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾؛ أي: في النهار. ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: ولتشكروا له على هذه النعمة. ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾ أي: يخاطبهم، وعاد الكلام إلى التخويف بيوم القيامة. ﴿فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾: مر تفسيره، ومعنى التكرار -والله أعلم-: أنه يأمرهم بدعائهم أوّلًا، فيدعون فلا يستجيبون، فيظهر حُبوط عملهم وخيبة أملهم، ثم يخاطبهم به فيسكتون، وهو توبيخ لهم وزيادة في خزيهم[(١)].

(٧٥) - ﴿وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾: أي: وأخرجنا من كل أمة شاهدًا عليهم بما أجابوا به رسلهم، ﴿فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾: أي: هلمُّوا أيها المشركون، وهاتوا حجَّتكم على كفركم. ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ﴾: أي: أن الحق هو ما كان الله أرسل به أنبياءه إليهم، وأن الصدق هو ما كان أخبرهم به. ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾ باطلًا ﴿مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ بشركهم الذي كانوا يفترون به على الله.

---

(١) التيسير في التفسير ١١/ ٤٦٠).

(٧٦ -٧٧) - ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾: هو قارون بن ضافر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان ابنَ عم موسى، فإنه موسى بنُ عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾: أي: طلب الفضل عليهم وأن يكون فوقهم. وقيل: بغى عليهم بكُفره، وقيل: بكِبْره. وقيل: كان عاملًا لفرعون فبغى على الناس بأخذ أموالهم حتى صار أغناهم. وقيل: استخف بالفقراء وازدرى بالناس ومنع الحقوق المالية. ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾: أي: أعطيناه من كنوز الأموال. ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾: قيل: هو جمع مَفتح بفتح الميم، وهو بيت المال أو الصندوقُ الذي فيه المال، وهو موضع الفتح. وقيل: هو جمع المِفتح بكسر الميم؛ أي: المفتاح الذي يُفتح به بيت المال أو الصندوق. ﴿لَتَنُوءُ﴾: يقال: ناء ينوء نَوْءًا؛ أي: حمل على ثقلٍ ونهض به على مشقَّةٍ، ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾، والعصبة: جماعة، وهي من عشرة إلى أربعين، والمعنى: يثقلهم حملها، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾ أي: لا تَبْطَر، وهو سوءُ احتمالِ الغنى والطغيانُ بالدنيا. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾: أي: اكتسِبْ بها ثوابَ الآخرة دون التجمُّل والتكثُّر بالدنيا والتكبُّر على أهلها. ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: أي: خذ مع هذا من دنياك ما لا بدَّ لك منه في معاشك، فإنك غيرُ مَلُوم على ذلك. ﴿وَأَحْسِنْ﴾ بمالك إلى عباد اللَّه ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيما وسَّع عليك وبسَطه لك. ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: بعمل المعاصي فإن الله

يعاقب على ذلك (١).

(٧٨) - ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾: قال: إنما أُعطيتُ هذا المالَ لفضلي على غيري بعلمي، وكان علمُه حفظَ التوراة، وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للميقات، وكان أحدَ العلماء المذكورين يومئذ. ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الماضيةِ ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾؛ أي: بالأنصار والأعوان والآلات المحصنة ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموال مثلَ نمرود، ولو كان إعطاء ذلك للفضل والعلم والاستحقاق لم يُعطهم ذلك، ولأن ذلك لم يدفع عنهم بأس الله فكذا قارون. ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾: أي: والله عالم بهم لا يَحتاج إلى السؤال عنهم، فيهلكُهم في الدنيا ويعاقبُهم بالنار في الآخرة.وقيل: لا يُسألون عن ذنوبهم يوم القيامة بل يدخلون النار بغير حساب. وقيل: الملائكة لا تسألهم عن ذنوبهم بل تعرفهم بسيماهم؛ كما قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ﴾ [الرحمن: ٣٩]، ثم قال: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾. وقيل: معناه: ولا يُسأل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الأمة (٢).

(٧٩) - ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾: التي يتعظَّم بها؛ من اللباس والمركب والخدم ونحوهم. ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: أي: يريدون زينةَ

---

(١) جامع البيان (١٨/ ٣٠٩)، والبسيط (١٧/ ٤٤٦)، ومعالم التنزيل (٦/ ٢٢٠)، والكشاف (٣/ ٤٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣١٢)، وروح المعاني (٢٠/ ٢٤٩)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٠).

(٢) الكشف والبيان (٧/ ٢٦٢)، ومعالم التنزيل (٦/ ٢٢٢)، النكت والعيون (٤/ ٢٦٨).

الحياة الدنيا الفانيةِ، ولا يرغبون في الحياة الباقية في الجنان العالية. ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ أي: يا ليتنا أُعطينا مثل ما أعطي قارون من زينتها ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: أي: جليلٍ يقدر معه على ما يريد من الدنيا.

(٨٠) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: باللَّه وصفاته وأسمائه وأحكامه: ﴿وَيْلَكُمْ﴾؛ أي: قالوا للأوَّلينَ الذين تمنَّوا ذلك ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ وأبقى؛ لأنَّه أفضل من أعراض الدنيا ﴿لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: تقرَّب لربه بفعل الطاعات وترك المنكرات. ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾؛ أي: لا يُلقَّى هذه الكلمة ولا يوفَّقُ للعمل بها إلا الصابرون عن الدنيا، الحابسون أنفسهم على طاعة اللَّه تعالى؛ أي: لا يلقِّيها اللَّه إلا هؤلاء، وقيل: لا يُلقَّى الجنةَ وثوابها؛ أي: لا يؤتاها إلا الصابرون على طاعة اللَّه[١].

(٨١) - ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾: أي: غيَّبناه في الأرض يغوص فيها ويَسُوخ وفعلنا بداره كذلك. ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ﴾: أي: جماعةٍ ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: يمنعون عنه عذابَ اللَّه. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ هو بنفسه وقوته. وقيل: بداره وبأهل داره.

(٨٢) - ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾: أي: وصار الذين يتمنون أن يكون لهم من الأموال مالَهُ ﴿يَقُولُونَ﴾ متندمين على ما كان منهم: ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ﴾: قيل: (ويكأن) كلمة واحدة معناها: أما ترى أما تعلم. وقيل: (وي) كلمة يُتعجب بها وبعدها (كأن) التي هي للتشبيه. وهي هاهنا بمعنى الظن والحسبان.

---

(١) جامع البيان(١٨/ ٣٢٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٥).

﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِمْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾: أي: صاروا يقول بعضهم لبعض: ألم تعلموا أن ﴿اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾؟ لا لكرامةِ مَن يَبسط عليه، ولا لهوان من يقدر عليه؛ أي: يضيق. ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: فصرَف عنا ما كنَّا نتمناه بالأمس ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ كما خسف به. ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾: ألم تروا أنه لا يفلح مَن كفر بالله؟[١].

(٨٣ - ٨٤) - ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: تعظُّمًا على الناس ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ في الأرض كما على فرعون وأفسد في الأرض وكذا قارون. ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة الجميلة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا الكفر والذنوب والمعاصي. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾: قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: بالتوحيد. ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾: أي: فله منها خيرٌ؛ أي: ثواب. وقيل: مَن جاء بالإيمان والطاعة فله عند الله من الثواب ما هو أكبرُ وأفضل من عمله؛ لأن ثواب الله يَفضُل عملَ العامل. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: أي: بالشرك والمعاصي ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: لا يُجزى المسيء إلا جزاءَ عمله السيِّئ لا يزاد عليه، وإنما أعيد ذكر الفاعل في قوله: ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ تنبيهًا على المعنى الموجب للتمييز بين الفريقين.

(٨٥) - ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾: ثم ختم السورة ببشارة نبيِّه عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بردِّه إلى مكة ظاهرًا قاهرًا لأعدائه المشركين هؤلاء، الذين حاجَّهم في هذه السورة، ووصلها بمواعظ تتصل بمعناها فقال: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٣٥٧)، والتيسير في التفسير (١١/ ٤٧١).

﴿الْقُرْآنَ﴾. أي: فرض عليك تبليغه. وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: أنزله عليك شيئًا بعد شيء، وأَوجب عليك العملَ بما فيه من شرائع الهدى ومحاسنِ الأخلاق. ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾: أي: لراجعُك إلى وطنك بمكةَ مفتوحًا عليك عاليَ اليد على أهله، وكان كما ذَكر فدلَّ على صدق دعواه النبوَّة. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: فيفتح على المهتدي ويقهر الضالَّ، فيُدخل المهتديَ الجنة والضالَّ النارَ، فيثيب المهتدي ويعاقب الضالَّ، فيَسعد المهتدي ويشقى الضالُّ[١].

(٨٦) - ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾: أي: يوحَى إليك القرآن. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: لكن الله رحمك وأنعم عليك به. ﴿تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾: أي: عونًا للكافرين.

(٨٧ -٨٨) - ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لا يمنعَنَّك هؤلاء عن اتِّباع القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾: أي: الآيات. ﴿وَادْعُ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ الخالق المدبر جَلَّ جَلَالُهُ. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: بإعانتهم ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا تعبد مع الله غيره فهو الإله الواحد، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾: أي: إلا هو، يقال: أكرم اللَّه وجهك؛ أي: أكرمك اللَّه. وقيل: معناه: كلُّ عمل باطلٌ إلا ما أريد به وجهُه؛ أي: رضاه. ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالنشور والخروج من قبوركم.

(انتهى تفسير سورة القصص).

---

(١) البسيط (١٧/ ٤٧٣)، وجامع البيان (١٨/ ٣٤٥ - ٣٤٦)، والكشف والبيان (٧/ ٢٦٦).

(٢٩) سورة العنكبوت مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية إلا قولَه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾، وقولَه تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ فإنها نزلتا بالمدينة، اشتهرت هذه السورة بسورة العنكبوت من عهد رسول الله ﷺ

ووجه إطلاق هذا الاسم على هذه السورة أنها اختصت بذكر مثل العنكبوت، وهذه السورة هي السورة الخامسة والثامنون في ترتيب نزول سور القرآن نزلت بعد سورة الروم وقبل سورة المطففين، وهي تسع وستون آيةً، وتسعُ مئة وستّ وسبعون كلمة، وأربعة آلاف ومئتان وتسعةٌ وثلاثون حرفًا.

أغراض هذه السورة:

افتتاح هذه السورة بالحروف المقطعة يؤذن بأن من أغراضها تحدي المشركين بالإتيان بمثل سورة منه، وجدال المشركين في أن القرآن نزل من عند الله هو الأصل فيما حدث بين المسلمين والمشركين من الأحداث المعبر عنها بالفتنة فتعين أن أول أغراض هذه السورة تثبيت المسلمين الذين فتنهم المشركون وصدوهم عن الإسلام أو عن الهجرة مع من هاجروا، ووعد الله بنصر المؤمنين وخذل أهل الشرك وأنصارهم وملقنيهم من أهل الكتاب، والأمر بمجافاة المشركين والابتعاد منهم ولو كانوا أقرب القرابة، ووجوب صبر المؤمنين على أذى المشركين وأن لهم في سعة الأرض ما ينجيهم من أذى أهل الشرك، ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ما

عدا الظالمين منهم للمسلمين، وأمر النبي ﷺ بالثبات على إبلاغ القرآن وشرائع الإسلام، والتأسي في ذلك بأحوال الأمم التي جاءتها الرسل، وأن محمدًا ﷺ جاء بمثل ما جاؤوا به، وما تخلل أخبار من ذكر فيها من الرسل من العبر، والاستدلال على أن القرآن منزل من عند الله بدليل أمية من أنزل عليه ﷺ، وتذكير المشركين بنعم الله عليهم ليقلعوا عن عبادة ما سواه، وإلزامهم بإثبات وحدانيته بأنهم يعترفون بأنه خالق من في السموات ومن في الأرض، والاستدلال على البعث بالنظر في بدء الخلق وهو أعجب من إعادته، وإثبات الجزاء على الأعمال، وتوعد المشركين بالعذاب الذي يأتيهم بغتة وهم يتهكمون باستعجاله، وضرب المثل لاتخاذ المشركين أولياء من دون الله بمثل وهي بيت العنكبوت(١)، وانتظام السورتين: أنهما جميعًا في بيان وحدانية اللَّه تعالى ودلائلها، ومدحِ المؤمنين ومواعيدهم، وذمِّ الكافرين ووعيدهم(٢).

(١ - ٢) - ﴿الم﴾: الله أعلم بمراده، ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: أي: أظنَّ الناس -وهم الذين شكَوا أذى المشركين- أن نقتصِر منهم على أن يقولوا آمنا باللَّه ورسوله ويُتركون أن لا يختَبروا بالأمر بهجر ديارهم وجهادِ عدوهم والصبرِ على إيذائهم؟ ويدخل في ذلك المصائب والأمراضُ والشدائد، وهو استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: لا يكون ذلك، ولا بد أن يُفتَنوا بأنواع المحن في الدِّين، فيُخلصوا على الامتحان، ويَظهر بذلك صدقُ مَن صدَق فيه

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٠١).

(٢) الكشف والبيان (٧/ ٢٦٩)، والبيان في عد آي القرآن (١/ ٢٠٣).

وكَذِبُ مَن كَذَب.

(٣) - ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: يعني: من الأمم، لم نكتفِ منهم بقولهم: ﴿آمَنَّا﴾ بل ابتليناهم، فكذا هؤلاء. ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾: فليفتننَّهم اللَّه ليَظهر صدقُ الصادق وكذبُ الكاذب بالفعل وترك الفعل.

(٤) - ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: أي: المعاصي، بجزعهم عند الفتنة وإضمارهم النفاق والشك وغير ذلك. ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾: أي: يُعْجزونا فيَفوتونا فلا نقدرَ على مجازاتهم، فلذلك لا يصبرون ولا يجاهدون ولا يهاجرون؟ ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: بهذا الحسبان[١].

(٥) - ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾: أي: يؤمِّل أن يَلْقَى اللَّه فيُثيبَه على عمله. وقيل: أي: يخاف أن يلقى اللَّه فيحاسبَه على عمله. والرجاء يحتملُها. ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾: لا محالة، وهو قريبٌ، وهو اسم للموت وللقيامة أيضًا، قال اللَّه تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢]. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم؛ أي: فلْيجتهِدْ في صالح الأعمال ولْيجتنِبْ سيِّئَ الأفعال، وهو حثٌّ على الصبر على أذى المشركين، والجهادِ مع أعداء اللَّه لإعلاء الدِّين[٢].

(٦ - ٧) - ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾:

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٢٧٠)، وجامع البيان (١٨/ ٣٥٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٢).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٧٣)، والتيسير في التفسير (١١/ ٤٨٢).

أي: جاهد عدوَّ اللَّه، وجاهَد نفسَه، وجاهد الشيطان، فنفعُ ذلك يرجع إليه، لا حاجة إليه للَّه تعالى، وهو غنيٌّ عن العالمين كلِّهم وهو غنيٌّ عن الخلائق كلهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: إن المؤمن إذا عمل الصالحات من الصبر على نفسه، ومجاهدةِ العدو، وتحمُّل الأذى، وغيرِ ذلك، ليَمحونَّ اللَّه معاصيَه التي سلفت، وليَجْزينَّه على أحسن أعماله، ثم يُلحِقُ سائرَه به. وقيل: أَي: مَن آمن من الكفار، وعمل صالحًا في الإسلام، يَغفر اللَّه له ما كان من سيئاته في كفره، ويجزه في الإسلام على الصالح من عمله.

(٨) - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾: ثم ذكر بعض ما يُفتَن به الإنسان في إيمانه، وهو أن يأمره أبواه بالشرك والمعصية فلا يحتمِل قلبُه معصيتَهما مع وجوب بِرِّهما شرعًا وعقلًا، وأخبر أنه لا طاعة لهما في ذلك فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾؛ أي: أمرناه أن يفعل بهما حُسنًا. ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾: أي: قلنا له بما أوحينا إلى رسولنا وأنزلنا عليه أن يأمره به: وإن استفرَغا مجهودهما لك ﴿لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أنه لي شريك ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك. ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: في القيامة ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أخبرُكم بأعمالكم وأجازيكم عليها، الولدَ المؤمنَ المطيعَ على إيمانه وطاعته، والوالدين الكافرين العاصيين على كفرهما ومعاصيهما. نزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمِّه حَمنةَ بنت أبي سفيان بن أمية ابن عبد شمس، وكانت مشركةً وأسلم ابنها سعدٌ، فحلفت أن لا تأكلَ ولا تشرب ولا يظلَّها ظلٌّ حتى يرجع سعد عن دينه، فأبى عليها، فلَمْ تزل كذلك حتى غُشي عليها،

فأتاها بنوها فسقَوها حتى أفاقت، وأنزل اللَّه هذه الآية يأمر سعدًا بالإحسان إليها وألَّا يطيعها في الشرك(١).

(٩ - ١٠) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: قيل: أي: والذين آمنوا بعد كفرهم وأصلحوا بعد إفسادهم ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾: لنتقبَّلنَّ ذلك منهم، ولنجعلنَّهم من جملة المؤمنين المصلحين. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾: وهذه صفة المنافق الذي يُفتن في دينه، يقول بلسانه: آمنت باللَّه وصدقتُ بوعده ووعيده. ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: أي: ناله مكروه بسبب دِين اللَّه. ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾: أي: جعل إيذاء الناس في خوفه وتركِ الدِّين لأجله كعذاب اللَّه الذي هو باقٍ لا ينقطع؛ أي: يترك الإسلام إذا خاف إيذاء الكفار إياه كما يترك المسلم المعصية إذا خاف كذلك عذاب اللَّه. وسمى الأذى فتنةً لأنه محنةٌ يشتدُّ احتمالها، وهذا تقبيحٌ من اللَّه تعالى فعلَ هذا المنافق، وذمٌّ له بسوء اختياره. ﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: للمسلمين ظفرٌ وغنيمة. ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾: أي: في الدِّين، فأشرِكونا فيما أصبتُم. ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾: أي: بما في قلوب الخلق من الإيمان والكفر والإخلاص والنفاق، فكيف يتوهَّم هذا المنافق أنه يَخْفَى على المسلمين ولا يُخبرهم اللَّه به وهو عالمٌ به؟ وهذا تهديدٌ لهم.

(١) جامع البيان (١٨/ ٣٦٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٧٤)، وأسباب النزول للواحدي (١/ ٣٤١). وروى نحوه مسلم (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة، عقب الحديث (٢٤١٢)، والترمذي (٣١٨٩)، من حديث سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١١) - ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾: أي: وليمتحننَّ اللَّه الفريقين، وليُظهرنَّ إخلاصَ المخلِصين ونفاقَ المنافقين، وليُميِّزنَّ بين الفريقين ليَعْرفهم المؤمنون فيجازوهم على حسب استحقاقهم.

(١٢) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾: وهذا أيضًا مما يُفتَنُ به المؤمن عن دينه من الخديعةِ التي يَنْفُق مثلُها على الضَّعَفة، يقول: قال مشركو مكة للمؤمنين: اتبعوا ديننا ونحن نتحمَّل عنكم آثامكم في الآخرة إن كان اتِّباعكم إيانا إثمًا وكانت القيامة حقًّا. ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: لا يحمل هؤلاء القائلون من آثام هؤلاء المقول لهم شيئًا؛ لأنَّه لا تَزِر وازرةٌ وِزْر أخرى. ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في قولهم: إنَّا نحمل خطاياكم.

(١٣) - ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: أي: أوزار أنفسهم بضلالهتم. ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: أي: وأوزار الضالين بإضلالهم. ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: هؤلاء الخادعون ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: يكذبون بهذا الوعد، وهو حملُ الخطايا عنهم، فكان هذا الخداع منهم داخلًا في أوزارهم التي يحملونها ويعاقَبون عليها.

(١٤) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾: ثم ذكر بعض قصص الأنبياء عليهم السلام وتحمُّلهم أذى القوم وجهادَهم إياهم في الدعوة إلى الحق بدءًا بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾: أي: فمكث في قومه يدعوهم إلى اللَّه تسعَ مئة وخمسين سنة. ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾: أي: الماء الكثير ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾؛ أي: مشركون[1].

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٤٥)، وروح المعاني (٢٠/ ٣٢١).

(١٥) - ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾: أي: أنجينا نوحًا ﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾؛ أي: والذين حملهم نوحٌ في السفينة. ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾: أي: السفينةَ ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: علامةً لهم دالةً على صدق قول الأنبياء ونجاةِ مَن آمن بهم وهلاكِ مَن كذبهم.

(١٦ -١٧) - ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: أنفعُ لكم وأصلحُ إن كنتم من أهل العلم بالأمور والتفكُّر في بَوَاديها وعواقبها. ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾: أي: أصنامًا من خشب وحجر. ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: أي وتفتعلون كذبًا؛ أي: وتسمُّونها آلهة كذبًا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: أي: لا يقدرون أن يرزقوكم، ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾: أي: فاطلبوا الرزق من عند اللَّه، ثم بيَّن طريق الطلب فقال: ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾؛ أي: في الحال ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: لِمَا مضى من إنعامه. ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم بما عملتُم: من الشكر والكفران، والعبادة والطغيان، وهو وعد ووعيد.

(١٨) - ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أي: وإن تكذبوا يا معشر العرب فقد كذَّب أممٌ من قبلكم أنبياءهم، فما ضرَّ ذلك الأنبياء بل ضرَّ المكذِّبين، فأهلكهم اللَّه تعالى وأنجى الأنبياء والمؤمنين، وليس على الرسول إلا البلاغ الظاهر.

(١٩ - ٢٠) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾: استفهام بمعنى الإثبات؛ أي: قد رأوا ذلك وعلِموه، وقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس هذا مما يقع عليه رؤيتهم، لكنه إخبارٌ ودليلُ ثبوته إبداؤه. ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: غيرُ متعذِّر،

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ لمن كان قبلكم وأماتهم على كثرتهم وتفاوُتِ هممهم، واختلافِ طبائعهم وألوانهم وألسنتهم وصناعاتهم، فتستدلوا بذلك على أنه لم يخلقهم لذلك عبثًا بل ليمتحنهم، فلا بد من دارٍ للجزاء والحساب. ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ أي: كابتداءِ إيجادهم في الدنيا مختلفي الأحوال والأعمال، فكذلك يعيدهم في الآخرة مختلفين في الجزاء اختلافهم في الأفعال. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من الإبداء والإعادة وكلِّ شيء.

(٢١ - ٢٢) - ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾: في النشأة الآخرة ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾؛ أي: وإلى جزائه تردُّون وتُرجَعون. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: أي: بفائتين ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: ولا مَن في السماء[(١)]، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولى أموركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعكم من عذاب ينزل بكم، فإلى اللّه فافزعوا وإياه فاعبدوا.

(٢٣ - ٢٤) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾: أي: بالقرآن والبعث والحساب ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾؛ أي: فأولئك القانطون من رحمتي ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو تفسير قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وإذا كان اليأس من الرحمة لهؤلاء كانت الرحمة للمؤمنين المخالفين لهؤلاء. ثم عاد الكلام إلى قصة إبراهيم وجوابِ قومه له: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾؛ أي: إلا قولُهم، ﴿اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾: لمَّا ألزمهم الحجةَ أعرضوا عنها وعارضوه بقصد الإهلاك، فقال بعضهم لبعض: اقتلوه بالسيف ونحوه أو حرِّقوه بالنار. ﴿فَأَنْجَاهُ

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٥).

﴿اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾: أي: من أذاها ومكروهها بعد إلقائهم إياه فيها. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: لَعلاماتٍ للمؤمنين على أن العاقبةَ المحمودة لأهل الإيمان(١).

(٢٥) - ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: لتَوادُّوا بينكم على عبادتها وتَحابُّوا وتَواصَلوا عليها في الحياة الدنيا، ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾: أي: يتبرأُ ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ كما قال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]. ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾: يومئذ ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ أي: من أعوانٍ حينئذ.

(٢٦) - ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾: أي: صدَّقه لوطٌ بعد هذا التنبيه وإقامةِ الحجج من بين القوم الكثير. ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾: قيل: هو قول لوط. وقيل: هو قول إبراهيم. ومعناه: إني تاركٌ وطني وبلدي ومفارقٌ مَن خالفني مَن أهلي متقرِّبًا بذلك إلى ربي. وقيل: لمَّا صدَّقه لوط من بين قومه لم يتهيَّأ له المقام بينهم، فقال: إني مهاجر إلى حيث أمرني ربي من المواضع التي أمرنا فيها. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾: أي: المنيع الذي مَن لجأ إليه مَنَعه من أعدائه. ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي يمتحن أولياءه بأعدائه، ثم يجعل العاقبةَ المحمودة لأوليائه.

(٢٧) - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: أي: في أعقابه ونسله؛ لأن موسى وداود عليهما السلام وغيرَهما من أنبياء بني إسرائيل كلُّهم من ذرية يعقوب، ومحمدٌ ﷺ من ولد إسماعيل، وهو ابن إبراهيم،

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ١٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣١٢)، والبحر المحيط (١٧/ ١٢٠).

ولهم النبوةُ والكتابُ. ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ﴾: أي: ثوابَ قيامه بأداء الرسالة، وصبرِه على أذى القوم، ومهاجَرته إلى ربه فارًّا بدينه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ من كثرةِ الأولاد وكونِ الأنبياء فيهم، وإلزامِ الناس اتِّباعَ ملَّته، وإبقاءِ ذكره على ألسنة الآخرين. ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي: لَمِن أهل الجنة.

(٢٨) - ﴿وَلُوطًا﴾: عطفٌ على قوله: ﴿وَنُوحًا﴾، وبيَّن صبرَه على أذى قومه: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾: أي: الفعلةَ القبيحةَ المتناهيةَ القُبح، ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: لم يفعلها أحد من الناس قبلكم.

(٢٩) - ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾: أي: تُواقعونهم، وهو تفسير تلك الفاحشة. ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾: قيل: أي: تقطعون طرق الناس وتأخذون أموالهم، وكانوا يفعلون كذلك. وقيل: كانوا يفعلون الفاحشة بمن مرَّ بهم من الغرباء، فكانوا لذلك لا يمرُّون بهم فينقطع الطريق لذلك. وقيل: وتقطعون سبيل الولد لتعطيلكم النساء. ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ أي: في متحدثكم المنكر وهو: أنهم كانوا يأتون الذُّكران مجاهرةً، وقيل: هو كلُّ فعلٍ قبيح يجاهِر به أهلُ المجون والذين لا حياءَ لهم. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: وهو غايةُ وقاحتهم وعنادهم، وأن العذاب نازل بفاعليه(١).

(٣٠ - ٣١) - ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾: سأل اللَّه أن يمنع أذاهم عنه، وأن يُنزل العذاب عليهم، فاستجاب اللَّه ذلك له بما ذكر بعده. ﴿وَلَمَّا

---

(١) تفسير الجلالين (١٥٢٤)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٦)، وجامع البيان (١٨/ ٣٩٠).

﴿جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾: أي: الملائكة المرسلون جبريلُ وجماعة من الملائكة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿بِالْبُشْرَى﴾ بإسحاق، ويعقوبَ بعده منه؛ أي: من إسحاق ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: وهي قرية قوم لوط؛ أي: نهلكُهم، فقد أمرَنا اللَّه بذلك. ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾: أي: هم متقادمو الكفر والمعاصي[١].

(٣٢) - ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾: أي: قال إبراهيم أتهلكونهم وفيها لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ؟. ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾: أي: ليس يخفَى علينا ذلك أن فيها لوطًا معه مؤمنون، أعلمنا اللَّه تعالى بذلك، ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: لنأمرنَّ لوطًا أن يخرج مع مَن معه من المؤمنين من القرية بأمر اللَّه إيانا بذلك، فيخرج فينجو بذلك مما يحلُّ بقومه. ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: أي: الباقين في الهلاك.

(٣٣) - ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾: أي: لمَّا جاء هؤلاء الملائكة لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾: ساءه مجيئهم؛ أي: أحزنه. ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي: ضاق قلبُه ولم يحتمل ذلك وُسْعُه، وذلك لأنه لم يعلم أنهم ملائكةٌ فظنَّ أنهم غرباءُ ضافُوه، وخاف عليهم من قومه ما كان يكون منهم بالغرباء من الفاحشة. ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾: أي: لا تخَفْ علينا من وصولهم إلينا، ولا تحزنْ ولا تهتمَّ من ظهور حالٍ يحزنُك بسببنا من الفضيحة، وأَظهَروا أنهم ملائكة أُرسلوا لإنجائه وإهلاك قومه. ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾: أي: إنا ننجِّيك وننجِّي أهلك، ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: أي: الباقين في الهلاك.

(٣٤ -٣٥) - ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي:

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٥٠)، والتيسير في التفسير (١١/ ٥٠١).

عذابًا، وهو إمطار الحجارة. ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: أي: بفسقهم المتقادِم. ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ هي الحجارةُ التي أُمطرت عليهم، ما من أحدٍ مرَّ منهم من المدينة إلى الشام إلا رآها في قرية سدوم. وقيل: هو عفو آثارهم مع ظهور هلاكهم، يقول: ولقد ألقينا في قرية قومِ لوط علامةً واضحة على قدرتنا وعلى انتقامنا من أعدائنا لأوليائنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الآيات فيتدبرونها[(١)].

(٣٦) - ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: عطف على قوله: ﴿نُوحًا﴾. ﴿فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أي: وحِّدوا اللَّه وأطيعوه. ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: قال الحسن: أي: صدِّقوا به، ومعناه: أنهم كانوا لا يصدِّقون به فلا يرجون كونَه، فكأنه قال: وارجوا كونَه. وقيل: معناه: فاعملوا الصالحات راجين ثوابه في الآخرة. وقيل: أي: خافوا عذاب اللَّه يوم القيامة على المعاصي فلا تعصُوه، والرجاء يقع على الأمل والخوف جميعًا ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: أي: ولا تبالغوا في الإفساد في الأرض بالكفر والمعاصي؛ من نقص الكيل والوزن وغير ذلك.

(٣٧) - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: أي: الزلزلة التي أصابتهم يوم الظلَّة، رجَفَتْ بهم الأرض مع أخذِ الحر فهلكوا. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾: أي: بلدهم ﴿جَاثِمِينَ﴾: ميتين لاصقينَ بالأرض. وقيل: ساقطين بعضهم على

(٨) - ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾: كيف خرَّبها اللَّه تعالى وأخلاها عن أهلها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: الكفرَ والمعاصيَ

---

(١) جامع البيان (١٨/ ٣٩٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٨).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١٦). وجامع البيان (١٨/ ٣٩٨).

بالوسوسة. ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: أي: صرَفهم بالدعوة عن الطريق المستقيم، وهو الدِّين الحق. ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أي: صاروا ذوي بصائرَ في دينهم عند أنفسهم لعُجْبهم بضلالتهم، وقيل: وكانوا ذوي بصائر يمكنهم تمييز الحق من الباطل، ولكنهم أغفلوا ولم يستعملوا بصائرهم[١].

(٣٩) - ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾: عطف على قوله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالترؤس على أهلها واستعبادِ ضعفائها. ﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾: أي: فائتين أَخْذَنا.

(٤٠) - ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾: أي: فأخَذْنا كلًّا مِن هؤلاء بكفره ومعصيته. ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: حجارةً كقوم لوط. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾: كقوم صالح. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾: كقارون. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾: بالطوفان كقوم نوحٍ، وبالبحر كفرعون وقومه.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: أي: ليعاقبَهم من غيرِ ذنبٍ ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالمعاصي المنزلةِ بهم الهلاك.

(٤١) - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾: أي: مَثَلُ مَن أشركَ باللَّه الأوثانَ وتولَّاها في ضَعْف احتيالهم وسوءِ اختيارهم كمثَل العنكبوت حيث ابتنَتْ لنفسها بيتًا، وإن ذلك البيت لا يكنُّ من حرٍّ ولا بردٍ، ولا يَقي ما تقي البيوتُ، فكذلك أوثانُ هؤلاء لا تنفعُهم ولا تغني عنهم في الدارين. ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: أي:

---

(١) تأويلات أهل السنة (٨/ ٢٢٧).

واعتمادُهم على الأوثان أضعفُ شيء لو كانوا يرجعون إلى علمٍ. والعنكبوت مؤنَّثةٌ في الآية، وقد ذكرها بعض الشعراء فقال:

على هَطَّالهم منهم بيوتٌ * كأنَّ العنكبوتَ هو ابْتَناها**(١)

(٤٢ -٤٣) - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: إن الله يعلم ما يعبدون من دونه من صنمٍ أو ملَكٍ أو جنٍّ أو شيطان. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا شريك له ﴿الْحَكِيمُ﴾: في ترك المعاجلة بالعقوبة. ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾: أي: هذا المثلُ وسائر الأمثال نبيِّنها للناس ونذكِّر. ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾: أي: وما يفهمها ويعرف حقائقها إلا أولو العلم الذين يضعون الأشياء مواضعها، فأما مَن أَلِفَ الجهل وترَك التدبُّر فما يَنتفِع بها انتفاعَ مَن يَعقِل.

(٤٤ -٤٥) - ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: أي: لم يخلقها باطلًا ولا جُزافًا، بل بحكمةٍ بالغةٍ وهو الامتحان، ثم ذلك يقتضي دارًا أخرى للحساب والجزاء على الأعمال. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: أي: لدلالةً على قدرة الله تعالى وربوبيَّته وحكمته. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: والدلالةُ للكل، لكن انتفَع بها المؤمنون فأُضيفت إليهم. وقيل: ﴿لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: لحجةً للمؤمنين على الكافرين في التوحيد والإسلام. ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: تقرُّبًا إلى الله تعالى بقراءةِ كلامه، ولتَقفَ على ما أمر الله تعالى به ونهى عنه فيه، وعلى ما يعامَلُ به الكفار. وقيل: أي: اتلُ على الكفار وأنذرهم به وادعُهم إليه. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: أي: إذا فرغْتَ من

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٧)، والصحاح (مادة: هطل)، وفيه: الهطَّال اسم جبل، والتيسير في التفسير (١١/ ٥٠٨).

إنذارهم به. وقيل: دُمْ على تلاوة الكتاب وإقامةِ الصلوات. ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾: أي: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ﴾ تشتمِل على قراءة القرآن، وفيه الوعظُ والوعيد والوعد، وذلك مانعٌ ﴿عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾؛ أي: الفعلةِ القبيحة ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾؛ أي: ما يُنكره العقل والشرع. ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: قيل: ولذكرُ اللَّه جَلَّجَلَالُهُ بتلاوةِ القرآن والأذكار في الصلاة أكبرُ من كلِّ شيء. وقيل: ولذكر اللَّه في الصلاة بالقرآن أفضلُ من ذكره بغيره. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾: أي: ما تعملون من الصلاة وغير ذلك.

(٤٦) - ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أمره بمحاجَّة المشركين بما مرَّ، وبمجادلة أهل الكتاب بالأحسن، فقال: ولا تخاصموا أهل الكتاب في الدِّين إلا بالجهة التي هي أحسنُ من غيرها، وهو الدعاء إلى اللَّه تعالى بآياته والتنبيهِ على حججه، على سبيل النصح والرفق وتصويرِ الحق بأحسن الصور على وجهٍ يُرجى به ميلُهم إلى الإسلام. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: أي: الذين أصرُّوا على كفرهم وامتنعوا من إعطاء الجزية، فجادلوهم بالسيف -وهو الجدالُ بغيرِ الأحسن- حتى يُسْلموا أو يعطوا الجزية. ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾: وهو القرآن ﴿وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: وهو التوراة والإنجيل، وهو بيان مجادلةِ الأحسن؛ أي: قولوا لهم: كتابكم حكَمٌ بيننا وبينكم ككتابنا حكَمٌ علينا، وقد آمنا بالكتابين. ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون، فقد اتَّفقنا على اللَّه الذي يستحق أن يُعبد ويطاع، وعلى الكتاب الذي أُنزل إليكم، فقد رضينا بحكمه كرضانا بحكم كتابنا، فلم يبق إلا الرجوع إلى قصة الكتاب، فهلموا نرجعْ إليه فيما

اختلفنا من نبوة نبينا محمدٍ ﷺ، وهو موصوف في كتابكم بصفاتٍ لا توجد إلا في محمد عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فما بقي بعد هذا إلا العِنادُ، والمجادلةُ على هذا الوجه مجادلةٌ بالأحسن.

(٤٧) - ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: أي: وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء المتقدمين فكذلك أنزلنا إليك القرآن وأمرناك أن تحاجَّهم به. ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: أي: والذين آتيناهم الكتاب من قبلك من بني إسرائيل يؤمنون بهذا الكتاب؛ لإيمانهم بالأنبياء الذين بشَّروهم بك وبأمَّتك والكتابِ المنزلِ عليك. ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: أي: ومن أهل عصرك مِن بني إسرائيل مَن يؤمن به؛ كعبد الله بن سلَام وأصحابِه. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾: أي: القرآنِ ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ بالله وكتبه، فلا يَضيقنَّ صدرُك بكفر هؤلاء، فقد آمَن بك وبكتابك أولئك.

(٤٨) - ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾: يدل على صحة كتابه ويقول: وما كنتَ تقرأ مِن قبل هذا الكتاب المنزل عليك كتابًا من الكتب المتقدمة فتكونَ قد وقفتَ بذلك على قصص الأولين. ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾: أي: وكنتَ لا تكتب كتابًا بيمينك فتكونَ قد وجدتَ كتابًا من الكتب المتقدِّمة فنظرتَ فيه وحفظتَ القصص منه، بل كنتَ أميًّا في بلاد الأميين لا تقرأ ولا تكتب. ﴿إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾: أي: ولو كنتَ تتلو كتابًا أو تخطُّه لشكُّوا إذًا، وإذ لم يكن كذلك فلا وجهَ للارتياب في أنَّ ما تتلوه عليهم هو وحيٌ من السماء. والمبطِلون: الكفار، وقيل: أهل الكتاب، وقيل: معناه: لو كنتَ تقرأ الكتب لقالوا: أخذ

القصص منها، ولو كنت تخطُّه بيمينك لقالوا: نظَمْتَه وألَّفْتَه من عندك [١].

(٤٩) - ﴿بَلْ هُوَ﴾؛ أي: بل محمدٌ ﷺ ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾؛ أي: رسولُ الله حقٌّ ظاهرُ الدليل، وجمع الآيات، وقيل: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾: أي: القرآن، ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: أي: هي كذلك في قلوب أصحابك العلماء يحفظونها ويعتقدونها، فمَن وصَفَه بغير هذه الصفة فهو من أهل الجهل، فلا تبالِ بقوله. وقيل: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾: بمحمدٍ ﴿إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ أنفسَهم، وقيل: الواضعون التكذيبَ في غير موضعه.

(٥٠ - ٥١) - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: كآيات الأنبياء موسى وعيسى وغيرِهما؛ كفَلق البحر، وإحياءِ الموتى، وإخراجِ الناقة من الصخرة. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: هو يأتي بها على ما يعلمه صلاحًا لكلِّ نبيٍّ ولكلِّ قومٍ، لا أملك أنا شيئًا منها. ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: مخوِّف بالقرآن أن يأتيكم عذابٌ إذا أصرَرْتُم على شرككم وعنادكم. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾: استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: لقد كفاهم ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ وهو معجزة فهو آيةٌ كافية. ﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: بلسانهم، ولقد تحدَّاهم أن يأتوا بسورةٍ مثلِه فعجزوا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: إن في ذلك الكتاب المنزل عليك لرحمةً وموعظةً لمن همَّتُه الإيمانُ بما قامت دلالتُه.

(٥٢) - ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾: أي: شاهدًا بصدقِ ما أدَّعيهِ من الرسالة وإنزالِ القرآن عليَّ. ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لا يخفَى

---

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٥١٥).

عليه شيء مما فيهما، وهذا وعيد لهم بتعريضٍ. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾: بالجبت والطاغوت ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾؛ أي أشركوا به. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: قيل: الهالكون، وقيل: المغبونون؛ حُرِموا الجنة واستحقُّوا الخلود في النار.

(٥٣) - ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾: أي: إن لكلِّ عذابٍ يُنزله اللَّه بالعصاة أجلًا معلومًا عنده لا يقدِّمه قبله ولا يؤخِّره بعده. ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ﴾: أي: العذاب ﴿بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقتِ مجيئه.

(٥٤ - ٥٥) - ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: عجبٌ من جهلهم في استعجال العذاب وقد أَعد اللَّه لهم جهنم وهي قد أحاطت بهم؛ أي: هم في المعنى كالمحصور فيها لا يجد مخرجًا. وقيل: أي: ستحيط بهم في الآخرة لا محالةَ، فلا معنى لاستعجالهم في الدنيا. ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾: مُحيطةٌ بهم في يومٍ يأتيهم ويغطِّيهم العذاب ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ ومن (كلِّ جهاتهم، وهو كقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]. ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: تقول لهم الملائكة بأمر اللَّه: هذا جزاء عملكم فذوقوه؛ أي: فقاسوه[١].

(٥٦ - ٥٧) - ﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾: أي: يا عبادي الذين آمنوا بي وبرسولي، وخالَفوا عشائرهم وقومهم، وخافوا الفتنة منهم وألَّا يصبروا على أذاهم. ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾: أي: بلادي والمواضعَ التي خلقتُها

(١) التيسير في التفسير (١١/ ٥٢٠).

لمعاشٍ خلقي كبيرةٌ لا تَضيق عنكم فهاجِروا إليها. ﴿فَإِيَّاىَ فَاعْبُدُونِ﴾ لا ما يدعوكم إليه المشركون، ولا يَشُقَّنَّ عليكم احتمالُ الغربة لأجلي، فإن حياة الدنيا منقضية، والبلايا منتهية، ومرجعُكم إليَّ، وذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: بعد البعث.

(٥٨) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ أي: ننزلنهم ﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾: وهي أعالي المنازل بها. ﴿تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: من تحت أشجارها وقصورها المياه في الأنهار، وهي أنزه ما يكون. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ هذا الأجر[1].

(٥٩ - ٦٠) - ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: أي: ثبتوا على الإيمان مع الفتنة، وتحمَّلوا أذى الكفار ومفارقة الديار. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: أي: يعتمدون في أرزاقهم وجهادِ أعدائهم وكفايةِ أمورهم على ربهم. ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾: أي: وكم من ذاتِ حياةٍ تدبُّ على وجه الأرض ليس معها رزقُها مدَّخرًا يرزقها اللَّه تعالى كما يرزقكم. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: الذي لا تخفى عليه الأصواتُ ﴿الْعَلِيمُ﴾ الذي أحاط علمُه بالخَفِيَّات.

(٦١) - ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: أي: ولئن سألتَ هؤلاء المشركين: مَن خالقُ السماوات والأرض على كبرهما وسَعَتهما وكثرةِ عجائبهما؟، وما علَّق اللَّهُ تعالى بهما من قرارِ هذا العالم

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٥٢٩).

على كثرتهم؟، ومَن الذي صيَّر الشمس والقمر غيرَ ممتنعَين عما خلَقهما له من منافعِ العباد، وما علَّق بهما من أسباب المعاش؟ لأقرُّوا أن فاعل ذلك كلِّه هو اللَّهُ وحده لا شريك له. ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُون﴾: أي: فأين يُصرَفون؟، وإلى أين يذهبون عن الإخلاص له مع إقرارهم بهذا كلِّه، ومن أين يجوز مع هذا أن يكون مَن عَبَد خالقَ هذه الأشياء يعاقبُه اللَّه تعالى بالتقتير عليه، ومَن أشرك به غيرَه يُثيبه اللَّه تعالى بالتوسيع عليه؟.

(٦٢) - ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾: أي: إن اللَّه هو المستحِقُّ العبادة وحده، وهو الموسِّع للرزق على مَن يشاءُ وهو المضيِّق له والمعطي بقَدْر الكفاية. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: هو العليم بمصلحة كلِّ عبدٍ، فيعطي كلًّا ما فيه صلاحُه، قال النبي ﷺ: "يقول اللَّه تعالى: إنَّ مِن عبادي مَن لا يصلحُه إلا الفقرُ، ولو أغنيتُه لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي مَن لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقَرْتُه لأفسده ذلك، أدبِّر أمور عبادي بعِلمي"(١).

(٦٣) - ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: فإذا كانوا مُقرِّين بأن فاعل ذلك هو اللَّه، وهو القادر عليه وعلى كل شيء، أفلا يقدر على إغناء المؤمنين؟ قل: الحمد للَّه على ما أوضح لنا من الحجة، وبصَّرنا من العَمَاية، وأنقذَنا من الجهالة. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي: لا يتدبَّرون بما فيهم من العقول فيما يُريهم من الآيات ويُقيم من

(١) رواه الترمذي الحكيم في "نوادر الأصول" (٢/ ٢٣٢)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" ٩٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الدلالات، فصاروا بذلك كمَن لا يعقل ما يقال له ولا ما يقول. وقيل: لا يعقلون ما يلزمهم بهذا الإقرار.

(٦٤) - ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾: أي: ما يعطيه اللَّه تعالى لهؤلاء الأغنياء من السَّعة في دنياهم فليس هو في سرعة انقضائه إلا كاللهو، وهو الشيء الذي يَتلذذ به الإنسان فيُلهيه ويُفرحه ساعةً ثم ينقضي، وكاللعب الذي لا حقيقة له. ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾: أي: والدار الآخرة التي هي للثوابِ والعقاب ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾؛ أي: فيها الحياةُ الباقية؛ أي: هي الحياةُ في الحقيقة لأنها حياةٌ لا تتنغَّص بانقضائها بالموت. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: أي: لو كان هؤلاء المشركون المفتخرون بالدنيا يعرفون حقائق الأشياء.

(٦٥) - ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾: أي: السفن لأمرٍ من أمور المعاش، فأصابتهم شدة يخافون منها الغرق والهلاك ﴿دَعَوُا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: لا يَدينون في تلك الحالة أن شيئًا يفرج عنهم ذلك غيرَ اللَّه وحده. ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾: فإذا خلَّصهم من البحر إلى البر وأَمِنوا ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: عادوا إلى الشرك باللَّه.

(٦٦-٦٧) - ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي: من النعمة، ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام وفي قراءة بسكون اللام أمر تهديد[١] ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: يعني: في الآخرة إذا عُوقبوا على ذلك. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: استفهام بمعنى التقرير، والمعنى أولم يعلموا؟ ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾؛ أي: لهم ﴿حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ

---

(١) السبعة (١/ ٥٠٢)، والتيسير (١/ ١٧٤).

﴿النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾؛ أي: وسائرُ أهل بلاد العرب يُستلبون بالإغارة والسبي، إنعامًا مني على أهل الحرم وقد خلَّصتهم في البر كما خلَّصتهم في البحر، فكيف صاروا يشركون بي في البر ولا يشركون بي في البحر ويدعون لي مخلصين؟ ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾: بما يعبدونه من دون الله ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ أي: بإشراكهم، وهو استفهام بمعنى التوبيخ.

(٦٨ - ٦٩) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: لا أظلم منه بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ أي: النبي والكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: مأوىً، وهو استفهام بمعنى الإثبات. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾: أي: أعدائي، وقيل: الشيطان، وقيل: أنفسَهم. ﴿فِينَا﴾؛ أي: لأجْلنا وفي طلب رضانا. ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: أي: لنثبِّتنَّهم على الحق. وقيل: لنوفِّقنَّهم سُبلَنا، وسبيلُ الله واحد وجُمع لذكر المجاهدين، فصار السبيل جمعًا لاجتماع السالكين. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: حافظُهم وناصرُهم[(١)].

(انتهى تفسير سورة العنكبوت).

(١) الكشاف (٣/ ٤٦٥)، والكشف والبيان (٧/ ٢٩٠) ومعالم التنزيل (٦/ ٢٥٦)، والتيسير في التفسير (١١/ ٥٢٨).

فهرس الجزء الثاني

مقدمة ١
(١٠) سورة يونس مكية ٣
(١١) سورة هود مكية ٤٤
(١٢) سورة يوسف مكية ٨٦
(١٣) سورة الرعد مكية ١٢٦
(١٤) سورة إبراهيم مكية ١٥٠
(١٥) سورة الحجر مكية ١٧١
(١٦) سورة النحل مكية ١٨٩
(١٧) سورة الإسراء مكية ٢٣٠
(١٨) سورة الكهف مكية ٢٦٩
(١٩) سورة مريم عليها السلام مكية ٣٠٨
(٢٠) سورة طه مكية ٣٣٥
(٢١) سورة الأنبياء مكية ٣٦٧
(٢٢) سورة الحج مكية ٤٠٢
(٢٣) سورة المؤمنون مكية ٤٣٥
(٢٤) سورة النور مدنية ٤٦٢

(٢٥) سورة الفرقان مكية ٤٩٧
(٢٦) سورة الشعراء مكية ٥٢٣
(٢٧) سورة النمل مكية ٥٥٣
(٢٨) سورة القصص مكية ٥٨١
(٢٩) سورة العنكبوت مكية ٦١٠
فهرس الجزء الثاني ٦٣٢

تم الجزء الثاني بحمد الله تعالى